

سيرة أقطاب

عن السيد الخوئي أفاضل مشايخه

الأستاذ

صالح عبد الفتاح الخالدي

الطبعة الأولى
بيروت

الطبعة الثانية
بيروت

سَيِّدُ الْقُطْبِ
مِنَ الْمَيَلِدِ وَالْحَفِ الْأَشْهَادِ



سَيِّدُ الْقُطُوبِ

مِنَ الْمِيلَادِ إِلَى الْحَيَاتِ اِرْشَادِ

الدّكتور

صَلَحُ عَبْدِ الْفَتَّاحِ الْخَالِدِي

الدّار السّامية
بيروت

دار الفقه
دمشق

الطبعة الثانية
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

حقوق الطبع محفوظة

دار القلم

لطباعة والنشر والتوزيع
رئيس - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

الدار السامية

لطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣)

[سورة الأحزاب : آية ٢٣]

يَا شَهِيدًا رَفَعَ اللَّهُ بِهِ	جَبْهَةً الْحَقُّ عَلَى طُولِ الْمَدَى
سَوْفَ تَبْقَى فِي الْحَنَاءِ عَالِمًا	حَادِيًا لِلرَّكْبِ رَمَزًا لِلْفِدَى
مَا نَسِينَا أَنَّكَ قَدْ عَلَّمْتَنَا	بَسْمَةَ الْمُؤْمِنِ فِي وَجْهِ الرَّدَى
غَالَاكَ الْحَقُّ بِلَيْلٍ حَالِكٍ	كُنْتَ فِيهِ الْبَذَرُ تَهْدِي لِلْهُدَى
نَسِيَ الْفُجَّارُ فِي نَشْوَاهِمُ	أَنَّ نُورَ الْحَقِّ لَا لَنْ يُخْمَدَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَرَّة

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلَّ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعد:

فإنَّ سيِّد قطب شخصيَّة عجيبة فريدة، إنه مفكرٌ رائد، وداعيَّة مجاهد، وإمام شهيد!

لقد عاش سيِّد قطب حياةً حافلةً بالعطاء، قاربت على الستين عاماً. تبوأ فيها قمة الأدب والفكر، وسلك فيها طريق العمل الإسلامي الحركي، وصار فيها من قادة الإخوان المسلمين. وقاد فيها التنظيم الإخواني الجديد، في مطلع الستينيات - بإذن من المرشد العام حسن الهضيبي رحمه الله -.

واكتوى في حياته الإسلامية الجادة بنار المحنة، وقدم ملحمة بطوليَّة رائعة، في العمل والدعوة، وفي الصبر والثبات، وفي الجهاد والمواجهة، وفي الاستعلاء والتحدى.

وختم الله له حياته بخاتمة سعيدة، يتمناها كلُّ مسلم صادق جاد، حيث جاءته الشهادة، تسعى إليه في سجنه، فابتسم لها ابتسامة السعادة والرضا، وكان الشهيد السعيد، الذي لقي الله حاملاً أسمى وأشرف سامٍ، وسام الشهادة في سبيل الله - إن شاء الله -.

وبعد استشهاد دبت الحياة في أفكاره وآرائه، وازداد إعجاب الناس به، وإقبالهم على كتبه ومؤلفاته، واقتدأوهم به في مواقفه الدعوية والجهادية.

وكثيرٌ من هؤلاء المُعجبين والمتأثرين والباحثين لا يعرفون إلا القليل عن حياة
الرائد المجاهد سيّد قطب، وبخاصة حياته الأدبية الأولى!

معظم هؤلاء لا يعرفون سيّد قطب إلا بعد عام ١٩٥١م، عندما بدأ يخطو في
طريقه إلى «الإخوان المسلمين»، وقد جاوز الخامسة والأربعين من عمره. فماذا عن
حياته الطويلة قبل هذه المرحلة؟

معظم هؤلاء لا يعرفون سيّد قطب إلا من خلال مؤلفاته وكتبه! ولكن ماذا عن
مراحل حياته الأدبية؟ وماذا عن مراحل حياته الإسلامية؟ وماذا عن مسيرة حياته
ومشاهدها في هاتين المرحلتين؟.

إنهم لا يعرفون من ذلك إلا «نُتفاً» متفرقة، وأخباراً متناثرة، لا يربطها رابط،
ولا يجمع بينها جامع!! وبعضها غير دقيق ولا صحيح!!

وكثرت الكتابات عن سيّد قطب وحياته وفكره، سواء كانت مقالات في الصحف
والمجلات، أو كانت كتباً ومؤلفات.

ومن أهم الكتب التي كُتبت عنه:

- * العالم الرباني الشهيد سيّد قطب. للعشماوي أحمد سليمان، رحمه الله.
- * سيّد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي. لمحمد علي قطب.
- * رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيّد قطب. للأستاذ يوسف العظم.
- * سيّد قطب حياته وأدبه. للأستاذ عبد الباقي محمد حسين.
- * سيّد قطب الأديب الناقد. للدكتور عبد الله الخباص.
- * سيّد قطب من القرية إلى جبل المشنقة. لعادل حمودة.

وأجود هذه الكتب، ما كتبه الأستاذان عبد الباقي محمد حسين وعبد الله
الخباص!.

وقد سمعتُ أن الأستاذ «سالم البهناوي» قد كتب كتاباً هذا العام - ١٩٨٩م -
سمّاه «سيّد قطب بين العاطفية والموضوعية» وقد حاولت الحصول عليه، لكنني
لم أستطع حتى الآن! فلا أحكم له ولا عليه حتى أراه!! ولكن يبدو أنه يتكلم فيه عن

أفكار سيّد قطب التي ثارَ حولها جدلٌ ونقاشٌ بينَ العاملين للإسلام - مثل الحاكمية والجاهلية والتكفير - لأن الأستاذ البهنساوي سبق وأن عرضَ هذا في كتابه «الحكم وقضية تكفير المسلم» و«أضواء على معالم في الطريق».

وقد نشر الصحفي «سامي جوهر» رحمه الله محضرَ التحقيق، الذي أجراه مع سيّد قطب في السجن الحربي، النائب العام «صلاح نصار»، ومحضرَ محاكمة الفريق «فؤاد الدجوي» لسيّد قطب.

ونشرت مجلة «المسلمون» إقرارَ سيّد قطب، الذي كتبه بخط يده، في السجن الحربي في نهاية عام ١٩٦٥م، واعترف فيه بتفاصيل علاقته مع الإخوان المسلمين، وعمله مع «التنظيم الإخواني الجديد»!

ثم نشرت الدارُ النشرةُ هذا الإقرار تحت عنوان: «لماذا أعدموني؟».

وفي الإقرار والتحقيق والمحاكمة معلوماتٌ ودلالاتٌ وفوائدٌ جمّة!

وما هذه الكتاباتُ عن سيّد قطب إلا البداية! وسوف تتلوها دراساتٌ كثيرة عن أفكار وآراء الشهيد.

إن سيّد قطب شخصيةٌ حيّةٌ متحركة، وعاش حياته بحركةٍ متواصلة، وقَدَّمَ فكراً دعويّاً حركيّاً حيّاً مؤثراً، وأثارت أفكاره وآراؤه قضايا غيرَ مُجمَع عليها، أثارت وتثيرُ - وستبقى تثيرُ - الكثيرَ من النقاش والجدال، والأخذ والردّ!

ولقد أحببتُ أن أُقدِّمَ للباحثين والقارئین والمتأثرين بسيّد قطب، معلوماتٍ عنه، وأخباراً عن حياته، لتكونَ مرجعاً يرجعون إليه - إن شاء الله - إذا أرادوا أن يتعرفوا على حياة هذا المفكر الرائد والداعية المجاهد!

ولأصلِ هذا الكتاب قصة، أرى نفسي ملزماً بتقديمها للقراء بإيجاز:

في عام ١٩٧٨م - ١٤٠٨هـ، كنتُ أبحثُ عن موضوعٍ لرسالة الماجستير في التفسيرِ وعلوم القرآن، أقدمه إلى «قسم الكتاب والسنة» في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

ووفقني الله - والله الحمد - إلى موضوع «سيّد قطب والتصوير الفني في

القرآن» - بمشورة أستاذي المشرف الدكتور أحمد حسن فرحات - جزاه الله خير
الجزء - .

وصرتُ أبحثُ في بطون الصحف والمجلات القديمة، عن أخبارٍ ومعلوماتٍ
تحدث عن سيّد قطب، ووقفتُ على مجموعةٍ كبيرةٍ من مقالاته، في الصحف
والمجلات القديمة، مثل مجلات: الرسالة، والثقافة، والكتاب، والكاتب المصري،
والأسبوع، والبلاغ الأسبوعي، والعالم العربي . .

فدرستها، واستخرجتُ منها مادةً جيدة، ومعلوماتٍ قيّمة .

وحرصتُ على مقابلة شقيقه المفكر الأستاذ محمد قطب، فكان كريماً معي،
إذ قدّم لي كلّ ما سألتُه عنه من معلوماتٍ عن الشهيد - فجزاه الله خير الجزاء - .

كما قابلتُ في مكة الأستاذ «أحمد عبد الغفور عطار» فقدّم لي معلوماتٍ طيبةً
عن سيّد قطب، كما قدّم لي أعدادَ مجلته «كلمة الحق»، والتي نشرَ فيها أخباراً هامةً
عن سيّد قطب - جزاه الله خير الجزاء - .

وكتبتُ رسالةً الماجستير من قسمين: القسم الأول عن سيّد قطب، والقسم
الثاني عن «التصوير الفني في القرآن» .

وكانتُ مناقشةُ الرسالة بقاعة كلية الشريعة بالرياض مساء الأربعاء
١٨/٤/١٤٠٠هـ .

وكانتُ لجنة المناقشة مكونةً من:

- الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات .

- والأستاذ محمد قطب .

- والأستاذ محمد الراوي - رئيس قسم التفسير بالكلية - .

وكانتُ مناقشةُ حافلة، حضرها جمعٌ غفير، وضاحتُ القاعة بالجالسين والواقفين

- والحمد لله - .

وقد شهد الأستاذ المناقش محمد قطب، للرسالة ولصاحبها شهادةً أعتزُّ بها أيّما

اعتزازاً!

قال في ورقة ملاحظاته عن القسم الأول، الخاص بحياة سيد قطب: «ممتاز.. من أنضج الدراسات وأدقها وأوفاه وأشملها، وصاحبها كاتب تراجم ممتاز. وعنده صبر على التنقيب، والتجميع، واستخلاص الدلالات، وإيجاد الروابط بينها، وتجميع خيوط الشخصية منها، وإبراز الشخصية واضحة السمات.. وكان يمكن أن يكون هذا القسم وحده، رسالة ماجستير مستقلة!».

وقال في المناقشة بصوته: «فأما القسم الأول، فهو: دقيق، محبب، ممتاز في طريقة العرض. وبصرف النظر عن الشخص الذي تناولته الدراسة، فإنني أتكلم عن كاتب هذه الرسالة.

فأقول: إن له قدرة غير عادية في ترجمة حياة الناس، لو أنه استخدمها فيما بعد في ميادين أخرى، فإنها موهبة تستحق أن تُسجل، وتستحق أن يُهنأ عليها!.

له قدرة على الصبر على تجميع مفردات المادة، التي يستخرج منها دراسته للشخصية. له قدرة على تعمق الحادث، لا يمر به مروراً سريعاً، ولو كان حادثاً صغيراً في صورته، لكنه يتعمق دلالاته، ليستخرج منه خيوط الصورة التي يرسمها!

له صبر على تمحيص الوقائع. له قدرة على تجميع الخيوط!

إن بعض الناس قد يوفق في تجميع نقاط، وفي تعمقها واستجلائها، ولكنه لا يوفق في تجميعها، ليتكون منها صورة حية، صورة شاخصة، صورة معبرة.

المزية أو الموهبة التي وهبها كاتب الرسالة، هي: قدرته على تجميع الشخصية من مفرداتها المتناثرة، وإذا علمنا أنه جمع هذه المفردات، من صحف متعددة، تغطي حوالي عشرين عاماً أو أكثر، وأن بعضها أصبح مجهولاً اليوم، لأنه لم يعد يصدر.. وعنى نفسه أن يبحث عن هذه الصحف، وأن يبحث عن مقالات أو قصائد سيد فيها، وهو جهد ضخم جداً، أعتقد لو أنه تقدّم به وحده لنيل درجة الماجستير، لنالها، وكان مستحقاً فيها لتقدير عظيم!.

أقول: إنه في هذا القسم كان موهوباً، وكان مقتديراً، وأبدى موهبة مبكرة، تبشّر — إن شاء الله — بمزيد من الإنتاج في هذا الطريق، تكون — بإذن الله — مباركة وطيبة!!».

إِنِّي أَعْتَزُّ بهذه الشهادة العظيمة من الأستاذ المفكر محمد قطب، والتي سجّلها بقلمه، ونطقها بلسانه، وأحمدُ الله على نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ، فهذا من فضلِ الله ربّي عليّ، فلهُ وحده الفضلُ والمِنَّةُ.

ولقد حرصتُ على الالتزام بهذه الصفات التي وصّفتني بها الأستاذ محمد قطب، في إعدادِ هذا الكتابِ أيضاً، وأرجو أن أكون قد أصبْتُ في ذلك، ووُفِّقْتُ فيه — إن شاء الله — .

وبعد المناقشة طلبتُ مني «مكتبة الأقصى» في عمان طباعة القسم الأول من رسالة الماجستير، فطبعتُهُ تحت عنوان «سيد قطب الشهيد الحي» واستقبله القراء استقبالاً جيّداً — والله الحمد — .

ثم حصلتُ على الدكتوراة عام ١٩٨٤م في التفسير وعلوم القرآن، وكان موضوعها: «في ظلال القرآن: دراسة وتقويم». ثم طبعتُ الرسالة في ثلاثة كتب: مدخل إلى ظلال القرآن. والمنهج الحركي في ظلال القرآن. وفي ظلال القرآن في الميزان.

وأخرجتُ مقالاتَ سيد قطب عن أمريكا في كتاب «أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب». كما أخرجتُ القسم الثاني من رسالة الماجستير في كتاب «نظرية التصوير الفني عند سيد قطب».

ثم انصرفتُ إلى إخراج سلسلة «من كنوز القرآن».

وفي هذه المرحلة التي زادتُ على عشر سنوات: ١٩٧٨ — ١٩٨٩م، كنتُ أجمعُ ما أقدرُ عليه من معلوماتٍ عن حياة سيد قطب، من كتبٍ أو مقالات. فلما نظرتُ فيها في هذا العام، وجدتُها كثيرةً وغزيرةً ومفيدة.

ونظرتُ في كتابي الأوّل «سيد قطب الشهيد الحي» فوجدته قد استنفذَ أغراضه، وأن الزمنَ قد تجاوزه!!

بل أقولها باعتراف — وما أبرئُ نفسي — لقد وجدتُ أخطاء تاريخية، وقعتُ فيها في كتاب «سيد قطب الشهيد الحي»، منها أخطاء في تاريخ ولادته، وتاريخ تخرجه،

وتاريخ سفره إلى أمريكا، وتاريخ عودته منها، وتاريخ انضمامه إلى الإخوان المسلمين، والأعمال التي أوكلوها إليه. . . وغير ذلك!

أعترف الآن بذلك، وأقرُّ أن عُذري هو أنها غير متعمَّدة، وأني نقلتها عن غيري من الكاتِبين، وتابعتهم على ما وقعوا هُم به من أخطاء - وبخاصَّة الأستاذ يوسف العظم في كتابه «رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيّد قطب» - . ومع ذلك أعتذر للقراء الكرام عن وجود هذه الأخطاء التاريخية في «الشهيد الحي» وأستغفر الله من ذلك. ونحن نعلم أن النقص والخطأ من سمات البشر.

أمام هذا كلّهُ، رأيتُ المصلحة تدعو إلى إخراج كتابٍ جديدٍ عن حياة سيّد قطب، يتلافى الأخطاء الموجودة في سابقه «سيّد قطب الشهيد الحي»، ويُضيف إليه المعلومات الكثيرة والغزيرة التي حصلتُ عليها في هذه السنوات.

وقد رأيتُ أن أجعلَ هذا الكتاب في تمهيدٍ وثلاثة أقسام:

● التمهيدُ: عن نشأة سيّد قطب: تحدثتُ فيه عن قريته، وأصله، وأسرته، ووالده، ووالدته، وإخوته، وصورته.

● القسم الأول: مع سيّد قطب في مسيرة حياته الأدبية. عرضتُ من هذه الحياة عشرة مشاهد: حياته في القرية. دراسته في القاهرة. وظيفته في وزارة المعارف. مقالاته في الصحف والمجلات. صلاته بالأدباء والمفكرين. صِلته بعباس محمود العقاد. معاركه الأدبية والنقدية. إيفاده إلى أمريكا. رحلة ضياعه. والمرأة في حياته.

● القسم الثاني: مع سيّد قطب في مسيرة حياته الإسلامية.

ومهدتُ له بتمهيد، بيّنتُ فيه النقلة البعيدة التي نقله الله إليها، ثم تكلمتُ عن المراحل الثلاث لحياته الإسلامية.

ثم عرضتُ من حياته الإسلامية سبعة مشاهد: سيّد قطب مع رجال الثورة. سيّد قطب في طريقه إلى الإخوان المسلمين. سيّد قطب مع الإخوان المسلمين. محنته الأولى في السجن. قيادته للتنظيم الإخواني الجديد. محنته الثانية في السجن. ومحاكمته واستشهاده.

● القسم الثالث: عرضت فيه لصفات سيد قطب وتراثه.

وقد رأيت أن أجعل عنوان الكتاب «سيد قطب: من الميلاد إلى الاستشهاد»، باعتباره يتحدث عن مسيرة حياة سيد قطب.

وإني لأسارع فأقول: إن هذا الكتاب تفصيل لمسيرة حياة سيد قطب، وترجمة لشخصيته، وتسجيل لوقائع حياته. وليس دراسة لأفكاره وآرائه، ووضعاً لها في الميزان، وبيان مالها وما عليها. فقد حاولت ذلك في كتابي «في ظلال القرآن في الميزان».

وإني إذ أقدم هذا الكتاب للقراء الكرام، لأرجو منهم أن يمنّوا عليّ بدعوة صالحة بظهر الغيب، وأن يتكرّموا عليّ بتصحيح ما يجدونه في الكتاب من أخطاء، أو إضافة ما سقط منه من أخبار ومعلومات، مع رجاء أن تكون موثقةًوثيقاً علمياً، ليصحّ اعتمادها.

وأن يرسلوا هذه المعلومات، على عنواني المُثبت أدناه، لأتمكّن من إضافتها في طبعة قادمة — إن شاء الله — !

وإني إذ أكتب هذه المقدمة في الذكرى الثالثة والعشرين، لاستشهاد هذا المفكر الرائد، والداعية المجاهد، والإمام الشهيد، لأرجو أن يكون هذا الكتاب، ممّا يليقُ بمكانة سيد ومنزلته بيننا، وأن يكون تحية إكبار وإعزازٍ مني له، في مستقرّه في عالم الخلود! — إن شاء الله — .

وأسأل الله أن يتقبّل هذا الجهد، وأن يجعله في ميزان الحسنات يوم القيامة.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الثلاثاء ١٧/١/١٤١٠هـ

٢٩/٨/١٩٨٩ م

الدكتور

صلاح عبدالفتاح الحادري

صويلح ص. ب: ٦٦٩

سَيِّد قُطْبٌ فِي سَطُور

هو سَيِّد قُطْبٌ إِبْرَاهِيمُ حُسَيْنٌ شَاذَلِي .

وُلِدَ فِي قَرْيَةِ «مُوشَّة» ، إِحْدَى قَرْىِ مَحَافِظَةِ أَسْيُوط .

وَكَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي ٩/١٠/١٩٠٦ م .

عَاشَ طُفُولَتَهُ وَصِبَاهُ فِي قَرْيَتِهِ ، وَتَلَقَّى فِيهَا دِرَاسَتَهُ الْإِبْتِدَائِيَّةَ .

سَافَرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ عَامَ ١٩٢٠ م ، وَأَقَامَ عِنْدَ خَالِهِ «أَحْمَدُ حُسَيْنُ عَثْمَان» ، وَعَنْ طَرِيقِهِ تَعَرَّفَ عَلَى حَزْبِ الْوَفْدِ ، وَعَلَى «عَبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَقَاد» .

التَّحَقَّ بِمَدْرَسَةِ الْمُعَلِّمِينَ الْأَوَّلِيَّةِ ، وَنَالَ مِنْهَا إِجَازَةَ «الْكَفَاءَةِ» لِلتَّعْلِيمِ الْأَوَّلِيِّ . ثُمَّ التَّحَقَّ بِتَجْهِيْزِيَّةِ دَارِ الْعُلُومِ .

دَخَلَ كَلِيَّةَ «دَارِ الْعُلُومِ» عَامَ ١٩٢٩ م ، وَتَخَرَّجَ مِنْهَا عَامَ ١٩٣٣ م ، يَحْمِلُ شَهَادَةَ «الْبِكَالُورِيُوسِ» فِي الْأَدَابِ .

عَمِلَ مُدَرِّسًا فِي مَدَارِسِ وَزَارَةِ الْمَعَارِفِ ، حَوَالِي سِتِّ سِنَوَاتٍ .

انْتَقَلَ إِلَى وَزَارَةِ الْمَعَارِفِ ، وَشَغَلَ عِدَّةَ وَظَائِفٍ فِيهَا ، فِي مِرَاقَبَةِ الثَّقَافَةِ ، وَفِي التَّفْتِيْشِ .

أَوْفِدَتْهُ وَزَارَةُ الْمَعَارِفِ إِلَى أَمْرِيكَا ، فِي بَعْثَةٍ تَرْبَوِيَّةٍ مِيدَانِيَّةٍ ، لِلإِطْلَاقِ عَلَى مَنَاجِحِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ هُنَاكَ ، وَأَقَامَ فِي أَمْرِيكَا سِتِّينَ . وَعَادَ عَامَ ١٩٥٠ م .

اِخْتَلَفَ مَعَ كِبَارِ مُوْظَفِي وَزَارَةِ الْمَعَارِفِ ، وَقَدَّمَ اسْتِقَالَتَهُ مِنَ الْوِزَارَةِ بَعْدَ قِيَامِ الثَّوْرَةِ بِشُهُورٍ ، بَعْدَ خِدْمَةٍ قَارَبَتْ تِسْعَةَ عَشَرَ عَامًا .

انتظم في شبابه مع حزب الوفد، وبقي فيه حتى عام ١٩٤٢م، وكتب في صحف ومجلات الحزب مقالات وأبحاثاً كثيرة، ونشر فيها قصائد عديدة.

بقي بعد ذلك أكثر من عشر سنوات بدون انتماء فعلي لأي حزب أو جماعة أو تنظيم، إلى أن وجد ضالته في «جماعة الإخوان المسلمين»، التي انتظم فيها عملياً عام ١٩٥٣م، وأمضى بقية عمره معها.

كانت اهتماماته في شبابه أدبية نقدية، ومارس وظيفة النقد سنوات عديدة، وكتب العديد من المقالات النقدية، كما نشر كتباً نقدية أيضاً.

نظم قصائد شعرية رفيعة، ونشر ديواناً، ضمّن بعض تلك القصائد.

أقبل في «الأربعينيات» على القرآن الكريم، يدرسه دراسة أدبية نقدية، وفكر في إصدار «مكتبة القرآن الجديدة». ثم صار يدرس الإسلام دراسة فكرية نظرية، وأصدر عدة كتب في ذلك.

نقله القرآن نقلة جديدة، حيث قاد خطواته إلى طريق الدعوة والعمل والمجاهدة. فسار في هذه الطريق، وقدم للدعاة بعض معالمها. ودرس القرآن أثناء هذا السير، وقدم تلك الدراسة في تفسيره «في ظلال القرآن».

بشر بالثورة، ودعا إليها في عهد الملكية، وساعد في التمهيد والتخطيط لها. ولما قامت، عمل مع رجالها في أول عهدها. ولما وقف على أهدافهم التي تتعارض مع أهدافه الإسلامية، فاصلهم وفارقهم وابتعد عنهم.

كان من أوائل ضحايا بطش وتنكيل رجال الثورة بجماعة الإخوان المسلمين، حيث أصابه من ذلك ما أصابه!

حكمت عليه محكمة «الثورة» بخمسة عشر عاماً، قضى معظمها في مستشفى سجن «ليمان طرة»، لإصابته بأمراض كثيرة في رئتيه وصدره ومعدته وأمعائه!

أُفرج عنه عام ١٩٦٤م بعفو صحي، بعد تدخل الرئيس العراقي «عبد السلام عارف».

لم يعيش خارج السجن إلا شهوراً، حيث أعيد إليه مع العشرات من الإخوان

المسلمين، في صيف عام ١٩٦٥م، بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم.

أشرف على التنظيم الحركي الجديد للإخوان المسلمين، بموافقة الأستاذ «حسن الهضيبي»، المرشد العام للإخوان المسلمين. وكان هو الموجه الفكري والتربوي له.

عُذِّب في محنته الثانية عام ١٩٦٥م عذاباً رهيباً، تقشعراً من هولهِ الأبدان. وحُكِمَ محاكمةً جائرة ظالمة، أصدر بعدها الفريق «فؤاد الدجوي» حكماً بالإعدام، على سيد قطب واثنين من إخوانه.

استاء كثيرون في العالم الإسلامي من الحكم بإعدامه، وبخاصة العلماء والمفكرين والدعاة. وحاولوا التوسط لدى «جمال عبد الناصر» ليخفف الحكم.

ولكن «عبد الناصر» رفض كل تلك الوساطات، وصادق على ذلك الحكم، وأمر بالمسارعة في تنفيذه!

نَفَّذَ زبانية السجن الحربي الحكم في الشهيد سيد قطب، قبل بزوغ فجر يوم الاثنين ٢٩/٨/١٩٦٦م وفق ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ.

عاش سيد قطب تسعة وخمسين عاماً، وعشرة أشهر، وعشرين يوماً، وقدّر الله الحكيم له نهاية سعيدة. حيث كَتَبَ له الموت شهيداً في سبيله — إن شاء الله —.

كتبَ الله لفكره الإسلامي الحركي القبول بعد استشهاده، واحتلَّ سيد قطب مكانةً عاليةً سامية، عند العلماء والدعاة والعاملين للإسلام.

ترك سيد قطب تسعة وعشرين كتاباً في الأدب والنقد والفكر الإسلامي، على رأسها تفسيره «في ظلال القرآن»، الذي اعتُبر به مفسراً مجدداً ورائداً للفكر الإسلامي الأصيل^(١).

(١) سوف نقوم بتوثيق هذه المعلومات في الفصول القادمة — إن شاء الله —.

تواريخ في حياة سيّد قطب

نُقدّم فيما يلي أهمّ التواريخ في حياة سيّد قطب، التي وقّف عليها الباحثون والدارسون، وسوف «نوثّقها» في المباحث التفصيلية القادمة بإذن الله.

وُلد في قرية «موشة» في ٩/١٠/١٩٠٦م.

دخل المدرسة الابتدائية في القرية عام ١٩١٢. وتخرّج منها حاملاً الشهادة الابتدائية عام ١٩١٨م.

انقطع عن الدراسة عامين، بسبب قيام ثورة ١٩١٩م.

سافر إلى القاهرة، وهو في الرابعة عشرة من عمره، للدراسة فيها، عام ١٩٢٠م، وأقام عند خاله «أحمد حسين عثمان» في حيّ «الزيتون».

التحق بمدرسة المعلمين الأولية في القاهرة، وكان اسمها «مدرسة عبد العزيز» عام ١٩٢٢م، ودرّس فيها ثلاث سنوات، وتخرّج منها، حاملاً إجازة «الكفاءة» للتعليم الأولي.

وبسبب تفوّقه في تلك الدراسة، التحق بمدرسة ثانوية، وهي «تجهيزيّة دار العلوم»، وكان لا يدخلها إلّا الطلبة المتفوّقون، وكانت تُعدّ الطلبة للالتحاق بكلية دار العلوم. وكان التحاقه فيها عام ١٩٢٥م.

التحق بكلية دار العلوم عام ١٩٢٩م، وتخرّج فيها عام ١٩٣٣م، حاملاً شهادة البكالوريوس في الآداب.

عيّن مُدرّساً في وزارة المعارف، بتاريخ ٢/١٢/١٩٣٣م، وأوّل راتب استلمه كان ستة جنيهات.

كانت أول وظيفة له في مدرسة «الداوودية» في القاهرة، بتاريخ ١٢/٢/١٩٣٣م، وبقي فيها عامين.

نقلته الوزارة ليعمل مدرساً في مدرسة دمياط الابتدائية، بتاريخ ١/٩/١٩٣٥. ولكنَّ جوَّ «دمياط» لم يلائم صحَّته، فسعى لينتقل منها.

نقلته الوزارة إلى مدرسة بني سويف في ١/١٢/١٩٣٥م.

نقلته الوزارة إلى مدرسة «حلوان» الابتدائية، بتاريخ ١/١١/١٩٣٦م، حيثُ بقي فيها أكثر من ثلاث سنوات.

استأجر بيتاً جميلاً في حلوان، منذ ذلك التاريخ، وبقي فيه طيلة عمره، هو وعائلته - أخوه وأخواته - ، وعنوانه: «٤٢ شارع حيدر - حلوان». ثم اشتراه من مالكه وتملكه.

نُقلَ إلى وزارة المعارف بتاريخ ١/٣/١٩٤٠م، ليعمل بوظيفة «محرر عربي» في مراقبة الثقافة فيها.

نُقلَ إلى إدارة الترجمة والإحصاء في الوزارة، بتاريخ ١٧/٤/١٩٤٠م.

عُيِّنَ مفتشاً بالتعليم الابتدائي في الوزارة، بتاريخ ١/٧/١٩٤٤م، إثرَ مشكلةٍ بينه وبين السيّد «أحمد نجيب الهلالي»، وزير المعارف، كاد سيّد قطب يستقيل على إثرها، لولا تدخلُ الدكتور طه حسين، الذي كان مستشاراً في الوزارة.

أمضى تسعة أشهر في التفتيش على المدارس في الصعيد والدلتا، وعاد إلى الإدارة العامة للثقافة في الوزارة، في «أبريل» - نيسان - ١٩٤٥م. وكان رئيسه فيها «أحمد أمين».

ألّف أول كتابٍ إسلامي - وهو كتاب «التصوير الفني في القرآن» - في «أبريل» - نيسان - ١٩٤٥م.

بدأ يبتعدُ عن «عباس محمود العقاد» منذ عام ١٩٤٦م.

سافر في الباخرة إلى أمريكا، في مهمّة ميدانيّة، للاطلاع على مناهج التعليم هناك، وكان سفره في ٣/١١/١٩٤٨م.

عادَ من أمريكا بعدَ أقلَّ من سنتين على وصوله إليها، حيثُ وصل بالطائرة إلى القاهرة بتاريخ ٢٠/٨/١٩٥٠ م.

عُيِّنَ في وزارة المعارف بعد عودته، بوظيفة «مراقب مساعد» بمكتب وزير المعارف وقتها - إسماعيل القبَّاني - .

نُقِلَ إلى منطقة «القاهرة الجنوبية» في ٢٢/١٠/١٩٥١ م.

أُعِيدَ إلى وظيفته الأولى، «مراقب مساعد» في مكتب الوزير، للبحوث الفنية والمشروعات، بتاريخ ١٧/٥/١٩٥٢ م.

بعد الخلافات المستمرة بينه وبين كبار رجال الوزارة، بسبب وقوفهم في وجهه، ورفضهم لآرائه الإصلاحية ذات الصبغة الإسلامية، قدَّم استقالته إلى وزير المعارف - إسماعيل القبَّاني - بتاريخ ١٨/١٠/١٩٥٢ م.

وبما أنه التحق في الوظيفة في ٢/١٢/١٩٣٣ م، فإنه يستحق أن يُحالَ إلى التقاعد، بعد خدمة عشرين سنة كاملة، أي في ٢/١٢/١٩٥٣ م.

وقد ضحَّى بوظيفته، وسنوات خدمته، التي بلغت ثمانية عشر عاماً وأحد عشر شهراً، ولو انتظر سنةً وشهراً لنال راتباً تقاعدياً دائماً.

عزَّ على وزير المعارف «إسماعيل القبَّاني»، تقديم سيّد قطب استقالته، وحاولَ عدة مرات أن يُقنعه بالعدول عنها، لكنَّ «سيّد» أصرَّ عليها. وأخيراً رفعها الوزير إلى مجلس الوزراء، ونسَّبَ بأن تُضافَ إلى خدمته المدة القانونية المتبقية، ليستحقَّ الراتب التقاعدي.

لكنَّ مجلس الوزراء - المُكوَّن من رجال الثورة، والذي كان برئاسة جمال عبد الناصر - وافق على قبول الاستقالة من تاريخ تقديمها بتاريخ ١٨/١٠/١٩٥٢ م، ليُحرَمَ سيّد قطب من التقاعد، وكانت موافقته عليها بتاريخ ١٣/١/١٩٥٤ م.

كان الاعتقالُ الأولُ لسيّد قطب في مطلع عام ١٩٥٤ م، وبقيَ معتقلاً - مع قيادات الإخوان المسلمين - ثلاثة أشهر.

اعتُقِلَ الاعتقالُ الثاني، بعد مسرحية حادث «المنشئة» في ٢٦/١٠/١٩٥٤ م،

مع الألوف من «الإخوان المسلمين»، الذين اتُّهموا بمحاولة اغتيال «جمال عبد الناصر».

قُدِّمَ سيّد قطب للمحاكمة عام ١٩٥٥م، وحُكِّمَ عليه المحكمةُ بالسجن خمسة عشر عاماً.

توسَّطَ الرئيسُ العراقي «عبد السلام عارف» لدى جمال عبد الناصر، للإفراج عن سيّد قطب، وأُفْرِجَ عنه بعفوٍ صحّيٍّ عام ١٩٦٤م.

أعلن عبد الناصر - من موسكو - عن اكتشاف مؤامرة، دبَّرها الإخوان المسلمون بقيادة سيّد قطب، لاغتياله وقلب نظام الحكم، وأُعيد اعتقال سيّد قطب في ١٩٦٥/٨/٩م.

بدأ التحقيق مع سيّد قطب في السجن الحربيّ في ١٩٦٥/١٢/١٩م، واستمرَّ ثلاثة أيام.

بدأت محاكمة سيّد قطب في ١٩٦٦/٤/١٢م، وكان قاضي المحكمة هو الفريق «محمد فؤاد الدجوي».

أصدرَ الدجويّ حكمَ الإعدام على سيّد قطب في ١٩٦٦/٨/٢١م.

تمَّ تنفيذُ حكمِ الإعدام فيه - وفي أخويّه: محمد يوسف هواش، وعبد الفتاح إسماعيل - في سرعةٍ فائقة، بعد أسبوع من إصدار حكم الإعدام، وهذا لم يحدث في تاريخ المحاكم من قبل؛ حيث كان التنفيذ ليلة الاثنين ١٩٦٦/٨/٢٩م.

تمهيد
نشأة سكيد قطب

«قرية»

قلنا إنّ ولادة سيّد قطب، كانت في قرية «موشة»^(١)، إحدى قرى محافظة أسيوط، في صعيد مصر.

وتُسمّى بلد «الشيخ عبد الفتاح»، لأنه أحد أوليائها، وله مقام بارز فيها^(٢). ومعظم سكان القرية من المسلمين، لكن يسكن معهم بعض النصارى، ولهم دير أثري قديم، يقع في حضن الجبل، ويبتعد عن القرية خمسة كيلومترات. وهو دير قديم، ذكره المؤرخ المقرئ في كتابه «الخطط المقرئية» وسماه «دير موشة»^(٣).

وللنصارى كنيسة في القرية^(٤).

موقع القرية

تقع القرية بين جبلين صغيرين، يُحيطان بها وبأراضيها الزراعية. وبما أنّ القرية تقع أيضاً على جانب نهر النيل، وبما أنه يمر من أراضيها الزراعية، فقد امتازت بالعديد من البساتين التي تُزرع فيها مختلف أنواع الخضار والفواكه، وكانت تلك البساتين أكبر من عدد الأيدي العاملة فيها^(٥).

(١) بعضهم يكتبها «موشة» بالتاء المربوطة. وبعضهم يكتبها «موشا» بالالف.

(٢) طفل من القرية: ٨٦.

(٣) الخطط المقرئية ٣: ٤١٧.

(٤) طفل من القرية: ١٤٤ و ١٨٤. والأطراف الأربعة: ٨٥.

(٥) طفل من القرية: ١٨٢.

ثلاثة مواسم زراعية في القرية

وتمرُّ القريةُ كلَّ عام بثلاثة مواسم زراعية، يفرحُ فيها أهالي القرية، ويتأثرون – صِغاراً وكباراً – بما توحيه إلى نفوسهم من إحياءات، وتُقدِّم لهم من إشارات ولفئات.

والمواسمُ الثلاثة هي: موسمُ اللُّوق، وموسم الحَصَاد، وموسمُ جُني القطن. أما موسما الحصاد وجني القطن، فهما معروفان للقاريء. لكنَّ موسم «اللُّوق» يحتاج إلى توضيح.

إن اللُّوق يحدثُ عند فيضانِ نهر النيل في الصيف، فيغمرُ كلَّ الأراضي الزراعية، ويرتفعُ الماءُ فيها إلى متر أو مترين أو أكثر، وتكونُ القرى كأنها جُزُرٌ في وسطِ البحر، لا يتنقلُ الناس بينها إلا بصِغارِ المراكب وخِفافِ القوارب.

وكان منظرُ المياهِ تغمرُ الأراضي من الجبل للجبل، مؤثراً في نفوس أهالي القرية، حتى لقد سمعَ سيِّدُ قطب – وهو صغير – أحدَ الأهالي يُودِّع المياهِ العائدةَ إلى مجرى النيل، حيث وَصفَ النيل – بعفويةٍ فطريةٍ – قائلاً: «مَسْكِين. خَلاصُ هَمْدًا!» وكأنَّ الرجلَ يتحدثُ عن إنسانٍ حيٍّ، تربطُهُ به آصرةُ القربى، وصلةُ العائلة^(١).

وكان سيِّدُ قطب في طفولته، يفرحُ لمنظر المياه الجميل، وكان أكثرَ فرحاً عندما يرى مدرسته تتحولُ إلى شبه جزيرة، يُحيطُ بها الماءُ من ثلاثِ جهات، وتبقى الجهةُ الرابعة مَمَرّاً برياً يصلُها بالقرية.

وبعدَ انحسارِ الماء، يخرجُ المزارعونَ والعمالَ لزَرْع الأراضي.

وكان «سيِّدُ قطب» يخرجُ إلى مزارعِ والده الواسعة. لا ليزرعَ ويحرثَ، بل ليلهوَ لهوَ الأطفال، ويستمتعَ بما يراه من مناظرِ الجمال.

لقد كان عالمُ الحقل الذي دَرَجَ فيه سيِّد، عالماً جميلاً سَاحِراً، واسعاً ممتداً.

(١) طفل من القرية: ١٨١ – ١٨٢.

بيوت القرية وبساتينها وأشجارها

أما بيوت القرية، وممراتها وأزقتها، فلم تكن تخلو من الأشجار الباسقة الجميلة .
وبيتُ العائلة الذي عاش فيه سيّد، فيه أشجارٌ بديعة، منها نخلتان شاهقتان،
تهزّهما الريح، فتأتیان بحركة عجيبة متناسقة، تؤثر في نفسية الطفل سيّد وإحساسه
وفؤاده^(١).

والمدرسة التي درسَ فيها سيّد، فيها شجرتان ظليلتان، وفيها أزهارٌ جميلة، منها
زهرة «دقن الباشا» المعطرة، التي لا مثيل لها في القرية^(٢).

كانت قريته «موشة» ثرية، معروفةً بالثراء والرقى والنظافة، بالقياس إلى القرى
الأخرى المجاورة.

ورغم سعة أراضي القرية الزراعية «فلم تكن الملكيات الكبيرة - التي تُشبه
الإقطاع - معهودةً فيها، فأكبرُ ملكية زراعية لم تكن تتجاوز المائتي فدان، وقلّ أن
يكون في القرية فردٌ أو بيت، لا يملك قطعة أرض، صغيرة أو كبيرة»^(٣).

العلاقات الاجتماعية بين أهل القرية

والفوارق الاجتماعية بين أهالي القرية كانت شبه معدومة، حيث حلّ محلّها الود
والمساعدة، فعاش الأهالي فيما بينهم، بلا حقد طبقي، أو استعباد الآخرين.

لم يكن هناك خدمٌ في القرية، بالمعنى المعروف في المدينة أو بعض القرى
والضياع الأخرى، حيث كان الخادمُ يهبط إلى منزلة الرقيق.

كان الخادمُ في القرية «إنساناً فقيراً محتاجاً إلى العمل، لكنّه لا ينطق كلمة
«سيدي» المقيتة، بل يستعيز عنها بكلمة «عمّي» لصاحب البيت، وامرأة عمي

(١) الأطياف الأربعة: ١١٥.

(٢) طفل من القرية: ٤١.

(٣) المرجع السابق: ١٨٢.

لسيدته. ثم هو يعمل في الدار أو في الحقل وفي تربية المواشي، طوال اليوم، فإذا جنَّ الليل عاد إلى بيته، كما يعودُ أيُّ سيّد^(١).

مستوى المعيشة في القرية

أما مستوى المعيشة في القرية فهو مستوى معقول — بالقياس إلى القرى الأخرى —، ودرجته متوسطة من حيث أصناف وألوان الطعام، من الحبوب واللحوم والخضار والفواكه.

كان لكل أسرة في القرية بيتٌ مملوك، صغيراً كان أو كبيراً، والأكوخ الطينية لم تكن معروفةً فيها، إذ أن معظم بيوتها مبنية بالطوب الأحمر، وبعضها من اللبن. ومعظم البيوت يتكوّن من طابقين أو ثلاثة. وقد يصلُ إلى أربعة طوابق، وندر أن يتألف البيت من طابق واحد^(١).

مصير بيتهم في القرية

وأما بيت العائلة، الذي عاش فيه سيّد طفولته وصباه، فقد كان فسيحاً جميلاً. وصفه سيّد كما وصفه إخوته الأطياف^(٢).

ولكنّ هذا البيت، لم يستمر ملكاً للعائلة، فقد اضطرّ والدّه إلى بيعه، تحت ضغط الدّين والحاجة، وكان المشتري أحد أقباط القرية. وقد تهدّم البيت بعد موت المشتري، لأن ورثته أهملوه ولم يعتنوا به^(٣).

وكان وقّع بيع البيت شديداً، على نفوس جميع أفراد العائلة، فهو بيتهم الأليف، الذي نشأ فيه الجدُّ والأب والأم والأولاد، وللجميع فيه ذكريات وأحلام!

* * *

(١) طفل من القرية: ١٨٣.

(٢) انظر وصف سيّد للبيت في «طفل من القرية»: ٢٠٤ — ٢٠٥. ووصف محمد له في «الأطياف الأربعة»: ١١٥ — ١١٦. ووصف أمينة له في «الأطياف»: ٨٩ — ٩٠.

(٣) الأطياف الأربعة: ٨٥.

« أَصْلُهُ »

أصله هندي

اختلفَ الذينَ كتبوا عن حياة سيّد قطب، في تحديدِ أصله. هل هو مصريُّ الأصل، أم هندي؟ فمنهم من نفى كونه هنديَّ الأصل، ورجّح أنه مصريُّ صميم. لكن كثيرين أثبتوا أنه هندي الأصل واعتمدوا في ذلك، على كلام سيّد قطب نفسه.

فعندما قابله السيّد «أبو الحسن عليّ الحسّنيّ الندوي» في مصر، عام ١٩٥١م، أخبره بأنه يرغبُ في زيارة الهند، ونقل الندويّ كلامه له بالحرف: «وأما الباعثُ الطبيعي، فلأنّ جدّنا السادس كان هندياً، وهو «الفقير عبد الله» ولا تزال السّحنة الهندية موروثةً في أسرتنا»^(١).

محمد قطب ينفي هذا

ورغم أن سيّد قطب قدّم الدليلَ على أن العائلة جاءت من الهند، حيث ذكر اسم الجدّ السادس القادم من هناك، إلّا أن شقيقه الأستاذ محمد قطب نفى هذه الحكاية — عندما قابله في منزله في مكة المكرمة — وقال: إنّها مجردُ ظنٍّ، مبعثه أن تقاطيع وجوه العائلة قريبة الشّبه بتقاطيع وجوه أهل الهند، فقالوا: لعلّ أحدَ أجدادهم قد

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي، للندوي: ١٥٣. وورد الاسم في الكتاب «عبيد الله» وهو تصحيف. والصحيح أنه «عبد الله» كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

هاجر من الهند. وحمل كلامَ شقيقه للنّدوي، على أنه من باب المجاملة والدعابة فقط.

وأنا أميلُ إلى الأخذِ بكلام سيّد، لأنه حدّد اسمَ الجدّ القادم من الهند، ومَن حفظَ حجةً على مَن لم يحفظ!

علماً بأنّ نَسَبَهُ الحقيقيّ هو الإسلام، لأنّ جنسيّة المسلم عقيدته!.

* * *

«أُسْرَتُهُ»

مركز الأسرة في القرية

حدَّثنا سيّد قطب عن أُسْرَتِهِ، وعن مركزها المرموق في القرية:

«نشأ في أسرة ليست عظيمة الثراء، ولكنها ظاهرة الامتياز، كانت في وقتٍ من الأوقات عظيمة الثروة، ولكنها توزعت وتضاءلت بالميراث، وبقي لوالديه قدرٌ لا بأس به منها، ولكنه كان يتناقص دائماً.

كان والدّه قد صارَ عميدَ الأسرة المكلّف حفظ اسمها ومركزها، في الوقت الذي لم ينلّه من الميراث إلا نصيبٌ محدود، لا ينهضُ بما كانت تنهضُ به ثروة الأسرة مجتمعة، على حين لا يستطيع أن يُنقِصَ شيئاً من تكاليف المظهر في الريف»^(١).

أسرة والدته

أما مركزُ أسرة والدته، فيحدّثنا عنه قائلاً:

«وكانت والدته من أسرةٍ مماثلة أو أعرق. وقد وقع لها ما وَقَعَ لأسرة الوالد، حرفاً بحرف. ولكنه زاد عليها، أن اثنين من أحواله كانا قد أُوفِدا إلى الأزهر من القرية، شأن غالبية الأسر الريفية الثرية. فأنشأ هذا في الأسرة شيئاً من الرقيّ العلميّ، بجانب الوجاهة الريفية.

يضافُ إلى هذا كلّهُ، أن جدّه لوالدته كان قد قضى شطراً من حياته في القاهرة.

(١) طفل من القرية: ٢١.

هو وزوجته، حتى إذا عادَ إلى القرية، أنشأ فيها بيتاً يقربُ من بيوتِ العاصمة، على قدرِ الإمكان، في نظامه وتنسيقهِ وتقاليده ومستواه.

في هذه البيئة نشأ. وكلُّ ما حوله يشعرُه أنه من وسطٍ آخر، غيرِ وسط القرية»^(١).

الدور الاجتماعي للأسرة

جمعتُ أسرته في القرية بينَ الوجاهةِ الريفيةِ والرُّقيِّ العلميِّ.

وكانَ أهلُ القرية ينظرونَ لوالديه — عميدِ الأسرة — بعينِ الإكبارِ والإجلالِ، حيثُ احتلَّ مركزاً مرموقاً عندهم.

وبعضُ أهلِ القرية يأتونَ إلى الأسرة، يحيطونَ بها كخَدمٍ وأعوان. والعمَّالُ «الأغرابُ» القادمونَ للعملِ في مزارعِ القرية، يفضِّلونَ العملَ في مزارعِ الأسرة.

وموظَّفو الدولة الذين يعملون في مزارعها، يتردَّدون على الأسرة باستمرار. والحفلاتُ التي تُحييها الأسرة دائماً، يحضرها أهلُ القرية، والولائمُ الكبيرةُ التي تُقامُ في المواسم، ويُتلى فيها القرآن، تتكرَّر عند الأسرة أكثر من مرةٍ في السنة.

* * *

(١) طفل من القرية: ٢١ — ٢٢.

«والده»

والدّه هو الحاج قطب إبراهيم، ويمكن أن نتعرّف عليه، من خلال ما كتبه عنه الإخوة في كتابهم المشترك «الأطياف الأربعة».

والده عميد الأسرة

كان والدّه «عميداً» للأسرة، حيث ورث هذا المنصب عن أبيه. وهذه الوجاهة تتطلب منه أن ينفق الكثير لكي يحافظ على منزلة الأسرة، وكان ما بين يديه من المال، لا يكفي لتلك التكاليف والنفقات، لذلك كان يضطرّ لبيع بعض قطع الأراضي التي ورثها، وصار يبيعها قطعة قطعة كلّما وقع في ضائقة مالية، وما وجدت الأسرة لنفسها في النهاية قطعة أرض تزرعها! ولقد اضطرّ الوالد في نهاية المطاف، إلى بيع بيت العائلة الكبير!

وكان وقع البيع شديداً على والدته، وعلى نفسه الصغيرة أيضاً، وعلى إخوته. وكانت أمّه تُعدّه ليعيد للأسرة ما فقد منها بالبيع. ولذلك أرسلته إلى القاهرة ليتعلّم ثم يحصل على وظيفة، ويدّخر ما يكفي من المال، ليشتري ما باعه أبوه^(١).

من سجايا والده الطيبة

كان والده كريماً مضيافاً، ينفق الكثير على أولاده وأهل بيته، لا يبخل عليهم بشيء، وكان أسبق الجميع في إحضار أحدث أصناف الخضار والفواكه إليهم^(٢).

(١) انظر «طفل من القرية»: ٢٠١ - ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق: ١٢٩.

كان عند والدِه عددٌ من الخدم . لم يكونوا خَدَمًا بالمعنى المعروف، بل كانوا خَدَمًا من نوعٍ خاص، وهم فقراءٌ من أهلِ القرية، يعملون عند العائلة مُقابل «أَكْلَةٍ» أو بعضِ الملابس أو بعضِ الوقود والتبن والحطب، أو بعضِ الحبوب في نهاية الموسم .

وكان والدُه يرفضُ أن يكون هؤلاء الخدمُ أذلاءً أمامه، ولا يقبلُ أن يخاطبوه بكلمة «سَيِّدي» التي تنضحُ بالذل، ويطلب أن يناديه الصغارُ بلقب «عمِّي الحاج» والكبارُ بلقب «الحاج»^(١).

وكان والدُه يكرمُ العمَّال «الأغراب» الذين يعملون في أرضه . وكان يطعمُهم من نفسِ طعام العائلة . وطالبه هؤلاء مرةً بأن يأكلوا على حسابهم مقابلَ زيادة أجرتهم، فمنحهم الزيادة واستمرَّ يقدِّم الطعامَ لهم^(٢).

ومن مظاهرِ كرمِ والدِه، الولائمُ العديدة التي يُعدها في بيته سنويًا، وبخاصة في العيدين وعاشوراء ونصف شعبان وذكرى الإسراء والمعراج . وكان يجتمعُ في البيت القراءُ يقرءون القرآن، وبعد الختمة يقدِّم للقراء والحضور، أجودَ أصنافِ الطعام، في الإفطار والغداء والعشاء^(٣).

اهتمامات والدِه السياسية

كان والدُه متنورًا، عنده إلمامٌ بنواحي المعرفة والثقافة . وعنده وعيٌ سياسي ! كان من قراء الصحف، مشتركاً في صحيفة الحزب الوطني اليومية : «اللواء» . وكان عضواً في لجنة الحزب الوطني في القرية . وكان والدُه حزبياً نشيطاً، حيث جعلَ من بيته مركزاً سياسياً، وميداناً للتثقيف الجماهيري، يَفدُ إليه أهلُ القرية لقراءة جريدة «اللواء»، والاطلاع على آخرِ الأخبارِ العالمية والمحلية^(٤).

(١) طفل من القرية : ٨٠ .

(٢) المرجع السابق : ١٩٢ - ١٩٦ .

(٣) المرجع السابق : ٧٥ - ٧٩ .

(٤) المرجع السابق : ١٤٥ - ١٤٧ .

وكان لوالده دورٌ في التحضير لثورة ١٩١٩م في القرية، فقد عقد اجتماعاتٍ عديدةً علنيةً – وبعضها كان سرياً – في البيت، وتدارسَ المجتمعون فيها خطةَ الثورة، وأساليبها في القرية^(١).

إسلاميات والده

كانت علاقةُ والده بالله قويةً متينة، فقد كان متديناً، محافظاً على الصلاة، وغالباً يؤديها جماعةً في المسجد، وكان كثيراً ما يصطحب طفله «سيد» معه للمسجد. ولما كبر سيد وناهزَ العاشرة من عمره صارَ يذهبُ للمسجد، ويحرصُ على أداء الصلاة جماعةً فيه^(٢).

وقد أدى فريضةَ الحج، ومعروفٌ بين الناس بلقب «الحاج»، وهذا دليلٌ على قوة عقيدته، وحرصه على نيل مرضاة ربه، إذ ما كان يؤدي فريضةَ الحج في ذلك الزمان إلا القليلُ من الأغنياء، الذين عمَّرَ الله قلوبهم بالإيمان.

وكان يُكثر من الصدقة في سبيل الله، على الفقراء والمساكين، ومنهم من كان يجلسُ معه في البيت، يأخذ نصيبه من الطعام.

ومن مظاهر تدينه والتزامه بإسلامه، حفلات «ختم القرآن» التي كان يعقدُها في بيته باستمرار، وبخاصة في شهر رمضان.

لم تفارق الآخرة حسّه، فكانت هي المسيطرة على حركاته وأعماله، وقد أهدى «سيد» له كتاب «مشاهد القيامة في القرآن» وقال له فيه: «لقد طبعت في حسي – وأنا طفل صغير – مخافة اليوم الآخر، لم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر في حسابك، وذكره في ضميرك، وعلى لسانك. كنت تعللُ تشدّدك في الحق الذي عليك، وتسامحك في الحق الذي لك، بأنك تخشى اليوم الآخر. وكنت

(١) طفل من القرية: ١٤٥ – ١٤٦.

(٢) المرجع السابق: ١٢٠.

تعفو عن الإساءة، وأنت قادرٌ على ردّها، لتكونَ كفارةً لك في اليوم الآخر. وكنت
تجودُ أحياناً بما هو ضرورةٌ لك، لتجده ذُخْراً في اليوم الآخر.

وإن صورتك المطبوعة في مخيلتي، ونحنُ نفرغُ كلَّ مساء من طعامِ العشاء،
فتقرأ الفاتحة وتتوجّه بها إلى روحِ أبويك في الدارِ الآخرة، ونحنُ أطفالُك الصغار،
نتمتُّ مثلكَ بآياتٍ منها متفرّقات، قبل أن نُجيدَ حفظَها كاملات»^(١).

* * *

(١) مشاهد القيامة في القرآن: ٥٥. باختصار.

«والدته»

والدة سيد قطب من أسرة مرموقة في القرية، عاشت مع والدها فترة في القاهرة، قبل أن يعود بالأسرة إلى القرية، ويستقر فيها.

كان لها إخوة أربعة، اثنان منهم درسوا في الأزهر الشريف، فجمعت الأسرة بذلك بين الوجاهة العلمية والوجاهة الدينية.

أحد أحواله هو «أحمد حسين عثمان» الذي درس في الأزهر، واستقر في القاهرة - في حي «الزيتون» - واشتغل في الصحافة، وكان يكتب باسم «أحمد الموشي» نسبة إلى القرية «موشة»، وكان منتمياً إلى حزب الوفد.

وقد أقام «سيد» عنده، عندما قَدِمَ للدراسة في القاهرة^(١).

تدوينها

كانت والدته امرأة مؤمنة متديّنة، متّصفة بصفات المؤمنات.

فرغم أن أملاك الأسرة بيعت عن آخرها، إلا أنها لم تجزع، بل صبرت واحتسبت، وعاشت على الأمل والثقة واليقين.

كانت كريمة، كثيرة الصدقة في سبيل الله، تقوم بنفسها بإعداد الطعام للعمّال في المزارع، وللقراء الذين يأتون للقراءة في البيت، وتُجهّد نفسها في هذا كله، وهي راضية النفس، لأنها تتقرب إلى الله بهذا العمل^(٢).

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب عندما قابلته في مكة.

(٢) طفل من القرية: ١٩٢.

كانت تحبُّ سماع القرآن، وتتأثرُ بذلك. وقد أخبرنا سيّد عن ذلك عندما أهداها كتابه الإسلاميّ الأوّل: «التصوير الفني في القرآن» حيث قال:

«لطالما تسمعتُ من وراء «الشيش» في القرية، للقراء يرتلون في دارنا القرآن، طوال شهر رمضان. وأنا - معك - أحاولُ أن ألغو كالأطفال، فتردّني منك إشارة حازمة، وهمسة حاسمة، فأنصتُ معك إلى الترتيل، وتشربُ نفسي موسيقاه، وإن لم أفهم بعدُ معناه.

وحيثما نشأتُ بين يديك، بعثتُ بي إلى المدرسة الأولى في القرية، وأولى أمانيك أن يفتحَ الله عليّ فأحفظُ القرآن، وأن يرزقني الصوتَ الرخيم، فأرتله لك كل آن.

ولقد رحلتُ عني - يا أمّاه - وآخرُ صورِك الشاخصة في خيالي، جلستُ في الدارِ أمام المذيع، تستمعين للترتيل الجميل، ويبدو في قسّات وجهك النبيل، أنك تُدركين - بقلبك الكبير وحسّك البصير - مراميه وخفاياه»^(١).

اهتمامها بسيّد

كانت والدته هي الزوجة الثانية لأبيه، حيث سبق أن تزوج امرأة قبلها، أنجبت له ولداً - وهو أخٌ غير شقيق لسيّد -.

وكان «سيّد» أوّل مولودٍ ذكر لها، ولذلك اعتنتُ به عنايةً فائقة، حيث جعلته محطّ آمالها، وبنّت شخصيته على الإيمان والعزة والكرامة وتحملِ المسؤولية.

كانت تريدُ منه أن يكون رجلاً حتى قبلَ أوانه^(٢). لذلك كان يهربُ من كل مظاهر الطفولة، حتى في طفولته، ويعزو السببَ إلى «الكبرياء التي أودعَنيها منذُ الطفولة، فجعلتني أهربُ من كل مظاهر الطفولة»^(٣).

(١) التصوير الفني في القرآن: ٥.

(٢) انظر حديثها له في «طفل من القرية»: ٢٠١ - ٢٠٨.

(٣) الأطياف الأربعة: ١٦٦.

وقد توفيت أمُّه بعدما استقرت معه في القاهرة، وكانت وفاتها عام ١٩٤٠م^(١).

وقد رثاها سيّد رثاءً حاراً، وبين في رثائه بعض ما غرسته في نفسه:

«أمّاه..»

من ذا الذي يقصُّ عليّ أقاصيص طفولتي، كأنها حادثُ الأمس القريب، ويصوّر لي أيامي الأولى، فيعيد لها الحياة، ويبعثها مرةً أخرى في الوجود؟.

لقد كنتُ تصوّريني لنفسي كأنما أنا نسيجٌ فريد، منذ ما كنتُ في المهد صبيّاً. وكنتُ تُحدّثيني عن آمالكِ، التي شهد مولدُها مولدي، فينسربُ في خاطري أنني عظيم، وأني مطالبٌ بتكاليف هذه العظمة، التي هي من نسيج خيالك، ووحى جنانك. فمن يوسوس إليّ بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة، ومن ذا يوحى إليّ بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة؟»^(٢).

* * *

(١) الأطياف الأربعة: ١٦٨.

(٢) المرجع السابق: ١٦٧.

« إخوته »

تزوج والدُ سيّد قطب زوجتين. أنجبت الأولى ولداً، أشار له سيّد في عدة مواضع من كتابه «طفل من القرية»^(١).
أما الثانية – أمُّ سيّد – فقد أنجبت خمسة أولاد: ابنين وثلاث بنات. وهم: نفيسة، وسيّد، وأمينة، ومحمد، وحميدة.

« نفيسة »

هي المولودة الأولى. وتكبرُ سيّد بثلاثة أعوام^(٢).
وقد أشار لها سيّد في كتابه «طفل من القرية»، بدون ذكر اسمها^(٣).
وليس لها اشتراك في الأعمال الأدبية، كباقي إخوتها «الأطيان الأربعة».

نفيسة الممتحنة الصابرة

وقد تزوجت «نفيسة» من السيد «بكر شافع».
ونالها نصيبٌ من المحنة، كباقي هذه الأسرة المجاهدة، حيث سُجنت وعُذبت،
كما سُجن ولداها وعُذبا، وتمّ تعذيب ولدها «رفعت»، الطالب في كلية الهندسة
بجامعة القاهرة، تعذيباً رهيباً، بتهمة قيامه بدور الوسيط، بين خاله «سيّد» وبين باقي

(١) طفل من القرية: ٣٣، ١٥٦، ٢٠٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق: ٢٠٤.

قيادة التنظيم الإخواني ، وأرادوا منه أن يشهدَ ضدَّ خاله ، وأن يعترف بما لم يحصل ، ولكنه ثبتَّ وصبر واحتسب ، ولم يحتمل جسده التعذيبَ الشديد ، ففاضت روحه الطاهرة ، ولقي الله شهيداً في السجن الحربي .

وفُجعت «نفسه» في ابنها «رفعت» ، لكنها صبرت واحتسبت .

وقد عذبوا ابنها الثاني «عزمي» ، الطالب في كلية «الطب» وقتها ، وكاد يموت في السجن^(١) .

وقد تخرَّج «عزمي» بعد ذلك في الجامعة ، حاملاً شهادة «البكالوريوس» في الطب .

« أمينة »

هي المولودةُ الثالثة . وكانت تصغر «سيد»^(٢) .

ولأمينة اهتمامات أدبية ، ومشاركات في أعمال أدبية ، حيث شاركت إخوتها في كتابهم المشترك «الأطياف الأربعة» وعرف عليها «سيد» في الكتاب قائلاً : «تلك الفتاة الهادئة «أمينة» ، إنها سارية في الماضي ، لا تكادُ منه تعود ، إنها شاعرة ، ثروتها من التصورات ، أجزل من ثروتها في التعبير . إنها مستغرقة في حلم : بالمستقبل الذي لا تملك ، وبالماضي الذي لن يعود»^(٣) .

وكانت مشاركتها في كتاب «الأطياف الأربعة» بأقاصيص قصيرة لها .

قصتان لأمينة

و «أمينة» تكتبُ في القصة ، وفي الشعر .

ففي القصة أصدرت مجموعتين :

الأولى : «في تيار الحياة» . حيث ضُمَّت اثنتي عشرة أقصوصة ، وقد أهدتها إلى

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر، لجابر رزق : ١١٥ .

(٢) طفل من القرية : ٢٠٢ .

(٣) الأطياف الأربعة : ٨ .

شقيقها سيد ومحمد. وقالت لهما في ذلك إهداء: «يا شقيقي الحبيين: إليكما أهدي هذه الأقايصيص. إن في بعضها صرخات في التيه. قبل أن تبدولعيني معالم الطريق المأمون. وفي بعضها الآخر خطوات متعثرة، في منحنيات الطريق الطويل. فتقبّلاها مني. ريثما أتحمسُ المعالم والسمات، وأدربُ قدمي على مشاق الصعود»^(١).

وقد تعرفت «أمانة» بعد ذلك على الطريق، ودربت قدميها على مشاق صعوده، فصعدته بخطأ وثقة، وتحملت مشاقه وأهواله، وأخذت نصيبها من السجن والتعذيب والمحنة والابتلاء، فصبرت واحتسبت، وخرجت من السجن أقوى إيماناً من قبل.

الثانية: مجموعة «في الطريق». ويظهر فيها توجهها وتصورها الإسلامي واضحاً. حيث قالت هي عن ذلك: «ومن ثم كانت مجموعة أقايصيصي الثانية «في الطريق» محاولة أولية، لإيجاد قصة نظيفة، تأخذ طابعاً إنسانياً، يُلَوِّن أحاسيسه الإسلام والوجود الإيمان في داخله»^(٢).

وقد اختار شقيقها «محمد» إحدى أقايصيص هذه المجموعة – وهي أقصوصة «المصير» – نموذجاً للقصة الإسلامية القصيرة، في كتابه «منهج الفن الإسلامي».

وقال عن «أمانة»، في تعليقه لذلك الاختيار: «هل أحتاج أن أعذر للقراء، عن اختيار نماذج فنية لأشخاص، تربطني بهم صلة القربى القريبة، صلة الأخوة؟ لقد جرى «العرف» على الاستنكاف من هذا الأمر. ولكني لا أجد حرجاً من مخالفة هذا العرف في مجال الفن.

فقد رأى النقاد – قبلي – أن هذه الكاتبة، يتمثل فيها – وربما لأول مرة – محاولة التعبير بالقصة عن الحياة من خلال التصور الإسلامي»^(٣).

(١) في تيار الحياة: ٣.

(٢) رسائل إلى شهيد، لأمانة قطب: ٩ – ١٠.

(٣) منهج الفن الإسلامي: ٣٢٦.

زوج أمينة الشهيد السناني

وقد خُطبت «أمينة» لأحد الإخوان المسلمين المسجونين منذ عام ١٩٥٤م. وهو «كمال السناني» . وكانت تزوره من القاهرة إلى حيث يقيم في سجن «قنا». وقد أشفق السنانيُّ عليها، وعرضَ عليها فسحَ الخطوبة، ولكنها بقيت وفيةً له، وردَّت عليه بأول قصيدة شعريّة تنظمها^(١). ولعلَّ خطبتها له من أطول الخطوبات فترة.

وبعد الإفراج عن «كمال السناني» في مطلع السبعينيات تزوجته عام ١٩٧٣م، وقد تجاوزت الخمسين من عمرها.

وكان المجاهد «كمال السناني» في مقدمة المعتقلين عام ١٩٨١م، لما اعتُقل الساداتُ الآلاف من أبناء الشعب المصري.

وعُذِّب «كمال السناني» في السجن تعذيباً رهيباً، ولقيَ الله شهيداً، تحت سِياط التعذيب، وفاضت روحه الطاهرة إلى ربّها في الثامن من تشرين ثاني عام ١٩٨١م.

اللواء سمير عيد يكشف حقيقة قتل السناني

وأشاع الظالمون الجلادون، أن «كمال السناني» قد انتحر في زنزانته في السجن، وأنهم وجدوه منتحراً ميتاً^(٢)!

ولم يصدّق الناس هذه الأكذوبة، عن ذلك المجاهد الشهيد، واتهموهم بقتله وإزهاق روحه.

وأخيراً ظهرت الحقيقة! وعلى لسان أحد ضباط الشرطة:

فقد قال اللواء المتقاعد «سمير عيد» - أحد ضباط الشرطة - لجريدة «الحقيقة» - العدد الثاني عشر بتاريخ ٢٧/٨/١٩٨٨م:

«إن كمال السناني لم ينتحر كما قالوا، وإنما قتلوه. وكان «حسن أبو باشا»

(١) انظر تفاصيل ذلك في تقديمها.

(٢) مجلة «المجتمع» الكويتية. عدد: ٥٥١. تاريخ ٧ نوفمبر ١٩٨١. صفحة: ٢٣.

— وزير الداخلية يومها — موجوداً في ذلك اليوم بالسجن، ولم تُثبت دفاتر السجن دخوله كعادتها. وكانت هناك خطة لقتله، تتضمن عدم الإبلاغ عن الحادث إلا في اليوم التالي، كما حدث بعد ذلك»^(١).

ديوان شعر لأمنية

وقد تأثرت «أمنية» لاستشهاد زوجها المجاهد السناني، وبكته بدموعها، ورثته بقصائدها. ونظمت في رثائه أكثر من عشرين قصيدة. جمعتها في أول ديوان لها، «رسائل إلى شهيد»^(٢).

كما رثت «أمنية» شقيقها الشهيد «سيد» في أكثر من قصيدة، في ذكرى استشهاده التي تتكرر كل عام^(٣).

«محمد»

بقي «سيد» هو الولد الوحيد لأمه ما يزيد على ثلاثة عشر عاماً. إلى أن وُلد شقيقه «محمد» وكانت ولادته في شهر «أبريل» — نيسان — عام ١٩١٩م^(٤).

وبعدما أكمل «محمد» الدراسة الثانوية، كان يرغب في الالتحاق بكلية الآداب، لدراسة اللغة العربية وآدابها، ولكنه التحق بقسم اللغة الإنجليزية، بناءً على رغبة شقيقه «سيد»^(٥)، حيث تخرج من كلية الآداب بجامعة القاهرة، حاملاً شهادة «الليسانس» مع دبلوم في التربية وعلم النفس. والتحق بوظيفة في وزارة التربية والتعليم.

(١) مجلة «لواء الإسلام»: السنة ٤٣. العدد الثامن: ربيع الآخر ١٤٠٩هـ وفق نوفمبر ١٩٨٨م. صفحة: ٦٤. نقلاً عن مجلة «الحقيقة» عدد: ١٢. تاريخ ٨/٨/٨٨: صفحة ٣.

(٢) نشرته دار الفرقان في عمان. وصدرت طبعته الأولى عام ١٤٠٥ — ١٩٨٥م.

(٣) منها قصيدة «خواطر إلى سيد: في الذكرى الحادية والعشرين لاستشهاده»: المجتمع: عدد: ٨٣٨ تاريخ ١٣/١٠/٨٧. وقصيدة في الذكرى الثانية والعشرين لاستشهاده في المجتمع. عدد: ٨٨٣ تاريخ ٢٠/٩/١٩٨٨م.

(٤) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٥) مقدمة «سخریات صغيرة»، لمحمد قطب: ٤.

نصيب محمد من المحنة

وقع على «محمد» قسطٌ كبيرٌ من المحنة والابتلاء. حيث أُدخلَ سجون الطغاة مرتين:

الأولى: عام ١٩٥٤م مع آلاف المعتقلين من الإخوان المسلمين، ولكنه لم يصدر عليه حكمٌ، فبقي موقوفاً سنواتٍ عديدة، ثم أُفرج عنه.

الثانية: وهي الأكثرُ ألماً ومشقةً وعذاباً، وذلك عام ١٩٦٥م، إذ كان أولاً من اعتُقل في تلك الأحداث. وكان اعتقاله يوم ٢/٨/١٩٦٥م، ثم قَدِّمَ شقيقه «سيد» رسالة احتجاج، للمباحث العامة المصرية - وللضابط أحمد راسخ على وجه الخصوص - على اعتقال «محمد» وعدم معرفتهم بمكانه. وقال لهم: إن الشرطة البريطانية لما اعتقلت المفكر الإنجليزي «برتراند رسل»، أخبرت أهله بمكانه، و«رسل» مفكر، و«محمد» مفكر. فردوا على رسالته باعتقاله أيضاً بعد سبعة أيام^(١).

وقد عُدب «محمد» في السجن تعذيباً رهيباً، حتى أُشيع أنه قُتل تحت التعذيب. ولما عرف الناس أن الأمر إشاعة، وأنه حيٌّ في سجنه، أطلقوا عليه لقب «الشهيد الحي» من باب التنذُر.

ولم يُحاكَم «محمد» ولم يصدر عليه حكم. ولكنه بقي موقوفاً في السجن حوالي سبع سنوات. إلى أن أُفرج عنه في مطلع «السبعينيات».

«محمد» مدرّس في الجامعة السعودية

بعد الإفراج عن «محمد» تعاقدت معه جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة - جامعة أمّ القرى حالياً - فعمل مدرّساً فيها منذ عام ١٩٧٢م وحتى الآن.

وقد تزوج «محمد» بعد الإفراج عنه، وبعدها جاوز الخمسين من عمره. وله عدة أولاد، أكبرهم «أسامة».

(١) الموتى يتكلمون، لسامي جوهر: ١٢٠ - ١٢١.

محمد تتلمذ على شقيقه

تتلمذ «سيد» أدبياً على «عباس العقاد» بينما تتلمذ «محمد» على الكاتب الساخر «إبراهيم عبد القادر المازني» من حيث الأدب، حيث كان أحب إليه من باقي الأدباء المعاصرين^(١).

والأستاذ الحقيقي لمحمد هو شقيقه سيد، حيث ترك لمساته واضحة على شخصيته.

وقد أهدي محمد أول مؤلف مطبوع - وهو كتاب «سخریات صغيرة» - إلى شقيقه سيد. ومما جاء في الإهداء قوله: «إلى أخي الذي علّمني كيف أقرأ، وكيف أكتب، وحباني برعايته، منذ طفولتي، فكان لي والداً وأخاً وصديقاً. إليه أهدي هذا الكتاب، لعلني أستطيع أن أفِي بشيء من الدين العظيم»^(٢).

نتاج محمد العلمي

لمحمد قطب نتاج أدبي، منذ زمنٍ طويل، حيث مارس كتابة المقالة منذ بداية اهتماماته الأدبية، وقد نشر بعض مقالاته في المجلات الأدبية المشهورة، مثل «الرسالة» و«الثقافة».

كما نظم محمد في شبابه الشعر، ونشر كثيراً من قصائده في «الرسالة» و«الثقافة» أيضاً. وقد توقّف عن نظم الشعر بعد ذلك.

ثم اتجه محمد نحو الفكر الإسلامي، وراح يُعدّ أبحاثاً وكتباً إسلامية، وقد أصدر عدداً من الكتب الإسلامية الهادفة الرصينة:

١ - الإنسان بين المادية والإسلام. وهو أول كتاب إسلامي له، نشره عام ١٩٥١م. وقد اعتبره الأصل لعدد من كتبه الإسلامية التي تلت.

٢ - شبهات حول الإسلام.

٣ - في النفس والمجتمع.

(١) مقدمة سخریات صغيرة، لمحمد قطب: ٥.

(٢) المرجع السابق: ٣.

- ٤ - قبسات من الرسول .
- ٥ - معركة التقاليد .
- ٦ - منهج التربية الإسلامية : الجزء الأول .
- ٧ - منهج الفن الإسلامي .
- ٨ - التطور والثبات في حياة البشرية .
- ٩ - دراسات في النفس الإنسانية .
- ١٠ - جاهلية القرن العشرين .
- ١١ - هل نحن مسلمون؟ .

وبعد الإفراج عنه، واستقراره في الجامعة أصدرَ عدداً من الكتب الإسلامية، وهي من أنضج كتبه وهي :

- ١ - دراسات قرآنية .
- ٢ - منهج التربية الإسلامية : الجزء الثاني .
- ٣ - واقعنا المعاصر .
- ٤ - مفاهيم ينبغي أن تصحح .
- ٥ - مذاهب فكرية معاصرة .

كما أنه أعلن عن بحوث أخرى تحت الإعداد، منها:
المستشرقون والإسلام .
كيف نكتب التاريخ الإسلامي .

ويُعتبرُ الأستاذ محمد قطب الآن في طليعة الدعاة الإسلاميين، والمفكرين الحركيين. وقد شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية، داخل البلاد الإسلامية وخارجها، وقَدَّم العديد من الأبحاث الإسلامية، وألقى الكثير من المحاضرات الإسلامية القيمة.

بصيرة لسيد في شقيقه محمد

لسيد بصيرة نافذة في شقيقه محمد، حيثُ كان يُعَدُّه ليخلفه من بعده، وعندما نَشَرَ ديوانه «الشاطئ المجهول» أهداهُ لشقيقه محمد. ومما جاء في إهدائه قوله:

أخي ذلك اللفظ الذي في حروفه
أخي ذلك اللحن الذي في رنينه
أخي أنت نفسي حينما أنت صورة
تمنيت ما أعيا المقادير، إنما
فأنت عزائي في حياة قصيرة
تخذت لك لي ابناً، ثم خذناً، فيا ترى
رموز وألغاز لشتى العواطف
ترانيم إخلاص، ورّيا تآلف
لأمالى القصوى التي لم تشارف
وجدت لك رمزاً للأمانى الصوادف
وأنت امتدادي في الحياة وخالفي
أعيش لألقى منك إحساس عاطف^(١)
وقد تحققت أمنية سيد في شقيقه، فمدّ الله في عمره، وخلف «سيد»، واعتبر
امتداداً له في حياته، وخالفاً في آرائه وأفكاره.

«حميدة»

حميدة هي صغرى الأطياف الأربعة، وقد عرّف بها سيد فقال: «تلك الصبية
الناشئة - حميدة - إنها موفوزة الحسّ أبداً، متفرّعة من شبح مجهول، إنها تعبد الحياة
وتخشاه، إنها تتلفت في دعر، كلما تفرّست في المجهول»^(٢).

ولحميدة اهتمامات أدبية، حيث كانت تكتب الخواطر، وشاركت إخوتها في
كتاب «الأطياف الأربعة».

ثم صارت لها اهتمامات إسلامية، عندما توجهت الأسرة كلها للعمل الإسلامي.
ونشرت مقالات إسلامية في مجلتي «المسلمون» و«الإخوان المسلمون» وغيرهما.

وبعد محنة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م، قامت حميدة - مع مجموعة من
الأخوات المسلمات المجاهدات - برعاية أسر وعائلات الإخوان المعتقلين، وكانت
الساعدة الأيمن للمجاهدة «زينب الغزالي»، كما كانت حلقة الوصل بين التنظيم
الإخواني خارج السجن، وبين شقيقها السجين «سيد». تحمل تعليماته وتوصياته لقادة
التنظيم.

(١) ديوان «الشاطيء المجهول»: ٢.

(٢) الأطياف الأربعة: ٧. لسنّا مع «سيد» في قوله عن أخته «إنها تعبد الحياة» لأنّ العبادة لا تكون
إلا لله. وقد قالها قبل التزامه الإسلامي.

وكان نصيبها من الابتلاء والتعذيب في محنة الإخوان عام ١٩٦٥م كبيراً، حيث عذبت تعذيباً لا يكاد يوصف. وهي الوحيدة التي حُكم عليها بالسجن من آل قطب - فشقيقتها سيد حكم عليه بالإعدام - حيث حُكم عليها القاضي العسكري «محمد فؤاد الدجوي» بالسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة. قضت منها ست سنوات وأربعة أشهر، بين السجن الحربي وسجن القناطر^(١). ثم أُفرج عنها في بداية السبعينيات.

وقد تزوجت الدكتور حمدي مسعود، وتقيم معه في فرنسا.

* * *

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر، لرزق: ١١٥.

ملاح صورته

قد يرسمُ الشخصُ في مخيلته، صورةً شاخصةً متخيَّلةً للشخص من العظماء، ويظنُّ أن هذه الصورة المتخيَّلة تنطبقُ على صاحبها تماماً. وهو يتخيَّل تلك الصورة، بعدما يسمعُ عن صاحبها، أو يقرأُ له، أو يقرأُ عنه.

وكثيراً ما يفاجأ هذا الشخصُ بعدم انطباق الصورة على شخصية صاحبها، عندما يشاهده ويقابله.

وسيدُّ قطب في ملاحِ صورته من هذا النوع.

فالذين لم يسبقُ لهم أن شاهدوه، وقرأوا مقالاته النقدية، وتابعوا معاركه الأدبية، وتعرَّفوا على أسلوبه في الكتابة، قد يرسمون له صورةً خاصة. يتخيَّلونه فيها ضخماً الجثة، كبير الأطراف.

والذين شاهدوه فوجئوا بالمقارنة بين صورته المتخيَّلة عندهم، وصفته العملية التي خلَّقه الله عليها!

من هؤلاء الأديب علي الطنطاوي، الذي دَخَلَ في معركةٍ حادة ضدَّ سيِّد قطب، مُدافعاً عن الرافعي، خاضها وهو في دمشق، فلما ذهبَ إلى القاهرة، وتقابل مع سيِّد قطب في مكتبِ رئيس تحرير مجلة الرسالة «أحمد حسن الزيات»، شُده وبُهِت، وقال: «وأقسمُ أنني شُدهت، وكنت أرتقبُ أن يكونَ هذا الشابُّ أيَّ إنسانٍ إلا سيِّد قطب، وكنت أستطيعُ أن أتخيَّل سيِّد قطب على ألف صورةٍ إلا هذه الصورة، وازددتُ يقيناً أن من الخطأ البين أن نحكمَ على شخصٍ الكاتب من كتابته، أو نعرف الشاعر من شعره».

كما فوجيء به في نفس الجلسة مرة أخرى، عندما أهداه كتابه «التصوير الفني في القرآن» وقال: «لم أتخيل سيّد قطب إلا مقارعاً محارباً، ولم أعرفه إلا كاتباً مجادلاً مناضلاً، يهاجم مهاجماً ومدافعاً ومحايداً»^(١).

ومن الذين فوجئوا به عندما شاهدوه، «أبو الحسن الندوي» حيث قال: «كنت أتخيله أديباً في العقد الرابع من عمره، فارغ القامة، عريض ما بين المنكبين، قويّ البنية»^(٢).

ومن الذين فوجئوا به أيضاً، رئيسُ وزراء مصر «محمد محمود باشا»: فقد روى الأستاذ يوسف العظم، في كتابه عن سيّد قطب - ولم يخبرنا عن مصدر روايته - أنّ رئيسَ الوزراء «محمد محمود» أعلن أنه سيضربُ بيدٍ من حديد، كلَّ مَنْ تسوّّل له نفسه الإخلالَ بالأمن، أو إشاعة الفوضى، أو النيلَ من الحكام. فردّ سيّد قطب عليه قائلاً: «يا صاحبَ اليدِ الحديدية. إنك لوبحثتَ عن يدك الحديدية تلك، لوجدتها قد صدّئت واهترأت».

فغضبَ رئيسُ الوزراء لقسوة الكلمة، واستدعى سيّد لمقابلته، فذهب سيّد إليه. ولما دخلَ مكتبه، بُهتَ رئيسُ الوزراء، لما رأى من حداثةِ سنّه، وقال له: أنت الذي كتبتَ هذه المقالة! قال سيّد: نعم.

فقال: ولماذا كتبتها بهذه اللهجة العنيفة؟

قال سيّد: هذا ما أوْمَنُ به.

فأعجبَ رئيسُ الوزراء به، وقال له: اذهب يا بنيّ، واكتب كما تشاء^(٣).

(١) مجلة «الرسالة». السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٤٨. ديسمبر ١٩٤٥. صفحة: ١٣١٣.

(٢) مذكرات سائح في الشرق العربي، للندوي: ٩٧.

(٣) رائد الفكر الإسلامي، ليوسف العظم: ٢٠٥ - ٢٠٦.

صورته

كان سيّد قطب رجلاً أسمر اللون، لوَحَتْ بشرته شمس الصعيد الحارقة. كما كان متوسط الطول، معتدل الجسم، لا هو بالسمين ولا بال نحيف. وقد كان ضعيف البنية، ناحل البدن، حيث أنهكت جسده الأمراض التي صاحبته منذ صغره، وقد تركت هذه الأمراض آثارها واضحة على بدنه. وقد كان لمحنه التي طالت أثرٌ على تدهور صحته، حيث غُيِبَ في السجون، وقضى الوقت الطويل على أرضية الزنازين الباردة، وحُرم من أشعة الشمس الدافئة. قال محمد علي قطب عن وصفه وصحته: «وجدته يشكو كثيراً من الأمراض، ولا طاقة للبدن أبداً - مهما كان قوياً - أن يحتمل النفس الكبيرة: وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مُرادها الأجسام لقد وجدته وقد نالت منه الأيام، فبدت آثارها على وجهه تَفَضُّناً، وفي جبهته أخاديد عميقة، وفي عينيه حمرة، وفي شعره الأسود القاتم شيباً»^(١). إن أسلوب سيّد في الكتابة - الحادّ العنيف - لا يدلُّ على مظهره: لقد وجدّه علي الطنطاوي - على حدّ قوله - «لطيافاً هادئاً، تبدو عليه سيما المسالمة والموادعة والإيناس»^(٢). ولذلك يفاجأ مَنْ يراه، ولا يكادُ يصدّق أن هذا الشخص الهادئ المسالم، هو نفسه الذي تصدر عنه المقالات والكتب «ولا يظهرُ باديء ذي بدء، أنه هو صاحب الأسلوب القوي في الموضوعات الدينية» كما قال عنه أبو الحسن الندوي. وتزولُ الغرابة والمفاجأة، عندما نعلم أن العبرة ليست بضالة الجسم أو ضخامته، بل العبرة بالروح، التي يحملها الكاتب بين جنبيه. ولا شك بأن جسم سيّد الصغير الناحل، قد ضمَّ بين جوانحه روحاً ثائرة، صدرت عنها تلك المؤلفات، التي زلزلت عُروش الطغيان، ورسمت معالم الطريق للمجاهدين!!

(١) سيّد قطب، لمحمد علي قطب: ٢١. وهو كاتب من «صيدا» في لبنان، وليس الأستاذ محمد قطب كما يُظنّ.

(٢) مجلة «الرسالة»: السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٤٨: ٣/١٢/٩٤٥: (صفحة: ١٣١٣).

القِسمُ الأولُ
مَعَ سَيِّدِ قُطْبٍ
فِي مَسِيرَةِ حَيَاتِهِ الْأَدَبِيَّةِ

(١)

حياة سيّد قطب في القرية

عاش سيّد قطب طفولته وصباه، في قريته «موشة»، ولم يغادرها إلى القاهرة إلاّ بعد الخامسة عشرة من عمره.

وكان أثر القرية على نفسيته كبيراً، ويظهر ذلك من كثرة ذكره لها، وإشادته بمحاسنها وجمالها، بل إنه ألّف كتابه «طفل من القرية» وبيّن فيه كثيراً من مزاياها وجمالها.

حياته في الأسرة

عاش سيّد قطب وسط أسرة متألّفة متجانسة، علاقة أفرادها تقوم على المحبة والمودة.

فنشأ في هذه الأسرة، على المعاني الإسلامية والقيم الدينية.

لقد كان لوالديه أثر كبير على تربيته وتنشئته، حيث تركا لمساتهما التربوية على الكثير من جوانب شخصيته، وغرسا فيه الكثير من المعاني والحقائق، والقيم والمبادئ.

غرسا في نفسه الإيمان والطهر والعفاف. فوالده كان صالحاً ملتزماً، يرتاد المساجد للصلاة، ويؤدي الحقوق لأصحابها، ويسير في حياته وتفكيره في اليوم الآخر، ويقرأ الفاتحة قبل أن يأوي إلى فراشه. ووالدته كانت محافظة على دينها، مؤدية لفرائض الإسلام، متصلة بالقرآن. تنصت لقراءته من القراء بتفاعل واهتمام.

وأثرت هذه التربية في نفسه، فنشأ على تعاليم الإسلام، وكان حريصاً على ارتياد المساجد وأداء الصلوات فيها، وهو طفل صغير، وكان يجلس في دروس العلم

في المساجد كالكبار، ويسمّع تلك الدروس التي يلقيها علماء الأزهر، ويتفاعل معها، ويناقش المدرّس أحياناً فيها.

وغرساً في نفسه محبة المساكين، ونصرة المستضعفين، ودفع الظلم عن المظلومين، فقد كان يرى تعامل والده الطيب مع العمّال الأغراب، حيث كان يقدم لهم الطعام والشراب كما يقدمه لأفراد عائلته، ويعطيهم من الأجر أكثر مما يعطيه لأمثالهم، أصحاب الأراضي الآخرون.

وكان يرى والدته وهي تتقرب إلى الله بقيامها على طعامهم بنفسها. كما تصدّق على الفقراء والمساكين في القرية.

أثرت هذه المعاني في نفسه، فوقف نفسه لخدمة الآخرين، ودفع الظلم عنهم ونصرتهم. فالعمال الأغراب عند والده، كان محامياً لهم. يأخذ لهم من بيته زيادة على استحقاقاتهم، رغم إكرام والده لهم.

وكان يصادقهم ويجالسهم، فاطلع على أحوالهم، وعرف الكثير عنهم، عرف خصائص حياتهم، وطبيعة أكلهم، ومورد دخلهم. عرف هذا وهو طفل صغير، فترك في نفسه أثراً واضحاً، أخبرنا عنه قائلاً: «وعلم أشياء وأشياء، لم يتبيّن عمق آثارها في نفسه، وقسوة وقعها على حسّه، إلا وهو يسترجعها الآن في الحين بعد الحين، فيشعر في قرارة نفسه بالخجل، ويحسّ لنفسه ولشعبه بالازدراء. إنه سارق، سارق لهؤلاء الغرب، وأمثالهم من الملايين الكثيرة التي تُنبّت الذهب بالوادي، وتجوع... هذا هو الشعور الذي ظل يُعاوده أبداً، كلما جلس يتناول طعاماً دسماً، أو فاكهة لذيذة، أو حلوى أنيقة، أو يتمتع بأيسر مباحج الحياة بين ملايين المحرومين»^(١).

وغرساً في نفسه الإباء والعزة والمروءة. ولهذا خاطب أمّه قائلاً: «الكبرياء التي أودعنيها منذ الطفولة، فجعلتني أهرب من كلّ مظاهر الطفولة»^(٢).

ويقول لأمه في رثائه لها: «لقد كنت تصوّرني نفسي، كأنما أنا نسيج فريد،

(١) طفل من القرية: ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) الأطياف الأربعة: ١٦٦.

منذ ما كنتُ في المهد صبيّاً، وكنتُ تحدّثيني عن آماليك، التي شهد مولدُها مولدي،
فينسربُ في خاطري أنني عظيم، وأني مطالبٌ بتكاليفِ هذه العظمة!»^(١).

انتظامه في الدراسة

لَمَّا ناهزَ السادسةَ من عمره - سنة ١٩١٢م - أرسلهُ أهلُهُ للدراسة في المدرسة.
ولم يتحمّسُ للأمر. لأنه كان يفضّلُ أن يبقى في الدار، يلعبُ مع أختيهِ ولِداتِهِ
الصغار.

والبسوهُ زياً خاصاً، متميّزاً عن باقي الطلاب، مبالغَةً في ترغيبه وتدليله^(٢).
وبما أنه من أسرةٍ معروفة، وابنُ وجّهٍ بارز من وجوه القرية، فقد تم وضعُهُ رأساً
في السنة الرابعة، رغم أنه لا يقرأ ولا يكتب، وهذا هو اليوم الأول لدخوله في
المدرسة! ولكن هذا هو العرفُ السائدُ في المدرسة، وتوزيع الطلاب على سنوات
الدراسة فيها، حيث كان يخضعُ هذا لِعَمْرِ الطالب وحجْمِهِ وجسمِهِ، وأسرتهِ وأهلِهِ!
ولكن المدير «أنس من والده شيئاً من التنوُّر والمعرفة، فرأى أن يحادثه
بصراحة، وأن يبيّن له أن من مصلحةِ الطفل أن يبدأ من السنة التحضيرية، مع
الأطفال، ليستفيدَ ويسيرَ في خطواته طبيعياً، فاقنع». وانتظمَ سيّد في السنة التحضيرية
التي تُحضّر الطلاب للسنة الأولى الابتدائية^(٣).

وفي اليوم الأوّل لدراسته، حدّثَ أمرٌ مخيف، جعلهُ يهرب من المدرسة، حيث
زارها مدرّسُ الرياضة، وكان ضابطاً سابقاً في الجيش، وأشاع الطلابُ إشاعاتٍ حول
قسوته وضُرْبِهِ للطلاب، فخاف سيّد منه، وهرب من المدرسة^(٤).

وبقي منقطعاً عن الدراسة حوالي شهر ونصف. وحزنتُ أمّه على ذلك كثيراً،

(١) الأطياف الأربعة: ١٦٧.

(٢) طفل من القرية: ٢٢.

(٣) المرجع السابق: ٢٤ - ٢٥.

(٤) المرجع السابق: ٢٧.

وصار أخوه لأبيه يتهكّم عليه، مما أوجد في نفسه أثراً كبيراً. فعادَ للمدرسة، وانتظم فيها بجِد والتزام^(١).

محنة سيّد بين المدرسة والكتاب

دخل سيّد قطب «السنة التحضيرية»، التي تُعدُّ الطالب للصفّ الأول الابتدائي. والذي كان يُدرّس طلاب السنة التحضيرية، هو «العم إبراهيم» فراش المدرسة! وتضايقَ الطفلُ سيّد من المدرس «الفراش»، ووضعه المدير مع الصف الأول، باعتباره مستمعاً، بينما قيّده في السنة التحضيرية.

وكان يُدرسه شبه دروس خصوصية ناظرُ المدرسة - مديرها - والمدرّس الآخر - وهما الهيئة التدريسية في المدرسة! -.

وبينما كان سيّد في السنة الثانية الابتدائية، استغنت الوزارة عن الشيخ صاحب «الكتاب» لتحفيظ القرآن في القرية، وعيّنت مدرّساً آخر مكانه.

وأطلق شيخُ الكتاب الإشاعات في القرية، بأن الوزارة تريد محاربة القرآن، ولهذا فصلوه من التدريس. ودعا آباء الطلاب، إلى إرسال أولادهم إليه في الكتاب، وإخراجهم من المدرسة.

واتصل شيخُ الكتاب بوالد سيّد، ودعاهُ إلى إلحاق ابنه سيّد في الكتاب، ليحفظ القرآن، ويحافظ على دينه.

ومع قناعة والده بالمدرسة وتدريسها، إلّا أنه «كان خجولاً ومجاملاً، فلم يود أن يجرح شعور «سيّدنا» - ابن سيده - ووعدّه بأن يكون الطفلُ في الصباح في الكتاب»^(٢).

ووقع الخلاف في المنزل، فأُمّ سيّد ترفض إرساله إلى الكتاب، وتريد بقاءه في

(١) طفل من القرية: ٣٣.

(٢) المرجع السابق: ٣٧ - ٣٨.

المدرسة، ليتخرج ويصبح مدرّساً ويحقق لها آمالها. وأصرَّ والده على إرساله إلى الكتاب، لأنه وعدَّ الشيخ، ولا يجوز أن يرجع في وعده له!!

وذهب سيّد في صباح اليوم التالي إلى الكتاب، وحزن على فراق المدرسة، ورغم أن الشيخ احتفى به وأكرمه، إلا أنه تضايق كثيراً من أوضاع كتابه، ومستواه المتدنّي في كل شيء، وانتظر انتهاء اليوم بفارغ الصبر.

ولما عادَ إلى بيته، كان صمّم على أن يلتحق بالمدرسة، ولا يعودَ إلى الكتاب، مهما كان الأمر! وأخبر أمّه بتصميمه فأيدته!!!

وفي الصباح ذهبَ إلى المدرسة. وأخبر الناظر بالأمر، ورجاهُ أن يتدخلَ عند والده، ليعودَ إلى المدرسة، ويترك كتاب الشيخ.

وتدخلَ الناظر لدى والده، ونجحت وساطته عنده، وترك سيّد الكتاب، وعاد إلى مدرسته.

ومنذ ذلك اليوم، ازدادت المدرسة رفعةً عنده، وتحولَ إلى داعية لها، بل «تزعم» فريق المدرسة، ضدَّ فريق الكتاب^(١).

سيّد يحفظ القرآن

وبما أنه زعيمُ فريقِ المدرسة ضدَّ فريقِ الكتاب، وهو في السنة الثانية الابتدائية، وعمره لا يتجاوزُ ثماني سنوات، فعليه أن يفنّد دعاياتِ فريقِ الكتاب.

إنهم يزعمون أنَّ المدرسة تحارب القرآن، وأن الكتاب يُحفظه لطلابهِ، وهم فخورون بذلك.

استقرَّ رأي سيّد على أن يسابقهم فيما اختصوا به، وهو حفظ القرآن، ودعا طلاب المدرسة إلى الإقبال على حفظ سورٍ من القرآن.

وأقبلَ سيّد على حفظ القرآن، وهو في السنة الثانية الابتدائية، وعمره حوالي

(١) انظر الموضوع في «طفل من القرية»: ٣٤ - ٤٠.

ثمانى سنوات : «إذن، فليُوجَّه همُّه إلى حفظ القرآن حتى يهدم هذه الحجة الكبرى. وإنه ليرهق نفسه وصحَّته المرهقة، ويسهر إلى منتصف الليل، ليعيد في كل ليلة، جميع ما سبق له حفظه من القرآن. وذلك بجانب الدروس الأخرى. فما يكتمل العام حتى يكون قد حفظ ثلث القرآن، حفظاً جيداً، يباهي به مَنْ يتحداه»^(١).

استمرَّ سيّد على خطته في حفظ القرآن، بهمة وتصميم، حيث كان يحفظ كلّ عام عشرة أجزاء.

وبعد ثلاث سنوات، أتمَّ حفظ القرآن كاملاً، وكان يتحدّى مَنْ يواجهه، ويُطالبه أن يمتحن حفظه، وأن «يُسمّع» له ما شاء من السور والآيات^(٢).

وكان إتمامه حفظ القرآن، وهو في حوالي السنة العاشرة من عمره، وكان في السنة الرابعة الابتدائية.

كان حفظه القرآن تحدياً للكتاب ولشيخه وطلّابه، وإبطالاً لدعاياتهم ضدّ المدرسة، وانتصاراً للمدرسة، ودعاية لها.

وإن الإنسان ليعجب من همة سيّد وعصاميته وجدّيته، حتى وهو طفل صغير في السنة الثانية الابتدائية!!

تربيته في البيت :

كانت تربية سيّد في البيت تربية سليمةً قويمّة، على أحسن الطرق والوسائل والأساليب.

لم يكن الضرب وسيلةً من وسائل تلك التربية، ولا يذكر أن أباه ضربه أو ضرب أحد إخوته : «كان قد نشأ نشأةً معيّنة، ليس الضرب إحدى وسائل التربية فيها»^(٣).

(١) طفل من القرية : ٤١.

(٢) المرجع السابق : ٤١ - ٤٣.

(٣) المرجع السابق : ٢٨.

كما أن العلاقات والروابط بين الإخوة في الأسرة، كانت تقوم على المودة والمحبة، وليس على النزاع أو الضرب!

ومرة غضب من أخيه الأكبر - غير الشقيق - عندما أساء له وتهكّم عليه «فجرؤ على ما لم يجرؤ عليه قطُّ من قبلُ ومن بعد، وما تنكره تقاليدُ الأسرة كلَّ الإنكار. جرؤ على أن يقذف أخاه هذا بغطاء «القُلَّة» في وجهه، ثم يلوذ بالفرار!»^(١).

وكان أهله حريصين على أخلاقه واستقامته، فلم يتركوه يلعب في الشوارع: «ولم يكن يُترك ليلعب في الشوارع، ويجوب طرقاتها كالأطفال، حفظاً لملابسه النظيفة من القذارة، وحمايةً له من التلوث بأخلاق أولاد القرية، وألفاظهم البذيئة»^(٢).

اعتداده بنفسه

نشأ سيد في الأسرة على معاني العزة والكرامة والأنفة، فكان - منذ صغره - يحبُّ مواقف الرجولة والعزة، ويرفضُ مواقف الذلّ والجبن، وكان يملك حساسيةً بالغة وجساً مرهفاً.

فعندما هرب من المدرسة في اليوم الأول لذهابه إليها، خوفاً من «ضابط الجمباز»: «أدرك ما في فعلته هذه من غضاضة - وكان على صغر سنه يدرك هذه الغضاضة - فلم يستطع أن يواجه أهل البيت بفعلته - لا خوفاً، فقد كان آمناً من الضرب - ولكن حياءً من الفعلية التي لم تكن تليق»^(٣).

وكان مُعتدّاً بنفسه، يرفضُ أيَّ خدش لكبريائه، وإيذاءٍ لشخصيته، يتحدّى الخطر، ويقتحمُ الهول، ويتصنّع الشجاعة!

فعندما كان في الحادية عشرة من عمره، كان يسهرُ مع أمّه عند أقاربه في مكانٍ بعيدٍ في القرية، فاحتاجتُ أمّه إلى غرض من البيت، وتطوّع سيّد «بشهامة الرجال»

(١) طفل من القرية: ٣٣.

(٢) المرجع السابق: ٢٨.

(٣) المرجع السابق: ٢٩.

لإحضاره. ولم تأمن أن يذهب وحده «فأذى التخوف كبريائه، وأصرَّ على أن يذهب ويعود. وكان طريقُ قصير يوصل إلى البيت، لكن فيه منزلٌ مهجور مخيف، يعتقده كثير من أهل القرية، أنه مسكونٌ بالجنِّ والعفاريت، وكان الرجال يتخوَّفون من المرور به ليلاً، فحذَرته أمه منه – وكان هذا التحذيرُ كافياً لأن يقتحمَ الطريقَ القصير في هذا الوقت المتأخر – وعندما يصلُ المكانَ المخيفَ المظلم يحسُّ برهبةٍ وخوف، ويشعلُ أعوادَ الثُّقَاب، ويحسُّ بحركاتٍ مزعجة وسَطَ الظلام، ويظنُّها عفاريت، ويزدادُ خوفاً ورعباً، ويتسمَّر مكانه هَلِعاً، ويواصلُ إشعالَ الأعواد، ويرسلُ الله له أحدَ الرجال لينقذه من هذا الخطر. ولما سأله عن سببِ وجوده «عاودته شجاعته المصطنعة، فقال: أنا لستُ خائفاً، فأنا لا أُصدِّق ما يُقال عن العفاريت، ولقد كنتُ واقفاً أبحث عن هذه العفاريت التي يقولون عنها!»^(١)

سيد يرتاد المساجد ويناقش الوعاظ

نشأ سيّد على الشعور بالرجولة منذُ صغره، كما نشأ على التدين والعبادة، فكان يتصرف تصرف الرجال، وهو صبيٌّ في العاشرة من عمره، فيحافظُ على أداءِ الصلوات في المسجد جماعة، كالرجال، ويسهرُ حتى العاشرة مساءً مع الرجال، كالرجال، ويسيرُ في شوارع القرية ليلاً، كالرجال: «وكان يجتازُ شوارع القرية بعدَ العشاء – فلقد أخذَ يُصلي في المساجد تشبُّهاً بالرجال – ومنذُ أن بلغَ العاشرة كان في وهَمه قد صارَ رجلاً مسؤولاً ذا أهمية خاصة، فما يليقُ أن يترك الصلاة الجامعة مع الرجال! – كما بدأ يسهرُ ويتأخرُ في السهر، حتى ليصلَ في بعض الأحيان إلى الساعة العاشرة. أليسَ رجلاً؟ فلمَ لا يسهرُ كما يسهرُ الرجال؟»^(٢).

إذا ما حضرَ واعظٌ إلى المسجد ليعظَ الناسَ، كان سيّد يجلسُ ليستمع الموعظة، ويفكرُ في ما يسمع، وأحياناً يقفُ ليناقد الواعظ – وهو الطفل الصغير – بجرأةٍ وشجاعة!

(١) انظر تفاصيل الحادثة في «طفل من القرية»: ١٢١ – ١٢٣.

(٢) المرجع السابق: ١٢٠.

وقد أشار إلى حضوره درس «عالم أزهري» قدم إلى القرية ليعلم القرويين الأُميين من تفسير «الكشاف» للزمخشري. «وهذا الدرس لا يتجاوز أن يجلس الشيخ، ويلتف حوله القرويون الأُميون، فيسحب من صدره «ملزمة» من تفسير الزمخشري، ويروح يتلوهم عليهم، وهو يصفق بيديه بين آن وآخر، ويقول: مفهوم؟ فيجيب بعضهم: مفهوم. ويمضي يصب عليهم ما في الزمخشري من بلاغة ونحو وصرف وتأويلات، لا يدرّون منها شيئاً.

وكان الطفل يحضر هذه الدروس كي يصير رجلاً!
وفي ليلة كان الشيخ يقرأ تفسير سورة الكهف، ومرّ بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾، فارتداً على آثارهما قصصاً.
ولما كان الطفل حريصاً على محصولة من النحو، فقد لفت نظره أن كلمة «نبغ» محذوفة حرف العلة بلا مبرر ظاهر.

فرفع أصبعه كما يصنع في المدرسة، وقال: يا سيدنا الشيخ، لماذا حذفت الياء في «نبغ» بدون جازم؟

ورفع الشيخ رأسه بلا اهتمام، ثم مضى يقول - وكأنه يستمر في التلاوة - «يا سيدي: حذفت الياء اعتباطاً للتسهيل» ومضى لا يلوي على شيء، ولا يلتفت إلى الطفل الصغير^(١).

أستاذ سيّد في المدرسة

أساتذة سيّد في المدرسة أثروا فيه كثيراً، وحرصوا على غرس المعاني الروحية والأخلاقية في نفسه، ونفوس الطلاب الآخرين.
ومن الأساتذة الذين ربّوا سيّد، وأثروا فيه وفي غيره من الطلاب، ناظر المدرسة الشاب، الذي كان «شديد العناية بتربية التلاميذ، التربية الخلقية والروحية، وعدم الوقوف بهم عند حدود المعلومات المدرسية الجافة»^(٢).

(١) طفل من القرية: ٥٢ - ٥٣.

(٢) المرجع السابق: ١١٣.

وكان سيّد «يثقُ بهذا الناظر، ويحبُّه، ويصدِّقه، ويتأثّر به..»^(١).

وقد حرص ذلك الناظر على محاربة الخرافات في نفوس الطلاب، فقام معهم بعدة تجارب عملية ميدانية في الليل، أبطل فيها خرافة العفاريت^(٢).

وكان الناظر الشابُّ المربي، معجباً لسيّد، وبذكائه وجديته واهتمامه، وكان سيّد متفوقاً في الدراسة، وبخاصة دروس اللغة العربية.. «عند ذلك وجده أهلاً لأن يعيره كتابين عظيمين، وجد فيهما الصبيُّ طرازاً آخر، غير ما تحوي مكتبته العظيمة من شتى الثقافات!

أحدهما ديوان رجل يُسمى «ثابت الجرجاوي» والآخر كتابُ تاريخي لمحمد بك الخضري في مقدمته صورة «عباس الثاني»^(٣).

وقد تأثر سيّد بالكتابين، واحتفظ بما فيهما بطريقةٍ عجيبة، تدلُّ على جديته وجلده وعصاميته وهمته.

ثقافة سيّد ومكتبته في القرية

نشأ سيّد على محبة المطالعة والقراءة، والتزوّد من المعرفة والثقافة.

وعُرف بهذا بين أهل القرية، وفي أوساط مثقفيها، فناظرُ المدرسة يُعجبُ بهذه الموهبة فيه، ويُعيره كتابين - كما قلنا - وبما أنه لا بد أن يعيدهما إلى صاحبهما، فلا بد أن يحتفظ بهما: «جَمَعَ من جميع كراساته في السنوات الماضية الأوراق البيضاء منها، فصارت له كراسة ضخمة من الورق الأبيض. أما المداد والقلم فموجودان. وأخذ - في صبرٍ ودأب عجيبيين - ينقل الديوان بيتاً بيتاً إلى هذه الكراسة، وينقل مقدّمة كتاب التاريخ الأثرية»^(٤).

وكان يتردّد على القرية بائع كتب، هو «العم صالح» وكان سيّد «زبوناً ممتازاً عند

(١) طفل من القرية: ١١٤.

(٢) انظر هذه التجارب في طفل من القرية: ١١٣ - ١٢٣.

(٣) المرجع السابق: ١٤٧ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق: ١٤٩.

«عم صالح» يعرفه جيّداً، ويحتفظ له بأجود الكتب، وأكثرها خطراً، فما كان صاحبنا ليخل على الكتب بالمال، مهما ارتفع السعر، حتى ولو بلغ ثمن الصفقة الواحدة خمسة قروش!«^(١).

وكان يوفّر «مصرفه» اليومي، ويجمّعه، بانتظار قدوم «عم صالح» بكتبه، فيشتري منها بمصرفه، فإذا نفذ المصروف استعان بوالده فأعطاه ما يشتري به.

وإذا أعجب بالكتاب ولم يقدر على شرائه، استعاره من «عم صالح» استعارة خارجية، وبعد قراءته يرده له، ويوصيه أن يحضره له في المرة القادمة ليشتريه.

فإذا ما غادر بائع الكتب القرية، حصلت «حركة ثقافية» فيها «فهذه الكتب التي اشتراها القراء، كانت تظلّ تُبادل بينهم فترة أخرى، حتى تتم قراءتها للجميع»^(٢).

اشتهر سيّد «بالكتب وبالقراءة في أوساط المثقفين بالقرية، فارتفع في أعينهم درجات، وأخذ الجميع يتنبّون له بالمستقبل الزاهر. ماذا؟ أليس على صغره يقتني مكتبة ضخمة، يبلغ من ضخامتها أن تملأ صفيحة كاملة؟»^(٣).

وضع كتبه في صفيحة من الصفيح، حفظاً للكتب وعنايةً بها، ونصح به بذلك «عم صالح» نفسه. وزادت كتبه في هذه الصفيحة. حتى بلغت خمسة وعشرين كتاباً: «والحق أنه كان عاشقاً لهذه المكتبة الفريدة من نوعها في القرية، بما تحويه من شتى ألوان الثقافة»^(٤).

كان من كتب مكتبته: قصص أبي زيد، والوزير سالم، وكليب، ودياب بن غانم، والزناتي خليفة، والبردة، وسيرة إبراهيم الدسوقي، والسيد البدوي، وعبد القادر الجيلاني، ودلائل الخيرات، ودعاء نصف شعبان.

كما كان فيها بعض الكتب البوليسية مثل: شرلوك هولمز، وسنكلر، واللص الشريف^(٥).

(١) طفل من القرية: ١٢٩.

(٢) المرجع السابق: ١٣٠.

(٣) المرجع السابق: ١٣١.

(٤) المرجع السابق: ١٣١.

(٥) المرجع السابق: ١٢٧ - ١٢٨.

سيد الطفل يكشف البخت والطالع

«كان في مكتبته كتابان: كتاب أبي معشر الفلكي. وكتاب شمهورش في السحر. ولكلٍ منهما قصة ساعدت على نشر شهرته وإذاعتها»^(١).

والكتابان يستخدمهما «المشايع»، الذين يمارسون كتابة الحُجُب والرُقَى والتمايم والتعاويد. ويكتبون من كتاب «شمهورش» خاصة، عباراتٍ لجلب المحبة والسعادة وغيرها.

وصارَ الطفلُ سيدَ يمارسُ ما يمارسه «المشايع الكبار» في هذه المجالات، ويأخذُ ما يأخذُ من هذين الكتابين.

«تسامع نساء القرية وشبانها بالكتابين، فأقبل الجميع على صاحبنا إقبالاً منقطع النظر، وذلك لأسباب كثيرة!

منها: أنه لا يتناول أجراً على الخدّات التي يقوم بها لهؤلاء.

ومنها: أنه صبيٌ يدخلُ البيوت، وتقابله النسوة والفتيات بلا تحرج، ودون أن يثيرَ وجوده بينهن تساؤلاً، كالذي يثيره وجودُ من يتعاطون هذه الأعمال من الكبار.

ومنها: أن السيدة أو الفتاة، لا تتحرّج أن تفضي برغباتها وأسرارها ومخاوفها، لصبي لم يبلغ الحلم، ولا تدعو سنّه إلى الخجل منه!

كان يحضرُ من المدرسة فيجدُ كثيراً من التّوصيات بطلبه من عدة بيوت، وبعضها كان يرسل رسولاً يترقبه ليحضرَ به، وبخاصة بعد أن عرف الجميع أنه «مشغول» بالكثير من هذه الدعوات.

والحقُّ أنه كان يحسُّ بنشوةٍ عجيبة، والطلبات تتوالى عليه، والأبواب جميعها تُفتح له. ولقد كان صغيراً لم تُثر في نفسه نوازعُ الجنس بعد، وتربيته المنزلية تجعلُ في نفسه كثيراً من الحشمة والحياء، حتى لو ثارت بعض هذه النوازع!»^(٢).

(١) طفل من القرية: ١٣٩.

(٢) المرجع السابق: ١٤١ وما بعدها.

سيّد الطفل يدافع عن الفضيلة والأدب

لما كان سيّد طالباً في مدرسة القرية، أُوْجِدَت الوزارة فيها نظامَ التعليم المختلط، حيث التحق بالمدرسة سبع طالبات صغيرات، لا يتجاوزن العاشرة من أعمارهن^(١).

«ومع أنهن لا يمتزْنَ بشيء عن بقية بنات القرية، فإن وجودهن في المدرسة قد أُوْجِدَ فيها جَوْاً غريباً، وأشاعَ فيها عطراً خاصاً. ذلك الجَوْ هو مزيجٌ من الحساسية الحادة، والرغبة المكبوتة في محادثة هذا الجنس الغريب في المدرسة، ومن الحياء القرويّ الساذج، والحذر من تجاوز الحدّ، فيقع المتجاوز تحت طائلة العقاب المدرسي والمنزلي على السواء»^(٢).

ولكن بعض طلاب المدرسة المشاغبين، صاروا يُعاكسون الطالبات ويُغازلونهن، بعد الانصراف من المدرسة، ويُخرجونهن ويُضيّقون عليهن، ببعض الكلمات والحركات والأصوات النابية العابثة.

«أما هو، فإن حياءه الشديد، وتقاليده العائلية، قد أمسكت به بعيداً عن هذه الحركات. ولكن هذا لم يكن معناه أنه أقلُّ رغبةً من الآخرين في لفتِ النظر إليه. إنما كانت وسيلته إلى ذلك مما يتفق مع نشأته، فأخذ جانب المدافع عن كرامة البنات، حيثما وُجِدَ لهن اعتداء!

ومع هذا فقد راعه أن يكسب الموقعة بلا نضال. لقد كان في البيت ذات يوم، فما راعه إلا البنات السبعة يطرقن الباب، ويسألن عن شقيقته الصغيرة للعب معها داخل الدار!

.. لقد أحس في نفسه نشوة لم يشعر بمثلها قط. لقد أدرك أنه هو المقصود بهذه الزيارة، لا أخته الصغيرة»^(٣).

(١) تعليم مختلط، في قرية، من قرى الصعيد، في مطلع هذا القرن العشرين، هذا دليل على التخطيط العجيب من الغربيين وأعوانهم، في محاربة القيم الإسلامية!!

(٢) طفل من القرية: ٥٣.

(٣) المرجع السابق: ٥٤.

حبّه الأول في القرية

أحبّ سيّد وهو صبيٌّ في المرحلة الابتدائية، وكانت الفتاة التي أحبّها طالبةً في نفس المدرسة الابتدائية، وكانت تربطها به رابطةٌ بعيدة، حيث كانت مصاهرةً بين عائلتيها وعائلته، فهي ابنة عمّ زوجة عمّه.

«كانت خمريّة اللون، ذات طابعٍ خاصٍ، غير مكرّر في الوجوه. ولم تكن حسبَ مقاييس القرية جميلة، فليست بيضاء البشرة، وليس أنفها دقيقاً بالقدر المطلوب، وليس فمها كذلك «خاتم سليمان».. ولكنها هي وحدها من بين بنات المدرسة، بل من بين بنات القرية جميعاً، كانت تبدو في نظره جميلة، وكان سرُّ جمالها عنده أنها ذات طابع خاص! وإن لم يدرك في ذلك الحين معنى الطابع الخاص.

وعندما غادر القرية إلى القاهرة، ظلّ هذا الوجه يخيّل له، ويرسم نماذج الجمال في نظره. حتى عادَ بعدَ ثلاثة أعوام، وقد تغيرت حياته، وتغيرت ثقافته، وغيرَ عالمه.. إلّا أن السؤال الأول الذي توجّه به في حذر وألتواء، كان عن مصير الطفلة، التي فتنته أول مرة!!

وعلمَ أنها تزوجت، وأنها تزوجت في جهةٍ نائيةٍ عن القرية.

ورأى نفسه في حاجةٍ لأنّ ينسحبَ من الجمع، ورأى عينيه تتغرغران بالدموع!!!»^(١)

سيّد مثقّف للآخرين

كان والد سيّد سياسياً نشيطاً في القرية، حيث كان عضواً في لجنة الحزب الوطني، ومشترياً في جريدته اليومية «جريدة اللواء» وكان الوطنيون - ومنهم ناظرُ المدرسة الشاب الذي أحبّه سيّد - يأتون إلى المنزل، ويعقدون فيه اجتماعاتهم الوطنية.

(١) طفل من القرية: ٥٥.

«في هذه الاجتماعات كانت تدور أحاديث، يحضر بعضها الصبي، وبعضها كان سرّياً لا يعلم عنه أحد شيئاً. وكان يسمّع اسم «أفندينا عباس» واسم الشيخ عبد العزيز جاويش، واسم محمد فريد...»^(١).

وبما أن والده كان سياسياً متنوراً، فقد كان أهل القرية يأتون إلى منزله، ليطلعوا على أحدث الأخبار والأحداث. وكان والده يقرأ عليهم جريدة الحزب «اللواء». «وشيئاً فشيئاً أخذ سيّد يشارك الكبار فيما يخوضون فيه، ولا سيما أنه كان قد وصل إلى السنة الرابعة الأولية.

وكان كثيراً ما يتولّى بدلاً عن والده قراءة الجريدة للجمع الحاشد، الذي يحضر لاستماعها في منزلهم»^(٢).

مشاركة سيّد في ثورة ١٩١٩م

كان الجو في القرية قبيل عام ١٩١٩م مشحوناً، وكان بيت أسرة سيّد مركزاً للقاءات عديدة، يعقدّها وجوه القرية مع والده، وكانت تدور بينهم أحاديث هامة، وكان سيّد يراقب ما يجري في المنزل بعين فاحصة «وكان يبدو أن هناك شعوراً معيناً يختمر، يذكر الآن ذلك، ويدرك أنه وهو طفل كان يتوقع في حسه - مع هؤلاء الرجال - شيئاً غامضاً، لا يدري ما هو، ولا كيف يقع، ولكن شيئاً ما سيحدث والسلام!!

وكانت الاجتماعات السرية التي تُعقد في منزله، والأبواب مغلقة، والأصوات تجري همساً، كانت هذه الاجتماعات تُلقى في روعه هذا الشيء الغامض الذي لا يذّريه!»^(٣).

ووقعت ثورة الشعب سنة ١٩١٩م.

وجمع ناظر المدرسة الطلاب «وألقى عليهم خطبة وطنية نارية. وقال لهم: إن

(١) طفل من القرية: ١٤٦.

(٢) المرجع السابق: ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) المرجع السابق: ١٤٦.

المدرسة ستُغلق إلى أجلٍ غير مسمى، لأنه هو وزملاؤه ذاهبون للعمل في الثورة، فهذا واجب كل إنسان».

وشارك سيد في القرية بالثورة، وصار ينظم كلاماً ويُعدُّ خطباً، ويلقيها على أهل القرية في المجامع والمساجد: «ووقعت المعجزة التي كان يتشكك فيها تارة، ويؤمن بها تارة: وقعت على يده هو، فانطلق في حماسة الثورة وفورتها، يكتب هو الخطب ويضمّنُها أبياتاً من الشُّعر – يحسبها موزونةً وهي متهاكة – ويلقيها في المجامع والمساجد، حيث نفخت الثورة المقدسة في الجميع، فصاروا يستمعون لكل هاتف بالثورة، ولو كان طفلاً صغيراً مثله لم يكذب يتجاوز العاشرة»^(١).

سفر سيد للقاهرة

أمضى سيد في المدرسة ست سنوات.

دخلها عام ١٩١٢م، وهو في السادسة من عمره. والتحق في السنة التجهيزية، التي تجهز الطلاب للسنة الأولى الابتدائية.

وأكمل فيها الدراسة الابتدائية، عندما أنهى السنة الرابعة الابتدائية.

ولكنه كان صغيراً، وعمره لا يؤهله لالتحاق بمدرسة المعلمين الأولية، التي تُخرج المعلمين.

«وكم كان عزيزاً على المدرسين أن يفرطوا فيه، وهو حجتهم الأولى على نجاح المدرسة في تحفيظ القرآن.

وما كان أسرع ما احتالوا لذلك، فقيّدوا اسمه في السنة الرابعة بعد مُضي شهر من العام التالي، على أنه مُستجد.

وهكذا عاد إلى المدرسة الحبيبة، ليقضي بين جدرانها عاماً آخر»^(٢).

وتخرج من المدرسة عام ١٩١٨م.

(١) طفل من القرية: ١٥١.

(٢) المرجع السابق: ٤٥.

لكنه انقطع عن الدراسة سنتين، بسبب ثورة سنة ١٩١٩م.
وبعدما هدأت الأمور واستقرت الأحوال، رتبت الأسرة سفر سيّد إلى القاهرة
لإكمال دراسته فيها.

إن أمّه كانت «تُعِدُّه للرحيل، للسفر إلى القاهرة، عند خاله ليتعلّم، فلقد بدأ
يراهق، وغادَرَ مدرسة القرية منذ عامين، ولولا الثورة وانقطاع المواصلات، واضطراب
الأحوال، لسافر منذ ذلك الحين.

ولكن، ها هي ذي الحالة تهدأ، وساعده هويشتدّ، والمهمة التي جُنِّد من أجلها
تستعجله، فليسافر على بركة الله!»^(١).

وسافر عام ١٩٢٠م إلى القاهرة لإكمال دراسته فيها، وأقام عند خاله «أحمد
حسين عثمان» الذي كان يُقيم في حيّ «الزيتون» في القاهرة.

وكان خاله من خريجي الأزهر، واشتغل بالصحافة والتدريس، وكان يكتب في
الصحف بتوقيع «أحمد الموشي» نسبةً إلى قريته «موشة».

وكان خاله منتمياً لحزب الوفد، وصديقاً لعباس محمود العقاد، وكانا يسكنان في
منطقتين متجاورتين، فأحمد الموشي يسكن في حيّ «الزيتون» وعباس العقاد يسكن
في حيّ «مصر الجديدة»^(٢).

* * *

(١) طفل من القرية: ٢١٧.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢)

دراسته في القاهرة

سيد في مدرسة المعلمين الأولية

سافر سيد للقاهرة عند خاله «أحمد حسين عثمان» عام ١٩٢٠م، وانقطع عن الدراسة أكثر من سنة.

وفي عام ١٩٢٢م، التحق بمدرسة المعلمين الأولية، وكان لا يلتحق بها إلا مَنْ تجاوز الخامسة عشرة من عمره^(١).

والمدرسة التي التحق بها كانت تُسمى «مدرسة عبد العزيز» ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات^(٢).

وقد تخرج منها سيد عام ١٩٢٤م. حاملاً «إجازة الكفاءة للتعليم الأولي» وهي الشهادة التي تمنحها لخريجها.

والدراسة فيها تعادل الدراسة الإعدادية أو المتوسطة في هذه الأيام.

وكان حاملو «الكفاءة» يعملون مُدرسين في المدارس التابعة لوزارة المعارف. ولو أراد سيد أن يكون مُدرساً لثم له ذلك، وعندها يحصل على راتب حكومي ودخل ثابت - وبذلك يحقق أمنية أمه التي أعدته لذلك، ليعيد للأسرة أراضيتها التي باعها والده تحت ضغط الحاجة -.

(١) طفل من القرية: ٤٤.

(٢) سيد قطب، لعبد الباقي: ٥٤، من مقابلة لعبد الباقي مع محمد إبراهيم جبر، زميل سيد في الدراسة في تلك المدرسة وقتها.

ولكنه وجد في نفسه رغبة للاستزادة من العلم والدراسة، وطُمُوحاً إلى ما هو أعلى وأسمى. فآثَرَ تَرَكَ التفكير في الوظيفة، وصمَّم على الاستمرار في الدراسة!

سيّد في «تجهيزية دار العلوم»

كان الطلاب المتفوّقون في مدرسة المعلمين الأوليّة، يسمَحُ لهم بمواصلة الدراسة والتعليم، عن طريق الالتحاق بتجهيزية دار العلوم.

وبما أن سيّداً كان من المتفوّقين، فقد التحق بتلك المدرسة التجهيزية، عام ١٩٢٥م، وكانت تابعة لكلية دار العلوم.

ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، تكادُ تعادل الدراسة الثانوية الآن.

وقد عرّف السيّد محمد عبد الجواد في «تقويم دار العلوم» بهذه التجهيزية، ومنهاج الدراسة فيها وموادّها، ونقدّم ذلك للقارئ، ليقف على الموضوعات التي درّسها سيّد في دراسته الثانوية.

قال محمد عبد الجواد، عن التجهيزية: إنها كانت «تُعَدُّ الطلبة للدخول بمدرسة دار العلوم. وتجري الدراسة بها على غرار القسم الأدبي بالمدراس الثانوية، إلّا فيما يتعلّق بدراسة اللغات والترجمة، فيُستبدلُ بها علوم الدين الإسلامي والخطّ، وعلم الحياة، وعلم نظام الحكومات»^(١).

أما برنامج الدراسة الأسبوعي فيها، فهو كما يلي:

(١) سيّد قطب، لعبد الباقي: ٥٤ - ٥٥ نقلاً عن تقويم دار العلوم، لمحمد عبد الجواد.

حصص الأسبوع				أسماء المواد
السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	
٨	٨	٩	٩	اللغة العربية
٥	٥	—	—	الفقه
٢	٢	—	—	الدين الإسلامي
—	—	٥	٥	القرآن والتفسير والحديث
—	—	٣	٣	علم الحياة «بيولوجيا»
٤	٤	٦	٦	التاريخ والجغرافيا
—	—	٢	٢	نظام الحكومات
٨	٨	٤	٤	الرياضيات
٢	٢	٢	٢	العلوم الطبيعية
٢	٢	٢	٢	الرسم
١	١	١	١	الرياضة البدنية
٣٤	٣٤	٣٤	٣٤	مجموع حصص الأسبوع

سيّد في كلية دار العلوم

تخرّج سيّد من تجهيزية دار العلوم عام ١٩٢٩ م.

والتحق بكلية دار العلوم في نهاية نفس العام، وبقي فيها أربع سنوات، وتخرّج منها صيف عام ١٩٣٣ م، حاملاً معه شهادة «الإجازة العالية» — الليسانس — في اللغة العربية وآدابها.

وقد درّس سيّد في كلية دار العلوم: «العلوم الشرعية، والعربية، والمنطق وعلم الكلام والفلسفة، واللغة العبرية، واللغة السريانية، ومقارنتها باللغة العربية، والتاريخ، والاقتصاد السياسي، وغير ذلك».

«إلى جانب هذا كانت الكلية تصرف لطلّابها — غير الكتب الدراسية المقررة — كتباً أدبية ولغوية أخرى، قديمة وحديثة، لمن أراد أن يستزيد من المعرفة، من مثل

«الأمالى» و «العقد الفريد» و «الكامل» للمبرد، و «القاموس المحيط» و «فقه اللغة» للثعالبي»^(١).

سيد غير راضٍ عن منهاج الدراسة

لم يكن سيد راضياً عن منهاج الدراسة في كلية دار العلوم، رغم تنوع المواد الدراسية، وتركيزها على علوم الدين والأدب واللغة. وكانت عينه على «كلية الآداب» التابعة لجامعة القاهرة، وكان يتوقع أنها أفضل وأحسن في منهاجها من كلية دار العلوم. قال للدكتور طه حسين، عندما نقد كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» الذي صدر في الثلاثينيات:

«لقد كنت وأنا طالب، شديد الحنق على دار العلوم، شديد النقمة على تقصيرها في حق الثقافات الأدبية. وكنت أتخيل أن هناك على الضفة الأخرى للنيل [يعني كلية الآداب في جامعة القاهرة]، وفي مدرجات الجامعات عالماً آخر، من الثقافة الواسعة. وكان هذا التخيل يزيد نغمتي على المدرسة، التي لا تلبي حاجة نفسي. ومضت أيام، واختلطت بأبناء الضفة الأخرى، وقرأت ما يكتبون، فالحق أقول لك يا دكتور [يقصد طه حسين] لقد علمت أنني ظالم لنفسي ولمعهدي، وقد هدأت ثورتي، وزالت حدتها»^(٢).

وكان من أسباب عدم رضاه عن منهاج الدراسة في دار العلوم، تقصيرها في تدريس اللغات الأجنبية، ولذلك قال للدكتور طه حسين: «لا يحسب أحد أننا راضون كل الرضا عن ثقافة دار العلوم، فلا ريب أن جهل المدرس باللغة الأجنبية، يقص أجنحته عن التحليق، وعن متابعة آخر البحوث العلمية والنفسية لتجديد نفسه ومعلوماته».

«لا ريب كذلك أن دراسة الأدب ناقصة في هذه المدرسة، ومثلها دراسة التربية وعلم النفس»^(٣).

(١) سيد قطب، لعبد الباقي: ٥٥، نقلاً عن «خطى مشيناها»، لعباس خضر.

(٢) نقد كتاب «مستقبل الثقافة في مصر»: ٦٥. (٣) المرجع السابق: ٦٣.

سيّد الطالب في الكلية يقترح تغيير منهاجها

لم يكتفِ سيّد بإعلانِ عدمِ رضاه عن مناهجِ الدراسة في الكلية، وإنما خطا خطوةً إيجابيةً عمليةً، وكانت خطوةً عجيبةً حقاً. لقد قدّم وهو طالبٌ في الكلية مذكرةً لإدارتها، يقترحُ فيها تغييرَ منهاج الدراسة فيها!

قال للدكتور طه حسين: «ولقد سبقَ لي أن صرحتُ بها وأنا طالبٌ في المدرسة منذ ست سنوات، وقد قدّمتُ بها اقتراحات، ضمنتها برامجَ كاملةً للدراسة في المدرسة، إلى صاحبِ العزّة ناظرها، واقتُرحتُ أن تكونَ المدرسة تجهيزيةً خاصة، تُدرّسُ بها اللغة الإنجليزية منذُ أولِ سنة، وتتوسّعُ في دراسة العربية وعلوم الدين، فتُهيئُ بذلك للقسم العالي، على أن تستمرَّ دراسة الإنجليزية في هذا القسم، ويتوسّعُ في دراسة اللغة العبرية وفي علوم التربية، ويُخلَقُ درسُ النقد الفني بجانب تاريخ أدب اللغة الذي يُدرّسُ الآن، وتزادُ سنواتُ الدراسة بالقسم العالي إلى ستِ سنوات، تنتهي بتقديم رسالة، ويستقلُّ مجلسُ إدارتها بتسيير نظامها»^(١).

والذي يثيرُ الانتباهَ والإعجابَ معاً، أن يفكرَ وهو طالب بتغيير منهاج الدراسة، وأن يضعَ المنهاجَ المقترحَ الذي يراه أنسبَ وأصلح. والأهمُّ من كل هذا هو أن يقدمَ اقتراحه هذا بمذكرة صريحة إلى إدارة الكلية، بجرأةٍ وشجاعةٍ وإقدام.

سيّد يدير النقاشات الأدبية

لم يكنْ سيّد في الكلية مجردَ طالبٍ عادي، كما هو شأنُ معظمِ الطلاب، وإنما كان كُله حيويةً ونشاطاً وبحثاً واطلاعاً.

كان معروفاً بين الطلابِ بآرائه النقدية، وكان يقدّمُ رأيه في موضوعاتِ الأدبِ والنقد والشعر، بصراحةٍ وشجاعةٍ وجِدّة.

وكثيراً ما كان يديرُ النقاشاتِ الأدبية والنقدية في الكلية، وينقسمُ الطلابُ فيها إلى قسمين أو أكثر، وكان يتزعّمُ القسمَ الذي يرى رأيه في مواجهة القسمِ الآخر، وكانت النقاشاتُ والمعاركُ الأدبية حادّةً عنيفةً قاسية.

(١) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٦٤.

ومن الأمثلة على تلك النقاشات، انتقاده لأدب مصطفى صادق الرافعي، وهجومه عليه، وتحذيه للطلاب الذين يؤيدون الرافعي، ويُعجبون بأدبه، ومنهم محمد سعيد العريان ومحمود شاكر.

قال محمد رفيق اللبائدي - من فلسطين - معلقاً على المعركة بين سيد قطب وبين محمود شاكر، حول أدب الرافعي في مجلة الرسالة:

«أنا أعرف رأي الأخ قطب في الرافعي من قبل، وأعرف أنه رأي غير تقليدي. فلقد كنت في دار العلوم، وكانت حلقة الإخوان تضم قطباً، وكنا دائماً على طرفي نقيض، فجماعة منا مع الرافعي، وأخرى عليه. وكان - على ما أذكر - الأخ قطب لسانها»^(١).

سيد يخالف أساتذته

ولم يقف خلافه في الرأي مع الآخرين عند زملائه الطلاب، بل شمل أساتذته. فقد كان يخالفهم في الرأي بشأن بعض المسائل الأدبية والنقدية، يخالفهم بأدب واحترام وتقدير.

ومن الأمثلة على ذلك، رأيه في «أحمد شوقي» وحكمه على شعره، ونقده الحاد له.

فلما ألقى محاضرة في مدرج «كلية دار العلوم» - وهو طالب في الكلية - عن «مهمة الشاعر في الحياة»، أورد بعض الأبيات الشعرية لأحمد شوقي، ونقدها بعلمية وموضوعية، وبين ما يأخذه على أحمد شوقي فيها، بصراحة وجرأة وشجاعة.

وقد استدرك على حكمه على شعر شوقي أساتذه «محمد مهدي علام» وقال: «ولا أتردد هنا في أن أعلن أنه قاسٍ على «شوقي» قسوة لا أغفرها له. لقد نقب في شعر شوقي، حتى أخرج منه سقطات، لا يسلم منها فحل من فحول الشعراء، في أي عصر، أو في أية أمة. وليس ذلك من الإنصاف، لأن لشوقي كنوزاً عظيمة من الشعر

(١) مجلة «الرسالة»، السنة السادسة. المجلد الثاني. عدد: ٢٦١. صفحة: ١١٠٥.

الخالد، كان جديراً بالمحاضر أن يضعها في كفة، وتلك السقطات في كفة أخرى. ولست أشك في أنه إن فعل، رجح كفة الحسنات ترجيحاً^(١).

ولم يسكت سيد على استدراك أستاذه، ولم يسلم بانتقاده له، فرد عليه قائلاً: «مع احترامي الكثير لما ذكره أستاذي عن شوقي. إني أميل إلى أن أقرر: أنني فيما ذكرته في محاضرتي، لم أكن بصدد إصدار حكم على «شوقي» وإنما اخترت أمثلة من شعره، وإذا كنت قاسياً في تعليقي، فتلك قسوة على المثال الذي اخترته، لا قسوة على شوقي نفسه.

وإن كان رأيي في «شوقي» كله، بعد دراسة كاملة لكل ما أنتجه، لا يختلف كثيراً عن تعليقي على الأمثلة المختارة.

وبهذه المناسبة، أعد بأن أكتب نتيجة دراستي لشوقي في محاضرة أو كتاب آخر، يتسع للبحث والدراسة والاستقصاء، ويكون رأيي إذ ذاك مؤيداً بكل ما أنتجه شوقي، بلا استثناء.

وأنا أعود، فأشكر لأستاذي الفاضل، أن حفزني إلى إخراج مبحث جديد^(٢).

قال هذا الكلام عام ١٩٣٢م، وهو طالب في السنة الثالثة في الكلية!

تقدير أساتذته له

كان أساتذته في الكلية يقدرونه، وكانوا معجبين به وبعلمه وهمته وشخصيته، رغم أنه كان يخالفهم في بعض الآراء والمسائل والقضايا الفكرية والأدبية.

ومن إعجابهم به وتقديرهم له، موافقتهم على أن يلقي المحاضرات الأدبية على مدرج الكلية، ويستمع لها الطلاب والأساتذة، ويقدمه فيها هؤلاء الأساتذة.

ففي عام ١٩٣٢م، وهو طالب في السنة الثالثة، رُتبت له محاضرة أدبية نقدية

(١) مهمة الشاعر في الحياة. تقديم محمد مهدي علام: ١٠.

(٢) مهمة الشاعر في الحياة: ١١.

بعنوان، «مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر»، وقدمه فيها أستاذة «محمد مهدي علام»، وقال في التعقيب عليها:

«ولئن كنت قد قدّمت المحاضر «سيد قطب» بأنه طالب، يسرني أن يكون أحد تلاميذي، فإنني أقول اليوم – وقد سمعت محاضراته – إنه لو لم يكن لي تلميذ سواه، لكفاني ذلك سروراً، وقناعة، واطمئناناً إلى أنني سأحمل أمانة العلم والأدب، من لا أشك في حسن قيامه عليها.

يعجبني في كاتب هذه المحاضرة، جرأته الحازمة، التي لم تسف، فتصبح تهوراً، ولم تذل فتغدو جبناً، وإن هذه الجرأة الرشيدة التي دعت إلى الاستقلال برأيه في بحثه – حتى ولو خالفنا في بعض ما نعتقده من الآراء الأدبية – لهي التي تجعله أحب إلى قلوبنا.

وقصارى القراء، أن أقول لهم: إنني أعُدُّ «سيد قطب» مفخرة من مفاخر «دار العلوم»، وإذا قلت «دار العلوم» فقد عنيت دار الحكمة والأدب»^(١).

من أعز أصدقائه في الكلية

كان لسيد وهو طالب في الكلية أصدقاء كثيرون، بعضهم استمرت صداقته معه، وصلته الوثيقة به، حتى بعد التخرج، والدخول في معترك الحياة.

من هؤلاء الأصدقاء «سعد اللبان»، «رئيس جماعة دار العلوم»، ووزير التربية والتعليم في أول حكومة بعد الثورة.

ومنهم «محمد إبراهيم جبر»، المدرس ثم المدير في مدارس التربية والتعليم، الذي كان سيد يرأسه وهو في أمريكا.

لكن من أعز أصدقائه، وأخلص أصفياه رجلين:

الأول: «فايد العمروسي» وهو أديب، وشاعر مبدع، وكاتب ومؤرخ.

ولما طبع سيد أول ديوان شعر له «الشاطئ المجهول» عرّف به فايد العمروسي،

(١) مهمة الشاعر في الحياة: ٩ – ١٠ باختصار.

وحلّله تحليلاً جيداً، في مجلة دار العلوم^(١).

وقد نشر «فايد» سلسلة من كتب التاريخ وأعلام المسلمين وأبطالهم، بأسلوب رشيق مؤثر، للناشئة من الفتیان والفتيات.

الثاني: هو «عبد العزيز عتيق»، هو أديب وشاعر، وكاتب وناقد.

ولما ألف عتيق أول ديوان شعر له «ديوان عتيق» عام ١٩٣٣م، كتب له سيد قطب مقدمة جيدة، عرّف فيها بالشاعر، واتجاهات شعره، وشاعريته، وبين فيها أنه أعرف الناس بشخصية صاحب الديوان، وبتصرفاته في الحياة، وبأفكاره وخواطره ودراسته^(٢).

وقد تخصص «عبد العزيز عتيق» في الأدب والنقد، وحصل على درجة «الدكتوراة» في الأدب، وعمل أستاذاً للأدب والنقد في جامعة بيروت العربية، وأصدر عدة كتب في الأدب والنقد والبلاغة، لطلبة الجامعة.

وقد توفي هذان الأديبان بعد منتصف السبعينيات، وكم كنت حريصاً على الالتقاء بهما، للوقوف على ما عندهما من أخبار عن سيد قطب، وحديث عن حياته وشخصيته ومواهبه وأعماله، لكن «الأجل» كان أسبق مني إليهما!!

من نشاطاته في الكلية

لم تكن اهتمامات سيد، وهو طالب في الكلية، اهتمامات أدبية أو ثقافية فقط، فقد كان له نشاط بارز في المجالين السياسي والاجتماعي، ولا ننسى أنه كان عضواً في حزب الوفد، وأنه كان يكتب المقالات في الصحف والمجلات.

ونشير إلى واحد من نشاطاته السياسية والاجتماعية في تلك الفترة:

فعندما افتتح «بيت المغرب» في مصر، وعُيّن «المكي الناصري» أول مدير له، وكان هذا عام ١٩٣٨م. قال سيد قطب: «ولقد كان لي من قبل حظ معرفة الرجل

(١) مجلة «دار العلوم». السنة الأولى. العدد الرابع. صفحات: ٢٢٠ - ٢٢٥.

(٢) مجلة «الرسالة». السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٧. صفحة: ١٠٨٦.

الوطني العامل، الذي يشرف اليوم على بيت المغرب، بأقسامه الثلاثة، إذ كان يدرس بمصر عام ١٩٢٩م، وكانت وجهتنا إذ ذاك مع نخبة من أكرم الإخوان المصريين والشرقيين أن نؤلف جمعية للطلبة من هؤلاء وهؤلاء، تُمكن من الروابط بين الجميع، وتعمل للمستقبل في توثيق العلاقات، وتسهّل للطلبة الشرقيين وسائل العلوم والراحة في مصر. وكان الأستاذ المكي الناصري أشدّ المتحمسين للفكرة، وكنا نجتمع غالباً - في داره، للمباحثات في تحقيق هذا الأمل الكريم»^(١).

سيد يشارك في تأسيس جماعة «دار العلوم»

تداعى جماعة من طلاب كلية دار العلوم، إلى تأسيس جمعية من خريجي الكلية، بهدف الدفاع عن اللغة العربية وآدابها وعلومها، والوقوف في وجه أعدائها. وكان في مقدّمة القائمين على الدعوة، زميلان صديقان لسيد، هما «سعد اللبان» و«محمد إبراهيم جبر». وكان سيد من بين المشاركين في الدعوة إلى تأسيس الجماعة.

وتأسست الجماعة باسم «جماعة دار العلوم» عام ١٩٣٣م - نفس السنة التي تخرج فيها - وأصدرت الجماعة مجلة هي مجلة «دار العلوم»، وكانت فصلية - تصدر أربع مرات في السنة - وصدرت المجلة أربع عشرة سنة كاملة - منذ ١٩٣٤م إلى ١٩٤٧م - وقد نشر فيها سيد مجموعة من مقالاته الأدبية والنقدية والفنية والاجتماعية. من أشهرها وأكبرها حجماً، مقالته عن «نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر» للدكتور طه حسين، والذي أصدره في كتاب مستقل بعد ذلك.

«ومن الواضح أن سيد قطب كان عضواً في الجماعة، ومشاركاً في كل نشاطاتها، كأي «دُرْعَمِيٍّ» عادي - نسبة إلى دار العلوم - ولم يكن من النخبة القائدة، إذ كان الأدب والنقد يملآن عليه حياته، ويُشغلان كل وقته»^(٢).

(١) مجلة «الرسالة». السنة السادسة. المجلد الثاني. عدد: ٢٨٢. صفحة: ١٩٣٧.

(٢) صحيفة «اللواء» الأردنية. عدد: ٧٠٠. تاريخ ٨/١٠/١٩٨٧. صفحة: ١٩. نقلاً عن مجلة «الهلال» المصرية. أكتوبر ١٩٨٦م. مقال الطاهر أحمد مكي «ثلاث رسائل لم تنشر للشهيد سيد قطب».

ولم ينسَ جماعةَ دار العلوم، حتى وهو في أمريكا، كان يفكرُ فيها، ولذلك بعثَ رسالةً إلى زميله «محمد إبراهيم جبر» يطلبُ منه فيها إخبارَه عن أحوال الجماعة. قال له فيها: «أنا أعرفُ أنك أنت لا يهْمُكَ لشخصِكَ شيءٌ، ولكن للجماعة طرفاً آخر، ومصالح عامة.

ثم ما هي أحوالُ الجماعة اليوم؟ من هم أعضاء مجلسِ إدارتها؟ كيف تسيّرُ الأمورُ داخلها وخارجها. كلُّ أولئك من حقي أن أعرف عنه شيئاً»^(١).

* * *

(١) المرجع السابق «اللواء» صفحة: ٣١.

(٣)

وظيفته في وزارة المعارف

سيّد مدرس في المدارس

تخرّج سيّد من كلية دار العلوم في صيف عام ١٩٣٣ م.

وقد عمل فور تخرّجه في مدارس الوزارة مُدرّساً.

وقد سجّل الباحث «عبد الباقي محمد حسين» - عندما كان يُعدّ رسالة الماجستير

عن سيّد قطب وأدبه - المدارس التي عمل مدرّساً فيها، واستخرج ذلك من ملف

سيّد قطب بوزارة التربية والتعليم.

وملف خدمته محفوظ بإدارة القيد والحفظ بديوان عام الوزارة. رقم ورمز

الملف: ١٢ - ٢١/٥^(١).

عُيّن مدرّساً في «تحضيرية الداوودية» في القاهرة، بتاريخ ١٢/٢/١٩٣٣ م.

براتب شهري قدره ستّ جنيهات! وظلّ فيها حوالي عامين.

انتقل إلى مدرسة دميّاط الابتدائية بتاريخ ١/٩/١٩٣٥ م. ولم يناسب طقس

دميّاط وجوّها صحّته المرهقة، لما فيها من رطوبة تؤذيه، فعمل على أن ينتقل منها.

انتقل إلى مدرسة بني سويف الابتدائية بتاريخ ١/١٢/١٩٣٥ م.

انتقل إلى مدرسة حلوان الابتدائية بتاريخ ١/١١/١٩٣٦ م^(٢).

(١) سيّد قطب، لعبد الباقي: ١٧. نقلاً عن ملف خدمته في الوزارة.

(٢) المرجع السابق: ٢٨.

وبعد أكثر من ست سنوات في مهنة التدريس، انتقل سيّد إلى وزارة المعارف بتاريخ ١٩٤٠/٣/١ م^(١).

سرّ إقامته في حلوان

لما انتقل إلى حلوان في نهاية عام ١٩٣٦ م، كانت ضاحية شبه ريفية، من ضواحي القاهرة، إلى الجنوب منها.

وقد استقرّ فيها استقراراً نهائياً. حيث استأجر بيتاً واسعاً يملكه مأذون حلوان. ثم اشتراه منه بعد ذلك بألفي جنيه. وكان البيت مُحاطاً بحديقة جميلة واسعة، تمتدّ مساحتها إلى نصف فدان^(٢).

وكان في حديقة البيت شجرة عتيقة كبيرة، ممتدة الأغصان، وكان لسيد مقعده الوثير تحت تلك الشجرة، وكان يلتقي بأصدقائه وزائريه تحت الشجرة، وقد تدلّت من بين أغصانها مصابيح الكهرباء، وجعل حجرة مكتبه بالقرب منها، تطلّ نافذتها عليها^(٣).

والذي جعله يختار «حلوان» للإقامة الدائمة فيها، هو جوّها المعتدل الجاف الخالي من الرطوبة، وشمسها المشرقة، لأن صحته المرهقة المتعبة لا تحتمل الرطوبة والبرد، والزكام والزحام!!

سيّد موظف في الوزارة

انتقل سيّد إلى الوزارة بتاريخ ١٩٤٠/٣/١ م.

وعمل فيها محرراً عربياً في مراقبة الثقافة العامة.

ثم نُدب إلى إدارة الترجمة والإحصاء بتاريخ ١٩٤٠/٤/١٧ م.

(١) المرجع السابق: ٣٠.

(٢) سيّد قطب من القرية إلى المشنقة، لعادل حمودة: ٦١.

(٣) مقال «تحولات كاتب»، لسليمان فياض. صحيفة اللواء الأردنية. عدد: ٦٩٦. بتاريخ

١٠/٩/٨٦. صفحة: ٧.

ثم نُقل مفتشاً بالتعليم الابتدائي بتاريخ ١٩٤٤/٧/١ م، وكان هذا النقل بسبب غضب وزير المعارف عليه، لنشاطه الثقافي والأدبي والسياسي^(١).

أُعيدَ إلى إدارة الثقافة العامة في أبريل - نيسان - ١٩٤٥ م، وكان رئيسه فيها «أحمد أمين»^(٢).

بقي في عمله حتى أواخر عام ١٩٤٨ م، حيث رتب المخططون في الوزارة له مهمة علمية إلى أمريكا، حيث سافر إلى أمريكا في ١٩٤٨/١١/٣ م. وكان سفره «في بعثة علمية من وزارة المعارف، للتخصص في التربية وأصول المناهج»^(٣) - كما هو مسجل في ملفه في الوزارة بالحرف^(٣).

بقي سيد في أمريكا حوالي سنتين. ثم عاد منها بتاريخ ١٩٥٠/٨/٢٣ م. عُيِّنَ بوظيفة مراقب مساعد بمكتب وزير المعارف، وكان وقتها «إسماعيل القباني».

نُقلَ إلى منطقة القاهرة الجنوبية التعليمية في ١٩٥١/١٠/٢٢ م. أُعيدَ إلى الوزارة في ١٩٥٢/٥/١٧ م ليعمل مراقباً مساعداً بالبحوث الفنية والمشروعات.

وأخيراً قدّم استقالته من الوزارة في ١٩٥٢/١٠/١٨ م^(٤).

قبول استقالته من الوزارة

فوجيء العاملون في الوزارة - وعلى رأسهم الوزير إسماعيل القباني - باستقالة سيد من الوظيفة.

وقد حاول الوزير بشتى الوسائل إقناع سيد بالعدول عن الاستقالة، وعودته إلى

(١) سيد قطب، لعبد الباقي : ٣٠.

(٢) المرجع السابق : ٣١.

(٣) المرجع السابق : ٤٠.

(٤) المرجع السابق : ٤٣.

العمل، وأخيراً الاستقالة أكثر من سنة، على أمل عُدول سيّد عنها.

ولما أصرّ سيّد عليها، رفع الوزير إسماعيل القباني، الاستقالة إلى مجلس الوزراء - الذي كان يرأسه البكباشي جمال عبد الناصر - في ٣٠/١٢/١٩٥٣ م.

وقال في المذكرة التي رفعها لمجلس الوزراء: «ولما كنتُ - بالرغم من هذا - أعتقدُ أن به بعض النواحي الطيبة، التي يمكن الاستفادة منها، وأنّ له من قوة تفكيره وكفايته، ما يجعله قادراً على الإنتاج، فقد حاولتُ أن أثنيه عن عزمه، وأن أقنعه بالعودة إلى عمله. وكانت آخر محاولة لذلك في الأسبوع الماضي، ولكنه أصرّ على طلبه، وكان طول هذه المدة ممتنعاً عن العمل».

وكان القباني يقدرُ سيّد - رغم اختلافه معه - فلم يشأ أن يخسر سيّد خدمته التي قاربت تسعة عشر عاماً، ولذلك طلب من مجلس الوزراء أن يضيف إلى مدة خدمة سيّد سنتين أخريين، ليستكمل المدة القانونية للمعاش، ليستحقّ الراتب التقاعدي.

وفي ١٣/١/١٩٥٤ م وافق مجلس الوزراء في حكومة الثورة على استقالة سيّد قطب من الوزارة من تاريخ تقديم سيّد لها، وهو ١٨/١٠/١٩٥٢ م، وليس من تاريخ موافقة المجلس عليها، ولم يأخذوا بتنسيب القباني في زيادة مدة خدمته ليستحقّ الراتب التقاعدي.

وقرار مجلس الوزراء فيه إضراراً بسيّد، وأُتخذَ بعد تأزم علاقات حكومة الثورة بجماعة الإخوان المسلمين^(١).

لقد كانت خدمة سيّد في الوزارة من ٢/١٢/١٩٣٣ م، إلى ١٨/١٠/١٩٥٢ م. وكان مجموعها: ثمانية عشر عاماً، وعشرة أشهر وستة عشر يوماً.

من اقتراحاته لتحسين العملية التربوية في الوزارة

لم يكن سيّد في عمله في الوزارة مجرد موظفٍ عادي، كمعظم الموظفين. بل كان دائم التفكير في تحسين العملية التربوية، يفكرُ بعمل الوزارة ومناهجها ووسائلها،

(١) سيّد قطب، لعبد الباقي: ٤٣، نقلاً عن ملف خدمته في الوزارة.

ويضعُ الخططَ التي يراها لمسيرتها، ويقومُ بالدراسات، ويُعدُّ التقارير، ويقدمُ المقترحات. يفعل هذا في جرأةٍ وشجاعة، وصراحة ووضوح.

كان يقدمُ مقترحاته، ولو أدى ذلك إلى غضبِ رؤسائه، إذ لم يكن همُّه كسبَ رضاهم، والتزلفَ إليهم، والحرصُ على الترقيات والزيادات والترفيعات، كمعظم الموظفين. وإنما كان همُّه قول ما يرى أنه الحق، والتفكير المستمر في رفع مستوى الأجهزة في الوزارة، وتحسين أدائها.

ولقد قدّم الكثير من المقترحات، وأشار هو إلى بعضها:

منها مقترحاته في تعديلِ منهاجِ الدراسة بكلية دار العلوم، والتي قدّمها إلى إدارة الكلية، وهو طالب فيها. ولم تأخذ الإدارةُ بها وبقي مصرّاً عليها بعد أن عمل في الوزارة - كما قال لطفه حسين^(١) - .

ومنها اقتراحاته لإصلاحِ دروس النحو والبلاغة والصرف والإملاء^(٢).

ومنها «مشروع الترجمة» الذي أعده، وقدّمه للوزارة، ووضع فيه خطةً عامة للترجمة. وقد اهتمت به الوزارة فترة ثم أغفلته^(٣).

ومنها اقتراحه الذي قدّمه للوزارة بخصوص «مكتبات المدارس» الذي يقول عنه: «لقد اقترحتُ مرّةً على وزارة المعارف أن تُزيلَ الغبارَ عن سمعتها في أسواق الورّاقين، وهي سمعة لا يسرُّ الوزارة أن تعرفها، ورائحة لا يريحها أن تشمّها. لقد اقترحتُ عليها أن تنشئ ألفَ مكتبة فرعية صغيرة، في المدن والقرى الكبيرة، ولا يكلفُ إنشاءُ الواحدة منها أكثرَ من مائة جنيه. . .»

أما سببُ رفضِ اقتراحه فهو: «لأنه يحرمُ بعضَ دور النشر المحظوظة من الاستيلاء على أكبر مبلغ من ميزانية الكتب في وزارة المعارف، ويحرمُ بعضَ ذوي

(١) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٦٤.

(٢) المرجع السابق: ٥٥ - ٥٦.

(٣) مجلة الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٦١٨. صفحة: ٤٦٦.

النفوذ من الاتجار بنفوذهم في سوق الوراقين، ويحرم بعض ذوي الشفاعات من المؤلفين، أن يستمتعوا بالربح الحرام»^(١).

ومنها اقتراحه الذي قدّمه إلى وزير المعارف - الدكتور عبد الرزاق السنهوري - عام ١٩٤٧م، ووضع فيه خطة شاملة لتغيير نظام دراسة التاريخ، كي يُقام على أساس سليم^(٢).

وبعدما عاد من أمريكا عام ١٩٥٠م، قدّم للوزارة عدة اقتراحات لتحسين العملية التربوية، وقام بعدة محاولات لإصلاح جهاز الوزارة. أشار إلى بعضها قائلاً: «ألم أحاول عشرين مرة - بعد عودتي من البعثة إلى أمريكا - أن أنشئ لوزارة المعارف إدارة فنية صحيحة، تُقيم نظم التعليم ومناهجَه على أساس سليم، ففشلت في هذه المرات فشلاً ذريعاً، لأنَّ المراد في هذه المرة كان إصلاحاً في الصميم»^(٣).

وقد نشر هذا الكلام في مجلة الرسالة في شهر يوليو ١٩٥٢م، بعد تقديم استقالته، وكأنّه يبيّن فيه أسباب تقديم استقالته.

نموذج لمضايقة رؤسائه له

أشار سيّد قطب إلى نموذج من مضايقة رؤسائه في الوزارة له، وتوجيههم الإنذارات له. وذلك في مقال نشره في مجلة الرسالة، عام ١٩٤٦م، بيّن فيه سبب نقلهم له من وظيفته في الوزارة، إلى وظيفة مفتش، وأنه كاد يستقيل في ذلك العام، لولا إقناع الدكتور طه حسين - المستشار في الوزارة وقتها - له بالعدول عنها.

قال: «كانت الحرب، وكانت الأحكام العرفية. وقال الوزير - هو أحمد نجيب الهلالي - : لا بدّ أن يفصل هذا الموظف، أو يُنفي من الأرض، أو يُشرد فيها. فقد أبلغتني إدارة الأمن العام عنه أشياء!! إدارة الأمن العام؟ أي، إدارة الأمن العام..»

(١) مجلة الرسالة. السنة التاسعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٩٤١. صفحة: ٧٩٩.

(٢) مجلة «الرسالة». السنة العشرون. المجلد الأول. عدد: ٩٩٥. تاريخ ٢٨/٧/١٩٥٢. صفحة: ٨٣٧.

(٣) المرجع السابق.

وأبلغتني أنه يعمل لحساب المعارضة.

ثم إن «دوسيهه» ليس نظيفاً. فيه إنذاران على كتابته في الصحف مقالات سياسية وهو موظف! موظف، أي: عبد. لا رأي له في قضية بلده، ولو لم يكن لهذا الرأي صفة الحزبية.

وأبلغت أنني منفي من الأرض.

وقررت أن أستقيل! وأبأها الدكتور طه حسين. وقال: لن تصنعها وأنا هنا في الوزارة.

قلت: ولكنني لن أخضع لأهواء الوزراء. واجهوني بما يُقال عني، ثم اصنعوا ما تشاءون. وسأصنع كذلك ما أشاء.

قال: وإذا استقلت فماذا تصنع؟ وأنا أعرف أعباءك الثقال.

قلت: أصنع ما يتهيأ لي، فلست من عجرة الديوان.

قال: لن تستطيع أن تصنع شيئاً في هذه الأيام، فالأحكام العرفية تملك أن تعتقلك إلى أي مكان، وأن تلزمك الإقامة في هذا المكان، حتى لو استقلت من الحكومة، فخير لك أن تقيم فيه موظفاً، ولا تقيم فيه منفيّاً.

قلت: معذرة يا سيدي الدكتور، فإني أفضّل أن أقيم هناك منفيّاً... ثم... ثم...
إنني سأكون بطلاً في عهد الوزارة القادمة، ولم لا! ألم تتدهور البطولة عندنا، حتى صارت تُكتسب بالنقل إلى جهة نائية في عهد من العهود، أو بالتخلف عن درجة استثنائية كالزملاء!

وقال الرجل: أتدري ما نسب إليك؟

قلت: وهل أدري ما يُنسب إليّ؟

قال: أشياء. جلست في بار «اللواء»، وقتلتها لبعض الجالسين والأصدقاء عن بعض الوزراء! ومعارضات سرية للعهد الماضي، تنفيذاً لخطة حزبية معينة.

قلت: لقد اعتدت أن أنشر آرائي، وأن أوقعها بإمضائي، فليس من عادتي أن

أثرثر في المجالس بشيء، أو أن أعمل في الخفاء.
قال: وأنت عندي مصدق. فدع لي الأمر، وسأحدث أزمة من أجلك لواقضى
الحال!

ووفق الرجل بين أريحته الكريمة وتشدد الوزير. فكلّمني أن أقوم بمهمة تفتيشية
في الصعيد، لمدة شهرين، أختار فيها من الجهات والمدارس ما أشاء. وأكتب تقريراً
شاملاً عن دراسة اللغة العربية في المدارس على اختلافها، وأفصل اقتراحاتي في
إصلاح هذه الدراسة بصفة عامة.
ووجدت في ذات المهمة ما يُغري، وفي أريحة الرجل ما يُخجل. فنفذت
التكليف!«^(١).

* * *

(١) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨١. تاريخ ١٩٤٦/٧/٢٢ م. صفحة:
٧٩٦ - ٧٩٧. وانظر سيد قطب، لعبد الباقي: ٣٠ - ٣١.

(٤)

مقالاته في الصحف والمجلات

صلته بالصحف والمجلات مبكرة

بدأت صلة سيّد قطب في الصحف والمجلات في وقت مبكر من حياته، فمنذ أن وصل القاهرة وأقام عند خاله الصحفي، وهو متصل بتلك الصحف.

أول مقال نشره في صحيفة «البلاغ» اليومية، عام ١٩٢٢م، أي بعد عام من وصوله إلى القاهرة. وكان عمره ستة عشر عاماً، وكان طالباً في «مدرسة المعلمين الأولية».

وفي ذلك يقول – في جريدة «الأسبوع» في مايو ١٩٣٤م – «وإذا كنت قد كتبت في الصحف من اثني عشر عاماً، فأنا أذكر أن أوان مقالة لي في صحيفة يومية «البلاغ» كانت عن طرق التدريس»^(١).

ويبدو أنه كتب في بعض الصحف الأسبوعية قبل صحيفة «البلاغ» فقد كتب «علي أحمد عامر» في صحيفة «الأسبوع» في يوليو ١٩٣٤م كلمة عن سيّد قطب، قال فيها: سيّد قطب قد استهل حياته بالعمل الصحفي على ضروبه وألوانه. فقد قرأته من ثلاثة عشر عاماً شاعراً في صحيفة «الحياة الجديدة» ثم قرأته بعدئذ شاعراً وكاتباً في «البلاغ»، ثم ها أنا الآن أقرأه – صحبتك – شاعراً وكاتباً في «الأهرام» و«الأسبوع»^(٢).

وممن ساعد على هذه البداية المبكرة مع الصحف والمجلات، خاله الصحفي

(١) الأسبوع. السنة الأولى. عدد: ٢٦. تاريخ ٢٣ مايو ١٩٣٤م. صفحة: ١٤.

(٢) الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ٢٥ يوليو ١٩٣٤م. صفحة: ٨.

الوفدي «أحمد حسين عثمان»، والأديب الصحفي الوفدي «عباس العقاد»، وحزب الوفد الذي فتحَ لسيد أبواب صحفه، بسبب انضمامه له.

واستمرت صلته بالصحف والمجلات أكثر من ثلاثين عاماً، ولم تتوقف إلا عند إدخاله السجن عام ١٩٥٤م.

إعجاب بجهوده وثناء عليه

كان سيد قطب «مُكثرًا» من الكتابة في الصحف والمجلات، يكتب في صحفٍ يومية، ومجلاتٍ وصحفٍ أسبوعية، يكتب نثراً ونظماً، ويكتب مقالاتٍ أدبيةً نقدية، أو تربوية، أو اجتماعية، أو سياسية!!

وفي هذا يقول «عبد الباقي محمد حسين» مبيّناً غزارة مقالاته: «لم يُنتج سيد قطب في فنٍّ أدبيٍّ أكثر مما أنتج في فنِّ المقالة، ولعلَّ نظرة على «البليوجرافيا» الملحقة بالبحث تؤكد ذلك»^(١).

كتب في ذلك الوقت المبكر من حياته «منذ عام ١٩٢٢م بالبلاغ اليومي والأسبوعي وكوكب الشرق والوادي والمصور، وغيرها من الصحف». على حدِّ قوله^(٢).

وقد أدت هذه الجهود الأدبية والمقالات المختلفة إلى إعجاب الآخرين به، وثنائهم عليه، وإقبالهم على نتاجه.

وبعضهم كان يكتب في الصحف معجباً به وبجهوده ومقالاته وأفكاره، كما أن بعضهم كان يخالفه ويهاجمه في الصحف.

كتب «علي أحمد عامر» عام ١٩٣٤م كلمةً في مجلة «الأسبوع» بعنوان «تحت المصباح: الأستاذ سيد قطب» أشادَ فيها بجهود سيد في الأدب والنقد والشعر، وأعجبَ بنتاجه الغزير، ومقالاته العديدة.

ومما جاء في تلك الكلمة قوله: «ذلك هو صديقنا الشاعر الناشر الصحفي «سيد

(١) سيد قطب: حياته وأدبه، لعبد الباقي حسين: ٢٦٤.

(٢) الأسبوع. المجلد الرابع. عدد: ٤٣. تاريخ ١٩/٩/١٩٣٤م. صفحة: ٩.

قطب» فقد طالما دفعته الدنيا إلى مُلابسة الرجولة، بينما هو في بداءة مرحلة الشباب، وقد طالما أسرفت حقائق الحياة معه، فأذنت له أن يجمع أعصابه على موازنات في الأدب والشعر والنقد. كان قرأء الصحف ينصرفون إليها مغتبطين، ومؤمنين أنهم مُلاقون فيها شيخاً، كشفت تجاربه وجوه الأشياء جميعاً، وكشفت له السنون الطويلة خبايا الناس، وطوايا الفنون.

ولو أنهم أبصروا به تلميذاً، يقتعد أريكته في حجرة الدراسة باحثاً عن «خبر كان»، منقّباً عن «غزوة أُحد»، كادحاً وراء «فقه اللغة»، دائباً على مصاولة الشعراء العباسيين لأسلافهم من شعراء أمية...

ولو أنهم بَصُروا به متحفزاً، يثب إلى مكتبه مع الليل، يستذكر الدرس، ثم يكتب رسالة الغد إلى الصحيفة التي يعمل فيها. ثم يُفشي بين المرحلتين سر نفسه في قصيدة، يطويها إلى صدره، حتى يؤذن لها أن تذوع...

لو أنهم بَصُروا به في هذه المشاهد، التي يؤلف ما بينها التناقض، لأنكروا على ابن الخامسة عشرة أن يقول الشعر، ولأنكروا على ابن المدرسة أن يكابد التحرير. ولكنه «سيد قطب» طراز وحده في أدباء الشباب.

... في هذا الهيكل الناحل، وفي تلك الابتسامة الخاطفة، وفي هذا الرأس الدقيق، تأتلف جماعة من القوى الصاخبة، ولكنها لا تلبس قفاز الملاكمة، إلا حين يكون مُلقياً همّه في زمرة من الورق الأبيض، يجري عليها بقلمه، فإذا السطور السوداء رسالات من دخائل الحياة.

ويشير علي عامر إلى المجلات التي كتب سيد فيها بقوله: «والذين يعنون بدراسة الناس من نواحيهم جميعاً، سيدهشهم بلا ريب أن يكون سيد قطب قد استهل حياته بالعمل الصحفي، على ضروبه وألوانه.

فقد قرأته من ثلاثة عشر عاماً شاعراً في صحيفة «الحياة الجديدة»، ثم قرأته بعدئذٍ شاعراً وكاتباً في «البلاغ»، ثم ها أنا الآن أقرأه - صحبتك - شاعراً وكاتباً في «الأهرام» و «الأسبوع»...

ويختم علي أحمد عامر كلمته بالإعجاب بسيد ونتاجه الأدبي، والدعوة إلى شهادة عملية عجيبة لصالحه. وذلك حيث يقول: «ولو أننا تناولنا نتاجه في ضوء عمره، لدعونا الزملاء جميعاً إلى اكتتاب عام، يطيب لكاتب هذا الفصل أن يساهم فيه برأيه، حتى نقيم له تمثالاً بحجم صورته، ونتوجه بهذه الشهادة.

نشهد نحن الموقعين على هذا، أن زميلنا سيد قطب، من أولئك الذين أربت أقدارهم على أعمارهم...!

ولكننا في مصر... ومصر المحروسة بلد العقوق...»^(١).

وإذا كان نتاج سيد قطب الوفير في فترة قصيرة من بداية حياته الأدبية والفكرية، قد نال إعجاب الأدباء والقراء والباحثين، حتى دفع أحدهم - علي أحمد عامر - إلى تقديم هذه الشهادة العجيبة، فكيف بسيد قطب وقد ملأ سمع العربية وبصرها في الأربعينيات؟ كيف به وقد تقدم إلى طليعة أدباء العربية ونقاد الأدب العربي؟ كيف به وقد سار في طريق الفكر الإسلامي حتى وصل إلى ريادته؟ وفي طريق العمل الجهادي الإسلامي حتى وصل إلى مقدمته؟ كيف تكون الشهادة له وتقديره؟

ولكنه نال من الإيذاء والاضطهاد، والابتلاء والتعذيب، والإساءة والإهمال والعقوق، ما لم ينله أديب مفكر في القديم والحديث، حيث أزهقت روحه لأنها أبت الخنوع والخضوع، وعاملته الظلمة والطغاة والمجرمون أقسى من معاملة المجرمين.

ولا عجب «فنحن في مصر... مصر المحروسة، بلد العقوق»!

ليس عمله فيها على صورة واحدة

لم يكن عمله في الصحف والمجلات على صورة واحدة.

فبعضها كان يعمل فيها موظفاً، يتناول مرتباً شهرياً، مقابل مقالات يكتبها أو صفحة يحررها. وكان عمله مع صحيفة «الأهرام» من هذا القبيل، حيث اتفقت معه الأهرام على أن يتولى كتابة مقالات نقدية في صفحاتها الأدبية، في وقت مبكر من

(١) الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥ م. صفحة: ٨.

حياته الأدبية، حيث كان هذا عام ١٩٣٤م. وأخبرنا عن كلمته الأولى في الأهرام: «وما أدري أكانت مصادفةً مقصودة، أم كانت هكذا عفوَ الخاطر، أن تتناول كلمتي الأولى ثلاثة دواوين ظهرت إذ ذاك حديثاً. تلك هي: «هدية الكروان» للعقاد. و«النبوع» للدكتور أبي شادي و«ديوان» صالح جودت»^(١).

كذلك كان عمله في «البلاغ» من هذا القبيل. حيث عمل مع صاحب البلاغ «عبد القادر حمزة».

وبعضها كان يكتبُ فيها مقالاته الأسبوعية بدون أجر، ويكفيه أن تفسح الصحيفة صفحاتها لمقالته، وكانت غالبية مقالاته من هذا القبيل، كمقالاته في «الأسبوع» و«كوكب الشرق» و«المصور» و«الوادي» و«الثقافة» و«الرسالة» و«الدعوة» وغيرها. وبعضها كان يتولى رئاسة تحريرها والإشراف عليها، وكتابة عدة مقالات في العدد الواحد منها، مثل مجلات «الفكر الجديد» و«العالم العربي» و«الإخوان المسلمون».

من المجلات التي كتب فيها

من المجلات التي كتب فيها في العشرينيات: «البلاغ». و«البلاغ الأسبوعي». و«الجهاد». و«الحياة الجديدة». و«الأهرام». و«المقتطف». و«الوادي». . . وغيرها. وفي الثلاثينيات بقي يكتب في بعض المجلات السابقة، وأضاف لها المجلات الصادرة في تلك الفترة مثل: «كوكب الشرق». و«روز اليوسف». و«أبوللو». و«الأمم». و«الأسبوع». و«الرسالة». و«الثقافة». و«دار العلوم». . . وغيرها. وفي الأربعينيات، استمر يكتب في مثل مجلات: «الرسالة». و«الثقافة». و«دار العلوم». وأضاف لها المجلات التي صدرت في تلك الفترة مثل: «الكاتب المصري». و«الكتاب». و«السوادي». و«الشؤون الاجتماعية». و«الأديب» اللبنانية. . . وغيرها.

كما أشرف في هذه الفترة على مجلتي «الفكر الجديد» و«العالم العربي».

(١) الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥. صفحة: ٢٢.

وفي الخمسينيات بقي يكتب في مجلات: «الرسالة». و «الثقافة». و «الكتاب». وأضاف لها المجلات التي ظهرت في هذه الفترة: مثل «اللواء الجديد» التي أصدرها شباب الحزب الوطني بقيادة (فتحي رضوان). و «الاشتراكية» التي أصدرها حزب «مصر الفتاة» بقيادة (أحمد حسين). و «الدعوة» التي أصدرها (صالح ع شماوي) باسم «الإخوان المسلمين».

وأشرف في هذه الفترة على مجلة «الإخوان المسلمون» التي لم تُعمر طويلاً.

مقالاته فيها متنوعة

كانت كتاباته فيها متنوعة: ما بين قصيدة شعرية، أو مقالة أدبية، أو نقد لكتاب، أو إثبات لمحاضرة ألقاها، أو نظرات في الأدب والحياة، أو تعليق على حوادث سياسية، أو نقد لمظاهر اجتماعية، أو نقد للفنون والأغاني، أو هجوم على مظاهر شائنة في المجتمع، أو تهكم بالاستعمار وأدواته في البلاد، أو دعوة لثورة أو إصلاح أو تغيير، أو دفاع عن خلق أو فضيلة، أو دراسة فكرية، أو خواطر نفسية، أو غير ذلك. وعلى العموم ما ترك سيد قطب مجالاً من مجالات الكتابة إلا خاضه وكتب فيه. وكان يخص كل مجلة بمقال يناسب موضوعها وتخصصها.

سيد يفاضل بين التدريس والصحافة

كان سيد يجمع بين التدريس والصحافة منذ مطلع حياته الأدبية، ويوفق بين عمله في وزارة المعارف ومراسلته للصحف والمجلات.

وقد طرح عليه مجلة «الأسبوع» - التي كان يكتب فيها - عام ١٩٣٤م سؤالاً عن الصحافة والتدريس، حيث قالت له: «الصحيفة والمدرسة، أيهما تؤثر؟ ولماذا؟».

ومما جاء في جوابه على السؤال قوله: «قد شعرت بالحرص لدى هذا السؤال، فما أدري - والله - أيهما أفضل، وأيهما سيستولي عليّ في مستقبل حياتي!

بين الصحيفة والمدرسة نشأت، وبينهما كذلك لا أزال، لقد أحبيتهما معاً، ووجدت في كل منهما غذاءً لشوقي كامنٍ مخبوءٍ في نفسي، وما فرقت بينهما على ما أعتقد تفرقة فاصلة.

فأنا في حجرة المدرسة أحاول أن أشيع جواً من الأدب والصحافة، حتى مع أصغر التلاميذ.

وأنا في مكتب التحرير أميل أن أكون المدرّس الواضح المقرّر، وأميل أن أتحدّث عن التربية وعن التعليم!

وإذا كنت قد أخرجت كتاباً في الأدب عن «مهمة الشاعر في الحياة»^(١) فأنا على وشك إخراج كتاب في التربية عن «المراهقة: أخطارها وعلاجها»^(٢).

وإذا كنت قد كتبت في الصحف منذ اثني عشر عاماً، فأنا أذكر أن أول مقالة في صحيفة يومية «البلاغ» كانت عن طرق التدريس.

وإذن فعلام تكلفني يا أخي أن أفرّق تفريقاً تاماً بين عمليْن، بينهما كبير اتصال في طبيعتهما وغايتهما؟».

وبعد أن بيّن مزايا كلّ من المدرسة والصحافة، قدّم المدرسة وفضلها على الصحافة.

وختم كلمته بقوله: «كلّ ما في الصحافة اليوم، لا يُغري بها رجلاً مثلي، يجد لقواه الكامنة تنفساً أصحّ في المدرسة، ويجد أمامه من الناس من يثقون به، ويتأثرونه، ويحملون الأمانة التي يشاء لهم حملها.

وإني لسعيد بالمدرسة، برغم ما فيها من عنت، وما في جوها من ضيق، وأخيراً بما فيها من مجهود مرهق، وأجر ضئيل.

ولكنني سأتنفّس في جو الصحافة الواسع، كلما تمكنت من ذلك»^(٣).

(١) هو أول كتاب طبع لسيد. حيث طبع عام ١٩٣٣م.

(٢) هذا البحث لم يطبعه، ويبدو أنه عدل عنه.

(٣) الأسبوع. السنة الأولى. عدد: ٢٦. تاريخ ٢٣ مايو ١٩٣٤م. صفحات: ١٤ - ١٥.

سيد مع عبد القادر حمزة في «البلاغ»

عمل سيد قطب مع صاحب جريدة «البلاغ» «عبد القادر حمزة» وكان يُصدر «البلاغ» اليومي، و«البلاغ الأسبوعي». وكان سيد يكتب فيها مقالات أدبية ونقدية واجتماعية وتربوية، وقصائد شعرية.

قال في رثاء «عبد القادر حمزة» في ذكرى وفاته: «للفقيد الكبير خلال طيبات، لمستها - كما لمستها غيري - في أثناء اشتغالي معه في البلاغ من سنة ١٩٢٨م إلى سنة ١٩٣١م، وفي خلال السنوات السابقة واللاحقة لهذا العهد، وكنت فيها جميعاً على صلة طيبة بالراحل الكريم.

وقد بعثني هذه الصلة العزيزة إلى رثائه شعراً على صفحات «البلاغ»، وأنا في سرير المرض، ممنوع من الجهد والتفكير»^(١).

وقد أشار في هذه الكلمة إلى الخلاف ثم الفرقة بين «العقاد» وبين «عبد القادر حمزة» وانقطاع العقاد عن الكتابة في «البلاغ»، وكيف قام سيد بجهود مخلصه أدت إلى الاتفاق بين «حمزة» و«العقاد» واجتماع قلميهمما الكبيرين في «البلاغ» على معارضة الحكومة وقتها^(٢).

سيد يكتب في مجلة «دار العلوم»

اجتمع نفر من زملاء سيد قطب من خريجي كلية دار العلوم، واتفقوا على تكوين جماعة تربوية أدبية لغوية، أسموها «جماعة دار العلوم» وكان سيد من أوائل من انضم إليها. وكان ذلك عام ١٩٣٣م.

وأصدرت الجماعة مجلة أسمتها «صحيفة دار العلوم»، وكانت تصدر كل ثلاثة أشهر، وتعنى بشؤون الأدب واللغة والتربية وصدرت المجلة أربعة عشر عاماً كاملة، ١٩٣٤ - ١٩٤٧م، وقدمت خيرة شعراء وأدباء وباحثي وكاتبي تلك الفترة.

(١) الرسالة. السنة التاسعة. المجلد الأول. عدد: ٤١٦. تاريخ ١٩٤١/٦/٢٣. صفحة: ٨٢٤.

(٢) انظر الرسالة - المرجع السابق - صفحتا: ٨٢٤ - ٨٢٥.

وممن استلم رئاسة دار العلوم، زميلُ سيّد قطب في الدراسة في دار العلوم «سعد اللّبان».

ولم يكن سيّد نشيطاً في نشاطات جماعة دار العلوم، لأنه كان مشغولاً بالأدب والشعر والنقد والكتابة.

وكان يكتب في مجلة «دار العلوم» التي أصدرتها الجماعة^(١).

نشر في العدد الثاني الذي صدر في ١٠/١٩٣٤م قصيدة بعنوان «مرّ يوم». كما نشر عدداً من القصائد في أعداد أخرى.

وقد كتب فيها مقالات في اللغة والأدب والنقد، كما كتب فيها مقالات تربوية واجتماعية وفنية.

وكان مجموع ما نُشر له فيها، خمسة عشر موضوعاً^(٢).

سيّد يكتب في مجلة «الرسالة»

أصدر «أحمد حسن الزيات» مجلة «الرسالة» عام ١٩٣٣م، وكانت مجلة أدبية نقدية، قدمت الكثير من الأدباء والباحثين والمفكرين والشعراء. واستمرت في الصدور عشرين عاماً.

وكان سيّد من أوائل من كتب فيها، من أول صدورها حتى توقّفها.

وكانت مقالاته فيها متنوّعة الموضوعات، منها مقالات أدبية، ونقدية، ولغوية، وتربوية، وقصائد شعرية، ومقالات اجتماعية، وفنية، وإصلاحية، وسياسية، وإسلامية.

وخاض على صفحات «الرسالة» معارك أدبية، من أشهرها معركته مع «الرافعيين» بشأن الرافعي وأدبه وقيّمته، بجانب العقاد وأدبه وشعره وفكره.

(١) انظر مقال «ثلاث رسائل لم تنشر بعد لسيّد قطب»، للطاهر أحمد مكي. في مجلة «الهلال» أكتوبر ١٩٨٦م.

(٢) انظر «سيّد قطب»، لعبد الباقي: ٤٠٢.

وهاجم على صفحات الرسالة، الأحزاب المصرية، ورجال وزارة المعارف، والطابور الخامس من المطربين والمطربات، وأعداء الأخلاق من دعاة الإفساد والانحلال.

كما هاجم فيها الاستعمار الإنجليزي والفرنسي والأمريكي، وفند مبادئ الغربيين.

وترقى في مجلة «الرسالة» إلى أن أصبح كاتب الرسالة الأول، مقالُهُ هو الأول فيها، وكأنه افتتاحتها.

وكانت مقالاته الأخيرة فيها إسلاميةً جهادية.

ولكنَّ صلة سيّد بالرسالة وصاحبها الزيات، كان يشوبها أحياناً شوائب، ويصيبها فتورٌ أو اضطراب.

أشار سيّد – في مجلة «الثقافة» التي كان يصدرها «أحمد أمين» – إلى واحدة منها. وذلك عندما تعاقد مع قراء الرسالة، على كتابة ثلاثة أبحاثٍ فيها: الأول عن العقاد، والثاني عن توفيق الحكيم، والثالث عن طه حسين.

وقد نشرت الرسالة بحثه الأول. ولما بعث لها عن أدب توفيق الحكيم، وكان في حجم أربع صفحات، كانت قد وقعت جفوةً بين «الزيات» وبين «توفيق الحكيم»، فتعلّل الزيات لسيّد معذراً عن نشر البحث.

قال سيّد «إن الرسالة إذاً لتعلّل في الأسبوع الأول، بأن المقال وصل متأخراً عن مواعده! أولو كان قد وصل في الميعاد الذي اعتدت إرسال كلماتي فيه؟ أجل!.

وإن الرسالة لتعلّل في الأسبوع الثاني، بأن المقال طويل! أولو كانت الرسالة تنشر – وقد نشرت منذ قليل – مقالات أطول، في موضوعات لا ترتفع على هذا الموضوع؟ أجل!

وما تعودت الرسالة من قبل أن تتعلّل على ما يكتبه هذا القلم، ولكنها الجفوة بينها وبين توفيق الحكيم!

... تلك هي قصة الضمير الأدبي للصحف التي هي سجلات الأدب العربي!«^(١).

سيد ومجلة «العالم العربي»

في عام ١٣٦٦هـ وفق ١٩٤٧م، اتفق سيد قطب مع «يوسف شحاتة» - وهو رجل نصراني - على أن يمول هذا الأخير مجلة شهرية باسم «العالم العربي». وأن يتولى سيد الإشراف عليها، واستكتاب الكتاب فيها، وإخراجها.

وقد أصدرها سيد وفق التقويم الهجري، حيث صدر العدد الأول منها في جمادى الأولى ١٣٦٦هـ، وهذا الشهر يوافق شهر أبريل «نيسان» ١٩٤٧م. وحدّد سيد في الصفحة الأولى من هذا العدد أهداف المجلة وبرامجها، وطريقته في إعدادها.

ومما جاء في ذلك الموضع قوله: «وخلاصة أهدافنا هي: تعريف العالم العربي بنفسه، وإلى نفسه، تعريفه بماضيه القديم بكل أمجاده، وحاضره الواقع بكل مناحيه، ومستقبله الموعود بكل إمكاناته، وتعريفه بالمدخور في طبيعته من القوى، وبالمرصود في طريقه من العقبات، وبالوسيلة إلى تغليب تلك القوى على هذه العقبات... ثم تعريف بعضه إلى بعض كما هو، وكما كان، وكما يستطيع أن يكون. فما يمكن أن يتوحد هذا العالم الضخم حتى يتعارف».

أما برنامجه فيها فقد قال عنه: «وخلاصة برامجنا: أن نبسط صحيفة الأقطار العربية لجميع القراء بالعربية، وأن ندرس أحوال التعليم، والصحافة، والأدب، والفن، والعلم، والاجتماع، والاقتصاد، في جميع البلاد العربية، وأن نعرض من كل منها صوراً صادقة أمينة، ونسجل مواضع النقص فيها، ومواضع الكمال، وأن نكون أمناء للماضي، متحمسين للمستقبل، معالجين للواقع، بلا افتعال ولا ادعاء.

وسيكون لكل بلد عربي نصيبه، ومن كل بلد عربي مندوبه، وستلتقي على صفحات هذه المجلة أقلام العالم العربي كله...

(١) الثقافة. السنة الرابعة. المجلد الثاني. عدد: ١٩٣. تاريخ ١٩٤٢/٩/٨م. صفحة: ١٣.

وسيكون لكل نشاطٍ علمي، أو أدبي، أو فني، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو رياضي، في كل رقعةٍ عربية، صده في هذه المجلة، سواء أقام به فردٌ أم جماعة، أمة أو حكومة.

... . وعلينا - بعد ذلك كله - عهد لله وللناس: أن نقدّم للقارئ صحافةً نظيفة، وأفكاراً نظيفة، وصوراً نظيفة، وتسيلاً نظيفة، وفكاهةً نظيفة، تُشوّقه وتلذه، ولكن تفيذه وترفعه.

تلك نيّتنا على الأقل. وعلينا أن نجهد، وعلى الله التوفيق»^(١).

وقد رعى سيّد هذه المجلة في أعدادها الأربعة الأولى، وكان له في كل عددٍ أكثر من مشاركة، ما بين مقال أو قصيدة أو خاطرة أو تعليق.

وقد استكتب الأدباء والمفكرين من مصر والعالم العربي.

وقد أشار «عباس خضر» إلى مقالٍ له نشره سيّد في مجلته: «ووجدتُ ذلك فعلاً عند سيّد قطب، لما تقدّم في حياته وفي أدبه، واستقلّ بشخصيته عن العقاد - وإن ظلّ صديقاً موالياً له -».

ولم تمنع هذه الصداقة سيّد قطب - رئيس تحرير «العالم العربي» - من أن ينشر هجوماً لي على العقاد في المجلة»^(٢).

وقد كان ينشر فيها تحليلاتٍ سياسية، لسياسيين ومفكرين من العالم العربي. وحول ذلك يقول السياسي المغربي المسلم «علّال الفاسي»، في مجلة «العالم المغربية»: «ولقد عرفتُ سيّد قطب في آخر هذه المرحلة، حينما كان يشرف على مجلة «العالم العربي»، وقد أخذ مني أحاديث عن القضية المغربية، عني بنشرها والتعليق عليها في هذه المجلة. ثم كتبتُ بطلبٍ منه، بحثاً عن السياسة الأمريكية إزاء العرب، نُشر في

(١) العالم العربي. المجلد الأول. العدد الأول. تاريخ ١٨ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ. صفحة: ١.

(٢) الثقافة. السنة الرابعة. المجلد الثامن. عدد: ٤٧. تاريخ: أغسطس ١٩٧٧. مقال: «هؤلاء عرفتهم: سيّد قطب» لعباس خضر. صفحة: ٤٧.

هذه المجلة . وكان له أثر كبير في الأوساط الأجنبية ، إذ ترجمه كثيرٌ من المعلقين الإنجليز والأمريكان»^(١) .

ولم يستمر سيّد في إشرافه على المجلة ، إذ تركها بعد صدور العدد الرابع ، لخلافاتٍ بينه وبين ممّول المجلة وصاحبها «يوسف شحاتة» ، ولم نقف على سبب تلك الخلافات .

وفي العدد الخامس للمجلة ، نشر رئيس تحريرها الجديد «محمد العزب موسى» كلمةً بعنوان «إيضاح لا افتضاح» قال فيها عن ترك سيّد لها : «كان يضطلع بأعباء رياسة التحرير لهذه المجلة ، الأستاذ سيّد قطب ، يعاونه نخبةٌ من الكاتبين ، وصفوةٌ من كرام الباحثين . وعلى يديه وُلدت هذه المجلة ، وقطعت من العمر أربعة أشهر ، ممثلةً في أربعة أعداد .

وجَدْتُ أمورٌ بعد ذلك ، أوجبت أن يستقيل الأستاذ ، أويتنحى عن المضي في الإشراف على غرس يده ، وموالاته الرعاية لهذا النبت ، الذي لم يتمّ نماءه بعد . وأراد الأستاذ أن «يُلغِم» الطريق في وجه خَلْفه ، فنشر بياناً في الصحف السيّارة ، يقول فيه : إن استقالته ترجع إلى «مبادئ خاصة» . . .»^(٢) .

ولا ندري ماذا كان مصيرُ مجلة «العالم العربي» بعدما تركها سيّد قطب .

سيد قطب ومجلة «الفكر الجديد»

بعدما ترك سيّد مجلة «العالم العربي» اتجه إلى إصدار مجلةٍ جديدة .

فقد اتفق مع الحاج «محمد حلمي المنياوي» – وهو صاحب «دار الكتاب العربي» ومن جماعة الإخوان المسلمين – على أن يمّول هذا الأخير مجلةً أسبوعية ، هي مجلة «الفكر الجديد» ، ويتولّى سيّد الإشراف عليها ، وإصدارها ، واستكتاب الكتاب فيها .

(١) رائد الفكر الإسلامي الشهيد سيّد قطب ، ليوسف العظم : ٢٢٣ نقلاً عن صحيفة العلم المغربية . عدد : ٥٩٥٨ .

(٢) العالم العربي . العدد الخامس . تاريخ ٢٣ رمضان ١٣٦٦ . صفحة : ٤ .

وصدرت المجلة في يناير «كانون ثاني» عام ١٩٤٨م. وكان خطُّ المجلة اجتماعياً إصلاحياً ثورياً، حيثُ حاربَ فيها الفقرَ والظلمَ والرأسمالية، والأوضاعَ السياسيةَ والاجتماعيةَ الفاسدة، والباشواتِ وأبناءَ الذوات، وانطلقَ من زاويةٍ إسلاميةٍ إصلاحية، حيثُ كان وقتها صاحبَ نظرةٍ إيمانيةٍ، وحسٍّ إسلامي، وإصلاحٍ ديني، على منهاجٍ ثوريٍ تغييري.

وضاقت الحكومةُ ذرعاً بالمجلة وأسلوبها وحدّتها، فأغلقتها بعد ثلاثة أشهرٍ من صدورها، وذلك في آخر «مارس» - آذار - ١٩٤٨م.

وقد صدرَ من المجلة اثنا عشر عدداً.

وأقدم فيما يلي قائمةً ببعضِ مقالاته في المجلة، لتقديمِ صورةٍ للقارىء عن قوةِ المقالاتِ وحدّتها:

- ١ - فلنؤمن بأنفسنا.
الفكر الجديد. العدد الثالث. يناير ١٩٤٨م.
- ٢ - أفخاذ ونهود.
الفكر الجديد. العدد الخامس. يناير ١٩٤٨.
- ٣ - أنتم أيها المترفون تزرعون الشيوعية زرعاً.
الفكر الجديد. العدد السادس. فبراير ١٩٤٨م.
- ٤ - وضعُ مقلوبٌ في جوائزِ فؤاد الأول، درس في الكرامة لأساتذتنا الكبار.
الفكر الجديد. العدد السادس. فبراير ١٩٤٨م.
- ٥ - أولادُ الذوات وبناتهم هم نَتْنُ الأرض ولعنة السماء.
الفكر الجديد. العدد السابع. فبراير ١٩٤٨م.
- ٦ - تحرروا يا عبيد الأمريكان والروس والإنجليز، الأمةُ مصدرُ السلطات، يَضَعُها عسكري بوليس ويجلدُ بها الأرض.
الفكر الجديد. العدد الثامن. فبراير ١٩٤٨.

٧ - يا شباب الوادي تأهبوا واستعدوا.

الفكر الجديد. العدد التاسع. فبراير ١٩٤٨.

٨ - ليس الشعب متسولاً. فردّوا له حقوقه، وهو غنيٌّ عن برّكم.

الفكر الجديد. العدد العاشر. مارس ١٩٤٨م^(١).

وعناوين هذه المقالات حادةٌ عنيفة، صارخةٌ جريئة، فكيف بمضامينها.

ونظراً للهجته العنيفة الحادة، وأسلوبه الثوري القوي، في المجلة، فقد ظنَّ بعضهم أنه يساريُّ الاتجاه، وبعضهم اعتبره اشتراكيَّ النزعة، وبالغ بعضهم فاتهمه بأنه - في ذلك الوقت - كان شيوعياً!

ويبدو أن سببَ هذا عند بعضهم هو اللبسُ والخلط، حيث ألبسَ عليه اسمُ مجلة سيّد قطب، فظنّها هي مجلة الحزب الشيوعي المصري السرية التي كان يصدرها في ذلك الوقت.

وفي الحقيقة هناك تقاربٌ في الاسم بين المجلتين، وهذا التقارب قاد إلى الخلط بينهما، واعتبارهما مجلةً واحدةً شيوعية.

مجلةٌ سيّد هي «الفكر الجديد».

ومجلة الحزب الشيوعي هي «الفجر الجديد»!!

سيد قطب ومجلة «الإخوان المسلمين»

قررَ مكتبُ الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م، إصدارَ مجلةٍ باسم «الإخوان المسلمين»، تنطق باسم الجماعة، وتصدر عن المركز العام للإخوان المسلمين.

وأُسندَ مكتبُ الإرشاد رئاسةَ تحرير المجلة إلى سيّد قطب.

(١) انظر البيليوغرافيا، لمقالات سيّد في المجلات، التي ألحقها «عبد الباقي محمد حسين» بكتابه «سيّد قطب: حياته وأدبه» ٤٣٣ - ٤٣٤.

وأصدرَ سيّد قطب العدد الأول من المجلة بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٧٣ وفق ١٩٥٤/٥/٢٠م. وكانت مجلةً أسبوعية، تصدر كلَّ يوم خميس.

أصدرَ سيّد من المجلة اثني عشر عدداً. ثم توقفت عن الصدور بتاريخ ٦ ذي الحجة ١٣٧٣هـ وفق ١٩٥٤/٨/٥م، بعد تفاقم الخلافات بين الإخوان المسلمين وبين رجال الثورة، وبسبب تدخل الحكومة المستمر ضدَّ المجلة، ومنع الرقابة نشرَ كثير من مقالاتها وأخبارها.

وكان سيّد يكتبُ في المجلة عدّة مقالات، ويكتب في كلِّ عددٍ أكثرَ من موضوع.

وقد كتب فيها إخوته الثلاثة: محمد وأمينة وحميدة.

ومن مقالات سيّد فيها:

- ١ - منهج للأدب. العدد الأول. صفحة: ١٤.
- ٢ - بل نقذف بالحق على الباطل. العدد الثالث. صفحة: ٣.
- ٣ - الاتجاهات الثابتة للشعوب. العدد الرابع. صفحة: ٣.
- ٤ - هذا الشعب يريد. العدد السادس. صفحة: ٣.
- ٥ - صحوة ليس بعدها سبات. العدد السابع. صفحة: ٣.
- ٦ - قضية واحدة وأمة واحدة. العدد الثامن. صفحة: ٣.
- ٧ - الرسالة الإسلامية والضمان الاجتماعي. العدد التاسع. صفحة: ٨.

وكان من الأبواب الثابتة في المجلة: باب الأدب، وباب التعليم، وباب الأسرة، وباب العمال، وباب الطب، وباب الرياضة^(١).

مع عبد الباقي حسين في قائمته عن مقالات سيّد

أعدَّ الباحثُ عبد الباقي محمد حسين قائمة - «ببليوجرافيا» - لمقالات سيّد قطب في الصحف والمجلات، التي تمكّن من الوقوف عليها. وأثبتها في نهاية كتابه «سيّد قطب حياته وأدبه».

(١) انظر الرسالة القيمة «وسائل الإعلام المطبوعة في دعوة الإخوان المسلمين»، لمحمد فتحي شعير: ٣٩٠ - ٤٠٤.

وأقدم فيما يلي خلاصة موجزة لهذه القائمة :

بلغ عدد القصائد والمقالات التي وقفَ عليها الباحث، أربعمئة وخمس وخمسين (٤٥٥) مقالةً وقصيدة.

وكانت موزعةً على تسعَ عشرةَ دورية، على النحو التالي :

- ١ - أبو اللو: مقالتان.
- ٢ - الإخوان المسلمون: مقالة واحدة.
- ٣ - الأديب: مقالتان.
- ٤ - الأسبوع: ٢٧ مقالة.
- ٥ - الاشتراكية: ٥ مقالات.
- ٦ - الأهرام: ١٦ مقالة.
- ٧ - البلاغ الأسبوعي: ١٨ مقالة.
- ٨ - الثقافة: ٢١ مقالة.
- ٩ - الدعوة: ٢٧ مقالة.
- ١٠ - الرسالة: ٢٠١ مقالة.
- ١١ - الشؤون الاجتماعية: ٥٦ مقالة.
- ١٢ - صحيفة دار العلوم: ١٥ مقالة.
- ١٣ - العالم العربي: ٥ مقالات.
- ١٤ - الفكر الجديد: ١٣ مقالة.
- ١٥ - المقتطف: ٦ مقالات.
- ١٦ - الكاتب المصري: ٨ مقالات.
- ١٧ - الكتاب: ٩ مقالات.
- ١٨ - النهضة النسائية: مقالة واحدة.
- ١٩ - الوادي: مقالتان.

وقد وزَّعَ الباحثُ المقالاتَ والقصائدَ التي وقفَ عليها على السنوات التي كتب فيها تلك المقالات. فكانت كما يلي :

- ١٩٢٨ - كتب فيها ٩ مقالات .
١٩٢٩ - كتب فيها ٩ مقالات .
١٩٣٢ - كتب فيها مقالة واحدة .
١٩٣٣ - كتب فيها مقالتين .
١٩٣٤ - كتب فيها ٤٩ مقالة .
١٩٣٥ - كتب فيها ٥ مقالات .
١٩٣٧ - كتب فيها ٥ مقالات .
١٩٣٨ - كتب فيها ٣١ مقالة .
١٩٣٩ - كتب فيها ٧ مقالات .
١٩٤٠ - كتب فيها ١١ مقالة .
١٩٤١ - كتب فيها ٣٣ مقالة .
١٩٤٢ - كتب فيها ٢٦ مقالة .
١٩٤٣ - كتب فيها ٢٧ مقالة .
١٩٤٤ - كتب فيها ٤٠ مقالة .
١٩٤٥ - كتب فيها ٣٨ مقالة .
١٩٤٦ - كتب فيها ٢١ مقالة .
١٩٤٧ - كتب فيها ١٠ مقالات .
١٩٤٨ - كتب فيها ١٦ مقالة .
١٩٤٩ - كتب فيها ٣ مقالات .
١٩٥٠ - كتب فيها ٥ مقالات .
١٩٥١ - كتب فيها ٣٥ مقالة .
١٩٥٢ - كتب فيها ٤٦ مقالة .
١٩٥٣ - كتب فيها ٢٥ مقالة .
١٩٥٤ - كتب فيها مقالة واحدة^(١) .

(١) سيّد قطب حياته وأدبه : ٤٠١ - ٤٠٢ .

وأشيرُ هنا إلى أنَّ ما وقف عليه الباحث «عبد الباقي محمد حسين» من الدوريات والمجلات قليل، فهناك مجلاتٌ كتب فيها سيّد ولم يقف عليها الباحث.

وقد وعدَ الباحثُ والناشرُ لكتابه «دار الوفاء»، بإصدار مقالاتٍ سيّد في كتبٍ مرتبةٍ مُبوَّبةٍ.

إن نشرَ تلك المقالات ضروري، ليقف القراء على آراء سيّد وأفكاره ونظراته، التي سجلها في مقالاته، وليستفيدوا مما فيها، من علم أو معلومات.

سيد يكشف ارتباط الصحف المشبوه

لقد عملَ سيّد في الصحف والمجلات فترةً طويلة، زادت على ربع قرن، ولقد عرفَ عنها الكثير من الخفايا والحقائق، وواجهه مع القائمين عليها كثيرٌ من المضايقات والأذى.

وازداد الضيقُ والأذى في المرحلة الأخيرة من هذه الصلة، عندما اتجه سيّد وجهته الإسلامية الجهادية الدعوية، حيث سدَّ كثير من المجلات الطريقَ أمامه، وطوّت صفحاتها أمام مقالاته، لأنها تعادي الرسالة التي يحملها، والفكر الذي يتبناه.

وقد فضحَ سيّد تلك الصحف، والقائمين عليها، وعرّى مواقفهم الخاطئة، وكشفَ ارتباطهم المشبوه، وبينَ ارتباطهم بأجهزة المخابرات العربية والأجنبية.

قال في مقال «الدولة تخنقُ الأدب»، في مجلة الرسالة عام ١٩٥١م:

«ولكن الدولة في مصر يجب أن يكونَ لها عمل. وما يكون عملها إذا هي لم تخلق الفكر، وتضع في يديه ورجليه الأغلال، وتفصم هذه العُرى المقدّسة التي كوّنَتها الأجيال».

وفي نفس المقال يقول: «إن الصحف المصرية — إلا النادر القليل — مؤسساتٌ دولية، لا مصرية ولا عربية! مؤسساتٌ تساهم فيها أقلامُ المخابرات البريطانية والأمريكية والفرنسية، والمصرية والعربية أخيراً! مؤسساتٌ تُحرّر صفحاتَ كاملة منها، بمعرفة أقلام المخابرات هذه، لتروّج دعايتها في أوساط الجماهير. مؤسساتٌ تخدم

الرأسمالية العالمية أكثر مما تخدم قضايا الشعوب العربية، وتخدم الاستعمار الخارجي والجهات الحاكمة قبل أن تخدم أوطانها وشعوبها الفقيرة.

وهذا هو السر في أن الدولة لا تفرض عليها القيود التي تفرضها على الكتب، لأن وراءها أقلام المخابرات ومصالح الرأسمالية العالمية، وهي كفيلة بأن تسندّها، وتُذلل لها العقبات، وتفسح لها الطريق، لنشر دعايتها المستورة في أطراف البلاد العربية جميعاً^(١).

وفي نهاية كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية» دعا الجماهير إلى أن تفقد الأمل في معظم الصحف والمجلات:

«فأما الصحافة، فليست في وضعٍ يمكنها من الوقوف في صفّ الجماهير ضدّ الطغاة والمستغلّين، ولا ضد الاستعمار ووراءه الرأسمالية العالمية القوية».

«... إن تكاليف النسخة الواحدة من أية جريدة كبيرة، يومية أو أسبوعية، أكثر من السعر الذي تُباع به هذه النسخة في السوق. وهذه حقيقة قوية، يجب أن تكون في الحساب، ليعرف الجمهور الكادح الفقير، أنه ليس هو الذي يُموّل الجريدة بقروشه وملايمه! إنما تعتمد هذه الصحف في وجودها وبقائها وربحها على موارد أخرى غير القروش والملايم...»

تعتمد أولاً على إعلانات تملكها شركات رأسمالية ضخمة، تخدم بدورها المؤسسات الرأسمالية، التي تتولّى الإعلان عنها.

وتعتمد ثانياً على المصروفات السرية المؤقّته أو الدائمة: المؤقّته التي تدفعها الوزارات لصحافتها الحزبية، أو للصحف التي تريد شراءها، أو ضمان حيادها (وهي في العادة دفعات ضخمة)؛ والدائمة التي تتولّى إدارة المطبوعات صرفها...»

وتعتمد ثالثاً على المصروفات السريّة لأقلام المخابرات الدولية، وبخاصة إنجلترا وأمريكا...»

(١) الرسالة. السنة التاسعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٩٤٣. تاريخ ١٩٥١/٧/٣٠. صفحات:

... إن الصحافة ليست في وضع يمكنها من الوقوف في صف الجماهير. إنما هي تعطي الجماهير بقدر القروش والملايم التي تدفعها ثمناً للنسخة الموزعة، وتعطي الممولين الحقيقيين - سواء كانوا أصحاب المؤسسات الرأسمالية، أو الجهات الحكومية، أو أقلام المخابرات الدولية - بقدر جنياتها ودولاراتها، وتُقسّم جهودها بين الفريقين قسمة بارعة، تناسب غفلة الجماهير وسذاجتها، وذكاء الجبهة الأخرى!

... إن صور الأفخاذ والنهود هي التسليّة التي تقدمها صحافة الرأسماليين للجماهير المحرومة، كي تلهيها عن استمتاع الرأسماليين الفاجر، بتلك الأفخاذ والنهود الحقيقية لا بصورها...»^(١).

وقد كان سيّد قطب حريصاً على الجهر بهذه الحقيقة عن الصحف والمجلات، وإطلاع الجماهير عليها، سواء في كتبه أو في محاضراته وندواته.

وقد أشار «يوسف العظم» في كتابه الجيد «رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر» إلى ندوة عُقدت في القاهرة، شارك فيها سيّد: «جمعتني - كمستمع - بفكري أباطة وحافظ محمود والأستاذ سيّد قطب وغيرهم، مناظرة عامة في دار «الجامعة الشعبية» بالقاهرة. . عنوانها «أيّهما يوجّه الآخر: الصحافة توجّه الرأي العام، أم الرأي العام يوجّه الصحافة؟».

ونترك كلام «العظم» عن تفاهة وسماجة فكري أباطة في كلامه في المناظرة، وضعف حافظ محمود في رأيه. لنعرض كلامه عن بيان سيّد قطب، الذي استحوذ على الحاضرين وملك قلوبهم:

«وجاء دور الأستاذ سيّد قطب - رحمه الله - فتحدّث بصورة لا التواء فيها ولا عوج، وبيّن حقيقة الموقف بقوله: في اعتقادي أن الصحافة في مصر لا تؤثر في الرأي العام، وأن الرأي العام لا يؤثر في الصحافة. وإنما الذي يؤثر فيهما معاً هو «المصروفات السرية».

ولكي يكون الأستاذ قطب دقيقاً صادقاً كعادته في كل ما يقدّم من معلومات،

(١) معركة الإسلام والرأسمالية: ١١٧ - ١١٩ باختصار.

التفت إلى الأستاذ فكري أباطة، يسأله عن الصحف التي عطلت، والصحفيين الذين شردوا.

... وأعلن الأستاذ قطب للمستمعين، والمناظرين معاً - إن كانوا يرغبون في معرفة المزيد من الأسماء والأرقام - عن صحف عاشت زمناً طويلاً، وكُتِبَ كانت إمكانيات الحياة لديهم فتاتاً حول موائد فاروق، الملك الصالح!.

وصمت فكري، وأخرس لسانه، ثم «قتل الورد نفسه خجلاً منه، وألقى دماه في وجنتيه»...

... وضجت القاعة بالتصفيق، والتفت شباب الجامعات حول الأستاذ قطب، يهتفونه على صدق حديثه ودقة معلوماته. بينما تلفت فكري أباطة حوله، فلم يجد إلا فراغاً قاتلاً، ووحشة أليمة...»^(١).

* * *

(١) رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر: ٢٩ - ٣٢ باختصار.

(٥)

صلاته بالأدباء والمفكرين

صلته بهم متقدمة

صلته بالأدباء والمفكرين قديمة، في وقت مبكر متقدم من حياته، حيث صار يرتاد الندوات و«الصالونات» الأدبية، منذ الأيام الأولى لوصوله إلى القاهرة، مُقيماً عند خاله الأديب الصحفي.

ومن أوائل الأدباء الذين اتصل بهم «عباس محمود العقاد»، حيث أقبل على مكتبته الضخمة الموسعة الشاملة، وداوم على ندوته الأسبوعية الأدبية، التي كان يعقدها كل صباح جمعة. وقد بدأ حضور ندوته الأسبوعية في مطلع العشرينيات، واستمر في حضورها أكثر من ربع قرن.

وهذه الصلة المتقدمة بهم، حببت له الأدب، ورغبت به، فأقبل عليه، وتزود منه، وجعله هدفه في المرحلة الأدبية من حياته.

نقده لنتاجهم

وكان من صلاته بالأدباء والنقاد والمفكرين، أنه أقبل على نتاجهم الأدبي ينتقده، ويُعرف به. ويعرضه في الصحف والمجلات. وكان يكتب المقالات النقدية، منذ بداية حياته الأدبية.

وقد كانوا يحاولون التزلف إليه، وتقديم إغراءات له، لينقد نتاجهم الأدبي، بطريقة يرضيهم بها.

قال في مجلة «الأسبوع» عام ١٩٣٤م أثناء معركته مع جماعة أبوللو: «أريد أن أقص على القراء أحاديث دارت بيني وبين بعض الناس، ومحاولات بذلت معي من

بعض الأدباء، حتى أتأثر في نقدي للكتب والدواوين، بهذه المؤثرات، ويأخذني الإغراء بهذه المغريات.

ولقد سمعتُ بهذه الأحاديث، وأنصتُ لتلك المغريات، وابتسمتُ لهذه وتلك على السواء، وسخرتُ بأصحاب هذه وتلك. ومضيتُ لنقدي لهذه الكتب والدواوين في «صفحة الأهرام الأدبية» على ما رسمتُ لنفسي من خطة، وعلى ما جمعتُ لنفسي من ملاحظات، في أثناء دراستي لتلك الكتب والدواوين»^(١).

أما خطته التي اختطها لنفسه في النقد، فقد أخبرنا عنها بقوله: «وكان من أول هذه المبادئ، أن أنفي الأشخاص من دائرة تفكيري، وأن ألفتَ إلى ما بين يدي من كتاب.

كما كان منها ألا أكتب كلمة واحدة، قبل أن أدرس ما بين يدي، دراسة كاملة مستوفاة. إذ كنتُ أعلمُ ماذا يصنعُ نقاد الكتب، من قراءة العنوان والمقدمة والفهرست، ثم إصدار الأحكام»^(٢).

لا يعرف معظم المنقودين

في أواخر عام ١٩٤٤م، نشرت «الرسالة» في باب «البريد الأدبي» رسالةً لسيد قطب من الأديب «فوزي سليمان» يطالبه فيها بتوثيق الصلة بمن ينقدهم. ويقول له فيها: «لاحظتُ في سلسلة مقالاتك النقدية عن «عالم القصة»، أنك تكررُ في كثيرٍ منها قولك: إنك لا تعرفُ – ولم ترَ – شخصاً أغلب مَنْ تتحدثُ عنهم. ويبدو هذا غريباً في نظري...»

فلمَ لا تحاولُ أن تخرجَ من عزلتك، وتتعرفَ إلى مَنْ تكتب عنهم، بل وتكونَ معهم صداقاتٍ روحية. فإذا أمسكتَ بقلمك بعد ذلك، لتتحدثَ عن نتاجِ لهم جمعتَ بين الصورة والأصل، كما أنك ستخدمُ تاريخ الأدب المعاصر، فتترك للأجيال المقبلة

(١) الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥. صفحة: ٢١.

(٢) المرجع السابق: صفحة: ٢٢.

صوراً حية قوية من حياة المفكرين والكتاب المعاصرين»^(١).

وقد ردَّ سيّد قطب على دعوة «فوزي سليمان»، بأن وافقه في مجملها، وأوردَ رأيه في تعرّف الأديب الناقد على «شخصية صاحب العمل الذي ينقده»، وذلك عندما قدّم سيّد ديوان «عبد العزيز عتيق» الذي أصدره عام ١٩٣٢م.

وأضاف بعد ذلك يقول: «ولستُ كذلك ممّن يخشون غلبة الملابس الشخصية، على الأمانة الأدبية في النقد - إذا أنا عرّفتُ أشخاص المنقودين - ولا ممّن يخشون اتهام بعض القراء لي، بأن لهذه الملابس دخلاً في توجيه النقد، تحت تأثير الصداقات والخصومات».

وضرب المثل على ذلك بصلته الوثيقة بعباس محمود العقاد، وصداقته القوية له «ولستُ أخشى من هذه الصداقة - على أشدها - أن تؤثر في رأيي لأنّ لي صداقةً أخرى أقوى من هذه الصداقة. وهي صداقتي لضميري. لا، بل: صداقتي لشخصيتي، وحرصني عليها أن تفنى في أية شخصية أخرى»^(٢).

وبين أن معرفة الناقد بشخصية المنقود، أحياناً غيرُ ضرورية، وأحياناً تكون ضرورية: «فأنا أرى الآن أن المعرفة الشخصية قد تكون ضروريةً في أحيان، وغير ضرورية في أحيان، وذلك حسب طبيعة الفنان. فبعضهم يغنيك بما يكتبه عن معرفته، لأنه يكتب ما يشبه الاعترافات، كابن الرومي والمازني، وبعضهم لا بُدَّ أن تعرفه، وبعضهم تزيدك معرفته علماً بفنّه».

أما ما يذكره في مقالاته النقدية، من أنه لم يعرف بعض المنقودين ولم يرهم، ولم يلتق بهم، فيوضحه بقوله: «فإذا كان الأديب الفاضل، لاحظ أنني ذكرتُ عدم معرفتي لبعض من كتبتُ عنهم من الشبان، فإنما كان ذلك، لأنني لم أعرفهم فعلاً. ولم تكن لديّ الفرصة لمعرفةهم من قبل. كلُّ ما هنالك، أنني وجدتُ بين يديّ أعمالاً

(١) الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٧. تاريخ ١١/١٢/١٩٤٤. صفحة: ١٠٨٦.

(٢) الرسالة. المرجع السابق: ١٠٨٧.

أدبيةً تستحق التنويه، فلم يكن من الميسور أن أتعرفَ إلى أصحابها، لأكتبَ عنها مقالةً عابرة.

ورأيتُ أن أكون أميناً، فلا أدّعي معرفتي الكاملة لهذه الشخصيات، ولا أزعّم أن ما كتبتُه هو كلُّ ما هنالك، فأعلنتُ أنني لا أعرفهم، وهذا يتضمنُ في طياته بعضَ العذر، إذا كنتُ لم أُحِطْ بكلِّ جوانبهم»^(١).

ويعلنُ في كلمته، أهميةً وقوفه على حياة مشاهير الأدباء بقوله: «ومنذ عامين لديّ كتابٌ عن «المدارس الأدبية المعاصرة» وما يؤخرنِي عن كتابته، إلّا استيفاء بعضِ الدراسات الشخصية لأبطاله. وقد استطعتُ أن أجمعَ – عن كثب – معظمَ ما أريد جمعه عن «العقاد وتوفيق الحكيم»، وشيئاً مما أريدُ جمعه عن «طه حسين والمازني»، وقليلًا جداً عن «المنفلوطي والزيات»، ومتفرقات عن «تيمور وحقي ولاشين» وآخرين.

وبعدما أستوفي هذه الدراسات – لا قبله – سأخذُ في الحديث عن «المدارس الأدبية المعاصرة»، ولو صرفتُ عامين آخرين»^(١).

وقد اتَّهمه مرةً «أحمد فؤاد الأهواني»، بأن صداقته للأديب «يحيى حقي»، هي وراء مدحه له، وثناؤه على عمله الأدبي «قنديل أم هاشم».

ولما ردَّ سيّد قطب على اتِّهام الأهواني قال له: «وهناك حقيقةٌ يجب أن أذكرها هنا، إنني لا أعرفُ يحيى حقي، لم ألقه مرةً واحدةً في حياتي، وأنا أودُّ أن أراه، لأعنفه أقصى التعنيف على سكوته. إنني صديقٌ لقنديل أم هاشم، لا ليحيى حقي.

ولستُ أقرُّ هذه الحقيقة، لأهربَ بها من تبعه ثنائي عليها. فلو كان صديقي ما تغَيَّر حكمي. وفي مَنْ كتبتُ عنهم أصدقاء ومعارف، وآخرون لا أعرفهم، ولم ألقهم في حياتي. وكلُّهم كتبتُ عنهم بروحٍ واحدة، لأن النقد الفني يجب أن يكون موَكِّلاً بالعمل الفني»^(٢).

(١) الرسالة. المرجع السابق: ١٠٨٨.

(٢) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٣. تاريخ ٤٦/٨/٦. صفحة: ٨٧٤.

عباس خضر يخبر عن صلات سيّد بهم

من الأدباء الذين كانت تربطهم بسيّد صلة وثيقة، «محمود أبو الوفا» صاحب ديوان «أنفاس محترقة»، الذي تكلم عليه سيّد وعرضه وأثنى عليه كثيراً في «الرسالة»، في صيف عام ١٩٥١م^(١).

قال «عباس خضر» عن صلة سيّد بأبي الوفا: «وكنْتُ أزوره أحياناً في منزله، بحلول، فأجدُ هناك الصديقَ الشاعر «محمود أبو الوفا»، الذي كان هو أيضاً مشغولاً بالتعبير الشعري عما نقصدُ إليه في مناقشاتنا ومحاوراتنا»^(٢).

ومن أصدقاء سيّد المقرّبين «طاهر أبو فاشا».

ومن الأماكن التي كان سيّد يذهب إليها، ويلتقي فيها بأصدقائه من الشعراء والأدباء، «قهوة الحلمية».

قال عباس خضر عن مجيء سيّد قطب مع «طاهر أبو فاشا» إلى مقهى الحلمية: «كان أبو فاشا يذهبُ إلى الدكتور «زكي أبو شادي»، وجماعة «أبوللو» التي تلتفُّ حوله، ثم يصحبُه بعض الشباب من تلك الجماعة، إلى مقرِّ سمرنا في «قهوة الحلمية»، ومنهم «مختار الوكيل» وأحياناً يجيءُ معه سيّد قطب، ولا أدري أين تعرّف به»^(٣).

وقد كشف «عباس خضر» بعض «القَفَشات» والمقالب الخفيفة، التي كانت تحصل بين الأدباء: «وكم ضحكنا من «احتيال»»، قام به طاهر أبو فاشا وبعض أصحابه على السيد «حسن القاياتي»: ذهبوا إليه حزاني آسفين، زاعمين أن الأستاذ سيّد قلب

(١) انظر «الرسالة». السنة التاسعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٩٤٥. تاريخ ١٣/٨/١٩٥١. عنوان «أنفاس محترقة».

(٢) الثقافة. السنة الرابعة. المجلد الثامن. عدد: ٤٧. أغسطس ١٩٧٧. مقال «هؤلاء عرفتهم: سيّد قطب»: ٤٨.

(٣) الثقافة. السنة الرابعة. المجلد الثامن. عدد: ٤٦. يوليو ١٩٧٧. مقال «هؤلاء عرفتهم: طاهر أبو فاشا»: ٤٧.

محجوز في «قسم البوليس» لأنه كان يشرب «عرقسوس»، واحتك بالبائع. فكسر قدره الزجاجية، فأمسك به بائع العرقسوس، واستنجد بالشرطي، وأصر على أن ثمن القدر سبعون قرشاً، إما أن يدفعها سيد قطب، أو يزج به في السجن. وهو لا يملك هذا المبلغ.

فأعطاهم السيد حسن القاياتي السبعين قرشاً.

وحدث بعد ذلك، أن كان سيد قطب في ندوة القاياتي، وخشي طاهر أبو فاشا أن يكشف أمره. فقال لسيد قطب: لقد أرسلنا لك المبلغ مع الأستاذ عبد الحميد الديب، وهذا لا يوصل شيئاً. فضحك السيد حسن القاياتي وقال: لقد أكله الذئب»^(١).

وأخبرنا «عباس خضر» عن حفلة تكريم فكاوية، حضرها سيد، وخطب فيها. قال: «في تلك الفترة انتشرت حفلات التكريم. فأراد طاهر أبو فاشا، وجماعة من أصحابه — ومنهم سيد قطب — أن يسخروا من تلك الحفلات. وتبرع أحد الصحاب أن يكون هو موضوع هذه السخرية، وهو الشاعر «مهدي مصطفى» وكان شيخاً معمماً، وعزم أن يخلع زي المشايخ، ويلبس زي الأفندية.

طبعوا رقاع الدعوة، ووزعوها. وهي تبدأ هكذا: «تشرف لجنة ذكرى الأحياء من بني آدم، بدعوة حضرتكم لحضور الاحتفال بإزاحة الككولا [أي الجبة والعمامة الأزهرية] عن جثمان الشيخ مهدي مصطفى».

وتنتهي هكذا «لا أراكم الله مكروهاً في عزيز لديكم».

وكانت حفلة حافلة، بدأها سيد قطب — عندما خرج مهدي مصطفى لحاجة ما — بقوله: «بمناسبة تغيب المحتفى به نبدأ الحفل».

وخطب فيها أكثر من عشرين شاعراً، منهم: حسين شفيق المصري، وسيد قطب وأحمد مخيمر^(٢).

(١) الثقافة — المرجع السابق — : ٤٧ — ٤٨.

(٢) الثقافة — المرجع السابق — : ٤٩.

وأخبرنا «عباس خضر»، عن مجيء سيّد قطب إلى مقهى الأدباء في الحلمية، ثم استقبال عباس له في منزله تلك الليلة: كان سيّد قطب قد أنهى دراسته في دار العلوم منذ سنوات، وقد عرفته عن طريق طاهر أبو فاشا، إذ كان صديقاً حميماً له.

كانت أول مرة تعارفنا فيها بقهوة الحلمية، إذ جاء إليها سيّد قطب، من أجل صديقه طاهر، وأخذنا السمر، فلم نشعرُ بمرور الوقت، حتى جاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وكان سيّد قطب يسكن في حلوان، وقطار حلوان ينتهي سيره في الساعة الواحدة تماماً.

فجاء معنا إلى مسكني في الحلمية، حيث بتنا معاً، ونمنا على سرير، ذي الأعمدة الحديدية الأربعة، واضطربنا أن ننام على السرير نحن الثلاثة بالعرض.. حتى يسعنا!

وكان طاهر يسكن معي، أو قل: يسكن عندي، إذ لم يكن له مسكن. . . . وفي صباح تلك الليلة، التي استضفنا فيها سيّد قطب، خرج طاهر لابساً «بيجامته» الحريرية، وبيده «السلطانية» وعاد يحملها مملوءة بالفول المدمس بيد، وباليَد الأخرى أرغفة الخبز، وتحت إبطه حزمة من البصل الأخضر^(١).

سيّد قطب وهؤلاء الأدباء

عاش سيّد قطب حياةً أدبية طويلة، تعرّف فيها على أدباء كثيرين، واتّصل بهم، والتقى معهم، ووافقهم أو خالفهم، وأيدهم أو عارضهم، سار معهم أو اصطدم بهم، وجرت له مع بعضهم مناقشات طويلة، واشتبك مع بعضهم في معارك أدبية. من الأدباء الذين توثقت صلته بهم وطالت، وترك أثراً كبيراً على سيّد، عباس محمود العقاد، وسنخصّص له مبحثاً خاصاً.

ومن الأدباء الذين لسيّد بهم علاقةً وصلّة: طه حسين، وأحمد حسن الزيات، وعبد القادر حمزة، وأحمد زكي أبوشادي، وتوفيق الحكيم، وإبراهيم عبد القادر

(١) الثقافة — المرجع السابق — : ٤٩ — ٥٠.

المازني، ويحيى حقي، ومحمود تيمور، ومحمد مندور، وعبد الحميد جودة السحار، وأحمد أمين، وعبد المنعم خلّاف، وعباس خضر، وعلي الطنطاوي، وأنور المعداوي، ونجيب محفوظ وغيرهم.

سيد قطب والرافعي

لسيد قطب رأي في «مصطفى صادق الرافعي» وأدبه، لا يوافقّه عليه بعض الباحثين والأدباء، ويعارضه كثير من الإسلاميين!

إن كثيراً من الإسلاميين يعتبرون «الرافعي» أديب الإسلام، المدافع عن القرآن والإسلام واللغة والأدب والأخلاق والفضائل، ويعتبرون أدبه إسلامياً قرآنياً رفيعاً فريداً فصيحاً، ويعتبرون كل من ينقذ أدبه مخالفاً للدين، محارباً للحق، متبعاً للباطل!

ولهذا أساءوا الظن بسيد قطب، عندما انتقد أدب الرافعي، — كما أساءوا الظن به عندما انتقد ورفض شعر أحمد شوقي من قبل — واعتبروه في نقده لأدب الرافعي، منتصراً للعقاد في حربه للرافعي، وعوناً لأعداء اللغة والدين والأخلاق الذين حاربهم الرافعي، ويدعون أن سيد — لما انتهى به المطاف إلى الإسلام والدعوة — مال إلى الرافعي وأدبه، وصار نصيراً له، مدافعاً عنه!

يقول «يوسف العظم» عن هذا الموضوع، بعد أن أشار إلى مناصرة سيد للعقاد، وهجومه العنيف على أدب الرافعي: «وما أحسب أن سيد قطب كان يعلم أن مواقفه تلك ستطوى، فلا يرتاح إليها، أو يذكرها بنفس رضية، إذ انتهى به المطاف الأدبي: بين جنبه روح الرافعي لا روح العقاد، وفي كفه قلم فيه من شفافية الرافعي، وعدوية طه حسين، وعمق العقاد وجلده، مما جعله يقوم مدرسة أدبية وحده»^(١).

وأعتقد أن كلام «يوسف العظم» في غير محله، وأنه ظلم سيد قطب عندما أعطى قلمه شفافية الرافعي، وأحسب أن سيد لو اطلع على كلام تلميذه «يوسف العظم» لما أعجبه ولا وافق عليه، بل سينزعج، لأنه أعطاه بعض شفافية قلم الرافعي.

(١) رائد الفكر الإسلامي، ليوسف العظم: ٧٥.

لقد بقي سيد قطب رافضاً لطريقة الرافعي وأسلوبه في الكتابة، حتى بعدما أقبل على الإسلام والدعوة والجهاد.

في عام ١٩٥١م، اعتبر «أحمد الشرباصي» أن أسلوب الرافعي مستمد من أسلوب القرآن التصويري، وأن الرافعي يعبر بالصورة الحسية عن المعاني الذهنية.

وقد رد سيد قطب على كلام «أحمد الشرباصي»، وقال: «لا أذكر أن هذا كان مأخذي على أسلوب الرافعي، بل أذكر أنه كان العكس، فقد كنت آخذ عليه: الألاعيب الذهنية في التعبير، والجمل التي ينبع ذيلها من رأسها، والعكس، والتي يحسبها القارئ ماشية «تَقْصَعُ!» وتضع يديها في خصرها على الطرس، وليس شيء من هذا كله بسبيل، من ذلك الأسلوب القرآني»^(١).

ما هو أدب الرافعي في ميزان سيد قطب؟

يقول: «لي رأي في المرحوم مصطفى صادق الرافعي، لعل فيه شيئاً من القسوة. وكنت على ثقة أن هذا الرأي، لم يتدخل في تكوينه عندي أي عامل خارجي، وإنما كان نتيجة لعدم التجاوب بين آثاره الأدبية وبينني.

... والقصة بين الرافعي وبينني، أنني قرأت له - أول ما قرأت - كتابه «حديث القمر»، فأحسست بالبغضاء له، أجل بالبغضاء. فهي أصدق كلمة تعبر عن ذلك الإحساس، الذي خالجنى إذ ذاك.

... ولقد كنت أكره نفسي بعد ذلك على مطالعة الرافعي، فتزداد كراهية لهذا اللون من الأدب، دون أن أجِدَ التعليل. ذاك أنني كنت إلى هذا الوقت، أديباً يتذوق فحسب، لا ناقدًا يستطيع التعليل، ويصبر على التحليل.

... كنت أشك في «إنسانية» هذا الرجل، قبل أن أشك في قيمة أدبه، وكنت أزعج لبعض إخواني في معرض المناقشة، أنه خواء من «النفس» وأن ذلك سبب كراهيتي له، ولو أنني لم أراه مرة واحدة، ولم أجلس إليه.

(١) انظر الرسالة. السنة التاسعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٩٢٧. تاريخ ١٩/٥/١٩٥١م. صفحة: ٤٢٩.

.. لقد عدلتُ حكمي قليلاً، وخففتُ حدته، ولم أعد أستشعر البغض والكراهية للرجل وأدبه. ولكن بقي الأساس سليماً.

كنتُ أنكرُ عليه «الإنسانية»، فأصبحتُ أنكرُ عليه «الطبع»، وكنتُ لا أجدُ عنده «الأدب الفني»، فأصبحتُ لا أجدُ عنده «الأدب النفسي»!.

الرافعي أديبٌ مُعْجَب، في أدبه طلاوة وقوة، ولكنه بعدُ أدبُ الذهن، لا أدبُ الطبع. فيه اللمحاتُ الذهنيةُ الخاطفة، واللفتاتُ العقلية القوية، التي تلوح للكثيرين أدباً مُغرباً عميقاً لذيذاً، ولكن الذي ينقصُها، أنه ليس وراءها ذخيرةٌ نفسية، ولا طبيعة حية..

.. وكثيراً ما يختلط أدبُ الذهن وأدبُ الطبع، إذا كان مع ذكاء وقوة، وما من شك أن الرافعي كان ذكياً قوياً الذهن، لكنه كان مغلقاً من ناحية الطبع والأريحية»^(١).

يجب أن نفرّق بين فكر الرافعي وبين أدبه، بين دينه وبين أسلوبه، إننا لا نتكلم عن فكره ودينه، بل إننا نُعْجَبُ به في دفاعه عن الإسلام والقرآن واللغة، ووقوفه بجانب القرآن ضد أعدائه من المستشرقين والمستغربين.

إننا ننقدُ أدبه، ونرفضُ أسلوبه في الكتابة والتعبير، ولا نقبلُ طريقته، في صياغة الجمل، و«توليد» الكلمات العسيرة الشاقة، وكأنه يقوم «بعملية توليد قيصرية»!

سيد وطه حسين

لسيد قطب صلة وثيقة بطله حسين. صلةٌ وظيفيةٌ إدارية، وصلةٌ أدبيةٌ فنية.

التقى سيد بطله حسين في وزارة المعارف، حيث كان سيد موظفاً في مراقبة الثقافة العامة في الوزارة، في الأربعينيات، وكان طه حسين مستشاراً للوزارة حوالي سنتين — من ٢٦/٥/١٩٤٢م إلى ١٦/١٠/١٩٤٤م —^(٢).

(١) الرسالة. السنة السادسة. المجلد الأول. عدد: ٢٥١. تاريخ ٢٥/٤/١٩٣٨م. صفحات:

٦٩٢ — ٦٩٣ باختصار.

(٢) سيد قطب، لعبد الباقي: ٣٠، حاشية.

وقد أشرنا في موضعٍ سابقٍ - لدى كلامنا عن عمل سيّد قطب في وزارة المعارف - إلى موقف طه حسين من مشكلةٍ واجهها سيّد، مع وزير المعارف وقتها «أحمد نجيب الهلالي»، ودعّم طه حسين لسيّد، وإقناعه بالعدول عن الاستقالة، وتبنيّه لقضيته، واستعداده أن يحدث أزمة من أجله، وترتيب مهمّة تفتيشيّة له في مدارس الصعيد^(١).

وهذه الحادثة تدل على الصلة الوثيقة بينهما.

وصلة سيّد الأدبية بطه حسين، ليست صلة التلميذ بالأستاذ - كما كانت مع العقاد - ولكنها صلة أديب شاب بأديب من الأدباء الشيوخ، الرواد في عالم الأدب. إنه يعتبر طه حسين صاحب مدرسة في الأدب، سمّاها «مدرسة الأسلوب التصويري»^(٢).

وكان يُعرّف بمعظم الكتب التي أصدرها طه حسين، وينقّدها في مجلات الرسالة والثقافة والكتاب وغيرها.

ولما أصدر طه حسين كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» - الذي أثار ضجةً كبرى في أوساط المثقفين المصريين - كتب سيّد في نقده بحثاً مطوّلاً، نشره في مجلة «دار العلوم» ثم طبعه في كتاب بعد ذلك.

وقال في مقدمة البحث: «وفي هذا الكتاب ما نوافق فيه الدكتور أشدّ الموافقة. وفيه ما نخالفه فيه أشدّ المخالفة. وفيه ما يحتمل الأخذ والردّ والزيادة والنقصان»^(٣).

وكان سيّد معجباً بكتاب «الأيام» للدكتور طه حسين، الذي سرد فيه بعض أخباره الشخصية، وسيرته الذاتية، ولما ألّف سيّد ذكرياته عن قريته في كتاب «طفل من

(١) انظر «الرسالة». السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨١. تاريخ: ٢٢/٧/١٩٤٦م. صفحة: ٧٩٦.

(٢) انظر «الرسالة». السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٥. تاريخ: ٢٧/١١/١٩٤٤م. صفحة: ١٠٤٥.

(٣) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٨.

القرية» أهده إلى طه حسين^(١).

ولما كان سيّد قطب في أمريكا - لمدة سنتين - أُسندت للدكتور طه حسين وزارة المعارف. وقد راسل سيّد أصدقاءه الأدباء، واطمأنّ عليهم في عهد الوزير الجديد طه حسين.

فبعث إلى زميله «محمد جبر» من «جماعة دار العلوم» رسالةً يطمئنُ فيها عليه: «وأحوال الجماعة - ودعك من أحوالك أنت الخاصة، وحقّي الشخصي في الاتصال بها - كيف تسير؟ ثم هل لي أن أطمئنّ اليوم على صلاتك بالوزارة في عهد الدكتور طه حسين؟»^(٢).

وبعث رسالةً إلى «أنور المعداوي» أشار له فيها إلى المعركة العنيفة، والخلاف الحادّ الذي وقّع بينه وبين طه حسين عام ١٩٤٧م، ومع ذلك مدّحه، وقال لأنور: «وأشرت إلى ما بيني وبين الدكتور طه. إنني أعتقدُ على أية حال، أنه من الخير للبلد أن يكون هذا الرجل في وزارة المعارف. ولستُ أسأل عما يكون لي أو عليّ، فطريقي واضحٌ أمامي، وهدفي معروف لي في جميع الظروف»^(٣).

ولما صار طه حسين وزيراً للمعارف، دعتُه بريطانيا لزيارتها، وحلّل سيّد بفطنة وبراعة هدف بريطانيا - وأعاونها وعملائها في وزارة المعارف في مصر - من هذه الدعوة.

قال: «لقد كان الإنجليزُ يعرفون أن في مصر رجلاً اسمه الدكتور طه حسين. وكان الدكتور طه هو الدكتور طه، الكاتب الأديب الأستاذ الجامعي كما هو. لم يزد عليه إلا أن أصبح وزيراً للمعارف.

وكان الإنجليزُ يعرفون أن مَيول الرجل - حسب ثقافته - ميولٌ فرنسية، فلما أن

(١) انظر الإهداء في «طفل من القرية». صفحة: ٤.

(٢) مجلة الهلال. أكتوبر ١٩٨٦م. مقال «ثلاث رسائل لم تنشر للشهيد سيّد قطب»، لطاهر أحمد مكي.

(٣) مجلة الكاتب. السنة الخامسة عشرة. عدد: ١٧٣. تاريخ أغسطس ١٩٧٥. صفحة: ٢٩.

صارت إليه وزارة المعارف، أدركوا أن هنالك خطراً على الثقافة الإنجليزية، قد يصيبها مع وجود هذا الوزير.

وهنا فقط تذكروا أن طه حسين أديب كبير، يستحق الدعوة إلى إنجلترا، والضيافة على الحكومة البريطانية والمعهد البريطاني، والتكريم بالألقاب الجامعية، من جامعات الإنجليز. فقط عندما صار وزيراً للمعارف.

إنه الاستعمار، يخشى على حبائله في وزارة المعارف أن تنكشف، أو أن تتزعزع^(١).

ومع الصلة الوظيفية الوثيقة، بين سيد قطب وبين طه حسين، إلا أنه كانت تقع بينهم «مناوشات» خفيفة، أو معارك حامية عنيفة قاسية.

من أعنف المعارك التي نشبت بينهما، هجوم عنيف شنه طه حسين على الأدباء الشبان في مجلة الهلال - عدد يونيو «حزيران» ١٩٤٧م - اتهمهم فيه اتهامات كثيرة. واعتبر سيد نفسه مدافعاً عن الأدباء الشبان، فشن عليه هجوماً أدبياً، عنيفاً حاداً قاسياً، في العدد الرابع من مجلة «العالم العربي» - وهو آخر عدد صدر منها تحت رئاسة سيد، حيث تركها بعد ذلك العدد - وهاجم في ذلك المقال الأدباء الشيوخ، وجعل عنوانه: «بدء المعركة: الضمير الأدبي في مصر. شبان وشيوخ».

وقد أحدث هجوم سيد على طه حسين - وباقي الأدباء الشيوخ - أثراً ملحوظاً في الأوساط الأدبية في مصر، والعالم العربي، والعالم الغربي أيضاً، حيث اعتمد الغربيون «إدانات» سيد للأدباء الشيوخ، في حياتهم الأدبية والسلوكية والأخلاقية، وترجموا المقال إلى اللغة الإنجليزية^(٢).

ويبدو أن طه حسين - أمام الهجوم الحاد القوي العنيف من سيد - أثر أن ينسحب من المعركة، وأن لا يرد على سيد الحرب بالمثل، وبما أن سيد ترك مجلة

(١) معركة الإسلام والرأسمالية: ١٠٠ - ١٠١.

(٢) انظر مجلة «العالم العربي». المجلد الأول. العدد الرابع. تاريخ ٢١ شعبان ١٣٦٦. صفحات: ٥٢ - ٥٤.

«العالم العربي» بعد ذلك المقال، فيبدو أنه هو أيضاً لم يستمر في الصدام مع طه حسين.

وكان سيّد عنيفاً وحاداً في ردّه على طه حسين، في معركة أخرى ضده. ففي عام ١٩٣٤م، دارت على صفحات «الأسبوع» معركة أدبية عنيفة، بين سيّد قطب وبين مجموعة من الأدباء، على رأسهم أدباء جماعة «أبوللو» التي كان يرأسها الدكتور «أحمد زكي أبو شادي»، وقد شنّ سيّد هجوماً عنيفاً على أولئك الأدباء، وقد أصاب في هجومه الدكتور طه حسين.

وقال له ضمن كلام طويل: «على أيّ يا دكتور: أنت خبيث!! – ورزقي على الله – وليس هذا الخبث عيباً فيك تبرأ منه. بل ربما كان أحد العناصر الممتازة، التي دفعت بك إلى مركزك الذي تتبوأه الآن بين المصريين»^(١).

ولا ننسى أن صلة سيّد العملية والأدبية والثقافية بالدكتور طه حسين، قد انقطعت وزالت، لما اختلفت طرق كل منهما عن الآخر، وذلك عندما اتجه سيّد قطب نحو طريق الإسلام والدعوة، وصار مفكراً إسلامياً ملتزماً. إذ أن موقف طه حسين من الإسلام معروف.

سيّد قطب وتوفيق الحكيم

اشتهر «توفيق الحكيم» في الأوساط الأدبية والثقافية بلقب «الأديب الحائر» و«صاحب البرج العاجي».

وكان لسيّد قطب صلة أدبية وثيقة به، حيث قرأ كتبه ورواياته ومقالاته الكثيرة المختلفة.

واعتبره صاحب مدرسة أدبية فنية، أطلق عليها اسم «مدرسة التنسيق الفني». وشرح هذا المصطلح بقوله: «إننا نعني به معنى آخر بجانب «تنسيق الشخصيات» نعني به معنى في طريقة العرض، في الأسلوب الذي تُعرض به الشخصيات والحوادث

(١) الأسبوع: السنة الأولى. عدد: ٣٣. تاريخ ١١/٧/١٩٣٤. صفحة: ١٤.

والأفكار، فهذه الطريقة موحدة، سواء كان المعروض قصةً أو تمثيليةً أو فكرةً في مقالة. ولسنا نعني به ما يعبرون عنه بالحبكة، فهو أوسع من ذلك مدى. إنه «التصميم الهندسي» للعمل الفني كله، بحيث يبدو متساوياً منسّقاً مطّرداً، وبحيث يتهيأ هذا العمل الفني كله في ذهن الفنان. قبل أن يبدأ اللمسة الأولى»^(١).

أما توفيق الحكيم نفسه عند سيّد قطب فهو صاحب البرج العاجي، المعتزل في صومعته الفكرية، وفي ذلك يقول عنه: «يجنحُ توفيق الحكيم، إلى أن يعيش في داخل نفسه، أكثر مما يعيش في خارجها، فلا تهمةُ الحياة المنطلقة في الخارج، كما تهمةُ الحياة التي يصورها خياله كما يريد...»

فما منشأ هذا؟ منشؤه هو إشفاقُ توفيق من الحياة، وضعفُ الحيوية في كيانه الجسدي»^(٢).

أما فكرُ توفيق الحكيم – عند سيّد قطب – فهو يقوم على الشك والحيرة والقلق: «تلك طريقةُ توفيق الحكيم التي لا تتخلّف، ومنشؤها – فيما أعتقد – طبيعةُ توفيق نفسها، فهو «الأديبُ الحائر» – كما قال عنه مرة الدكتور طه حسين – إنه الشكُّ غيرُ الواعي في طبيعة هذا الفنان، وإنه القلقُ الدفينُ في نفسه...»^(٣).

وحتى لا يبدو سيّد ظالماً، في وصف توفيق الحكيم بذلك، ينقل قوله في مجلة «الرسالة» عن نفسه: «لقد جاوزتُ الأربعين، وما أبصرُ في الأفق طيفَ واحةٍ مورقة، في صحراء حياتي المُحرقة. ما قيمةُ الشهرة بغير سعادة؟ وفيم الأدب والفن بغير هناء؟»^(٤).

أما توفيق الحكيم في حياته الواقعية، فيقرر سيّد أنه تقمّص شخصيات أبطال

(١) الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الأول. عدد: ٥٤٩. تاريخ ١٠/١/١٩٤٤. صفحة: ٢٧.

(٢) الرسالة – المرجع السابق – : ٢٦.

(٣) الرسالة. السنة الحادية عشرة. المجلد الأول عدد: ٥١٣. تاريخ ٣/٥/١٩٤٣ م. صفحة: ٣٥٠.

(٤) كتب وشخصيات: ١٢١.

قصصه التي كتبها، وعاش حياتها، وبما أنه كتب عن منحرفين في سلوكهم وأخلاقهم، فقد عاش الحكيم ذلك عملياً، كما يبدو ذلك من صِلته المُرِبة بالزوجة الخائنة، بطلّة روايته «الرّباط المقدّس» التي كَتَبَتْ مذكراتها في صِلتها بعشيقها في «الكراسة الحمراء»^(١).

ويُعلّق سيّد على هذا الجانب «المكشوف» في فن توفيق الحكيم: «ها هوذا توفيق الحكيم. يكاد يكفرُ بفنّه، فيهبط إلى مستوى الجرائد والمجلات الأسبوعية، التي تتملّقُ الغرائز، وتستلّتُ النظرَ بالمسائل اليومية والنزعات المكشوفة.. إنه «الرجل» الذي يريد بأيّ شكل أن تراه «المرأة» وأن تحسّ وجوده. والمرأة في هذا الجيل لا يلفتُها إلا التافه الرخيص من الأدب المكشوف، الذي يدغدغُ الغريزة.. ومن هذا الصنف يُكثرُ الآن «الفنانُ الحائر» توفيق الحكيم»^(٢).

ورغم هذه الملاحظات، التي أبدّاها سيّد على أدب وفنّ وشخصية وسلوك وروايات توفيق الحكيم، فإنه يعترفُ له بدوره التاريخي، «المؤسّس» للهندسة التنسيقية الفنية، للروايات والتمثيلات العربية.

فلما كان سيّد قطب في أمريكا، بعثَ له «توفيق الحكيم» هديةً ثمينة، وهي كتابه الجديد «الملك أوديب»، وردّ سيّد على هديته برسالة قيّمة، أثنى فيها على الدور التاريخي الفني للحكيم، وقَدّم له نصائح عظيمة، في الكتابة والتأليف، وفَقّ التصور الإسلامي، ونُشرت هذه الرسالة في عددٍ من متالين في «الرسالة» في مايو ١٩٤٩م.

ومما قال له في تلك الرسالة:

«صديقي الكبير الأستاذ توفيق الحكيم:

شكراً لك على هديتك الكريمة: كتابك الجديد «الملك أوديب». إنها شيءٌ عزيزٌ ثمين، بالقياس إلَيّ هنا، في تلك الورشة الضخمة السخيفة، التي يسمونها: «العالم الجديد!».

(١) كتب وشخصيات: ١٢٧.

(٢) المرجع السابق: ١٢١ حاشية.

لقد استروحتُ في كلمة الإهداء: «ممن يذكرك دائماً» نسمةً رخيّةً من روح الشرق الأليف – فالذكرى هي خلاصة هذه الروح – وما كان أحوّجني هنا إلى تلك النسمة الرخيّة . .

إن شيئاً واحداً ينقص هؤلاء الأمريكيّين – على حين تذخر أمريكا بكل شيء – شيء واحد لا قيمة له عندهم . . الروح».

وعن دور توفيق الحكيم التاريخي في الرواية العربية، يقول سيّد له: «مالي أحسّ – أيها الصديق الكريم – كأنك خائف قلق من ذاكرة التاريخ؟ ذلك الخوف وهذا القلق اللذان يدفعانك دفعاً إلى تسجيل دورك بقلمك، في خط سير التمثيلية العربية؟

أحب أن أطمئنك منذ اليوم، على أن التاريخ الأدبيّ، لن ينسى لك دورك الأساسي، الذي قُمتَ به في وضع «القلب الفني» – للمرة الأولى في تاريخ الأدب العربي – للرواية التمثيلية . . وصنّعه على أساس فني صحيح . . وإلا فإن محاولات كثيرة قد سبقتك لوضع هذا القلب . . إلى أن جئت أنت، فوفّقت نهائياً لتكوين قالب فني للحوار، يحمل فكرة تُدخله في باب الأدب، وينهّج نهجاً لم يلحقك فيه إلى اليوم أحد، ولست أدري متى يظهر التالي لك، أو المتفوّق عليك فيه؟».

ورغم تسجيل سيّد لدور الحكيم في «تاريخ التطور الفني» للروايات والتمثيلات العربية، إلا أنه أشار له إلى جانب مهم وضروري، لا بد أن يلتفت إليه: «أما نصيبك الذي سيبقى في باب «القيم الفنية المطلقة»، فأخشى أن أقول: إنك لم تقم به بعد، لأنك – في باب التمثيلات – لم تهتد بعد إلى النبع الأصيل، الذي تستقي منه روحك العميقة، لا فكرك الواعي، فتنشئ عملاً خالداً، فيه حياة وروح.

. . وقد تكون أنت نفسك، ذلك الفنان الأصيل الموهوب، في عمل فني جدير، حينما تهتدي إلى النبع الأصيل، المخنوق في نفسك، تحت ركام من الثقافة الغربية الطاغية!!

إنني لا أعيب الثقافة – فهي أمر لا بدّ منه اليوم لتكوين الأديب – ولكن الذي

أعنيه، أنك أيها الصديق - شأنك في هذا شأن ذلك الجيل كله من الشيوخ - تستلهم ثقافتك الفنية الغربية، قبل أن تجد ذاتك الأصيلة.

من هنا يفقدُ فنك - كما تفقدُ أعمالكم جميعاً - ذلك الطعم الخاص، الذي يتذوّقه في آداب كل أمة، والذي يميزه عن آداب الأمم الأخرى.

إنكم لا تجدون أنفسكم في خضم ثقافتكم، إنكم تَمْتَحُونَ من رؤوسكم، أكثر مما تستوحون قلوبكم، وهذا هو العنصرُ الخطرُ عليكم جميعاً.

ويتخذُ رسالته إلى الحكيم مناسبةً، لتفنيد رأي الدكتور طه حسين، في التبعية الثقافية لمصر، ويبينُ السببَ في ذلك الرأي: «ولا تؤمنُ بما يقوله الدكتور طه - مسأه الله بالخير - ويردّده، من أن مصر «إغريقية» التفكير، لأن مدرسة «الاسكندرية» القائمة على أساس الفلسفة الإغريقية، تركت أثراً عميقاً لا تُمحى!

لا تؤمنُ بهذا، فإنما هي فتنة الدكتور الكبرى بالإغريق!»^(١).

ويشيرُ سيّد للحكيم إلى تركيب ذهنيته الفرنسية: «إن عبقرية الذهن التجريدية عبقرية غربية. وعلى وجه خاص: عبقرية فرنسية.

أه يا صديقي! ليتك لم تذهب إلى فرنسا!».

وفي آخر الرسالة يقدمُ سيّد النصيحة إلى توفيق الحكيم، ويدلّهُ على النبع الصافي، الذي يستقي منه قيمه الفنية: «والآن يا صديقي هل أدلك على النبع؟

لقد قال لك أستاذك الفرنسي - كما قلتَ في «زهرة العمر» - وأنت تعرضُ عليه محاولاً بك باللغة الفرنسية: «اكتبْ بلغتك لتبدع».

هذا هو نفسه ما أقوله لك: استوحِ «ميراثك» لتبدع!

إن هذا الميراثَ هناك، كامناً في ضميرك، تخنّقه ثقافتك الفنية الفرنسية. إنك

(١) «إلى الأستاذ توفيق الحكيم. الرسالة - ١». الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٨٢٧. تاريخ ١٩٤٩/٥/٩.

تبعْدُ عنه، كلما ذهبْتَ إلى الإغريقِ وغيرِ الإغريقِ، تستلهمُ أساطيرَهم القديمة. إنَّك مصري . . .

. . . ما عليك إلا أن تعيشَ مفتوحَ القلبِ والحسِّ والعينِ، في ريفِ مصر، وفي أحيائها العامة. . دُعِكَ من «سليمان باشا» و«الزمالك» و«المعادي» و«الدقي»^(١). . . هذه رُقْعُ مستعارة في الثوب، هذه لُطخُ شوهاء في اللوحة المتناسقة.

افتح قلبَكَ وحسَّكَ وعينَكَ، ثم اقرأ شيئاً عن مصر القديمة، ولاحِظْها، ما تزال حيَّةً في ضميرِ الشعبِ وعاداته وسلوكه. . . ثم اكتبْ^(٢).

* * *

(١) أسماء أحياء في القاهرة، يقولون إنها أرقى أحيائها.

(٢) الرسالة. عدد: ٨٢٨ «إلى الأستاذ توفيق الحكيم - ٢».

(٦)

سيد قطب وعباس محمود العقاد

تستحقُّ صِلَةُ سَيِّدِ قُطْبٍ بعباس محمود العقاد، أن تُفرد بالذكر في مبحثٍ مستقلٍّ، لأنها صِلَةٌ وثيقة متينة، صِلَةٌ شخصية، وصِلَةٌ ثقافية علمية، ولأنها تركتُ آثاراً ملحوظةً على سَيِّدِ قُطْبٍ وألقتُ ظلالاً خاصةً، على شخصيته وعقليته وثقافته وفكره، ولأنه كثر الكلامُ عنها، ووقع بعض الباحثين والكاتبين في أخطاءٍ حولها!!

نقاط التشابه بين الشخصيتين

هناك نقاطُ تشابهٍ والتقاءٍ واتفاقٍ وانسجامٍ بين الشخصيتين: شخصية الأستاذ عباس العقاد، وشخصية التلميذ المريد سَيِّدِ قُطْبٍ. وأبرزُ وجوه الشَّبه بينهما فيما يلي:

- ١ - كلُّ منهما قادمٌ من صعيد مصر. فسَيِّدٌ من قرية «موشة»، في محافظة أسيوط. والعقاد من «أسوان».
- ٢ - كلُّ منهما أقبلَ على الشعر والأدب والنقد، منذ مطلع حياته، فالعقاد شاعر، له عدة دواوين، وسَيِّدٌ شاعر له عدة قصائد. والعقاد أديب كاتب ناقد، وسَيِّدٌ في طليعة الأدباء والنقاد.
- ٣ - كلُّ منهما كتبَ كثيراً في الصحف والمجلات الحزبية والأدبية.
- ٤ - كلُّ منهما كان عضواً في حزب الوفد فترةً من الوقت طويلة، وكلُّ منهما ترك حزب الوفد فيما بعد.
- ٥ - كلُّ منهما عاش حياته الاجتماعية بدون زواج - رغم محاولة سَيِّدِ الخطبة أكثرَ من مرة -، حيث وهبَ كلُّ منهما نفسه للأدب والبحث والاطلاع.

٦ - كلُّ منهما توجَّه نحو الفكر الإسلامي والدراسات الإسلامية في مرحلة النضج العقلي من حياته. مع الفارق ما بين توجُّه العقاد الإسلامي النظري الذهني، وتوجُّه سيّد الإسلامي العملي الحركي الجهادي!

٧ - كلُّ منهما تمتع بشخصية قوية مؤثرة مستقلة، تركت آثارها الملحوظة في عالم الفكر والأدب.

صِلته بالعقاد مبكرة

بدأت صلة سيّد بالعقاد في وقت مبكر من حياته. فما أن وطئت قدماه القاهرة، وبدأ يتعرف على ما فيها، ومن فيها، حتى وجد نفسه في مكتبة العقاد الضخمة، واقفاً أمام شخصية العقاد المؤثرة.

وهناك أسباب لهذه الصلة المبكرة، منها:

١ - إقامة سيّد - عندما قدم للدراسة الثانوية في القاهرة - في بيت خاله «أحمد حسين عثمان»، واتفاق أحمد حسين عثمان مع العقاد، في كون كل منهما وفدياً، وصحفيّاً.

٢ - قرب إقامة سيّد من إقامة العقاد. حيث كان مقيماً عند خاله في حيّ «الزيتون» والعقاد مقيماً في حيّ «مصر الجديدة»، وهذا القرب المكاني جعل تردّد سيّد على بيت العقاد ميسوراً سهلاً.

٣ - إعجاب سيّد بشخصية العقاد، وما توفّر لها من مواهب، أدبية ونقدية وشعرية.

٤ - مكتبة العقاد الضخمة، التي وجد سيّد فيها ضالّته، والتي أشبعت نهمه للمطالعة والثقافة.

سيّد تلميذ للعقاد

كان العقاد علماً من أعلام الأدب، وقمّة من قمم الثقافة، وقد أرسى أسس مدرسة متميزة، في الأدب والمعرفة والثقافة والحياة، كان هو أستاذها ورائدّها، وشاركه فيها بعض الأدباء فترة من الوقت، مثل «عبد الرحمن شكري» و«إبراهيم عبد القادر

المازني»، وتتلّمذ عليه في هذه المدرسة الأدبية والفكرية، عشرات التلاميذ من الأدباء والشعراء والكتّاب، مثل عبد الرحمن صدقي، ومحمد خليفة التونسي، وعبد الفتاح الديدي، وأحمد مخيمر.

لكن سيّد قطب كان أبرز وأشهر تلميذ في المدرسة العقادية!

وكان سيّد يعترف بتتلّمذه على العقاد، ويُفاخر به.

وبينما ذاب تلاميذ آخرون في شخصية أستاذهم العقاد، وتحولوا إلى مجرد شارحين لأفكاره، مردّدين لآرائه، فإن سيّد كان ذا شخصيّة مستقلّة، وليس نسخة أخرى منه.

سيّد يعرف بكتب العقاد

من مظاهر تتلمذ سيّد على العقاد، وأتباعه لمدرسته، أنه قرأ كلّ ما كتبه العقاد من مقالات وقصائد، وما نشره من كتب ودواوين وأبحاث ودراسات.

وما كان يترك كتاباً أو ديواناً للعقاد إلّا ويعرف به، ويعرضه على صفحات الصحف والمجلات، ويشيد به، ويشير إلى عبقرية ونبوغ أستاذه.

وحول هذا يقول الدكتور «محمد رجب البيومي»... «ثم والى العقاد إصدار كتبه المتتالية، فكان الأستاذ سيّد قطب لا يترك منها مؤلفاً - شهد الله - دون أن يخصّه بالتحليل والشرح. تحدّث عن العبقریات وعن «الصّدّيقة بنت الصّدّيق»، وعن «عرائس وشياطين»، وعن «شاعر الغزل»، وعن «هذه الشجرة»، في مقالات نقدية كلّها إطراء وتقدير»^(١).

سيّد ومدرسة العقاد في الأدب والحياة

درس سيّد نتاج الأدباء المعاصرين، وتعرّف عليه. وقسمهم إلى مدارس أدبية متميّزة، وكان ينوي أن يُصدر كتاباً عنهم، أسماه «المدارس الأدبية المعاصرة»، لكنه عدل عن ذلك.

(١) مجلة الثقافة. السنة الخامسة. عدد: ٥٣. تاريخ شباط ١٩٧٨م. صفحة: ٥٤.

والمدارس الأدبية، أو المذاهب الفنية، التي قسّم الأدباء إليها هي :

١ - مذهب «الاستعراض التصويري»، الذي أسّسه الدكتور طه حسين، وله فيه تلاميذ^(١).

٢ - مذهب «التنسيق الفني»، الذي أسّسه توفيق الحكيم، وله فيه تلاميذ^(٢).

٣ - مذهب «التنسيق التعبيري»، الذي أسّسه أحمد حسن الزيات، وله فيه تلاميذ^(٣).

٤ - مدرسة «المنطق الحيوي»، التي أسّسها عباس محمود العقاد، وله فيها تلاميذ كثيرون.

ونوردُ تعريفه بمدرسة العقاد، حيث قال: «هي مدرسة في الأدب، كما أنها مدرسة في الحياة، يلتقي فيها تلاميذها على سنن واضح، ونهج صريح، ويجدون فيها تفسيراً معيناً للحياة والفنون، يشتمل نوع الإحساس، ولون التفكير، وطريقة التعبير، بل يشتمل فوق ذلك قواعد المنطق والسلوك، وتقويم الأشياء والأشخاص، وتقدير الحوادث والأعمال.

وهي مدرسة متبلورة، واضحة السمات، لا يجد الناقد مشقة ولا عُسراً في اختيار عنوانٍ لها، يمثل ويلخص أكبر ما تستطيع العنوانات تمثيله وتلخيصه: هي مدرسة «المنطق الحيوي».

والنسبة هنا إلى «الحياة»، وإلى «الحيوية» جميعاً...

إلى «الحياة»: لأن مردّد الحكم على كل قول وكل عمل، هو ما تقوله الحياة، وما تصنعه.

وإلى «الحيوية»: لأن مردّد الحكم على كل قول وكل عمل، هو باعثه، ومدى «الحيوية» في هذا الباعث.

(١) كتب وشخصيات: ١٠٤.

(٢) المرجع السابق: ١٢٥.

(٣) المرجع السابق: ٢٧٣.

أستاذ هذه المدرسة الأعظم، هو الحياة ذاتها»^(١).

سيد يغالي في نظريته للعقاد

درس سيد قطب شخصية أستاذه العقاد، دراسة عميقة فاحصة، وتزوّد بمختلف وسائل المعرفة، التي أعانته على التعرف على شخصية العقاد.

وحدّثنا عن بعض هذه الوسائل فقال: «ولقد رقيتُ إلى محاولة استيعاب العقاد - وأفلحتُ إلى مدى - على درجٍ من دراساتٍ شخصيةٍ جَمّة. ليستُ دراسةُ الأدب العربي ولا اللغة العربية إلّا أولى خطواتها. دراساتٌ تشمل كلَّ ما نُقل إلى اللغة العربية - على وجه التقريب - من الآداب الإفرنجية: قصةً وروايةً وشعرًا. ومن المباحث النفسية الحديثة: نظرياتُ العقل الباطن، والتحليل النفسي والمسلوكية. ومن المباحث الاجتماعية والمذاهب القديمة والحديثة. ومن مباحث علم الأحياء - بقدر ما استطعت - وما نُشرَ عن «داروين» ونظريته، ومن مباحث الضوء في الطبيعة والتجارب الكيماوية. ومما استطعتُ أن أفهمه عن «أينشتاين» والنسبية، وتحليل الذرة، وعلاقته بالإشعاع»^(٢).

وقد عبّ الدكتور محمد رجب البيومي على كلام سيد بقوله: «هذا بعضُ ما أهّل به سيد نفسه ليدرس العقاد. وإذا كان العقادُ جبار الثقافة دون نزاع، فإنه قد أورث تلميذه شَرهاً إلى المعرفة لا يُحدّ، وهو صادقٌ حين يذكر هذه الفروع الدقيقة في اطلاعاته، لأنه يزور أستاذه في مكتبته الخاصة، ويرى سَعَة معارفه، فلا بد أن يجاريه ما استطاع، ويا لها من همّة!»^(٣).

لقد أعجب سيد بالعقاد - بعد دراسته لشخصيته - إلى حد التعصب، وأحبّه إلى درجة الغيرة. واعترف بذلك قائلاً: «أنا لا أنكر أنني شديدُ الغيرة على هذا الرجل،

(١) مجلة الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٥١. تاريخ ٢٤ يناير ١٩٤٤م. صفحة: ٩١.

(٢) مجلة الرسالة - السنة السادسة - المجلد الأول. عدد: ٢٥٧. تاريخ ٦ يونيو ١٩٣٨م. صفحة: ٩٣٧.

(٣) مجلة الثقافة. السنة الخامسة. عدد: ٥٣. تاريخ فبراير ١٩٧٨م. صفحة: ٥٤.

شديد التعصب له، وذلك نتيجة فهم صحيح لأدبه، واقتناع عميق بفطرته، لا يؤثر فيه أن تجف العلاقات الشخصية بيني وبينه، في بعض الأحيان»^(١).

ونتيجة لكل هذا، اتسمت نظرة سيد إلى أستاذه العقاد بالغلو والمبالغة والإفراط، وفقد - غالباً - الوسطية والموضوعية، في دراسة نتاجه، والتعريف بفكره!.

لقد بقي سيد قطب - رغم استقلاله بشخصيته - لفترة طويلة، لا يرى في سماء الأدب إلا العقاد، ولا يلمس إلا جوانب من عبقرية العقاد، ولا يتذوق إلا شعر العقاد. فالعقاد عنده أديب العالم، وفيلسوف العالم، وأشعر شعراء العالم، وكل أدباء وشعراء العرب لا يساوون شيئاً إذا قورنوا به!.

وهذه النتيجة التي خرج بها سيد في نظره للعقاد، ليست غريبة، فإن شدة التعصب تُنسي صاحبها الاتزان، وشدة الغيرة تعمي صاحبها عن إحصار نبوغ وقدرات الآخرين، ولقد قال الحكماء قديماً: «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعَمِّي وَيُصِمُّ»!.

والجيد في الأمر أن الغلو والإفراط لم يستمرّا عند سيد، بل كانا لفترة من الوقت، ثم عاد إلى الاتزان والموضوعية والمنهجية، وقوم بذلك فكر وأدب العقاد، وأعطاه ما يستحقه من أحكام، وبين ما له وما عليه!

العقاد أكبر من أمير للشعراء

بعد وفاة «أحمد شوقي» - أمير الشعراء - أراد الدكتور «طه حسين» أن يتزلف للعقاد، وأن ينافق له، فأطلق عليه لقب «أمير الشعراء». وبذلك أغضب سيد قطب تلميذ العقاد ومريده، فاعترض عليه قائلاً: «ورأيي أن هذا اللقب غير لائق بالعقاد! لأن المسافة بينه وبين شعراء العربية في هذا العصر أوسع من المسافة بين السوق والأمراء!!».

العقاد عند سيد أشعر شاعر في لغة العرب في القديم والحديث، «قد يكون

(١) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الأول. عدد: ٢٥١. تاريخ ٢٥ أبريل ١٩٣٨م. صفحة: ٦٩٢.

هناك كُتَّاب يتقاربون مع العقاد. ولكن ليس هناك شعراء في لغة العرب، يتقاربون مع العقاد!!!.

ولقد كنتُ هممتُ بإصدار بحثٍ عن الشعراء المعاصرين، ونظرتُ في أدب جميع الشعراء الأحياء – وأنا من بينهم – ولكن عاقني عن إصداره أنني لم أجِدْ نقاطَ اتِّصالٍ بين العقاد الذي سأكتبُ عنه أولاً، وبين جميع الآخرين من الشعراء. الفرقُ هائلٌ جداً، وأكبرُ مما يتصوره الكثرون، بين طاقةِ هذا الشاعر، والطاقات الأخرى.

وسيفضُّ لقولتي هذه كثيرٌ من أصدقائي الشعراء المعاصرين، ولكنهم ليسوا أكرمَ عليَّ من نفسي، وأنا حَسَنُ الظنِّ بشعري – وليعذرني أنصارُ مبدأ التواضع – ولكنني حين أضَعُهُ أمامَ شعرِ العقاد يتلاشى، وتحتبسُ نفسي عن التعبير، حتى يسكنَ صدى شعرِ العقاد في نفسي!!»^(١).

ولم يكتفِ سيِّدُ بهذا الغلوِّ في النظر إلى العقاد، بل ارتقى إلى درجة أكبر، أعلن من خلالها أن العقادَ ليس شاعرَ العربية الأوحَدَ فحسب، بل هو شاعرُ العالم أجمع!!!: «ونحن لا ننصفُ الرجلَ حين نقول: إن الأوتارَ التي يوقِّعُ عليها الحب في نفسه، لم تجتمع قطُّ لشاعرٍ عربي، ولا تجتمع لعشرة من شعراء العربية في جميع العهود. نحن لا ننصفُهُ حين نتحدث عن اللغة العربية وحدها، ولكننا نقول ذلك مؤقتاً، لأنها اللغةُ التي نستطيع الحكم على آدابها، حكماً نملك أدلَّتُه كلُّها، ونجزمُ فيها بالصواب.

والأ فبَيْنَ يديَّ معرِّباتٌ كثيرة، لشعراء من الغرب مشهورين معروفين، مثل «بيرون وشيلي وألفريد دي موسيه وفكتور هوجو» لا أرى فيها من تعدُّ الجوانب الصادقة الأصيلة، ما أراه في غزلِ العقاد وشعره عامة»^(٢).

(١) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الأول: عدد: ٢٥١. تاريخ ٢٥ أبريل ١٩٣٨ م. صفحة: ٦٩٤.

(٢) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الثاني. عدد: ٢٦٨. تاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٣٨. صفحات: ١٣٨٠ – ١٣٨١.

خصومه يهاجمونه بشدة

لقد دفع هذا الغلو سيّد إلى خوض معارك أدبية عنيفة، ضدّ أدباء آخرين، وإلى المبالغة في النظر إلى العقاد على حسابهم.

ولقد نتج عن غلوّه في تقدير العقاد وأدبه، وانتقاده للأدباء الآخرين، وجود خصوم له من الأدباء الكبار وتلاميذهم، وصار هؤلاء الخصوم يهاجمونه بشدة، ويوجّهون له اتهامات عنيفة.

ومن أهمّ ما اتهموه به، تتلمذه على العقاد، وذوبان شخصيته في شخصية العقاد، وتحولّه إلى مرّد لآراء وأفكار العقاد، واتهام العقاد بأنه وراء معارك سيّد الأدبية مع الخصوم، يلقن تلميذه ما يقوله فيها، وما على تلميذه سيّد إلا التردد!

من خصومه الذين اتهموه، وطعنوا فيه لتلمذته للعقاد «صلاح ذهني»، الذي دارت بينه وبين سيّد معركة أدبية.

قال سيّد عن اتهام صلاح ذهني له، وردّه عليه: «وثالثة الشتائم في القائمة: أنني ظلّ العقاد في الظهيرة!

فلأكرّر هنا ما قلته من قبل للدكتور مندور: إنني أفهم المسائل على نحو غير الذي يفهمه بعض «شبان» الجيل. إنني لا أحاول إنكار تلمذتي للعقاد، لأنّ لديّ ما أقوله وما أبدعته وراء ذلك، فلست أخشى على وجودي حين أعترف بهذه الأستاذية، وهي حق، فلا يسمح لي خلقي أن أنكرها أشدّ الإنكار، وأن أبرأ منها كلّ البراءة، كما كان الأستاذ صلاح يصنع ويتشجع، حين يقال: إنه من تلاميذ تيمور»^(١).

وكانت أعنف المعارك الأدبية، التي هاجمه فيها خصومه بشدة، تلك التي دارت على صفحات مجلة الرسالة، حول أدب العقاد والرافعي، وقد بدأها سيّد قطب بكلام له عن أدب الرافعي، فردّ عليه تلاميذ الرافعي، منهم: محمد سعيد العريان، ومحمود شاكر، وعلي الطنطاوي، والدكتور محمد أحمد الغمراوي. وسنشير لها عند كلامنا عن «معارك سيّد قطب الأدبية».

(١) مجلة الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٤. تاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٤٤م. صفحة: ١٠٣٥.

سيّد يدفع ثمن دفاعه عن العقاد

لقد وقف سيّد إلى جانب العقاد سنواتٍ طويلة، ودافع عنه في كلّ مجال، وبكلّ وسيلة، دافع عنه في كتبه ومقالاته ومحاضراته، ونداوته وجلساته وأحاديثه.

وقد استفاد سيّد من صلته بالعقاد ومن دفاعه عنه، عندما كان العقاد في بحبوحه العيش، وفي انسجامٍ مع حزب الوفد، الذي كان يملك الكثير في ذلك الوقت. استفاد سيّد من العقاد الشهرة والذكر والنبوغ، حيث قدّمه العقاد إلى مجلات الوفد وصحفه ورجاله، فشارك سيّد في ذلك بفاعلية وهمة ونشاط.

ولكنّ العقاد خرج على حزب الوفد، وهاجمه بشدة، فحاربه رجال الحزب في كلّ مجال، وبكلّ وسيلة، وحاربوا تلاميذه، وحاربوا كلّ من تكلم عنه ودافع عنه. وصار الكتاب ينفذون عن العقاد، وأصبحوا لا يجرون على مذهبه، والكتابة عنه في الصحف والمجلات.

أما سيّد قطب، فقد كان وفياً لأستاذه، حيث وقف معه في محنته، واستمر يدافع عنه، ويهاجم خصومه.

وكان لا بد أن يدفع ثمن هذا!

وقد حدّثنا عن الثمن الذي يدفعه بقوله: «أما الدفاع عن العقاد فيكلفني التعرض لغضب الكثيرين من ذوي النفوذ في هذه الوزارة – وفي كلّ وزارة – ومن بينهم كثير من رؤسائي، في وزارة المعارف نفسها، لأن العقاد رجل لم تبق له قولة الحق صديقاً من السياسيين، وكثير ممّن يُظهرون صداقته يُكنّون له غير ذلك، لأنهم ينفسون عليه شموخه واعتداده بنفسه، وتعاليه على الضرورات.

ويكلفني خصومة الأدباء من المدرسة القديمة والحديثة على السواء. فأما أولئك، فسبب سخطهم معروف. وأما هؤلاء، فلأنهم ينفسون على العقاد أن يعطيه ناقدٌ بعض ما يستحق من تقدير. ومن لا يعرف هذه الحقيقة، فأنا – وقد أتاحت لي الظروف الاطلاع على داخلية كثير من الصحف والأدباء – أعرف ذلك، وأعرف أن الكلمات التي يقدّر فيها العقاد، لا تجد طريقها سهلاً للظهور في الصحف، على اختلاف أهوائها ونزعاتها السياسية، واختلاف المشرفين عليها من الأدباء وغير الأدباء.

ويكلفني خصومةً كثيرٍ من ناقصي الرجولة – وهم أعداء العقاد الطبيعيون – وكثير من ناقصي الثقافة، الذين لا يفهمون العقاد، فيحملونه تبعاً عدم فهمه، ولا يكلفون أنفسهم عناء الدرس والثقافة!

وكثير من مغلقي الطِّباع، الذين يستغلِّقون أمام كلِّ أدبٍ حي .
وكثير وكثير ممن يؤلِّفون أكثرية القراء في هذا البلد المنكوب . .
وقد يفهم هؤلاء النفعيون، أنَّ للعقاد الآن نفوذاً ننتفعُ به، فلهؤلاء أقول: إن للعقاد نفوذاً نعم، ولكنه لا يستخدمه في قضاء المصالح، وتنفيذ الأغراض . . .
وذلك بغضِّ النظر عن طبيعتي الخاصة، في الانتفاع بنفوذ الأصدقاء، ذلك الانتفاع الذي يبدو غير مفهوم، حينما كنتُ أناصرُ العقاد وهو خصمُ الوزارات القائمة، وأوقع على ما أكتبه بامضائي الصريح، في أخرج الأوقات . . .»^(١).

سيد كان يخشى الذوبان في شخصية العقاد

هناك تلاميذ للعقاد ذابت شخصياتهم في شخصية العقاد.

واتهم خصوم سيد قطب بأن شخصيته ذابت في شخصية العقاد، وكان سيد – في بداية تتلمذه للعقاد – يخشى أن تذوب شخصيته في شخصية العقاد، وبقي يقاوم هذا الهاجس، ويحرص على أن يحتفظ باستقلاله الشخصي، وأن يوفق بين أخذه عن أستاذه العقاد، وبين عقليته وشخصيته المستقلة!

وقد اعترف بذلك فقال: «إنني لم أعد أحرص اليوم على مقاومة الفناء في الشخصيات الأخرى، لأنني عدتُ أكثر اطمئناناً لعدم الفناء! وإنني لأعرف اليوم أن صيحتي يومذاك، إنما كانت صحيحة الخائف الذي يحدث نفسه في الظلام، وينفي عنها الأوهام، ليشعر بالاطمئنان!!».

لقد كنتُ يومها أتحدث عن العقاد، وكانت شخصية العقاد هي الشخصية

(١) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الثاني. عدد: ٢٨٠. تاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٣٨ م.
صفحة: ١٨٦٦.

الوحيدة التي أخشى الفناء فيها — كنت أحسُّ هذا بيني وبين نفسي — ولقد ظَلَّتْ هذه الخشيةُ إلى وقتٍ قريبٍ، حينما بدأتُ أشعرُ أنني قد تخلصْتُ، وأني أنتفعُ بالعقاد، ولكنني لا أقلُّده. وأنَّ لي طريقاً ألمحُ معالمه، وأستشرفُ آفاقه. وأني أتذوقُ بحسِّي، وأنظرُ بعيني، وأسمعُ بأذني. وإنَّ كانَ للعقاد فضلُ التوجيه في الطريق العام. عندئذٍ بدأتُ أسكتُ عن كلِّ اتِّهام. وبدأتُ أتحدثُ عن أستاذية العقاد لي، وتلميذتي عليه، وبدأتُ أسخرُ من بعض «شبان» الجيل، الذين يحسبون هذا مطعناً، يوجِّهون إليَّ منه الغمزات! فأؤكدُ لهم التهمة، التي يلمِّحون بها أو يصرِّحون»^(١).

سيّد يخالف العقاد منذ مطلع حياته النقدية

سيّد لم يكن مجردَ تابع للعقاد، ولم يكن ظلاً للعقاد وقتَ الظهيرة! — كما اتهمه صلاح ذهني — ولم تَفنْ شخصيته بشخصية العقاد. لقد كان سيّد ذا شخصية مستقلة، في صلاته بالعقاد، وتعامله معه، وتلقّيه منه، وتذوقه لأدبه.

كان العقاد وسيّد شخصين متميزين، وشخصيتين مستقلتين، يتفقان في كثيرٍ من المسائل، لكنهما يختلفان أحياناً في بعض المسائل الأدبية والنقدية. لقد خالف سيّد أستاذه العقاد في مطلع حياته النقدية.

انتقد سيّد ديوان أستاذه العقاد «هدية الكروان»، مع ديوانين آخرين، هما «ديوان صالح جودت»، و«الينبوع» لأحمد زكي أبوشادي. وكان ذلك في مقالهِ النقدي في صفحة «الأهرام» الأدبية عام ١٩٣٣م.

قال سيّد عن ذلك المقال، وعن المأخذ الذي أخذه على العقاد في ديوانه وغيره، وعن أثر ذلك النقد على العقاد، وعن ردّه هو على العقاد: «فأما «هدية الكروان» فقلتُ عنها: إنها منتهى النضوج الفني للعقاد، وإنها سلمت من بعض أشياء، كانت تغضُّ من الجمال الفني الكامل، لبعض شعر العقاد، وهي ما أسميته

(١) مجلة الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٧. تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤م. صفحات ١٠٨٧ — ١٠٨٨.

«قسوة القلب»، وعنيتُ به أن يَحْتَجَنَ الشعورُ الطليق في ثوبٍ أضيّق وأقسى مما يلائمُ هذا الشعورَ الطليق»^(١).

والعقادُ شخصٌ عجيب، يعتدُّ بنفسه اعتداداً لا نظيرَ له، ولا يرضى أن يأخذَ عليه أحدٌ أيّ مأخذ، ولا يقبلُ أن ينتقدهُ أيُّ ناقد، حتى لو كان ذلك المنتقدُ الناقدُ، هو تلميذه سيّد قطب.

قال سيّد عن أثر نقده على العقاد، وعن غضبِ العقاد على جمعٍ سيّد بينه وبين شاعرَيْن آخرين - صالح جودت وأحمد زكي أبو شادي - : «فأما العقاد، فهو ساخطٌ حانق، ساخطٌ لأنني جمعتُ بينه وبين أبي شادي في مقال. وحانقٌ لأنّ أقول شيئاً عن «قسوة القلب» في بعض شعر العقاد. وأقابله، فيعلن هذا السخط، وهذا التبرُّم.

إنه لا يسلمُ بقسوة القلب في بعض شعره، ولا يبيحُ لي أن أوجّه هذا النقدَ له. لأنّ منشأه هو قصوري عن فهم شعره، وإنّ على الناقد أن يرتفع لمستوى الشاعر، وليس على الشاعر أن يهبط لمستواه!

وكان العقاد مهتاجاً، ولكنني كنت هادئاً الأعصاب!

. . . وذكرتُ له أن الناقدَ الذي يكتبُ محاضراته عن ديوان «وحي الأربعين» للعقاد، فيفهمُ دقائقه فهماً يَرْضَى عنه العقاد، لا يَقْصُرُ عن فهم «هدية الكروان» وهي أسهلُّ من «وحي الأربعين»!!

وافترقنا، وفي نفسِ العقاد شيءٌ أحسّه، ولكنني آسفٌ له، وإن كنتُ لا أنوي التأثيرَ به!!»^(٢).

سيّد ينتقد فهمَ العقاد للشعر والأدب

استمرَّ سيّد في استقلاليتِه في فهم الأدب والشعر، رغم تتلمذه على العقاد، وموافقته لأستاذه في كثيرٍ من آرائه الأدبية والنقدية.

(١) مجلة الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥. صفحة: ٢٢.

(٢) الأسبوع - المرجع السابق: صفحة: ٢٢ - ٢٣.

ولكنه كان يُعلن مخالفته للعقاد، في بعض المسائل الأدبية والنقدية، ويكتبُ هذا في الصحف والمجلات، ولا يهمله إن رضيَ أستاذه العقاد أو لم يرضَ، المهمُّ عنده أن يقولَ ما يعتقدُه. كان يكتبُ هذه المخالفةَ وذلكَ النقدَ، ويجهرُ فيه، في الوقتِ الذي كان لا يجروُ فيه كثيرٌ من النقاد والكتّاب على الجهرِ بنقدِ العقاد، وتسجيلِ المآخذ عليه، خوفَ الوقوع تحت سلطانِ لسانِه الحادِّ العنيفِ المفرعِ، في تناول مَنْ يخالفونه.

قال سيّد يوماً للدكتور أحمد زكي أبو شادي عن غضبِ العقاد على سيّد، لانتقادِ الأخير له: «فلتحدثْ بصراحةٍ يا دكتور. أنتَ تعني ما تقول؟ أنتَ تنفي عن العقاد ما أتَّهمُهُ أنا به؟»

إنني قلتُ كلاماً عن باعِثِ قسوةِ النقدِ في نفسِ العقاد لناجي، وقد يكونُ في هذا الكلام ما يُغضبُ العقادَ، بل إنه ليُغضبُهُ قطعاً، وأنا مصرٌّ على ما قلته، وواضحٌ فيما قلته!.. وإنني لصديقٌ للناس، ولكني أشدُّ صداقةً لعقيدتي.

فإذا كان الدكتور – أو غيره – يسرُّه أن يثيرَ بيني وبينِ العقاد عداً، في صورةٍ من القولِ البريء، فله ذلك! فلن يَضرَّني أن أخسرَ صداقةَ أحد، أكثرَ مما يَضرُّني أن أخسرَ صداقتي لنفسِي!!»^(١).

وقد ذكر سيّد لأحمد فؤاد الأهواني عن الصلةِ بينه وبينِ العقاد، باعتبارهما شخصين، يتمتعُ كلُّ منهما بشخصيةٍ مستقلة، وعن مخالفته لبعض آراءِ العقاد في الشعر والأدب: «وحتى العقاد، وصلتي بشخصه معروفة، وصلتي بأدبه أوثقُ مراتٍ من صلتِي بشخصه – ولو فهمَ الكثيرون غير هذا – كتبتُ عنه في كلِّ مرةٍ بالعقيدة الفنية التي أعتقُها».

وقد يبدو فيما كتبه أخيراً عن «العقاد الشاعر» في «كتب وشخصيات» أنني اختلفُ معه في بعض الأحيان، على تعريفِ الشعر وتذوُّقه، وعلى النظرةِ إلى العاطفةِ وأطوارها.

(١) مجلة الأسبوع. السنة الأولى. عدد: ٣٣. تاريخ ١١ يوليو ١٩٣٤م. صفحة: ١٦.

ولكنه اختلافُ الرأي والإحساس، الذي لا بدُّ أن يقعَ بين شخصيّةٍ وشخصيّةٍ، متى تبلورت الشخصيتان، وظهرتْ معالُهما واضحةً، ولو كانتا شخصيتي التلميذ والأستاذ»^(١).

انتقدَ سيّد فهمَ العقاد للشعر والأدب، في ثلاثِ مقالات، جعلها بعد ذلك في كتابه «كتب وشخصيات».

الأولى: «الوعي في الشعر» وقد نشرها أولاً في مجلة «الكاتب المصري» في شهر مايو ١٩٤٦م^(٢).

الثانية: «نفحات من فارس: أغاني شيراز» وقد نشرها أولاً في مجلة «الكاتب المصري» في شهر فبراير ١٩٤٦م^(٣).

الثالثة: «دفاع عن البلاغة» للزيات، التي نُشرت أولاً في مجلة الرسالة^(٤).
ونقدهُ لفهم العقاد للشعر في المقالاتِ الثلاث موجزٌ سريع، ولكنه خصّصَ مقالةً خاصةً لنقدِ شعر العقاد، جعلها فصلاً من الكتاب، هي «العقاد الشاعر وأعاصير مغرب»^(٥).

ونقتطفُ من مقالته هذه العباراتِ للدلالة على ما نقول:

«في وضوح النهار يعيشُ العقاد، صاحي الحس، واعي الذهن، حيّ الطبع، لا يهومُ إلا نادراً، ولا يتوهُ فيما وراء الوعي أبداً.

... ويبُلغُ العقاد قمتَه حين تبلغُ الحيويةُ تدفقُها، فتجرف المنطق الواعي، وتغطي عليه.. فأما حين يضعفُ هذا التدفق، فيتجرد الشعرُ من اللحم والدم، ويُخيّلُ

(١) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٣. تاريخ ٦ أغسطس ١٩٤٦م. صفحة: ٨٧٤.

(٢) كتب وشخصيات: ٤٢ - ٤٧.

(٣) المرجع السابق: ٦٨ - ٨٣.

(٤) المرجع السابق: ٢٧٣ - ٢٩٠.

(٥) المرجع السابق: ٨٤ - ١٠٢.

إليك أن مكانه ليس هنا في الديوان، ولكنه هناك في كتبه بين التأملات الفكرية، والقضايا المنطقية»^(١).

وبعد أن أوردَ نماذجَ لقصائدَ رفيعةٍ من ديوان العقاد «أعاصير مغرب» وأعلنَ رضاه عنها، قال: «ولقد هممتُ أن أجمعها وأسميها «الشعر في ديوان العقاد» مصدرّةً ببحثٍ وافٍ عن «العقاد الشاعر» وأنقلَ التأملاتِ التجريدية، والقضايا المنطقية، والحقائق التعليمية، إلى مكانها في كتب النثر أيضاً. فإني لأحسبُ اختلاطَ هذه وتلك في دواوين الشعر، مما يصدُّ الكثيرين عن تذوّقِ شعرِ العقاد!»^(٢).

إنَّ سيّدَ يعتبرُ معظمَ شعرِ العقاد والمدرسةِ العقادية، شعراً ذهنياً فكرياً واعياً، وليس شعراً عاطفياً غنائياً، وسيّد يريدُ الشعرَ الثاني. ولهذا قال عن شعر العقاد ومدرسته، في كلامه عن أغاني حافظ شيرازي الشعرية، عندما تكلم عن كتاب «أغاني شيراز»: «إن هذه الأغاني تجيءُ في وقتها المناسب، والشعرُ العربيُّ يعاني أزمة، يحتاجُ فيها إلى مثل هذا الزاد. فلقد آنَ للشعر أن يكون غناءً بحثاً بعدما طوّح بنفسه في مجالاتٍ لم تعدْ له، ولم يعدْ يبدو فيها بأجملِ ألوانه...»

.. والموجةُ الفلسفية في الشعر العربي الحديث، كانت ضرورةً في وقت من الأوقات، لأنها كانت ردّ فعل طبيعي لموجةٍ أخرى سبقَتْها: موجةُ الأسلوب اللفظي، أو الأسلوب الإيقاعي.. فكانت مهمةُ الموجةِ الجديدة أن تُدخلَ القصْدَ والمعنى إلى الأدب، وأن تُمدّدَ الشعر بروافدٍ نفسية وفكرية حية، لتنقذه من ذلك العبث بالمحسنات البديعية الجوفاء..

.. ولكنها وقفتُ بالشعرِ الحديثِ حيث لا يجوز الوقوف، قصّتُ من أجنحته المرفرفة، وغصّتُ من غنائيته المنعّمة، وأقلّتُ فيه من السباحاتِ والومضات، وجعلتُ عنصرَ الوعي الفكري بارزاً فيه..

(١) كنب وشخصيات: ٨٤ باختصار.

(٢) المرجع السابق: ٨٩.

... وأحسب أنه قد آن الأوان لتنحسر الموجة الفكرية الفلسفية، تاركةً للشعر غنائيته وبساطته ورفرفته، كيما يتأدى إلى الحس بأشواقه وأحلامه، وبصوره وظلاله...»^(١).

وفي عام ١٩٥١م عرّف بديوان شعر غنائي فني رفيع، هو ديوان «أنفاس محترقة» للشاعر «محمود أبو الوفا»، وأعلن في تعريفه رأيَه في مدرسة العقاد الشعرية: «في الجو رائحة تفوح، رائحة شعر، إنها «أنفاس محترقة» للشاعر محمود أبو الوفا، ذلك الشعر الذي لم نعرفه في حينه، لأننا كنا في غفلة عن إدراك حقيقة الشعر في ذلك الحين!

كنا نلتمس الشعر مخنوقاً في رُكام «الفكرة» المعتلة، الجامدة، أو متقززاً في اللفتة الذهنية البراقة!

... فأما الشعر، الشعر كما هو، مجرداً من القوالب والأشكال، طليقاً من ثقله الفكر، ولمعة الذهن، واصطناع المشاهد والموضوعات... الشعر كما هو طليقاً رفاقاً، طلاقة العطر والشذى، فهو ما لم نحفل به كثيراً»^(٢).

سيد يعلن خروجه على المدرسة العقادية

بقي سيد يبتعد عن المدرسة العقادية في الشعر والأدب والحياة تدريجياً، وينتقد فهم العقاديين للشعر والأدب في مناسبات عديدة، ويخص بانتقاده أستاذ المدرسة «العقاد» كثيراً.

إلى أن أعلن خروجه على المدرسة نهائياً، وانفصاله عنها كلياً، ومخالفته لمنهج وفهم العقاد في الأساسيات والأصول.

كان ذلك في شهر فبراير ١٩٤٨م، حيث نشر مقالاً في مجلة «الكتاب»، بمناسبة نقده لديوان «لزوميات مخيمر»، للشاعر «أحمد مخيمر» أحد تلاميذ العقاد.

(١) الكاتب المصري. المجلد الثاني. العدد الخامس. فبراير ١٩٤٦م. صفحة: ١٥٧.

(٢) الرسالة. السنة التاسعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٩٤٥. تاريخ ١٣ أغسطس ٩٥١. صفحة: ٩٠٩.

ونقتطف من مقالِه هذه الفقراتِ الهامةَ الكاشفة:

«لقد آن لنا أن نفهمَ الشعرَ، لا على طريقةِ مدرسة شوقي وحافظ والمنفلوطي، ولا على طريقةِ مدرسة العقاد وشكري والمازني . . .

فكلتاها مرحلتان من مراحل التطور، قامتا بدوريهما في النهضة، وآن أن يخلفهما فهمٌ للشعر جديد!

لقد قامت أولاهما، على أساس أن الشعرَ جزالةٌ تعبير، وجلجلةٌ إيقاع، وابتداعٌ أخيلة، وبراعةٌ تناول، ومقدرةٌ أداء . . . وعلى الإجمال مهارةٌ صناعةٌ تعبيريةٌ وتخيلية، ولا شيء وراء ذلك، ممّا له علاقةٌ بصميم النفوس، وحقائق الشعور . .

وقامت أخراهما على أساس أن الشعرَ صورٌ حياة، وخلجات نفوس، وسمات شخصيات، وحقائق شعور . . وهذا كلّهُ صحيح . ولكن هذه المدرسة عند التطبيق العملي لفهمها للشعر، كانت طاقتها الشعرية أقلّ من تصوّرها للشعر، فجاء نتاجها الشعري - في عمومهِ - ناقص الحرارة، غير مكتمل الشاعرية . وظلّت - إلا قليلاً - تَمَتُّح من تصوّرها الواعي للشعر، قبل أن تفيض من شعورها الكامن في الضمير . .

لم تفرّق هذه المدرسة في نتاجها بين الفكرة الشعرية والإحساس الشعري . . .»^(١).

أما إعلانهُ الخروجَ على المدرسة العقادية، ففي قوله: «ولست أنكرُ فتنتي فترةً طويلة من العمر بهذه المدرسة كفكرة، وفتنتني بنتاجها الأدبي كشعر، وتأثري بها، إلى الحدّ الذي أنفقتُ فيه شَطراً من عمري، وأنا أقولُ الشعرَ، لا أفرّقُ فيه بين الفكرة الجميلة الشعرية، أعتنقها مذهباً، والإحساس الجميل الشعري، ينبض به شعوري، ويعيش انفعالاً غامضاً في ضميري . .

ولم أجد نفسي إلا منذ عامين اثنين، أنتبهُ إلى الفارق الأصيل بين الفكرة الجميلة، والشعور الجميل . وأجدُ للشعر مذاقاً آخر، غير ما سبق لي أن أحسّته، في

(١) مجلة الكتاب . المجلد الخامس . الجزء الثاني . فبراير ١٩٤٨ . صفحة : ٢٤٨ .

نحو خمسة عشر عاماً أو تزيد»^(١).

وأتخذها فرصة مناسبة ليتكلم عن شعر العقاد الذهني الواعي : «ولأضرب هنا الأمثلة من شعر العقاد - أستاذي الأول ورأس هذه المدرسة - وإن الفوارق في شعره لبعيدة، بين شعر الفكرة المجردة، التي لم تلمس قلبه، وشعر الفكرة الحارة، التي مست شعوره، وشعر الإحساس الفائنض، الذي عاشه الشاعر، وانطلق مباشرة من الضمير إلى التعبير.

ومهما تكن الفكرة في شعره أحياناً قوية جميلة، فإنها تبقى دون الإحساس الشعري بمراحل، لأن هذا الأخير هو الشعر، الشعر في صميمه : فالشعر غناء رفاف طليق، ينبعث من القلب انبعاثاً، كالإشعاع ينطلق من الجمرة بعد أن تتوهج إلى الحد الأقصى، ولا ينبعث منها قبل ذلك، إلا أن يتم توهجها!»^(١).

وسجل أبرز خطأ وقعت فيه المدرسة العقادية : «إن «الوعي» هو أظهر سمات المدرسة العقادية. والوعي في الشعر معوق قوي للغناء. وما لم يكن الانفعال وراءه دافقاً حاراً، إلى الحد الذي يغمر الوعي ويجرفه، تتعري الفكرة وتتجرد، وقد تبرد، فتبعد عن ميدان الشعر بمقدار ما يتخلى عنها التدفق والحرارة»^(٢).

ولقد أخبر سيد زميله «عباس خضر» أثناء مناقشة بينهما عن الاتجاهات الأدبية بقوله : «إنني أشعر أننا بحاجة إلى مرحلة ما بعد العقاد، إلى الانتقال من الذهنية الغالبة والخواطر العقلية، إلى المشاعر والوجدان»^(٣).

ويبدو أن لفهم سيد قطب لأسلوب القرآن في العرض والتعبير واعتماده في ذلك على التصوير، وتأثيره في القلب والشعور والكيان كله، أثراً مباشراً على فهمه للأدب والشعر، وتركيزه على الإحساس الشعوري في الشعر، لأنه ألف عام ١٩٤٥ م كتابه الفريد الرائد، «التصوير الفني في القرآن»، وخرج على مدرسة العقاد عام ١٩٤٦ م!

(١) المرجع السابق : ٢٤٩.

(٢) المرجع السابق : ٢٥١.

(٣) مجلة الثقافة. السنة الرابعة. المجلد الثامن. عدد : ٤٧. تاريخ أغسطس ١٩٧٧ م. صفحة : ٤٨.

سيّد يذكر أسباباً أخرى لانفصاله عن العقاد

هناك أسبابٌ أخرى، دعت سيّد للخروج على مدرسة العقاد في الأدب والفكر والحياة. منها:

ضعفُ الناحية الروحيّة عند العقاد، وتناوله للمسائل والقضايا، من الزاوية الفكرية العقلية الذهنية البحتة. قال سيّد لأبي الحسن الندوي عندما قابلته في القاهرة عام ١٩٥١م: «إن نفسي لم تزل متطلعةً إلى الروح وما يتصلُ بها، وكنتُ في صغري مشغولاً بقراءة أخبار الصالحين وكراماتهم، ولم تزل هذه العاطفة تنمو في نفسي مع الأيام.

والأستاذ العقاد رجلٌ فكريّ محض، لا ينظرُ إلى مسألة، ولا يبحثُ فيها إلا عن طريقِ الفكر والعقل.

فذهبتُ أروي نفسي من مناهلٍ أخرى، هي أقربُ إلى الروح. ومن ثم عنيتُ بدراسة أشعار الشريّين، كطاغور وغيره»^(١).

ومن تلك الأسباب أيضاً: ضعفُ العقاد أمام الضغوط السياسية التي وُوجهَ بها بعدما امتدَّ به العمر. قال سيّد للندوي: «إني كنتُ أعتقدُ أن مثلَ العقاد في عقله الكبير، وشخصيته العظيمة، لا يخضعُ للضرورات والملابسات، كالحكومة والسلطة، ولكنه سألَمَها»^(١).

سيّد يعتبُ على العقاد

جفا العقاد تلميذه سيّد، بعدما خرجَ عليه أدبياً أولاً، ثم فكرياً بعد ذلك، وزادتُ جفوةُ العقاد له — بل صار يمتقته — بسبب اتجاهه الإسلامي، وسيره في طريق العمل الحركي الإسلامي، والعقاد لم يكن يطيقُ الاتجاه الإسلامي العمليّ، المتمثل في حركة الإخوان المسلمين، بل كان يحاربُه بشدّة وشراسة، حيث وصلَ به الأمرُ إلى اتهام «حسن البنا» — رائد البعث الإسلامي المعاصر — بأنه يهوديُّ الأصل، وأن جماعته التي أسسها «الإخوان المسلمين» إنجليزية يهودية!!

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي، للندوي: ٩٦.

صار العقاد يتحدث عن سيّد، وينتقده، ويأسف لتوجّهه الجديد، ويعتبره قد اختار طريق الغفلة والسذاجة، وأهمّل أعمال عقله وفكره وذهنه!

وكتب عام ١٩٤٦م مقالاً في مجلة الرسالة بعنوان «إرادة الغفلة»، كان يقصد فيه سيّد قطب، ويعتبره أنه أراد الغفلة وألغى الذكاء والفطنة — كما أخبرني بذلك الأستاذ محمد قطب —^(١).

صار سيّد يُصدرُ كتبه الأدبية والفكرية تباعاً، وتوقع من أستاذه السابق «العقاد» أن يتكلم عنها، وأن يكتب عنها، وأن يسمع منه كلمة ثناء وتقدير وتشجيع، فكتبه الأدبية والفكرية لقيت رواجاً ونجاحاً، واستقبلها الأدباء والقراء استقبالاً حسناً، وانتظر كلمة من «العقاد» ولو من باب ردّ الجميل، حيث خاض سيّد، المعارك الأدبية الحادة، انتصاراً للعقاد، وكتب العديد من المقالات مُعرفاً بكتب العقاد، مقرّظاً لها، مثنياً على أستاذه فيها، أفلا يستحقّ هذا كله كلمة من أستاذه له؟ ولكن الكلمة لم تأت!

عتب سيّد على العقاد عتياً بالغاً، وعجب منه لموقفه منه، ومن كتبه وأبحاثه، وأسرها في نفسه!!

سيّد يصارح الدكتور أحمد أمين

بقي تأثر سيّد من موقف العقاد خاصاً به، وعتبه في نفسه، حتى حان الوقت لإظهاره.

ففي عام ١٩٥١م، كتب الدكتور أحمد أمين مقالاً في مجلة «الثقافة» سمّاه «ضيعة الأدب»، وأهداه إلى سيّد قطب. وحمل أحمد أمين المسؤولية في ضياع الأدب إلى الجيلين من الأدباء: جيل الشيوخ، وجيل الشبان.

اعتبر جيل الشيوخ مسؤولاً لأنّ الأدباء الشيوخ كانوا مستقّلين، لا يُعدّون مَنْ يخلّفهم، فإذا زالوا زالت مدارسهم، وتسكّع مَنْ بعدهم طويلاً حتى يختطوا الطريق.

(١) انظر مقال «إرادة الغفلة» في مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٦٦٣. تاريخ ١٨ مارس ١٩٤٦م. صفحات: ٢٨٩ — ٢٩١.

واعتبرَ أحمد أمين جيلَ الأدباء الشباب مسؤولاً، لأن الأديب الناشئ منهم «ينفرُ من أن يكون «مريداً»، ويودُّ أن يتزبَّب قبل أن يتحصَّرم، أو أن يطلَّع المئذنة من غير سلَّم، وما هكذا تُنال الأمور!!».

وكان أحمد أمين يعني سيِّد، بأنه لم يمرَّ بمرحلة «المريد» لأستاذٍ في عالم الأدب، وأنه تزبَّب قبل أن يتحصَّرم، وطلع المئذنة من غير سلَّم!

وقد ردَّ سيِّد قطب على كلمة أحمد أمين في مجلة «الثقافة» وبين نظرة الأدباء الشيوخ لتلاميذهم من الأدباء الشباب، وقال عن أولئك الشيوخ من أمثال: العقاد وطه حسين وأحمد أمين: «لقد كانوا من الأنانيَّة – ومعدرةً إذا قسوتُ – بحيث لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم، فلم يعدَّ لهم وقت للمريدين والتلاميذ. ولم تعدَّ في أرواحهم فسحةٌ تسعُ المريدين والتلاميذ!

لقد كانوا أنانيين، فلم يُشعروا المريدين أنهم يُعدُّونهم لشيء، ويهيئونهم لتلقّي الشعلة، وأنَّ الطريق أمامهم طويل، لأن العبء الذي سيُلقي على عاتقهم ثَقِيل.. ومن هنا استعجلَ الشباب وقلقوا، وحاولوا صعود المئذنة من غير سلَّم!.

ثم صرح سيِّد أمين بتجربته الخاصة مع العقاد، وكتب عباراتٍ كاشفة عن صلاته السابقة بالعقاد، وعن موقف العقاد منه بعد ذلك: «ودعوني الآن أصارحكم بتجربتي الخاصة، التي تركتُ في نفسي ذات يومٍ مرارة. ومن أجل هذه المرارة لم أكتب عنها من قبل، حتى صفتُ روعي منها، وذهبتُ عني مرارتُها، وأصبحتُ مجرد ذكرى، قد تنفع وتعض..».

لقد كنتُ «مريداً» بكل معنى كلمة المريد، لرجل من جيلكم، تعرفونه عن يقين. ولقد كنتُ صديقاً أو ودوداً مع الآخرين من جيلكم كذلك. لقد كتبتُ عنكم جميعاً بلا استثناء. شرحتُ آراءكم، وعرضتُ كتبكم، وحللتُ أعمالكم، بقدر ما كنت أستطيع.

ثم جاء دوري...

جاء دوري في أن أنشر كتباً، بعد أن كنت أنشر بحوثاً ومقالات وقصائد. لقد

جاء دوري في نشر الكتب متأخراً كثيراً، لأنني آثرتُ ألا أطلع المئذنة من غير سلم، وأن أتريث في نشر كتب مسجلة، حتى أحس شيئاً من النضج الحقيقي، يسمح لي أن أظهر في أسواق الناشرين.

وكان أول كتاب نشرته، هو ذلك الكتاب الذي نال إعجاب صديقكم الراحل، المغفور له «عبد العزيز باشا فهمي»، ذلك الإعجاب الذي آثرتُ أن تبلغوني نبأه في رسالة منكم إليّ، وأنا مريض؛ لعل ذلك أن يكون له أثر طيب في صحتي - كما قدّرتُ - ذلك هو كتاب «التصوير الفني في القرآن».

وكان كتاباً موفقاً حقاً. أقولها الآن مطمئناً، بعد أن أصبحت حقيقة أدبية، منفصلة عن شخصي!

فماذا كان موقف أستاذي؟

وماذا كان موقف جيلكم كله؟ ماذا كان موقف جيل الشيوخ - لا من هذا الكتاب وحده، ولكن من الكتب العشرة التي نشرتها حتى الآن؟ - .

أراجع كل ما خطته أقلام هذا الجيل كله عن عشرة كتب، فلا أعثر إلا على حديث في الإذاعة لفقيه الأدب المرحوم الأستاذ المازني، وإلا إشارة كريمة للأستاذ توفيق الحكيم في أخبار اليوم!!

هذا كل ما خطته أقلام جيل الأساتذة عن عشرة كتب، لمريد جيد، درس كل آثارهم، واستوعبها، ونوّه بها، وشرحها، وحللها، في خلال عشرين عاماً!! .

وأنا اليوم أحمد الله، على أنني خططتُ طريقي بنفسي مستقلاً، وبجهدي خالصاً. . . لم يأخذ بيدي عظيم، ولم يقدمني إلى الناس أستاذ!! .

ولكن كلمة طيبة من جيل الأساتذة، كانت قبل خمس سنوات فقط تُعد في نفسي شيئاً عظيماً، وترك في روحي أثراً طيباً. . . غير أنها - مع الأسف - لم تكن. . .»^(١).

(١) مجلة الثقافة. السنة الثالثة عشرة. عدد: ٦٦٣. تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥١. صفحة: ٨.

الدكتور رجب البيومي يعلّل سكوت العقاد عن نتاج سيّد

كتب «عبد المنعم شمس» - تلميذ مدرسة الأمناء الأدبية التي أسّسها أمين الخولي - مقالاً في مجلة «الوحي» العمانية، عام ١٩٧٧م، تعرّض فيه لسكوت العقاد عن تقرّظ كتب تلميذه سيّد قطب، قال فيه: «كانت لسيّد قطب مواقف حاسمة في مؤازرة العقاد ومساندته، نسيها بعض المعاصرين ولكن عباس محمود العقاد لم يساند سيّد قطب، ولم يؤازره، وهذه حقيقة للتاريخ.

عندما لمع اسم سيّد قطب كالشهاب الثاقب، أغمض العقاد عينه، ولم يكتب حرفاً واحداً، يقول إن هذا النور يستحق أن يسطع، لأن العقاد كان يعتقد أنه العبقرى الأوحى، ولا عبقرى سواه، وهذه طبيعة تكوينه».

وقد كتب الدكتور محمد رجب البيومي مقالاً في مجلة «الثقافة» أورد فيه حقائق موضوعية هامة، وعرض فيه خفايا وأسراراً عن حقيقة صلة سيّد قطب بالعقاد، وبأمين الخولي وتلاميذه من مدرسة الأمناء الأدبية، وعداوتهم لسيّد وتجاهلهم له، وانتقاصهم لنتاجه الأدبي والفكري، وبخاصة تلميذة أمين الخولي - وزوجته - الدكتورة عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطيء - .

ويهمنا هنا أنه لم يوافق «عبد المنعم شمس» في تعليقه لسكوت العقاد عن كتب سيّد، وقدّم لذلك علّة أخرى، قال عنها: «وقد فكّرت في هذا الموقف ما فكّرت، فبدا لي: أن من طبيعة العقاد حين يتحدث عن علّم من أعلام الأدب في الشرق والغرب، أنه يخلط النقد بالتقرّظ، فلا بدّ أن يجد ملاحظة يقولها، مما تراه العين الفاحصة ذات المجهر الدقيق. وهو يعلم طبيعة تلميذه المتحفّزة، التي لا تصبر على نقد. فأثر السكوت، كيلا يثور عليه تلميذه.

والحق أن في طبيعة قطب كثيراً من طبيعة العقاد، فكلاهما لا يستكين لتوهين، وما كان حُبهما المشترك حيناً طويلاً من الدهر، إلا لاتفاقهما في أكثر المواهب والخلال.

وأنا لا أدافع عن العقاد، فقد يعلم الله أنني أحبّ الشهيد سيّد قطب لدرجة تقرب من التقديس، وحسبه أن بذل روحه فداء الحق، وأنفة من الطغيان.

ولكنني أتخيّل ما عسى أن يقف بمثل العقاد عن الإشادة بمريده العبقرى! وهو

مما يُحسب عليه، مهما وَجَدَ المبرّر الصريح . . .» .

ويمكننا أن نعتمدَ كلامَ الرجلين في تعليلِ سكوت العقاد عن تقرّظِ نتاج سيّد الأدبي والفكري .

فكلامُ عبد المنعم شemis ليس بعيداً، فمن المتّفقِ عليه أن العقاد كان ذا اعتداد عجيب بنفسه، ينتقصُ الآخرين، ويَراهم ليسوا سوى أصفارٍ أمامَ قامتهِ الشامخة وعبقريتهِ الفذة .

وكلامُ محمد رجب البيومي مقبولٌ أيضاً، فالعقاد كان يخشى فتَحَ معركة أدبية مع خصمٍ عنيدٍ مثل سيّد قطب، وكان سيّد وقتها - في الأربعينيات - ينظرُ إلى نفسه نظرةً تقاربُ نظرةَ العقاد لنفسه، كلها عجبٌ وإعجابٌ وتكبرٌ واستعلاء!! وقد زالت فيما بعد، لما أحسنَ التعاملَ مع القرآن والإسلام .

العقاد يُشيد بسيّد فيما بعد

افترقتُ طريقَ الرجلين العقاد وسيّد، واتجهَ سيّد إلى الفكرِ الإسلامي والعمل الإسلامي، وانتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين، وجرى له ما جرى من المحن، ووقفَ أمامَ الطواغيت والظلمة مواقفَ عظيمة، وبذلَ من التضحيات في سبيل الله ما بذل .

وكان العقادُ يتابع أخبارَ سيّد بإعجابٍ وإكبار .

وقد أخبرني الأستاذ محمد قطب أن العقادَ في أواخر حياته كان يُشيد بسيّد ويُثني عليه، ويُبدي إعجابه به وإكباره له، لمواقفه الجهادية من الطواغيت، وتحديه لهم، وصبره على ما يواجهه بسبب ذلك . كان العقادُ يُظهرُ ذلك في مجالسه الخاصة، ويُخبرُ به خاصّة زوّاره .

ومعلومٌ أن العقاد توفي قبلَ استشهادِ سيّد قطب بفترة قصيرة .

العقاد وسيّد والشيوعية

العقاد عدوّ للشيوعية، محاربٌ لها، ألفَ عدّة كتب في نقضها، منها «الشيوعية والإنسانية» . وقد شنَّ عليه الشيوعيون حملةً شرسة، تصدّى لهم بكل جرأة وقوة .

وهناك إشاعات رددتها بعضهم، من أن سيّد قطب كان له ميلٌ إلى الاشتراكية، أو إلى الشيوعية، وأنه في مرحلة ضياعه الفكري مرّ بشكٍّ وارتيابٍ في حقائق الدين، وأصبح قريباً من الإلحاد، وبذلك اقترب كثيراً من الشيوعيين الملحدين!!

وتقول هذه الإشاعات إنه لولا العقاد - عدو الشيوعية - الذي احتضن تلميذه سيّد، لكان سيّد شيوعياً ملحداً!! فاللعقاد فضلٌ كبيرٌ عليه من الناحية.

وهذا كلامٌ غيرٌ صحيح وغيرٌ مقبول، ولا دليلٌ عليه.

صحيحٌ أن سيّد مرّ بمرحلةٍ من الشك والارتياب إلى أقصى حدود، وصحيحٌ أنه عاش رحلة ضياعٍ فكريٍّ قاسية، مرّ فيها بحيرةٍ شديدة، ولعله اقترب من الإلحاد، لكنه لم يصل إليه، ولم تكن نفسه ولا تركيبته كيانه توصله إليه، ولم يكن من المتوقع أن يصل إليه!

ويروي صديقه عباس خضر عنه نظرته إلى الدين والإلحاد، في هذه المرحلة الخطيرة من حياته: «وفي المرحلة الثانية كان مشغولاً بالثورة الإصلاحية والتعبير الأدبي عنها، من غير إغراقٍ في الشؤون الدينية!

وكان يرى - كما قال لي في خلال مناقشةٍ بيننا - أن الدين ضروريٌ لقيادة القطعان البشرية. ولا يمكن أن يسلس قيادها لغيره.

وأعتقد أنه كان ينظر للإسلام على أنه ثقافةٌ إنسانية، وأنه نظامٌ صالحٌ لحياةٍ بشريةٍ راقية، بغض النظر عن غير ذلك.

وأعتقد كذلك أنه مرّ بمرحلة شكٍّ. قال له زنديق: إن إثبات وجود الله أمرٌ صعب! فردّ عليه قائلاً في حيرة: ونفيّه أيضاً صعب!!»^(١).

لم يكن سيّد مرشحاً ليكون شيوعياً أو ملحداً، ولم يكن فيه ما يوحي بأنه سيكون شيوعياً أو ملحداً، حتى نجعل العقاد عاصماً له من التوجّه للإلحاد، وحتى ندّعي أنه لولا العقاد لكان سيّد شيوعياً أو ملحداً!

(١) مجلة الثقافة. المجلد الثامن. السنة الرابعة. عدد: ٤٧. تاريخ أغسطس ١٩٧٧. صفحة: ٥٠.

قد يتشككُ نعم! قد يرتابُ نعم! قد يضيعُ فكراً نعم! وقد حصلَ هذا منه! لكن أن يتحوّل الشكُّ والارتياب والضياعُ إلى الشيوعية والإلحاد، وأن يحصل هذا منه فعلاً، فلا!!

تشكُّكٌ في روايات سليمان فياض عن سيّد والعقاد

نشر سليمان فياض مقالاً في مجلة «الهلال» المصرية - عدد سبتمبر ١٩٨٦م - بعنوان «سيّد قطب بين النقد الأدبي وجاهلية القرن العشرين»^(١) أوردَ فيه بعضَ الروايات والأخبار عن سيّد قطب، منها ما يتعلقُ بصِلته بالعقاد، ومنها ما يتعلقُ بإلحاده.

عن صلة سيّد بالعقاد، وعن انفصاله عنه بعد ذلك، يروي سليمان فياض أن سيّد قال له - في جلسةٍ بينهما، في بيت سيّد في حلوان - : «كنتُ له تلميذاً محبباً، وكنتُ أقدمُ له كتبِي، فيُثني عليّ، ويُقرّبني منه، حتى طلبتُ منه ذاتَ يوم أن يكتبَ مقدّمةً لكتابٍ لي، يقدّمُني به للناس، فأبى ذلك على نفسه وعليّ. وشعرتُ بالغيظ، حينَ آثَرَ أن يقدّمَ لكتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» لخليفة التونسي، ولا يقدّمَ لكتابي، فجفوتُهُ وجفاني، وهجرتُ مجلسه»^(٢).

وإن الشكَّ قائمٌ في هذه الرواية! أقولُ الشكَّ وليس الإبطال والرد! لأن سليمان فياض يروي عن حديثٍ بين الرجلين، لم يكن معهما أحدٌ ليصدّق الرواية أو يكذبها، ونحن لا يجوزُ لنا أن نجزمَ بتكذيبها. لكننا نكتفي بتشكُّكنا منها، فلعلَّ سليمان فياض وَهَمَ في روايةٍ تفصيلات الحادثة، ولعله قال شيئاً من عنده!!

إنها تتعارضُ مع طبيعة سيّد، وتركيبِ نفسه وكيانه. إننا لا نتصور سيّد المعتقدَ بنفسه، المتباهيَ بعلمه، المستعليَ على الآخرين، الرافضَ لأيّ موقفٍ فيه إذلالٌ وانتقاصٌ لشخصيته الكبيرة - وذلك في الأربعينيات - لا نتصوّرهُ يجلسُ أمام العقادِ بذلّة، ويطلبُ منه أن يقدمَ كتاباً له، وهو يتوقع جوابَ العقاد.

(١) أعادت «اللواء» الأردنية. عدد ٦٩٦. تاريخ ١٠/٩/٨٦م. نشر المقال تحت عنوان «تحوّلات كاتب».

(٢) اللواء الأردنية. عدد: ٦٩٦ تاريخ ١٠/٩/١٩٨٦. صفحة: ٧.

وهذه الرواية التي قدّمها سليمان فياض تهونُ أمام روايةٍ أخرى أوردها عن اعتراف سيّد بأنه كان ملحدًا مدةً طويلةً!! .

قال إنه سمعَ محاضرةً لسيّد قطب ألقاها في مطلع الخمسينيات في قاعة علي مبارك في كلية الآداب - جامعة القاهرة. وأورد كلاماً سمعهُ بأذنه من سيّد قطب يتحدث عن نفسه: «ويروي من سيرة حياته (سمعتُ ذلك بأذني) أنه ظلّ ملحدًا أحدَ عشر عاماً، حتى أخذَ يكتبُ كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، فإذا به يعثرُ على الطريق إلى الله، ويخرج من حيرة الإلحاد إلى طمأنينة الإيمان»^(١).

وقد اعتمد على هذه الرواية العجيبة كُتّاب آخرون، وبَنَوْا عليها أحكاماً ونتائج خاطئة، كما فعل «عادل حمودة» في كتابه «سيّد قطب من القرية إلى المشنقة: تحقيق وثائقي»، والذي أوردَ فيه أخطاءً كثيرةً عن سيّد قطب^(٢).

هل صحيحُ أن سيّد قطب كان ملحدًا، وأنه ظلّ ملحدًا أحدَ عشر عاماً؟ كما يروي سليمان فياض أنه سمعه منه بأذنه! وأين؟ في قاعة كبرى في كلية جامعية في محاضرة عامة؟ وطبعاً هذه المحاضرة سمعها آخرون كثيرون! فلماذا لم يروِ أحدهم أنه سمعها، مثلما سمعها سليمان فياض؟ .

وهل صحيحُ أن سيّد لم يتوجّه للإيمان إلا بعدما أَلَفَ كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام»؟ ومعلومُ أنه أَلَفَ الكتاب عام ١٩٤٨م. أي أنه كان ملحدًا ما بين ١٩٣٧ - ١٩٤٨م!!

وفي هذه الفترة أَلَفَ كتابين إسلاميين قرآنيين عظيمين: «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن»! فهل أَلَفهما وهو ملحدٌ في الله، كافرٌ بالقرآن؟ وهل يكتبُ ملحدٌ ذلك الكلام الإيمانِي القرآني؟

أكتفي بالقول بأن رواية سليمان فياض، عن إلحاد سيّد قطب أحدَ عشر عاماً من حياته، لا تتفق مع الحقيقة! ولا مع التاريخ! ولا مع طبيعة سيّد! ولا مع نتاجه الأدبي والفكري في تلك الفترة المزعومة! - والله أعلم - .

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر هذه الأخطاء في الكتاب: ١٠، ١١، ٤٨، ٥٠، ٥٢.

سيّد ينقض فكر العقاد في الظلال

تحول الرجلان - العقاد وسيّد - من الاهتمامات الأدبية إلى الاهتمامات الفكرية والإسلامية. وصارا يكتبان في الموضوعات الإسلامية، ومع ذلك بقي سيّد يبتعد عن العقاد، ويزداد ابتعاده عنه، كلما زاد اقترابه من القرآن والعمل والجهاد، وصار سيّد يتميز بفهمه للقرآن والإسلام والدعوة والجهاد!

وكان في تفسيره «الظلال» يصبّ أفكاراً خاطئة وقع بها كاتبون مسلمون معاصرون، حول الإسلام والإيمان والقرآن، ومنهم أستاذه السابق العقاد! لقد وقف سيّد مع العقاد وقفة مطوّلة في الظلال، ناقشه في أفكاره الخاطئة، ونقضها وأبطلها وردّها، وبين سبب خطأ العقاد فيها.

كان ذلك في تعقيبه على قصة نوح في سورة هود.

حيث بين سيّد من خلال آيات القرآن، أن أوّل دين على وجه الأرض هو التوحيد، وأنه دعا إليه آدم - نبيّ الله وأوّل مخلوق من البشر على وجه الأرض - فالتوحيد أصيل في الأرض وتاريخ الإنسان وحركته عليها، والشرك بالله جاء بعد ذلك، فهو طارئٌ عرضيٌّ شاذ!

واتخذ هذه الوقفة فرصة مناسبة ليقف مع العقاد، ويصوّب له أخطاءً خطيرة، وقع فيها حول نفس الموضوع. وذلك في كتابه «الله»، حيث قال العقاد في المقدمة: «موضوع هذا الكتاب، نشأة العقيدة الإلهية، منذ أن اتخذ الإنسان رباً، إلى أن عرف الله الأحد، واهتدى إلى نزاهة التوحيد»!

والذي يقول فيه عن أصل العقيدة الإلهية: «ترقى الإنسان في العقائد، كما ترقى في العلوم والصناعات. فكانت عقائده الأولى مساويةً لحياته الأولى، وكذلك كانت علومه وصناعاته»!

والذي يقول عن أطوار العقيدة الإلهية: «يعرف علماء المقابلة بين الأديان ثلاثة أطوار عامة، مرّت بها الأمم البدائية في اعتقادها بالآلهة والأرباب: وهي: دور التعدّد! ودور التمييز والترجيح! ودور الوحدةانية!».

وقد أوضح سيّد قطب أخطاء العقاد العقيدية في كتابه، وفنّدها، ونقضها، وبين مخالفتها لنصوص القرآن: «والذي لا شك فيه أن الله سبحانه يقرّر في كتابه الكريم، تقريراً واضحاً جازماً، شيئاً آخر غير ما يقرره صاحب كتاب «الله»، متأثراً فيه بمنهج علماء الأديان المقارنة...».

«ولعلّ هذه اللمحة المختصرة - التي لا نملك الاستطراد فيها في كتاب الظلال - تكشف لنا عن مدى الخطورة في تلقّي مفهوماتنا الإسلامية - في أيّ جانب من جوانبها - عن مصدر غير إسلامي. كما تكشف لنا عن مدى تغلغل مناهج الفكر الغربية ومقرراتها، في أذهان الذين يعيشون على هذه المناهج والمقرّرات، ويستقون منها. حتى وهم يتصدّون لردّ الافتراءات عن الإسلام من أعدائه!!»^(١).

وأعلن بمناسبة تصويبه لأخطاء العقاد عن نيّته في تأليف كتاب سمّاه «تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر» يخصّصه للأخطاء الفكرية المعاصرة التي يقع فيها كتاب ومفكرون مسلمون، في كتابتهم عن الإسلام، وفي مقدمتهم العقاد!

... وهكذا

وفي ختام هذا المبحث عن صلة سيّد قطب بعباس محمود العقاد، نرى كيف سارت صلته به في مراحل متطورة:

فقد بدأت تلمذة من سيّد على أستاذه العقاد، منذ بداية شبابه.

ثم تحولت إلى محبة عظيمة، وإعجاب عظيم، من التلميذ بأستاذه.

ثم كان التلميذ «مريداً» - بكل ما تحمله كلمة مريد من معنى - لأستاذه.

ثم وصلت بالتلميذ المريد إلى اعتناق كلّ آراء أستاذه وأفكاره.

ثم وصل إلى تخوّف المريد من الفناء في أستاذه، وذوبان شخصيته فيه.

ثم أصبحت للمريد، استقلالية في فهم المسائل الأدبية والفكرية.

(١) انظر الظلال ٤: ١٨٨٢ - ١٨٨٥.

ثم سمحَ المريد لنفسه أن يخالفَ أستاذَه، في بعض المسائل الأدبية والفكرية .
ثم بدأ المريدُ يبتعدُ عن أستاذِه ومدرستِه في الأدب والشعر والحياة .
ثم أعلن خروجه النهائيً من مدرسة أستاذِه السابق، ومخالفته له .
ثم جفوةُ الأستاذِ لمريدهِ السابق، وحقدهُ عليه .
ثم سيرُ كلِّ منهما في طريقين مختلفين متوازيين في عالم الفكر والبحث .
ثم عودةُ سيّد قطب - المريد السابق للعقاد - إلى وزنِ أفكارِ وآراءِ أستاذِه
السابق، بميزانِ القرآن، وتقويمِها على أساس القرآن، وتصويبِها بنصوص القرآن،
وبيان مخالفتها لمقرّرات القرآن .
لقد بدأ سيّد حياته تلميذاً ومريداً للعقاد، وختمها رجلاً قرآنياً متميزاً!

* * *

معارك سيد قطب الأدبية والنقدية

خاضَ سيد قطب في حياته الأدبية معارك أدبية ونقدية عديدة، تَمَّتْ فيها مساجلات أدبية حادة، بينه وبين كثير من الأدباء، وشنَّ فيها حرباً كلامية عنيفة على خصومه من الأدباء، وردَّ عليه آخرون بالمثل، وكألوا له بنفس الكيل. وشهدت الأوساط الأدبية تلك المعارك بمشاعر متباينة.

لكن سيد في معاركه الأدبية أثار كثيراً من المسائل والقضايا الأدبية، كان معه فيها مؤيدون ومعارضون. ونال إعجاب كثير من الأدباء الشبان، الذين كانوا يُعجبون من رجل واحد، يحارب على جبهات عديدة، وبقوة وجرأة وحدة ملحوظة!

أسباب خوضه تلك المعارك

هناك أسباب دفعت سيد لخوض تلك المعارك منها:

- ١ - الدفاع عن آرائه النقدية والأدبية، والتي كان يطرحها في مقالاته في الصحف والمجلات، والتي كان يخالفها بعض الأدباء والشعراء الشيوخ والشبان، فكان يهاجم خصومه، ويدافع عن أفكاره.
 - ٢ - تنشيط حركة الأدب والنقد في الأوساط الأدبية، وإزالة حالة الركود التي أصابت تلك الحركة.
 - ٣ - حبُّ الظهور، والرغبة في الشهرة، والحرص على إثبات وجوده في الساحة الأدبية والنقدية، ولفَتُ الأنظار إليه، والدعوة إلى ما يؤمن به!
- لقد كان سيد في الثلاثينيات والأربعينيات معجباً بنفسه! مزهواً بها! معتدّاً بها! يتمتع بقسطٍ من الزهو والفخر والخيلاء والاستقلال! وذلك قبل أن يتخلق بأخلاق الإسلام العملية العظيمة.

٤ - تقليدُ أستاذه الأول «العقاد» الذي خاض كثيراً من المعارك والمساجلات الأدبية، وحارب فيها كثيراً من الأدباء والشعراء، وهاجمهم بعنفٍ وقسوةٍ وحدةٍ. فقلد التلميذُ أستاذه في هذا الميدان.

٥ - تبني آراء وأفكار أستاذه العقاد، ومحاربة مخالفيها، والثناء على العقاد، ومدحه والإشادة به، ومهاجمة معارضيهِ وخصومه!

ولقد كان العقاد يطلع على كل ما يقوم به تلميذه في هذه المعارك والمساجلات، ويُعجب بما يقدّمه فيها من أدلة وحجج، وكان ينتشي ويتيه بما يوجّهه له من مدح وثناء وتقريظ!

وأحياناً كان يوحى للتلميذ بما يقوّي حجّته، ويُفحم خصمه، فكانت شخصية العقاد تكادُ تظهر - أحياناً - من خلال مقالات سيّد، بحيث كان المقال صدى لآراء العقاد، وترديداً لأفكاره^(١)!!

أسلوب سيّد في معاركه

كان أسلوبُ سيّد في معاركه حاداً قوياً عالياً عنيفاً، مدوّياً مجلجلاً، وكانت عباراته تشدّ وتقسو، حتى تقترب من السباب والشتائم، ويستخدم عدة طرق لمهاجمة خصومه، فهو أحياناً يحتدّ ويشتدّ، وأحياناً يسخر، وأحياناً يلمز، وأحياناً يُجهل، وأحياناً يُعنّف، وأحياناً يتّهم، وأحياناً يهجو. المهم أنه كان يهاجم على كل حال!!

استمع له يقول عن خصومه في مطلع حياته النقدية عام ١٩٣٤م:

«وكان هذا هو النتيجة المحتومة للركود والتعفن، ولكنه أثار نفسي، وأحسبه مثيراً لكل فطرة سليمة، ودعاني أول الأمر إلى اعتزال النشر حيناً من الزمن، فأنا رجل أنف الجلوس إلى موائد يحوم عليها هذا الذباب، وأتقرّز بطبيعتي لمنظر تلك الديدان»^(٢).

ويقول عن الرافعي عام ١٩٣٨م: «والقصة بين الرافعي وبينني، أنني قرأت له

(١) انظر «سيّد قطب»، لعبد الباقي: ٧٨.

(٢) مجلة الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥. صفحة: ٢٢.

أول ما قرأت كتابه «حديث القمر»، فأحسستُ له بالبغضاء. أجل، بالبغضاء، فهي أصدق كلمة تعبر عن ذلك الإحساس الذي خالَجني إذ ذاك.

ويقول عنه أيضاً: «كنت أشكُّ في «إنسانية» هذا الرجل، قبل أن أشكُّ في قيمة أدبه، وكنتُ أزعم لبعض إخواني في معرض المناقشة أنه خَوَّاءٌ من «النفس»، وأن ذلك سببُ كراهيتي له، ولو أنني لم أره مرةً واحدة، ولم أجلس إليه...».

ويقول عن حبِّ الرافعي وقلبه: «إن خيالي المنبعث من قراءتي للرافعي، لم يكن يطوُّع لي أن ألمح إمكان وجود هذه العاطفة في حياته. فالحبُّ يتطلب قلباً، وكنتُ أزعم أن ليسَ للرجل قلب، والحبُّ يقتضي «إنسانية» وكنتُ أفقدُها فيه»^(١).

وها هو يقول لطفه حسين، في معركة معه، عن الأدباء الشيوخ: «إن هذا الجيل من الشيوخ قد تخلَّى عن أمانته، لا لذلك الجيل من الشبان فحسب، ولكن للوطن، وللمجتمع، وللإنسانية، وأخيراً للضمير الأدبي كله.

وإنها لهمةٌ غليظة، وإني لأكرهُ الناسَ لإطلاقها، وإني لأشدُّ جيلَ الشباب توقيراً لجيل الشيوخ. ولكنها الحقيقة. الحقيقة القاسية التي لا يُغني فيها التحرُّج ولا التوقير»^(٢).

ولقد وصف علي الطنطاوي – الذي كان يهاجمُ سيِّد قطب في المعركة بين «العقاد والرافعي» – المعركة العنيفة التي خاضها سيِّد ضد الرافعي: «وقد كانت تلك معركةٌ صاخبة، مجلجلة، كالحة الوجه، عابسة»^(٣).

وصدق الطنطاوي في الوصف الذي أطلقه على سيِّد وهو يخوض معاركه العنيفة: «إني لم أتخيلُ سيِّد قطب إلاً مقارعاً محارباً، ولم أعرفه إلاً كاتباً مجادلاً مناضلاً، يهاجم مهاجماً ومدافعاً ومحايداً!!»^(٣).

(١) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الأول. عدد: ٢٥١. تاريخ: ٢٥ أبريل ١٩٣٨ م. صفحة: ٦٩٢.

(٢) مجلة «العالم العربي». المجلد الأول. العدد الرابع. تاريخ شعبان ١٣٦٦. صفحة: ٥٣.

(٣) مجلة الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٤٨. تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥ م. صفحة: ١٣١٣.

أشهر معاركه الأدبية

كان سيّد يحبُّ المعارك الأدبية. وفي ذلك يقول: «ربما كنتُ أولَ المغتَيطين بالمعارك الأدبية، مهما كان فيها من خصومات، ومهما كان فيها من ضجيج. وذلك أن خصومة الحياة عندي خيرٌ من سلام الموت، وأنَّ ضجة العاصفة أفضلُ من صمت الركود»^(١).

وكانت أشهر معاركه الأدبية هي:

- ١ - معركة المنبر الحرّ. عام: ١٩٣٤م.
 - ٢ - معركته مع الرافعيين. عام: ١٩٣٨م.
 - ٣ - معركته مع الدكتور محمد مندور، حول الأدب المهموس. عام: ١٩٤٣م.
 - ٤ - معركته مع عبد المنعم خلاف، حول التصوير الفني في القرآن. عام: ١٩٤٤م.
 - ٥ - معركته مع دريني خشبة. عام: ١٩٤٣م.
 - ٦ - معركته مع صلاح ذهني. عام: ١٩٤٤م.
 - ٧ - معركته مع إسماعيل مظهر. عام: ١٩٤٦م.
 - ٨ - معركته مع شيوخ الأدب. عام: ١٩٤٧م.
- وستكلم عن هذه المعارك بمنتهى الإيجاز^(٢).

أولاً: معركة المنبر الحر عام ١٩٣٤م

خاض سيّد هذه المعركة من على منبر مجلة «الأسبوع» في صيف عام ١٩٣٤م. وكانت المجلة قد أسّمتُ صفحة النقد فيها «المنبر الحر»، وفتحت المجال لسيّد ليشنّ الحرب على الأدباء الآخرين، كما فتحت المجال لردود الآخرين عليه، وكان عنيفاً في معركته، وكانوا عنيفين في الرد عليه!

(١) سيّد قطب، لعبد الباقي: ٧٨. نقلاً عن مجلة الأسبوع عدد: ٣١. يونيو ١٩٣٤م.

(٢) انظر في معاركه الأدبية: سيّد قطب، لعبد الباقي: ٧٨ - ٩٠. وسيّد قطب، للخصائص: ٢٥٦ - ٢٧٣.

نشر في زاوية «المنبر الحر» ست مقالات نقدية متسلسلة، تحت عنوان «معركة النقد الأدبي ودوافعها الأصيلة»^(١).

قال في المقالة الأولى عن الدوافع الخفية لمعارك النقد الأدبي في ذلك الوقت: «لعل من الخير ألا نغالط أنفسنا في الحق، لأنه مرّ، ولا نشيح بوجوهنا عن الواقع، لأنه مؤلم، ولعل من الخير إذن أن نقول: إن كثيراً من بواعث المعارك النقدية لم يكن كريماً! وإن كثيراً من أسلحتها لم يكن شريفاً! وإنه لخير أن نقول هذه الكلمة، قبل أن يقولها التاريخ، وقبل أن تأتي أجيالُ بعدنا تنظرُ إلينا نظرة التقرُّز والاشمئزاز، وترى في بعضنا خُبثاً، وفي البعض الآخر غفلة!!»^(٢).

بيّن في مقالاته الست خفايا ودوافع المعارك الأدبية التالية، التي دارت في ذلك الوقت على صفحات المجلات.

(أ) معركة إبراهيم عبد القادر المازني ضد المهندس علي محمود طه.

(ب) معركة طه حسين ضد كل من: إبراهيم ناجي وإبراهيم المصري.

(ج) معركة عباس محمود العقاد ضد إبراهيم ناجي.

(د) معركة إبراهيم المصري ضد إبراهيم ناجي.

(هـ) معركة أحمد حسن الزيات ضد الدكتور طه حسين.

(و) معركة محمود أبو الوفا ضد جماعة أبوللو.

وقد رد على سيّد قطب - في هذه المعركة - كل من: الدكتور طه حسين، والدكتور أحمد زكي أبو شادي، ومحمود الشرقاوي، ومختار الوكيل، وصالح جودت، وعبد الفتاح إبراهيم. وكانت ردودهم عليه عنيفة قاسية، واتهاماتهم له جارحة!

بينما وقف على الحياد كلٌّ من: مصطفى عبد اللطيف السحرتي، وحمد عطية يوسف، وعبد الغني البدرابي.

والمعركة بين سيّد قطب وبين جماعة «أبوللو» - وبخاصة رئيسها أحمد زكي

(١) مجلة الأسبوع يونيو ١٩٣٤م. أعداد: ٣١ - ٣٦.

(٢) سيّد قطب، لعبد الباقي: ٧٩. نقلاً عن الأسبوع عدد: ٣١.

أبو شادي، وأبرز أعضائها صالح جودت - لم تتوقف، فاستمرت في مجلة الأسبوع، حيث هاجمهم في خمس مقالات، بعد قليل من معركة «المنبر الحر»^(١).

ثانياً: معركته مع الرافعيين عام ١٩٣٨م

لما توفي «الرافعي» عام ١٩٣٧م، كتب تلميذه «محمد سعيد العريان» مقالات في مجلة «الرسالة» يُشيد فيها بالرافعي. وتعرض في تلك المقالات للخصومات الشديدة بين الرافعي والعقاد، وعرضها من منظور «الرافعيين». وكتب عن أستاذه الرافعي ستاً وعشرين مقالة.

وقد أثار عمل «العريان» حفيظة «العقاديين» وأغضبهم، مما دفع سيد قطب - أبرز تلميذ للعقاد في ذلك الوقت - ليشن حرباً عنيفة ضد الرافعي والرافعيين!

نشر سيد مقالته الأول في العدد «٢٥١» من مجلة الرسالة، الصادر بتاريخ ٢٥ أبريل - نيسان - ١٩٣٨م، وجعل عنوانه «بين العقاد والرافعي». وكان سيد ينوي أن يخوض معركة عنيفة ضد الرافعي والرافعيين، ويعلم أنها معركة ستطول، وستكون عنيفة حادة شرسة قاسية، ولذلك وضع بجانب عنوان مقاله الأول هذه العبارة: «آراء حرة، لعلها تلائم معركة!»^(٢).

وقد بين سيد في مقاله الأول قصته مع الرافعي وأدبه، وذكر رأيه في الرافعي، وأنه كان فيه قسوة عليه، نتيجة لعدم التجاوب بينه وبين ذلك الأدب، وأنه صار يقرأ كل ما كتبه العريان في مدح الرافعي.

وفي ذلك يقول: «كنت في حاجة لأن أسمع من أصدقاء الرافعي ما عساه يخفف شدة هذا الحكم، ويكشف لي عن بعض حياة الرجل التي اشتركت في تكوين أدبه. وكنت أخذت ألمح من كتابات الأستاذ سعيد، أنه صديق له، مطلع على الكثير

(١) انظر سيد قطب، للخصاص: ٢٦٠ - ٢٦١. وانظر الأسبوع: أعداد: ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥١.

(٢) مجلة الرسالة. السنة السادسة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٢٥١. تاريخ ٢٥ أبريل ١٩٣٨م. صفحة: ٦٩٢.

من أسرار حياته، وعوامل إنتاجه، فقلت: اتبعه، فلعلك منقلباً صديقاً للرافعي، أو محايداً بالنسبة له»^(١).

وقد اعترف سيّد بأنه كان يشعر بالبغضاء نحو الرافعي وأدبه، وأنه يرى، أن الرافعي كان بدون «نفس» وبدون «قلب» وبدون «إنسانية»^(١).

وسجّل سيّد في مقاله الأول، خلاصة نظريته لكل من العقاد والرافعي: «وبعد: فما يمكن أن يتفق العقاد والرافعي في شيء! فلكل منهما نهج لا يلتقي مع الآخرين في شيء».

العقاد أديب الطبع القوي، والفطرة السليمة، والرافعي أديب الذهن الوضاء، والذكاء اللّماع.

والعقاد متفتح النفس ريان القلب، والرافعي مغلق من هذه الناحية، متفتح العقل وحده للفتات والومضات.

والطاقة العامة لكل منهما في ناحيته متفاوتة بعد ذلك: فطاقة العقاد النفسية أقوى من طاقة الرافعي الذهنية، وعالم العقاد والحياة في نظره، أشمل وأرحب بكثير من العالم الذي يعيش فيه الرافعي، ويبصر الدنيا على ضوءه!

وإذا لم تكن كلمة اليوم تتسع لضرب الأمثال، فستسّع الكلمات المقبلة للمثال بعد المثال»^(٢).

لقد أعلن سيّد الحرب على الرافعي وتلاميذه، وهو يعلم أنها ستكون معركة قاسية عنيفة طويلة، ومنذ مقاله الأول وهو يعدّ نفسه للاستمرار فيها.

وقد استجاب الرافعيون له، ولّبوا دعوته للنزال، وكتب محمد سعيد العريان مقالة في العدد التالي من الرسالة، وردّ على سيّد بعنف، واستنفر زملاءه من الرافعيين، وحثهم على الرد على سيّد، ليتفرغ هو للتأريخ لحياة الرافعي.

(١) المرجع السابق.

(٢) الرسالة - العدد السابق - صفحة: ٦٩٣.

وكتب الرافعيون في «الرسالة» مقالاتٍ عديدة، ردّوا فيها على نيران سيّد قطب، الموجهة لهم ولأستاذهم. وكانت ردودهم عليه قاسيةً عنيفةً حادة جارحة، وصاروا يهاجمونه، ويهاجمون أستاذه العقاد.

من أشهر الرافعين الذين دخلوا المعركة: محمود محمد شاكر، وعلي الطنطاوي، ومحمد أحمد الغمراوي، وعبد المجيد المجذوب، وإسماعيل مظهر.

ومن الطريف أن سيّد كان يعنون مقالاته «بين العقاد والرافعي» مقدّماً اسم أستاذه، فIRD عليه خصومه مقدّمين اسم أستاذهم، فجاءت عناوين مقالاتهم «بين الرافعي والعقاد».

وكانت خلاصة ردودهم على سيّد حول المسائل التالية:

- ١ - اتّهام سيّد بأنه تلميذ للعقاد، ويردّد ما يقوله له.
- ٢ - اتّهام سيّد بأنه ينبش القبور، ويُعلي من شأن العقاد، على حساب الرافعي الذي مات.

٣ - نقد شعر العقاد، ومحاولة الحطّ من شاعريته.

٤ - الردّ على المآخذ التي يُبديها سيّد على أدب الرافعي.

٥ - الحديث عن العلاقة بين القديم والجديد، والدين الذي يدافع عنه الرافعي وتلاميذه، وخصومه الذين يمثلهم العقاد وسيّد قطب! (١)

قال علي الطنطاوي في مقالته «كلمة ثالثة على الهامش» مهاجماً سيّد بعنف وحدة، وعباراتٍ أقرب إلى السباب والشتائم: «... ولكن متى سألت سيّد تقويم كلمتي؟ ومتى طلبت إليه رأيه فيها؟ وهل بقي عليّ أن أصدر عن رأي سيّد قطب فيما أكتب؟ لا يا سيدي: ما هكذا يكون النقد، ولا هكذا تكون المناقشة... عُذ عن هذا الأسلوب، أسلوب التعريض والسخرية، واعلم أنني إن حطّطت عليك ساخراً ومعرّضاً بك، لم أدعك حتى تلتصق بالأرض! وأنا من أقدر الناس على ذلك! ولكن ذلك شيء يأباه الخلق الكريم، وتأباه «الرسالة». ولقد كانت لي في هذا الميدان جولات، صرعتُ

(١) سيّد قطب، لعبد الباقي: ٨٥.

فيها كثيراً من الكتاب المدّعين المستكبرين، ثم أقلتُ عنها، واستغفرتُ الله . وأرجو ألا يضطرني أحدٌ إلى مثلها!!»^(١).

وقد عتب الرافعيون على صاحب «الرسالة» - أحمد حسن الزيات - سماحه لسيد بمهاجمة الرافعي في المجلة، وطلبوا من الزيات الجواب على السؤال، الذي وجهوه له على لسان علي الطنطاوي: «إني أسأل الأستاذ البليغ صاحب الرسالة هذا السؤال، وأرجو أن يتفضلَ بالجواب: لماذا تنشرُ الرسالة هذه المقالاتِ للأستاذ قطب؟ الحقيقة؟ والحقيقة لا ظلُّ لها في هذه المقالات. أم من أجل الأستاذ العقاد؟ وفيها من الإيذاء للعقاد مثلُ ما فيها من المسِّ بالرافعي، أم بغضاً بالرافعي؟ والأستاذ صاحب الرسالة صديقه الحميم!»^(٢)

وأجاب الزياتُ على سؤال الرافعيين قائلاً: «والرسالةُ تجيبُ صديقها الأستاذ الطنطاوي، بأن من مبادئها أن تكون صورة صادقة لأدب العصر، فلا تسجلُ مذهباً دون مذهب، ولا تتوخى أسلوباً دون أسلوب. ومعاركُ النقد ظاهرة مألوفة في عصور الأدب، عفتِ الرسالة عنها إلى حين!!

ثم رأتُ من الخير أن تسجلَ هذه المعركة، لأن أدب الرافعي وأدب العقاد يمثلان وجهتي الثقافة في أقطار العروبة، فالقولُ فيهما - إذا حسن - يُعين المتأدّب على الوجهة التي يوليها، ويُنعشُ الأدبَ من الخمول الذي هوفيه.

ومن حُسن القول أن يتكلّم الناظرُ في الأدب بلسان الأدب، وأن يعتقِد أن أدب الرجل شيءٌ آخرٌ غيرُ شخصه، فلا ينبغي أن يُدخل الناقد في حسابه الحياة والموت، ولا الصداقة والعداوة»^(٢).

كانت معركة سيد مع الرافعيين من أطول معاركه الأدبية وأقواها وأعنفها وأشرسها، وكتبَ سيد فيها اثنتين وعشرين مقالة، نشر الأولى منها في العدد رقم «٢٥١»، من الرسالة، ونشر الأخيرة في العدد رقم «٢٨٠»!

(١) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الأول. عدد: ٢٦٠. تاريخ ٢٧ يونيو ١٩٣٨م. صفحة: ١٠٩٠.

(٢) الرسالة - العدد السابق - صفحة: ١٠٩١.

وقد لفتت المعركة أنظارَ القراء، وأعجبوا بسيد الذي واجه بمفرده كلَّ مَنْ واجهه من الرافعين، وقاد المعركة ضدهم بجرأة وقوة واقتدار! .

ثالثاً: معركته مع دريني خشبة عام ١٩٤٣م

كانت معركة سيد قطب مع «دريني خشبة» قصيرة. وسببها ردُّ دريني خشبة على مقالٍ لسيد في نقد وتحليل كتاب «أحلام شهرزاد» لطف حسين، حيث كتب «خشبة» في مجلة الرسالة، واعتبر ثناء سيد على القصة أمراً يدل على عدم اهتمامه بالأخلاق، لأن القصة تتنافى مع الأخلاق!

ردَّ سيد على مقال زميله في وزارة المعارف - دريني خشبة - وطالبه بعدم الانطلاق من منطلقات أخلاقية في نقده للأعمال الأدبية، أو ما يكتبه النقاد!

ولكن «خشبة» لم يسكت، بل فند كلام سيد في ردٍّ آخر عليه، ورکز على خطر قصة «أحلام شهرزاد» على الأخلاق الفاضلة، وسخر من أسلوب سيد وتهكّم به.

وكان ميدان المعركة بينهما «الرسالة» في أعداد : «٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠»، عام ١٩٤٣م.

ولما دارت معركة بين سيد قطب والدكتور محمد مندور فيما بعد، تدخل دريني خشبة ضد زميله سيد، فما كان من الأخير إلا أن ردَّ عليه.

ودارت بينهما معركة ثالثة، عندما هاجم أحدُ شيوخ الأدب - الذي رمز لاسمه بالحرفين: أ. ع - الشعراء الشباب، فردَّ عليه دريني خشبة، ودافع عن الشعراء الشباب. وذكر في دفاعه اسم سيد ضمن مجموعة من الشعراء الشباب، وكان هذا كافياً لأن يهاجمه سيد بعنف وحدة، معتبراً إياه قاصداً ذمّه وانتقاصه، فما كان من خشبة إلا أن ردَّ على العنف بعنفٍ أشد، ودار بينهما جدالٌ صاخب.

وكان ميدان هذا النقاش الصاخب «الرسالة» في أعداد: «٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣»، ٥٦٤، «من عام ١٩٤٤م^(١).

(١) انظر خلاصة هذه المعركة في كتاب «سيد قطب»، للخباص: ٢٦٦ - ٢٦٧.

رابعاً: معركته مع الدكتور محمد مندور عام ١٩٤٣م

سببُ نشوبِ المعركة بينهما، عدةٌ مقالاتٍ كتبها الدكتور محمد مندور في مجلة «الثقافة» عام ١٩٤٣م، تحدّث فيها عن الأدب والشعر، وفضّل فيها شعراء «المهجر» على غيرهم من الشعراء العرب، وسبّب ذلك ما في شعرهم من «هَمْس»، و«الهمس» ترجمةٌ معنوية لمصطلح أدبي فرنسي، ترجمته الحرفية «نصفُ الملفوظ».

ودعا محمد مندور إلى أن يكون الأدب همساً، أي: أن يهمس الأديب بكل ما يتحدث فيه، فتحسّ صوته خارجاً من أعماق نفسه، في نغماتٍ حارّة، بعيداً عن الجهر والخطابية، التي غلبت على الشعر التقليدي منذ عصر المتنبي^(١).

ونقدَ الشعرَ العربي الخطابي الحديث، ومثّل له بقصيدةٍ للشاعر محمود حسن إسماعيل ورفض سيّد دعوة مندور للأدب المهموس، وردّ عليه في خمس مقالات في مجلة «الرسالة». نشر الأولى منها «الأدبُ المهموس والأدب الصادق» في عدد «٥١٥» من الرسالة عام ١٩٤٣م.

اعتبرَ الأدبَ المهموس هو «الأدبُ الحُنيّ» واعتبره دليلاً على المزاج الخاص المريض لمندور. وبذلك انتقل سيّد من الأدب والنقد إلى الإساءة لشخصية خصمه «مندور».

وقدّم سيّد في نقده لدعوة مندور، نماذجَ لشعرٍ رفيع، ونثر فني مؤثّر، وكان الشعرُ لأستاذه العقاد، وكان النثر لسيّد نفسه، حيث اختارَ قطعةً من رثائه لأمه – التي توفيت عام ١٩٤٠م –!!

وردّ عليه مندور في الرسالة، واتهمه بألفاظ قاسية، لأنه يستشهد بنثره هو، وشتّمه وشتّم أستاذه العقاد، وكانت عباراتُ مندور قاسية حادة، عنيفة جارحة!! ونالَ منه سيّد في ردّه، ولم تكن عباراته أقلّ قسوةً وحِدّةً من عبارات مندور.

وانتقلت المعركةُ بينهما من ميدانِ الأدب والنقد، إلى ميدانِ الشتائم والسباب والمهاترات الشخصية!!

(١) سيّد قطب، لعبد الباقي: ٨٥.

وازدادت المعركة حدّةً وعنفاً وصخباً، عندما دخلها شخصان آخران، وهاجما سيّد بعنف. وهما: «دريني خشبة» - خصمه في المعركة السابقة - وزكريا إبراهيم. فردّ عليهما سيّد بعنف أبلغ، وقسوة أشدّ. وتبادلا معه الردود الساخنة، والعبارات الحادة! (١).

خامساً: معركته مع صلاح ذهني عام ١٩٤٤م

كان صلاح ذهني يُهدي كتبه وقصصه لسيّد قطب، وقال في إهداء واحدٍ منها: «إلى أخي الناقد البارِع الأستاذ سيّد قطب، مع وافر التقدير»، وكان يهدف من ذلك أن يتناول سيّد نتاجه بالنقد. ومع ذلك لم يكتب عن كتابه شيئاً: «ومع هذا فلم أكتب عنه شيئاً، لأنني لم أجِد أنه يستحقّ شيئاً فجاملته بالسكوت!» (٢).

ثم تكلم سيّد عن أدب وقصص «محمود تيمور»، وذلك أثناء نقده لقصة «كفاح طيبة» لنجيب محفوظ.

ولم يُعجب صلاح ذهني كلام سيّد عن أستاذه محمود تيمور - لأن ذهني كان تلميذاً لتيمور - فهاجم سيّد في مقالٍ كتبه في العدد «٥٨٩» من الرسالة.

فما كان من سيّد إلّا أن هاجمه بعنف في العدد «٥٩٠»، واعتبره ظلّاً باهتاً لتيمور. فردّ عليه ذهني بمقالٍ في العدد «٥٩٣»، واتهمه بأنه ظلٌّ غيرٌ مستقيم للعقاد في وقتِ الظهيرة! وردّ عليه سيّد الردّ الأخير في العدد «٥٩٤».

وكان النقاش بينهما حاداً والعبارات قاسية، تصلّ حدّ السبّ والشتّم! (٣).

(١) انظر في المعركة بينهما سيّد قطب، لعبد الباقي: ٨٥ - ٨٧. وسيّد قطب، للخباص: ٢٦٦ - ٢٦٨.

(٢) الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٤. تاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٤٤. صفحة: ١٠٣٥.

(٣) انظر سيّد قطب، للخباص: ٢٦٨.

سادساً: معركته مع عبد المنعم خلاف عام ١٩٤٤م

في شهر أبريل - نيسان - عام ١٩٤٥م، نشر سيد قطب كتابه الإسلامي الأول «التصوير الفني في القرآن». واستقبله جمهور الأدباء والنقاد استقبالا طيباً، وقرّظه بعضهم في المجلات، مثل: نجيب محفوظ، وعلي أحمد با كثير، وتوفيق الحكيم. وكان ممن عرّف بالكتاب، وأثنى عليه ثناءً جيّداً، وأشاد بموهبة سيد إشادة طيبة، صديقه «عبد المنعم خلاف».

واعتبر خلاف الكتاب قد احتلّ مكاناً رائداً في مكتبة القرآن، وفي مكتبة البحوث البلاغية، وفي مكتبة النقد الأدبي، وفي مكتبة الأدب الفني، وفي مكتبة الفنون. وهو يحتلّ مكانه في هذه المجالات لما توفّر له من البحث المستقصي، والتتبع والتحقيق...

ونشر خلاف مقاله في العدد «٦١٧» من مجلة الرسالة الذي صدر في ٣٠ أبريل - نيسان - ١٩٤٥م^(١).

ولكن خلاف أخذ على الكتاب بعض المآخذ، وسجل عليه بعض الملاحظات، التي لم يوافق سيد عليها. وكانت أهم ملاحظاته هي:

- ١ - التصوير الفني ليس هو القاعدة العامة للتعبير القرآني، كما قرّر سيد في الكتاب، بل هو أداة واحدة من أدوات التعبير القرآني الكثيرة.
- ٢ - ذهب سيد إلى أنه باكتشافه «التصوير» قاعدة أساسية للتعبير القرآني، قد أدرك سرّ الإعجاز في التعبير القرآني. وخالفه «خلاف» وصرح بأن سرّ الإعجاز لا يُدرك.
- ٣ - خالف «خلاف» سيد في الصلة بين القرآن والإيمان والعقل والوجدان، واتهم سيد بأنه لم يجعل موطن العقيدة والإيمان هو الوجدان. وأنه يقصي الذهن والعقل، ويُلغي دورهما في التعامل مع الإيمان.

(١) انظر مقال خلاف الأول في: الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الأول. عدد ٦١٧. تاريخ ٣٠ أبريل ٤٥. صفحة: ٤٥٢.

وقد ردَّ سيّد على ملاحظات خلّاف الثلاثة، وعلى مؤاخذاته على الكتاب. ثم ردَّ خلّاف على ردّ سيّد.

وكانت مقالات خلّاف خمسة، في الأعداد: «٦١٧، ٦٢٢، ٦٣٢، ٦٣٤، ٦٥٠» من مجلة الرسالة. بينما كانت مقالات سيّد في الرد عليه ثلاثة، في الأعداد: «٦٢٥، ٦٢٩، ٦٤٥» من مجلة الرسالة^(١).

ومن الملاحظ أن المعركة بين سيّد قطب وعبد المنعم خلّاف، كانت هادئة، على عكس معارك سيّد الأخرى الصّاحبة الحادّة. كانت عبارات خلّاف في انتقاد كتاب سيّد «التصوير الفنّي» موضوعيّة علميّة جادة، وكانت عبارات سيّد في الردّ عليه من نفس المستوى.

ولهذا لم يسمّها بعضهم معركة، بل سمّاها «حواراً»، واعتبرها «حواراً طيباً، لم يخرج عن نطاق المناقشة العلمية الجادة»^(٢).

وتدخّل آخرون، إلى جانب سيّد في الحوار، مثل أحمد الأمبابي الذي نشر مقالاً في العدد «٦٤١» من الرسالة، بعنوان «بين الأستاذين قطب وخلّاف»^(٣).

ودخل إلى جانب سيّد، خصمه السابق في معركته ضدّ الرافعيّين، وهو الأستاذ علي الطنطاوي. ونشر مقالة في العدد «٦٤٨» من الرسالة، بعنوان «العقيدة بين العقل والعاطفة»، وسجّل قبل العنوان أنه «على هامش المناظرة بين خلّاف وقطب».

ومما جاء في وصف الطنطاوي للحوار العلمي بين المتناظرين قوله: «هذه هي المرة الثانية التي أتطلّع فيها على مناظرات الأستاذ قطب. ولكن ليطمئنّ القراء، فما هي كالأولى، ولا هي منها في شيء. وأنا في هذه المرة مؤيّد له، وقد كنت في الأولى عليه. وهذه مناظرة هادئة باسمه، وقد كانت تلك معركة صاخبة مجلجلة، كالحة الوجه عابسة.

(١) انظر «سيّد قطب»، للخباص: ٢٦٨ حاشية.

(٢) سيّد قطب، لعبد الباقي: ٨٧.

(٣) انظر مقال أحمد الأمبابي في الرسالة. عدد: ٦٤١. صفحات: ١١٣١ - ١١٣٢.

وأنا أعرف الآن الأستاذ قطب، وكنت أتخيله تخيلاً، والأستاذ خلاف أخي حقيقة.. فإنا لست إذن غريباً عن المتناظرين»^(١).

سابعاً: معركته مع إسماعيل مظهر عام ١٩٤٦م

كان إسماعيل مظهر في ذلك الوقت يرأس تحرير مجلة «المقتطف» المعروفة. وسبب المعركة بينه وبين سيد كتاب «هذي هي الأغلال» لعبد الله علي القصيمي. وقد أيد الكتاب - فور صدوره - الملحدون وأعداء الإسلام، وبعض الأدباء الآخرين الذين لم يفتنوا لخطر الكتاب، وهدف مؤلفه المريب. بينما هاجم الكتاب والمؤلف أنصار الإسلام والأخلاق والفضائل.

والمؤلف هو «عبد الله علي القصيمي» ولد في منطقة «بريدة» - في القصيم بمنطقة نجد - عام ١٩٠٧م. ثم غادر نجد، واستقر به المقام في القاهرة، وهناك صار ملحداً مع الملحدين، وأصدر عام ١٩٤٦م كتابه الإلحادي الأول «هذي هي الأغلال» ثم أصدر بعد حوالي عشرين عاماً - في عام ١٩٦٧م - كتابه الإلحادي الثاني «العالم ليس عقلاً» وبعده بسنتين ألف كتابين آخرين «كبرياء التاريخ في مأزق» و«هذا الكون ما ضميره؟».

واختار القصيمي أن يقف في صف أعداء الإسلام والقرآن، وأن يكون ملحداً مع الملحدين، ورفيقاً للشيوخين^(٢).

ولقد أعجب بكتابه «هذي هي الأغلال» الملحدون والماديون والعلمانيون، وأثنوا عليه، وعملوا له دعاية وضجة إعلامية. وكان ممن تبناوا الكتاب والكاتب، إسماعيل مظهر، حيث كتب في مجلة المقتطف مقالاً يُشيد فيه بالكتاب، واعتبره يساوي وزنه ذهباً، واعتبر مؤلفه القصيمي مفكراً حراً، يرتفع على جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده!

وكان ممن هاجم الكتاب وصاحبه الكاتب المؤمن «عبد المنعم خلاف».

(١) الرسالة. السنة الثالثة عشر. المجلد الثاني. عدد: ٦٤٨. تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥م. صفحة: ١٣١٣.

(٢) انظر كتاب «دراسة عن القصيمي»، للدكتور صلاح الدين المنجد.

وهاجم الكتاب وصاحبه أيضاً سيد قطب، وكتب عنه مقالاً في مجلة «السوادي» - التي كان يصدرها «محمد توفيق السوادي» - ووصف عبد الله القصيمي بأنه يبدو في الكتاب «في هيئة «دون كيشوت» يطعن في الهواء، يحسب طواحين الهواء فرساناً، وزقاق الخمر قساوسة! ثم ينتهي في التواء إلى أن هذه هي العقلية الدينية الإسلامية، فهي إذن عقلية لا تصلح للحياة ولا لورثة الأرض. بينما الأوروبيون يتبعون منطق الحياة، فهم إذن أولى بورثة الأرض من أصحاب العقلية الدينية. وإذن فما يحق للشرق أن يثور على استعمار، ولا أن يحق على مستعمرين!»^(١).

ثم كتب سيد مقالاً في مجلة الرسالة، هو «من مفارقات التفكير: الأستاذ إسماعيل مظهر وكتاب الأغلال». فند فيه دعايات القصيمي في كتابه، وبين كيف أنه يعتبر: الإسلام والإيمان والدين والقرآن والأخلاق أغلالاً: «إن العنصر الأخلاقي يجب أن يُنفى من الحياة. . فكل ما يُقال له روح وضمير وخلق ودين. . إن هو إلا «أغلال» ومعوقات وتعللات فارغة لا تُجدي، والمعول في الحياة على القوة المادية: قوة الصناعة والتجارة والمال»^(٢).

وبين غفلة إسماعيل مظهر في دفاعه عن ذلك الكتاب وصاحبه، وأيد «عبد المنعم خلاف» في حملته على الكتاب وصاحبه.

ثم نشر سيد مقالاً آخر في الرسالة «غفلة النقد في مصر» بين فيه أن الضجة التي أثيرت حول الكتاب وصاحبه مفتعلة: «في تقديري أن هذه الضجة، وذلك الانزلاق، فضيحة أدبية لمصر، وقد تؤخذ دليلاً على غفلة النقد فيها إلى حد مخجل».

وقرر أنه واثق «أن بعض الذين كتبوا عن كتاب الأغلال ما كانوا ليكتبوا، لو أنهم أولاً قرأوا الكتاب كله، ولم يكتفوا بتصفح فصوله»^(٣).

(١) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٧٠٠. تاريخ ٢ ديسمبر ١٩٤٦م. صفحة: ١٣٢٦ - ١٣٢٧.

(٢) الرسالة - العدد السابق - صفحة: ١٣٢٧.

(٣) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني: عدد: ٧٠٢. تاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٤٦م. صفحة ١٣٨٢ - ١٣٨٤.

ودعا سيّد في مقال إلى ترك الكتاب: «ضجة فارغة حول كتاب مُريب، أمطرُنا دورُ الدعاية بعشراتٍ مثله في أيام الحرب. دَعوه ليموت فإنه ميّت. ولن تنفخ فيه الحياة؛ ضجة مفتعلة تقوم على الخداع والإيهام».

وقد كتب إسماعيل مظهر - أو عبدُ الله القصيمي - كلمةً في مجلة «المقتطف» بتوقيع «مسلم حرّ» شتمَ فيها كلّ الذين هاجموا الكتاب، وخصَّ سيّدَ بشتيمة خاصة، حيث قال عنه «وثمة خصمٌ ثالث لهذا الكتاب. وهو رجلٌ يتعاطى صناعة الأدب الصناعي، ولكن مقاومته لهذا الكتاب، والأسلوب الذي اختاره للمقاومة، كانا برهانيين على براءته من كل صلةٍ بالأدب بكلِّ معانيه ومبانيه».

وقد ردَّ سيّد بكلمةٍ موجزة على هذه الشتيمة الواطية التي وجَّهها له إسماعيل مظهر، قال فيها عن الكتاب «الكتابُ المريبُ قد انتهى. واسألُ يا مولانا مَنْ شئتَ مِنَ الناس، فتعلمَ صدقَ هذا الذي أقول. انتهى لا لأنني كتبتُ عنه كلمةً أو أكثر، ولكن لأنني «كشفتُ» فقط عن مدى «نظافته» وعن جرائمِ الفناء فيه».

ووجَّه لإسماعيل مظهر كلمةً قال فيها: «أما أنتَ يا أستاذَ مظهر - وأنا أسمِّيك باسمِكَ ولقبِكَ، ولا أشيرُ إليك كما أشرتُ إليّ، لأن الأدبَ الواجبَ يحتمُّ على الناس المؤدِّبين ذلك - أما أنتَ فأنا شديدُ الرثاء لك.

إنني أعلمُ تلك العقدةَ النفسية التي توجَّهك. إنها عقدةُ الفشل، الفشلُ في كل مشروع هممتَ به، وأنتَ تعزو إلى رجالِ الدين تبعهَ هذا الفشل في حياتك. فكلُّ شتمٍ للدين ورجاله يُغذِّي هذه العقدة فيك. فلا تسأل بعدها إن كانَ نظيفاً أو غيرَ نظيف، مُحِقّاً أو غيرَ مُحِق. ومن هنا تعصُّبك لكاتبٍ مريب وكتاب غير نظيف، وأنت في هذا تستحق المراثية، فالكتابُ لا يحاربُ الدين وحده، ولكنه ينعى على كل خلقٍ نظيف، ويسمي الضميرَ والخلقَ والمروءة وما إليها «أغلالاً»: ... فاللهُ يرحمك ويرحم المقتطف. والسلام»^(١).

(١) مجلة الرسالة. السنة الخامسة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٧٠٨. تاريخ ٢٥ يناير ١٩٤٧م. صفحة: ١٢٧.

ثامناً : معركته مع شيوخ الأدباء عام ١٩٤٧م

ختم سيد قطب معاركه الأدبية، بمعركة عنيفة، شنها على «شيوخ الأدباء» في مصر. وهم الأدباء والشعراء والكتاب الكبار، ومنهم شيخه وأستاذه السابق العقاد. ومنهم الدكتور طه حسين، وتوفيق الحكيم، ومحمد حسين هيكل، وأحمد أمين، وغيرهم.

وسبب هذه المعركة، مقال نشره الدكتور طه حسين في مجلة الهلال الصادرة في شهر يونيو - حزيران - عام ١٩٤٧م، بعنوان «كما أنت... أيها الصديق»:

كان طه حسين في مقاله يخاطب «الأدباء الشبان» ويتهمهم بأنهم ينافسون «الأدباء الشيوخ» ويزاحمونهم على مكانتهم الأدبية، وأنهم يفعلون ذلك رغبة في الحصول على الأموال والمتاع، وطالبهم أن يبقى كل منهم في مكانه، وألا يحاول منافسة أساتذته الأدباء الرواد.

وقد أورد سيد عبارات لطه حسين في تعليقه لتلك المنافسة بين الجيلين منها قول طه: «أليس من الممكن أن يكون الشيء الذي ينفسه الشباب على الشيوخ، ليس هو الأدب أو العلم أو الفن؟ وإنما هو ما قد ينتجه الأدب والعلم والفن، من إقبال الناس على الشيوخ، أكثر مما يقبلون على الشباب. وإذن فالأمر ينتهي إلى ازدحام حول أغراض الحياة الباطلة، وأغراضها المادية الزهيدة، حول الشهرة وبُعْد الصيت، وما قد تتيح الشهرة وبعد الصيت من مال قليل أو كثير، حول غرور الدنيا وزخرف الحياة. فيا لها من غاية هيئة رخيصة، لا ينبغي أن يكون حولها ازدحام، ولا أن يكون إليها تدافع، ولا أن تتقطع من أجلها الأعناق، ولا أن تتمزق في سبيلها القلوب...»

ومن حق الشباب على الشيوخ أن يؤدّبوهم بما ينبغي أن يؤدّب المجربون به من لَاحِظ لهم من تجربة، وأن يعلموهم أن الشهرة لا تُكتسب لأنك تريد اكتسابها، وأن المال لا ينبغي أن يؤخذ بغير حقه، فذلك هو الغضب، وأن غرور الدنيا وزخرف الحياة باطل لا معنى للتهالك عليه والتنافس فيه، وأن الرجل الكريم خلاق أن يعمل ويعمل ويشق على نفسه.

فالعامل وحده هو الذي يستطيع أن يرضي القلب الذكي، ويقنع النفس الكبيرة،

وهناك تسعى الشهرة إلى العاملين، وهم أشد ما يكونون زهداً فيها، وإعراضاً عنها، ويسعى المال إلى العاملين، وهم أشد ما يكونون ابتذالاً له، وزهداً فيه... إلخ»^(١).

وقد أثارت هذه التحليلات أو الاتهامات - التي وجهها طه حسين للأدباء الشبان - سيد قطب، باعتباره في طليعة هؤلاء، ولذلك اعتبرها اتهامات موجهة له ولزملائه الشبان. اعتبر سيد قطب أن طه حسين ممثل للأدباء الشيوخ في اتهام الشبان بها، وأنه ناطق باسمهم في ذلك، ولذلك اعتبرهم قائلين بها، معتنقين لها!

ولذلك رآها سيد فرصة مناسبة ليخوض معركة ضد شيوخ الأدب، ويشن حرباً عنيفة حادة عليهم.

فكتب مقالاً في مجلة «العالم العربي» - التي كان يشرف عليها ويرأس تحريرها - في عددها الرابع الصادر - في شعبان ١٣٦٦ هـ الموافق لشهر يوليو: تموز ١٩٤٧ م - . جعل عنوانه: «بدء المعركة: الضمير الأدبي في مصر: شبان وشيوخ».

وكان سيد في هذا المقال عنيفاً جداً، وحاداً جداً، وصريحاً جداً!! وقد أحدث مقاله دويّاً هائلاً، وضجة كبيرة بين الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان، وفي مختلف الأوساط الأدبية في مصر والعالم العربي، كما امتد دويّه وأثره إلى الأوساط الغربية، التي كانت ترصد حركة الأدب والفكر في مصر في ذلك الوقت.

فعندما كان سيد في أمريكا، بعث منها رسالة إلى صديقه الناقد الأدبي «أنور المعداوي» عام ١٩٥٠ م، وكان مما قال له فيها: «بهذه المناسبة، أتذكر مقال «بدء المعركة بين الشيوخ والشبان» في «العالم العربي»؟ كتب إليّ أستاذ في جامعة «هاليفاكس» بكندا في هذه الأيام، يستأذن في ترجمته للغة الإنجليزية، لينشر في أمريكا. فأجبته بالموافقة!»^(٢).

(١) انظر مجلة «العالم العربي». المجلد الأول. العدد الرابع. تاريخ ٢١ شعبان ١٣٦٦ هـ. صفحة: ٥٢.

(٢) مجلة الكتاب. السنة الخامسة عشرة. عدد: ١٧٣. تاريخ أغسطس ١٩٧٥ م. صفحة: ٢٩.

بَيْنَ سَيِّدٍ فِي مَقَالِهِ الصَّاحِبِ — أَوْ قَبْلَتِهِ المَدْوِيَّةِ — أَنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعَوَاتِ سَابِقَةِ
لِبَدْءِ المَعْرَكَةِ — أَوْ لَخَوْضِ المَعْرَكَةِ — بَيْنَ الأَدْبَاءِ الشَّبَانِ والأَدْبَاءِ الشُّيُوخِ . كَمَا ذَكَرَ
اعْتِرَاضَهُ عَلَى تَقْسِيمِ الأَدَبِ لِأَدَبِ شَبَانٍ وَأَدَبِ شُّيُوخٍ ، لِأَنَّ الأَدَبَ فِي مَفْهُومِهِ أَدَبٌ ،
وَالْخِلَافُ بَيْنَ الشَّبَانِ وَالشُّيُوخِ خِلَافٌ شَخْصِيٌّ بَيْنَ أَشْخَاصٍ . وَالْأَشْخَاصُ فِي عَالَمِ
الفكرِ وَسَائِلُ وَأَدَوَاتُ !

ثُمَّ جَدَّتْ أَسْبَابُ مَوْضُوعِيَّةٍ ، دَعَتْهُ لِإِعْلَانِ الحَرْبِ عَلَى الأَدْبَاءِ الشُّيُوخِ ، وَلِذَلِكَ
بَدَأَهَا فِي مَقَالِهِ المَذْكُورِ .

قَالَ : « وَلَكِنْ هَذِهِ السَّنَوَاتُ العَشْرُ الأَخِيرَةُ — وَعَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ سَنَوَاتُ هَذِهِ
الحَرْبِ الأَخِيرَةِ — قَدْ بَدَّلَتْ المَوْقِفَ تَبْدِيلًا . لَمْ تَعُدْ المَسْأَلَةُ مَسْأَلَةَ أَشْخَاصٍ لَا تُقَدَّمُ
وَلَا تُؤَخَّرُ ، بَلْ انْتَهَتْ إِلَى أَنْ تَكُونَ مَسْأَلَةَ مَبَادِيءٍ وَاتِّجَاهَاتٍ . بَلْ مَسْأَلَةُ ذَمِّمْ وَضَمَائِرٍ .
تَتَنَاوَلُ جَوْهَرَ القَضَايَا الوَطَنِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالاِنْسَانِيَّةِ كَذَلِكَ .

اِفْتَرَقَتْ طَرِيقُ الشُّيُوخِ وَطَرِيقُ الشَّبَانِ اِفْتِرَاقًا ، لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالأَشْخَاصِ ، إِنَّمَا
عِلَاقَتُهُ بِالنَّظَرَةِ إِلَى الضَّمِيرِ الأَدَبِيِّ ، وَإِلَى الوَطَنِ وَالمَجْتَمَعِ وَالاِنْسَانِيَّةِ ، فَهُوَ خِلَافُ
عَلَى الصَّمِيمِ ، وَالأَشْخَاصُ فِيهِ مَجْرَدُ رَمُوزٍ .

وَمَعَ هَذَا كُلَّهُ ، فَقَدْ كُنْتُ أَسْتَبْقِي المَعْرَكَةَ — عَلَى عِلْمِي بِأَنَّهَا آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا —
أَسْتَبْقِيهَا تَوْقِيرًا لِأَسَاتِذَةِ الجِيلِ — مَهْمَا يَكُنْ مِنْ انْحِرَافِهِم الوَاضِحِ فِي السَّنَوَاتِ
الأَخِيرَةِ — وَأَسْتَبْقِيهَا لِلْمُودَةِ الَّتِي تَرْبِطُ الجِيلَيْنِ ، لَوْلَا أَنَّ الأُسْتَاذَ الكَبِيرَ الدُّكْتُورَ طَهَ
حُسَيْنَ بَكٍ قَدْ تَعَجَّلَ المَعْرَكَةَ عَلَى صَفْحَاتِ مَجَلَّةِ الهَلَالِ .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَمْ يَعْزُّ عَلَيَّ أَنْ أَوَاجِهَ الأُسْتَاذَ الدُّكْتُورَ — وَأَنْ أَوَاجِهَ مَعَهُ أَسَاتِذَتَنَا
الشُّيُوخَ — بَغَيْرِ مَا يُوَدُّ ، وَيُوَدُّونَ ، وَلَكِنِهَا الحَقِيقَةُ الوَاقِعَةُ ، الَّتِي لَمْ يَعْذُ هُنَاكَ مَجَالٌ
لِإِخْفَائِهَا أَوْ المَغَالِطَةِ فِيهَا !!

إِنْ هَذَا الجِيلُ مِنَ الشُّيُوخِ قَدْ تَخَلَّى عَنْ أَمَانَتِهِ . لَا لِذَلِكَ الجِيلِ مِنَ الشَّبَانِ
فَحَسْبُ ، وَلَكِنْ لِلْوَطَنِ ، وَلِلْمَجْتَمَعِ ، وَلِلْإِنْسَانِيَّةِ ، وَأَخِيرًا لِلضَّمِيرِ الأَدَبِيِّ كُلِّهِ .

وَإِنَّهَا لَتَهْمَةٌ غَلِيظَةٌ ، وَإِنِّي لِأَكْرَهُ النَّاسَ لِإِطْلَاقِهَا ، وَإِنِّي لِأَشَدُّ جِيلَ الشَّبَابِ
تَوْقِيرًا لِجِيلِ الشُّيُوخِ . وَلَكِنِهَا الحَقِيقَةُ القَاسِيَةُ ، الَّتِي لَا يُغْنِي فِيهَا التَّحَرُّجُ وَلَا التَّوْقِيرُ !

وتلك هي حقيقةُ الخلافِ بينَ الجيلينِ، يا سيّدي الدكتور.. .

لا يقولُ الشبابُ للشيخ: افسحوا لنا الطريقَ إلى الأدبِ والعلمِ والفنِ، ولا ينفُسونَ عليهم الشهرةَ ولا المالَ ولا الجاهَ، كما اعتقدتَ يا أستاذي.. .

ولكنهم يقولون لهم:

١ - لقد تخلّيتُم عن الأمانةِ التي وضعناها في أعناقكم، والتي وضعها في أعناقكم الوطنُ والمجتمعُ والإنسانيةُ، وذلك بحكم سنكم وشهريّكم وأستاذيتكم!

٢ - لقد شَبَّت الحربُ الثانيةُ، وكانت لدينا فيها قضايا وطنيةٌ وقوميةٌ معلقةٌ، ولكنكم بدلَ أن تُبصِّرونا بقضايانا، انصرفتم إلى الدعاية لقضية المستعمرين في الإذاعة والصحف والكتب - ولم يبقَ منكم أحدٌ لم يشترك في هذا الإثم والخطأ - لأن الذهبَ كان يسيلُ من المستعمرين في جيوبكم سيلاً. فأثرتُم لذائذكم الخاصة، وتخلّيتُم عن الواجب الوطنيِّ والقوميِّ في أخرج الظروف!

٣ - بعدما وضعت الحربُ الثانيةُ أوزارها، ونهضت الشعوبُ العربيةُ في كل مكانٍ لتحاربَ المستعمر وتطالبَ بحقوقها، وجدّتكم في المؤخّرة لا في المقدمة، وجدّتكم في أوكارِ الحزبية، لا في الميدانِ القوميِّ، والأحزابُ في مصر شاخَتْ وأُسِنَتْ وأُنْتِنَتْ، ولكنكم نطقتم بلسانها، وكنتم أبواقها، وتقلّبَ بعضكم بين عهد وعهد في الرأي والاتجاه تقلّبَ الأجراء.

٤ - في مصرَ ظلمَ اجتماعي صارخٌ، فيها أناسٌ بمرتبة الحيوان والعبيد، بل فيها أناسٌ لم يصلوا إلى مرتبة الحيوان والعبيد. وأنتم قادةُ الفكر وحَمَلَةُ الأمانة، فهياً ناضلوا لتحقيق العدالة الاجتماعية، لأنها حاجةٌ نفسيةٌ وحاجةٌ إنسانية.

فماذا صنعتُم يا سيّدي؟ قلةٌ منكم استجابت في تحاذلٍ لهذا، وكثرةٌ منكم أصمّتْ أذنيها عن كل هُتاف. وبعضكم يا سيّدي راح يُصاب بتشنّجات هستيرية مضحكة، كلّما ارتفع صوتُ يطالب بالعدالة الاجتماعية! هذا البعضُ يرتعشُ رعشاتٍ هستيرية من «الشيوعية»! ونحن معه نكره الشيوعية... ولكننا مع ذلك نطلبُ «العدالة الاجتماعية» لأنها حاجةٌ روحيةٌ وإنسانية.

إن كثرَتكم تندفع وراء أرستقراطية مصطنعة، تتظاهرُ بها، ووراء رخاءٍ مادي، ينالُه من ذوي السلطان والثراء، ووراء راحةٍ مسترخية لذيدة، تطلبُ شهوات اليوم، ولا تحفلُ بالملايين من الجياعِ العراةِ المناكيد!

٥ - لقد حملنا لكم في أنفسنا شعورَ التوقير والتكريم، حينما كنتم تواعدوننا فنلقاكم في صحفٍ كريمة نظيفة.

ولكنكم في سنوات الحرب، وبعدَ سنوات الحرب، رحتم تواعدوننا في مواخير. هجرتم صحفكم الأدبية العلمية النظيفة، ورضيتمُ صُحفاً أخرى. وواعدتمونا هناك، حيث لقيناكم، وبجواركم الأفخاذُ العارية، والموضوعات القذرة، والغرائز المنحلة:

فريقٌ منكم - وهو القليل - نذهبُ إلى مواعده، فنجدُه صاحباً في وسط المخمورين، ويُلقِي دروسَه الجادة بين المخمورين المعربدين.

والكثيرُ منكم، نذهبُ إلى مواعده، فإذا هو مخمورٌ مع المخمورين، معربدٌ مع المعربدين. يتحدثُ بلغة الماخور الذي استأجره، وينزلُ إلى لهجته في الحديث، وإيماءته في الإلقاء!!

لماذا تفعلونَ هذا؟ لأنكم مضطرون للعيش؟ كلا. فالصحفُ النظيفة العفيفة كانت ترزقكم رزقاً معقولاً، والكتبُ القيمة الطريفة كانت تكفلُ لكم الحياة الكريمة. ولكنه الترفُ الرخيص، واللذة الشهية، والرخاوة المترهلة، التي تستعبدكم للمواخير وأصحاب المواخير!

٦ - إننا لم نجدُ عندكم الضميرَ الأدبي، الذي كنا نتخيله في الأساتذة الموقرين. فأنتم لا تحاولون أن تبرزوا على المسرح إلا أذيا لكم وبطانتكم، والذين يؤدّون لبعضكم خدماتٍ شخصية قد لا يؤديها الرجلُ الشريف!... وإننا معذورون إذا شككنا في شهادتكم لبعض الناس، وفي إغفالكم لبعض الناس!

وإننا سننصرفُ عن أحكامكم، فلا نحترمها، لأننا نعلم ما وراءها من خبيء! وإننا سنرى آراءً مستقلةً لنا في الحكم على الأشخاص والأعمال؟

تلك يا سيدي خلاصة مختصرة لحقيقة الخلاف بين الشبان والشيوخ. عرضتها

عرضاً سريعاً خاطفاً، غُفلاً من الأسماء والأشخاص، لأنَّ القضية أكبر من الأسماء والأشخاص!

ومعذرةً يا سيّدي الدكتور، عما يكون قد أفلت من قلبي من عبارة قاسية، أو كلمة غليظة. فالله يعلم كم جاهدت نفسي، لأعرض القضية هذا العرض الهاديء البريء!!»^(١).

لقد آثرنا أن ننقل معظم مقال سيّد في مهاجمته لشيوخ الأدب - مع تصرف واختصار - باعتباره «وثيقة» إدانة، و«بنود» اتهام ستة، من سيّد إلى شيوخ الأدب. وباعتباره يمثل النظرة الأخيرة لسيّد إلى هؤلاء الأساتذة، من أمثال طه حسين والمازني والحكيم والعقاد وتيمور وغيرهم.

والملاحظ أنه صار ينظر لهم بمنظار الإسلام أولاً، فلاحظ مدى قربهم أو بُعدهم عنه، وبمنظار الوطنية، فلاحظ مدى خدمتهم للوطن، وبالمنظار الاجتماعي والأخلاقي فلاحظ مدى التزامهم بالمعايير اللازمة لذلك.

لقد أنهى سيّد حياته الأدبية، وقد وظّف الأدب في خدمة الدين والإسلام والأخلاق والمجتمع والوطن والحياة، ولذلك نظر للأدباء على هديه، وفاصلهم على أساسه، فلا عجب أن تنقطع صلته بمعظم أولئك الأدباء، المغايرين لاتجاهه الجديد!!

وقفة مع أنور الجندي في تاريخه للمعارك الأدبية

نصّب «أنور الجندي» نفسه مؤرخاً للمسيرة الأدبية والنقدية في مصر في العصر الحديث، وجعل من نفسه محلاً ومعرفاً للتيارات الأدبية الموجودة، ومعرفاً بأشهر رجالات الأدب والنقد. وأظهر نفسه راصداً للمعارك الأدبية، التي دارت على صفحات الصحف والمجلات في تلك الفترة.

ولدى مراجعة ما كتب «أنور الجندي» عن المساجلات والمعارك الأدبية، التي

(١) مجلة «العالم العربي». المجلد الأول. العدد الرابع. شعبان ١٣٦٦ وفق يوليو ١٩٤٧م. صفحات: ٥٢ - ٥٤. بتصرف واختصار.

خاضها سيّد قطب، أو شارك فيها – وقد عرفنا الآن دوره فيها – فإننا نجدُ الجنديَّ يتعمّد عدمَ ذكرِ سيّد قطب!! بل كان – عندما يضطر إلى ذكر اسمه والإشارة إلى دوره، وإيراد كلامه – يقول: «وكتبَ محرّرٌ في مجلة الرسالة»، و«كتبَ محررٌ في مجلة دار العلوم»!!

في كتاب الجندي «المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة» تعمّد إغفال اسم سيّد قطب، فلما تحدث عن المعركة التي دارت بين سيّد قطب وبين الدكتور محمد مندور حول «الأدب المهموس والأدب الصادق» ونقل فقراتٍ طويلة من مقالات كلٍّ منهما، قال عن سيّد: «وتصدّى له [أي للدكتور مندور] محرّرٌ في الرسالة، عُرفَ باشتغاله بالنقد الأدبي، وله جولاتٌ في نقد أدبِ الرافعي ومناصرة أدب العقاد، وهو من خريجي دار العلوم...»^(١).

وكنْتُ أظنُّ أن عدمَ ذكر الجندي لاسم سيّد قطب، هو لخشيته من الحكومة المصرية، أن تناله بمكروه، بسبب محنة سيّد واستشهاده، ومحاربتها لاسمه وفكره ونتاجه وكتبه!

ولكنّ هذا الظن زال، لأن الجندي أصدرَ كُتُباً في أواسط السبعينيات – بعدما انتهى الحظرُ الحكومي الرسمي في مصر على سيّد قطب، وبعدها صار الناس يتحدثون عن سيّد وفكره وحياته بصراحة – استمرّ على إغفاله المتعمّد لاسم سيّد، والتقليل من دوره في المسيرة الأدبية.

وعندما كان يضطرُّ للحديث عن معارك سيّد الأدبية، أو آرائه في الأدب والنقد، كان يشيرُ إشارةً مقتضبة، دون ذكر اسمه!

ففي عام ١٩٧٥م أصدرتُ له دارُ الاعتصام بمصر كتابه: «خصائصُ الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث». وفيه مواضع من هذا الإغفال، نكتفي فيها بهذه النماذج:

١ – أثناء كلامه عن طريقة التعبير القرآني التي تعتمد على التصوير، أوردَ فقرةً لسيّد

(١) المساجلات والمعارك الأدبية لأنور الجندي: ١٥١.

قطب دعا فيها إلى احتذاء طريقة القرآن المذكورة، وجعلها بين قوسين. وقدم لها بقوله: «يقول أحد الباحثين» يعني سيد قطب!! وفي نفس الصفحة، أشار إلى الخلاف بين سيد قطب وعبد المنعم خلّاف، وذكر رأي خلّاف في إدراك سر الإعجاز، ومعارضته لسيد في ذلك – وقد أشرنا له من قبل – وقال في الهامش: «راجع عبد المنعم خلّاف في مناقشة مع آخرين ١٩٤٤م الرسالة»^(١). والآخرون هم سيد قطب فقط!!

٢ – في كلامه عن أسلوب القرآن، وأنه ليس نثراً ولا شعراً، أورد فقرةً لسيد قطب من كتابه «التصوير الفني في القرآن» وقدم لها بقوله: «ويقرر بعض الباحثين»^(٢)!!

٣ – ولما تحدّث عن المعركة بين سيد قطب ومحمد مندور عن الهمس في الأدب، أورد خلاصةً لرأي كلٍّ من سيد ومندور، وقال في الهامش مشيراً إلى التوثيق العلمي: «بتصرفٍ وحذفٍ عن أصول المعركة الأدبية التي دارت بين الدكتور مندور وأحد محرري الرسالة في يونيو – يوليو ١٩٤٣م»^(٣)!!

* * *

نكتفي بهذه النماذج من كتاب الجندي، ونقفُ لتساءل: لماذا يرفض الجندي ذكر اسم سيد قطب عام ١٩٧٥م، بينما يفاخرُ بذكر اسمه أدباء آخرون – ولو من غير الإسلاميين –؟ وطالما أن المانع من ذلك ليس الخوف من الحكومة، فهل هو لأسباب خاصة عنده؟ هل هناك شيء في نفس الجندي ضد سيد يحمله على كراهية كتابة اسمه؟ لا نريد أن ندخل إلى نفسه، ونُدّعي ذكر أشياء عنده، الله أعلم بها! ولكننا نقول: إن هذا التصرف منه يتنافى مع الموضوعية والنزاهة الضروريتين لكل مؤرخ وراصد، ولو من غير المسلمين!!

ولعلّ الجندي يسعفنا – هو أو أحد المعجّبين به – بجوابٍ مقبول، وتعليلٍ

مقنع!!

* * *

(١) خصائص الأدب العربي لأنور الجندي: ١٥٦.

(٢) المرجع السابق: ١٥٨.

(٣) المرجع السابق: ٣٥١.

(٨)

إيفاد سيّد قطب إلى أمريكا

خَصَّصْتُ كتاباً خاصّاً لإيفاد سيّد قطب إلى أمريكا، وبعض ما جرى له فيها، وتقويمه لها، ووزنه لها بميزان القيم الإنسانية، وأوردت فيه كلّ ما وصل إلى علمي من روايات وأخبار حول ذلك، وما وقع تحت يديّ من كلام له عن أمريكا. إنه كتاب «أمريكا من الداخل بمنظار سيّد قطب»، الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٥م، وقد لقي الكتاب رواجاً وانتشاراً في أوساط القراء والمثقفين، حيث طُبِعَ أكثر من خمس طبعات في أربع سنوات – والحمد لله على نِعَمه وأفضاله –.

وسأنتقي من الكتاب المذكور خلاصةً موجزةً للروايات والأخبار عن ذهاب سيّد إلى أمريكا، ونشاطه فيها، وتقويمه لها، وهجومه عليها، وكتابته عنها. وأوردتها بغاية الإيجاز، وأحيلُ القراء – الراغبين في التفصيل والتوسّع – على الكتاب المذكور.

نشاط سيّد قبيل إيفاده إلى أمريكا

كان سيّد بعد منتصف الأربعينيات قد اتجه اتجاهًا جاداً صادقاً سريعاً نحو الإسلام والدعوة إليه، كما كان له اهتمام بالقضايا السياسية والاجتماعية والوطنية، التي تعيشها مصرُ وشعبُها، ووظّف أسلوبه الأدبيّ لمعالجة تلك القضايا، أي: إنه انتقل بالأدب من مرحلة «الأدب للأدب» إلى مرحلة «الأدب لخدمة الحياة والعقيدة».

وكانت مصرُ – بعد الحرب الثانية – تعيش قضايا ومشكلات، وتُعاني مآزق وأزمات، على كافة الأصعدة والمستويات. ولاحظ سيّد ما يعانيه الناس، ونظر في أساس الداء ومصدر البلاء، فوجدَه في الاستعمار الإنجليزي الذي يجثم على البلاد، ثم في أدواته وأعوانه في البلاد، مثل القصر والحكومة والأحزاب والإقطاع وكبار

التجار، وأصحاب الدعوات الباطلة، وأعداء الأخلاق والفضائل. فصبَّ هجومه على أولئك، وشنَّ عليهم حرباً عنيفة حادة!

واستخدمَ الصحفَ والمجلات لنشر مقالاته الإصلاحية الحادة العنيفة. من مثل «الرسالة» و«الثقافة»، وعملَ على إصدار مجلات خاصة، مثل «العالم العربي» ثم «الفكر الجديد» التي كانت مقالاته فيها في غاية الحدة والجرأة والصراحة.!

وقد ضاقت الحكومة والقصرُ به، فأغلقوا مجلته «الفكر الجديد» بعد أقل من أربعة أشهر من صدورها.

ولم يجد القصرُ حجةً قانونيةً لاعتقاله، لأنه كان للقانون في ذلك الوقت نوعٌ من الاعتبار، وكان سيّد يصوغ عباراته بحيث لا يُؤخذ عليه مأخذ قانوني.

وكانت تربط سيّد برئيس الوزراء في ذلك الوقت «محمود فهمي النقراشي» صلة قديمة، فعمل النقراشي على ترتيب بعثة له إلى أمريكا.

لقد كان إفاده إلى أمريكا بهدف التخلص منه، واتقاء مقالاته، ونشاطه الإصلاحي المزعج لهم.

التقت على هذا الهدف رغبات الأطراف الثلاثة: القصر والحكومة ورؤساؤه في وزارة المعارف، فكان أن رُتبَ سفره إليها^(١).

حقيقة مهمته في أمريكا

التبسَ على كثيرين حقيقة بعثته إلى أمريكا، فظنَّ بعضهم مبعوثاً للحصول على الماجستير، وظنَّ آخرون مبعوثاً للحصول على الدكتوراة، وزعم الشيوعيون أن أمريكا أرادت أن تُكرمه لمحاربته العنيفة للاشتراكية والشيوعية، فعادَ منها — في زعمهم — عميلاً من عملائها، داعيةً لها، محارباً للاشتراكية والوطنية!!!^(٢).

لم تكن لبعثته هناك مهمةٌ محددة، لأن المهمَّ هو إخراجُه من البلد، وبما أنه

(١) أمريكا من الداخل: ١٥ — ١٨.

(٢) المرجع السابق: ٢٩.

كان يعمل في التفتيش الفني في وزارة المعارف، فقد رتبوا له ما يتفق مع هذا العمل - في الظاهر - . فطلبوا منه الاطلاع على مناهج ونظم التعليم في أمريكا، باعتباره خبيراً في المناهج، ومتخصصاً في البرامج، وباحثاً في الأساليب.

ولم يكن مقيداً هناك بجامعة معينة، أو مواد نظرية خاصة للدراسة، أو زمن معين. وترك له الحرية في مجال الدراسة وميادينها وتخصصها وزمانها ومكانها.

ولما وصل سيد إلى أمريكا أمضى شهوراً في دراسة اللغة الإنجليزية - لأنه لم يدرسها دراسة أكاديمية في كلية دار العلوم - ولما أتقن اللغة الإنجليزية صار يقوم بجولات ميدانية على الجامعات والمعاهد والمدارس، بهدف الاطلاع على مناهجها ونظمها التعليمية، والتعرف على برامج وأساليب التدريس فيها.

وشملت جولاته عدة ولايات، حيث زار مدناً مختلفة، مثل: نيويورك، وجريلي ودفنر، وسان فرانسيسكو^(١).

في طريقه إلى أمريكا

كان سيد في مصر حتى شهر أغسطس - آب - ١٩٤٨م، حيث أنقذ زميله «عباس خضر» من مشكلة في قسم شرطة «حلوان»، قال عباس عنها: «ولا أنسى ليلة قضيتها في قسم «البوليس» بحلوان، إذ اشتبه في رجل غبي، وكنت في منطقة «عين حلوان» أتزره، فلما رأيته هناك ليلاً أمسك بي، متهماً إياي بوضع قبلة عند العين لنسف مبناها. وعلى هذا الافتراض، فأنا عميل صهيوني.. وكان ذلك عقب قيام إسرائيل.

قال لي ضابط الشرطة «النوبتجي» في القسم: أتعرف أحداً بحلوان يضمنك؟ قلت: نعم. وأملت عنوان سيد قطب - وكان لا يزال مأموناً موثقاً به عند السلطات - . وجاء الصديق المنجد. . . جاء لابساً معطفاً فوق «البيجامة» وبقدميه «شبشب» لم يلبث حتى يستبدل به حذاء. . . وعرف الموضوع من رجل الشرطة الذي

(١) المرجع السابق: ١٩ - ٢٠.

استدعاه، فلما دخل ورآني، أشار إليّ ضاحكاً وهو يقول للضابط: إنه صهيوني لا تَدَعُوهُ يَفْلِت!

وخرجتُ من القسم، ناجياً من النوم على «البرش» في الساعة الثانية بعد منتصف الليل. وكتبتُ على إثر ذلك كلمة في «الرسالة» بعنوان «الأدب والفن في قسم حلوان»، ومما يُذكر أن الضابط كتب في المحضر: وبتفتيشه عُثِرَ في جيبه على شعر ومقالات^(١).

سافر سيّد إلى أميركا في ٣/١١/١٩٤٨م^(٢). وكان سفره على ظهر باخرة من الإسكندرية إلى نيويورك.

وهناك على ظهر الباخرة جَرَتْ له عدة حوادث، أشار إلى بعضها:

١- تذكّره نعمة الله عليه وعلى الناس في تسخير البحر للناس، وتقديره للفلك تجري فيه: «ما أحسستُ ما في هذه اللقطة من عمق، قدّر ما أحسستُ ونقطة صغيرة في خضمّ المحيط، تحملنا وتجرى بنا، والموج المتلاطم والزرقاء المطلقة من حولنا، والفلك سابحة متناثرة هنا وهناك.. ولا شيء إلا قدرة الله، وإلا رعاية الله، وإلا قانون الكون الذي جعله الله، يحمل تلك النقطة الصغيرة على ثبج الأمواج وخضمّها الرهيب».

٢- وقف في ليلة صافية مقمرة متفكراً متأملاً، مما زاد من إيمانه وبقينه بالله: «.. أحسستُ هذه الموسيقى العلوية الشاملة.. موسيقى الوجود. مرة وأنا في عرض المحيط، والباخرة تمرُّ، مرّ الريح على وجه الخضمّ، والنسيم رخاء، والليل ساكن، والقمر مفضفض اللاألاء..».

٣- في ظلال هذه الحالة الإيمانية، راح يخاطب نفسه: «أذهبُ إلى أميركا، وأسيرُ فيها سيرَ المبتعثين العاديين، الذين يكتفون بالأكل والنوم، أم لا بدّ من التميز بسمات معينة؟ وهل غيرُ الإسلام، والتمسك بآدابه والالتزام بمناهجه في الحياة، وسط

(١) المرجع السابق: ٢٠ - ٢١.

(٢) سيّد قطب، لعبد الباقي: ٤٠ نقلاً عن ملف سيّد في وزارة المعارف

المعمعان المترَف، المزوّد بكل وسائل الشهوة واللذة والحرام؟ وأردتُ أن أكون الرجل الثاني . . .»^(١).

٤ - بعدما قرّر اختيار الالتزام بالإسلام والدعوة إليه في أمريكا، وُجّهتُ له فتنة من إحدى الأمريكيات على ظهر الباخرة، فأعانه الله في الاستعلاء عليها. وحولها يقول: وأردتُ أن أكون الرجل الثاني - المسلم الملتزم - وأراد الله أن يمتحنني: هل أنا صادق فيما اتجهتُ إليه أم هو مجردُ خاطرة؟

فما أن دخلتُ الغرفة، حتى كان الباب يُقرع، وفتحتُ، فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة، فارعة الطول، شبه عارية، يبدو من مفاتن جسمها كل ما يُغري. وبدأتني بالإنجليزية: هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفةً عليه هذه الليلة؟ فاعتذرتُ بأن الغرفة معدةٌ لسريّر واحد، وكذا السريّر لشخص واحد! فقالت: وكثيراً ما يتسع السريّر الواحد لشخصين!! واضطرتُّ أمام وقاحتها، ومحاولة الدخول عنوة، لأن أدفع الباب في وجهها، لتصبح خارج الغرفة، وسمعتُ ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر، فقد كانت مخمورة. . .»^(٢).

٥ - تحوّل - بعد هذا النجاح والاستعلاء على الشهوات والمغريات - إلى داعيةٍ للإسلام، حتى على ظهر الباخرة!

فقد أخبرنا أنه رأى نصرانياً مُبشراً يحاول نشر دعاياته التبشيرية بين ركّاب الباخرة المسلمين، فاستيقظت مشاعره الإيمانية، وذهب إلى قبطان الباخرة، وطلب منه السماح لكل ركّاب الباخرة المسلمين بصلاة الجمعة. وقد شاركوا بهذه التظاهرة الإسلامية، وقام سيّد بإلقاء الخطبة، وإمامة المصلين، وسط إعجاب كثير من الركّاب الآخرين، الذين وقفوا متفرّجين. . . ثم قدّمتُ سيدة نصرانية يوغسلافية، وأبدتُ لسيد تأثرها البالغ بكلام الخطيب، وقراءة الإمام - سيّد - لآيات القرآن.

وكان سيّد يذكر هذه الحادثة - وبخاصّة موقف السيدة اليوغسلافية - ويعتبرها شاهدةً على إعجاز القرآن، بتأثيره في نفوس الناس، حتى من غير العرب!^(٣)

(١) أمريكا من الداخل: ٢١ - ٢٢.

(٢) المرجع السابق: ٢٧.

(٣) المرجع السابق: ٢٣ - ٢٤.

أمريكا تحاول إغواءه

أطلعنا سيد على عدة محاولات لإغوائه وإغرائه، وإيقاعه في مستنقع الشهوات، وكيف أن الله أراد به الخير، ولذلك أعانه على الانتصار عليها، والاستعلاء بإيمانه، والثبات على إسلامه.

من هذه المحاولات:

- ١ - تلك الفتاة التي أخبرنا عنها، وعن محاولتها معه على الباخرة.
- ٢ - تلك الفتاة التي قامت بجهد كبير لإغوائه، ولاحقته من جامعة إلى أخرى.
- ٣ - تلك الفتاة التي ناقشته - في معهد المعلمين في مدينة «جريلي» «بكلورادو» - في مسائل جنسية مكشوفة.
- ٤ - تلك الفتاة الممرضة، التي كانت تُغريه وهو في المستشفى، بإسماعه مواصفاتها التي تطلبها في الشخص، ليكون عشيقة لها.
- ٥ - تلك الفتاة الجامعية التي كانت تناقشه، وتريد أن تمحو من ذهنه النفور من الرذيلة، وتزعم له أن «الجنس» عملية «بيولوجية» جسدية، لا داعي لإقحامها في المعاني الأخلاقية.
- ٦ - عامل الفندق الذي عرض عليه تلبية ما يريد من نزوات جنسية - طبيعية أو شاذة - وأثاره بالحديث عن عيّنات منها.
- ٧ - الشاب العربي الذي كان يغريه، بإسماعه قصصاً عن مغامراته الجنسية مع الأمريكيات^(١)!

محاولات لاحتوائه

بعد أن فشلت محاولاتهم لإغوائه وإغرائه وإفساده أخلاقياً، قاموا بمحاولات لاحتوائه فكرياً وسياسياً!

(١) أمريكا من الداخل: ٢٧ - ٢٨.

أخبرنا سيّد عن نماذج للتنافس بين رجالِ المخابراتِ الإنجليزية والأمريكية لاحتوائه، وكيف أن الله أعانه على الخروجِ من تلك المحاولات معتزاً بدينه، ملتزماً بإسلامه.

من هذه الجهود، تلك التي قام بها رجلُ المخابراتِ الإنجليزي «جون هيو ورت دن» - وكان قد أقامَ بمصر فترة. وادّعى فيها أنه أسلم وتسمى باسم «جمال الدين» وتزوج فتاة مسلمة، ثم أقامَ في أمريكا، وألّف فيها كتابه الخطير: «التيارات السياسية والدينية في مصر الحديثة» - وقد أخبرنا سيّد عن بعض ما قام به «دن» معه:

١ - أخبره أن الكثيرَ من الحاكَمين في الدولة الأمريكية، تخرّجوا في المعاهد التبشيرية، وعدّ له عشراتٍ من الأسماء البارزة، في وزارة الخارجية الأمريكية وفي السلك السياسي، ولم يخبره بذلك لوجه الله، بل كان يهّمه ألا يثقَ الشرقيون كثيراً في نيات أمريكا تجاههم. وقد تشكك سيّد في كلام «دن»، فتحقّق من صحتها بوسائل أخرى.

٢ - عرضَ على سيّد أن يترجمَ كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» - الذي صدر عام ١٩٤٩م - إلى الإنجليزية، مقابل عشرة آلاف دولار. ولكن سيّد رفضَ عرضَ «دن»، وقَدّم الكتاب إلى «المجلس الأمريكي للدراسات الاجتماعية» حيث ترجمه المستشرق: «يوحنا: جون. ب هاردي» الأستاذ بجامعة هاليفاكس بكندا، مجاناً^(١).

٣ - حدّث «دن» سيّد أكثرَ من مرة، عن أحداثِ مصر السياسية والاجتماعية، وعن المخاطر التي تنتظرها في المستقبل. وأخذت «جماعة الإخوان المسلمين» حيزاً كبيراً من حديثه، حيث قدّم لسيّد - كما أورد في كتابه «التيارات السياسية والدينية في مصر الحديثة» - معلومات مفصّلة ودقيقة، عن الجماعة وأهدافها ونشاطها وبرامجها، ثم حذّر سيّد من الخطر الماحق الذي يهدّد مصر، إذا نجحت الجماعة في قيادتها وحكمها وتوجيهها، وأظهر لسيّد أن الأمل معقودٌ على

(١) المرجع السابق: ٢٨ - ٢٩.

المثقفين والمفكرين، ليحولوا بين هذه الجماعة والوصول إلى الحكم، ليحكموا هم، ويُلحقوا البلد بالحضارة الغربية!

وقد نصح «دن» سيّد بالكفّ عن معاداة بريطانيا ومهاجمتها، لأنها إن خرجت من مصر، فستحلّ محلّها أمريكا، وهي أشدّ عداء منها^(١).

نماذج من نشاطه في أمريكا

تنقّل سيّد بين عدّة ولايات أمريكية، وزار عدّة جامعات ومعاهد فيها، واطلع على مناهج وطرق التدريس فيها.

وكان وقته يسمح له بالقيام بجولاتٍ وزياراتٍ لمرافق المدن التي يقيم فيها، يطلّع فيها على معالمها ومناظرها الطبيعية في جبالها ووديانها.

وكان يقوم بجولاتٍ ميدانيةٍ فاحصة، يدرس فيها عيّناتٍ ونماذجٍ للمجتمع الأمريكي، ويُقوّم من خلالها الحياة الاجتماعية هناك، وكان يختلطُ بأفراد المجتمع، يدرسُ حياتهم ويناقضهم، ويسجّل ملاحظاته عنهم.

وكان يرسلُ مقالاته لبعض الصحف والمجلات في مصر، وأحياناً كان يسجّل المدينة التي كتب فيها المقالة. ومن هذه الطريقة اللطيفة، عرفنا بعض المدن التي أقام بها.

وكان يرسلُ رسائلَ شخصيةً إلى إخوانه وأقاربه ومعارفه.

أول ما أقام في مدينة «نيويورك» وعرف منها الطبيعة العامة للحياة الأمريكية، ولذلك أطلق عليها مصطلحاً عجيباً صادقاً، وهو «الورشة الضخمة». وأكثر ما أثار دهشته وسخريته، رؤيته لسُرْبٍ من الحمام الوادعة، فكتب مقالةً ساخرة، سمّاها «حمام في نيويورك» نشرتها له مجلة «الكتاب» في مصر.

ومن المدن التي عرفنا أنه أقام بها فترةً، مدينة «واشنطن» العاصمة، وبعث منها

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

رسالتين نقديتين إسلاميتين إلى «توفيق الحكيم»، نشرتهما مجلة «الرسالة». وقد مرض فيها فترة، وأدخل في مستشفى «جورج واشنطن» فيها.

ومن هذه المدن، مدينة «جريلي» بولاية «كولو رادو»، وعرفنا أن إقامته طالت فيها قليلاً، وفيها أنهى دراسته للغة الإنجليزية، وكثر تردده فيها على معهد المعلمين، للاطلاع على مناهج وأساليب التدريس.

وفي هذه المدينة كان يعقد المناقشات، ويوجه الانتقادات، ويلاحظ مظاهر الفساد والانحراف، ولذلك اشترك في نادي الكنيسة فيها، ولاحظ الفساد الأخلاقي الذي نخر كل شيء، حتى وصل إلى الكنيسة.

وبعث من هذه المدينة مقالة إيمانية رفيعة، سماها «أضواء من بعيد» ونشرتها له مجلة «الكتاب» في مصر.

وكانت له مشاركة في مجلات المدينة، حيث كتب مقالاً في مجلة «Fulcrun» التي تصدر فيها، بعنوان «العالم ولد عاق» بنى فكرته على أسطورة مصرية قديمة، خلاصتها: أن التاريخ كان يقوم بجولته لتتبع الأحداث وتسجيلها، وكان يسأل الآلهة عما يغمض عليه، فشهد امرأة تعلم طفلاً، فسأل الآلهة عن ذلك، فأجابوه بأن المرأة هي مصر، وأن الطفل هو العالم، فمصر هي أم الحضارات. وعلق سيد بأن الطفل لما كبر عتق أمه ومعلمته مصر، فأمريكا العاقلة لمصر، خذلتها في قضاياها السياسية^(١).

ووصف جمال جريلي الطبيعي وغفلة أهلها عنه بقوله: «وهذه المدينة الصغيرة «جريلي»، التي أقيم بها الآن. إنها جميلة جميلة، حتى ليخيل إلى الإنسان أنها أنبتت نباتاً في روضة حالمة... لي ستة أشهر لم أشهد مرة واحدة فرداً أو أسرة جالسة، تستمتع بذلك الجمال البارع الحالم، ولا سيما في ليالي الصيف...»^(٢).

وأقام في ولاية «كاليفورنيا» مدة طويلة. أول ما أقام في عاصمة الولاية «سان فرانسيسكو»، ويبدو أن جوها لم يوافق صحته فمرض، ودخل مستشفاها، وهناك شاهد

(١) أمريكا من الداخل: ٣١.

(٢) المرجع السابق: ١٤٤.

مظاهر الفرح والابتهاج لدى موظفي المستشفى، لاستشهاد «حسن البنا» المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين في مصر.

غادر «سان فرنسيسكو» وأقام في قرية ريفية جميلة، تقع في وادٍ زراعي بالقرب منها، هي قرية «بالو آلتو».

ثم أقام في مدينة «سان دييجو» وبعث منها رسالتين إلى «عباس خضر» نشرهما الأخير في زاويته «الأدب والفن في أسبوع» في مجلة «الرسالة»^(١).

رسائل له من أمريكا

قلّ نشاط سيّد الأدبيّ وهو في أمريكا، فلم نر له إلا قليلاً من المقالات الأدبية والنقدية، في بعض المجلات المصرية.

وقد استعاضَ عن ذلك بالرسائل الخاصة — وهي التي أسماها الأدباء السابقون «الرسائل الإخوانية» — يبعثُ بها إلى معارفه وأقاربه وإخوانه.

في ذلك يقول: «عندما كنتُ بعيداً عن الوطن — مدى عامين — في أمريكا — كان في نفسي عزوفٌ — لا أدري مأتاه — عن الكتابة إلا في القليل النادر. ولعلّ منشأ هذا العزوف، هو الرغبة في تحقيق شيء أكبر من مجرد الكتابة».

«... ولكنّ داء الكتابة لم يزايلني البتة في خلال تلك الفترة! كنتُ أكتبُ إلى أخي وأختي وأصدقائي في مصر وسائر البلاد العربية، وفي إنجلترا وفرنسا كذلك. . . . وكنتُ أقول لهم في رسائلي الخاصة ما أودُّ أن أقوله للناس في الكتابات المنشورة. . . . كنتُ أستروح لهذا اللون من التعبير الضيق المباشر، لأنني لا أتكلّفُ له ما يتكلّفُه الكتابُ عادةً لما ينوون نشره، وكنتُ أحسُّ فيه من الصدق والإخلاص والبساطة ما لا أحسُّه للكثير من المنشور، وكنتُ أجدني أقرب إلى حقيقتي وأنا أكتبه».

وقد أطلعنا على مقاطع من رسائله «الإخوانية» الخاصة، في مقاله «في الأدب والحياة»، الذي نشرته له مجلة «الكتاب» بعد عودته من أمريكا: مقطعٌ من رسالته إلى شقيقته في مصر. ومقطعٌ آخر من رسالته إلى صديق مكثّب، ضيق الصدر بالناس،

(١) أمريكا من الداخل: ٢٩ — ٣٢.

ومقطع ثالث من رسالته إلى صديق آخر اعتزل الناس، لأنه أرفع منهم. ومقطع رابع من رسالته إلى صديق بين له فيها أن الغاية لا تبرر الوسيلة..

وقد نشرت مجلة الرسالة في عددتين رسالته النقدية الإسلامية إلى توفيق الحكيم، ينقد فيها كتابه «الملك أوديب» من منظور إسلامي.

وقد نشرت له الرسالة أيضاً بعض رسائله القصيرة إلى عباس خضر.

وأخيراً، نشر السيد «علي شلش» في مجلة «الكاتب» رسالتين من سيد لزميله الناقد الأدبي «أنور المعداوي». ونشر السيد «الطاهر أحمد مكي» في مجلة «الهلال» ثلاث رسائل من سيد لزميله «محمد جبر».

نصوص من تلك الرسائل

قال لتوفيق الحكيم ردّاً على إهدائه له كتابه الأخير:

«صديقي الكبير الأستاذ توفيق الحكيم:

شكراً لك على هديتك الكريمة: كتابك الجديد «الملك أوديب» إنها شيء عزيزٌ ثمين، بالقياس إليّ هنا، في تلك «الورشة» الضخمة السخيفة، التي يسمونها «العالم الجديد».

لقد استروحتُ في كلمة الإهداء «ممن يذكرُ دائماً» نسمةً رحيةً من روح الشرق الأليف – فالذكرى هي خلاصة هذه الروح – وما كان أحوجني هنا إلى تلك النسمة الرحية... .

إن شيئاً واحداً ينقص هؤلاء الأمريكيين – على حين تذخرُ أمريكا بكل شيء – شيء واحد لا قيمة له عندهم... الروح.

بحثٌ يقدمُ للدكتورة في إحدى جامعاتهم – وقد قدّم فعلاً – عن «أفضل الطرق لغسل الأطباق»، أحبُّ إليهم ألف مرة وأهمُّ من رسالة عن «الإنجيل»، إن لم يكن أهمُّ من ذات الإنجيل...»^(١).

(١) المرجع السابق: ١٥٣.

ومما قاله لعباس خضر من رسالته له: «هنا في أمريكا – التي ينشرون دعوة طيبة طويلة عريضة عن جوها، وبخاصة جو كاليفورنيا لا تُقاس بشيء إلى مصر. ولا تسمع ما يقوله بعض الرُّقَّعاء عن جو فرنسا، فبين يدي الآن رسالة من شاب مصري غير مخدوع، يعيش في فرنسا مفتوح العينين، يحدثني عن التقلُّبات والأنواء، ويتمنى نسمةً مصرية، وهذا هو ما أتمناه أنا كذلك»^(١).

وقال لعباس خضر في رسالة أخرى: «تصلحُ أمريكا أن تكون «ورشة العالم»، فتؤدي وظيفتها على خير ما يكون. أمّا أن يكون العالم كله كأمريكا، فتلك هي كارثة الإنسانية، بكل تأكيد»^(٢).

نصُّ رسالتيه إلى أنور المعدّاوي

نشر السيد علي شلش في مجلة الكاتب عام ١٩٧٥م، نصّ رسالتين بعث بهما سيد قطب من أمريكا، إلى صديقه الناقد الأدبي أنور المعدّاوي في مصر.

الرسالة الأولى:

«أخي أنور:

سلامي إليك وشوقي . . وبعد . .

فكيف أنت؟ وكيف الأدب والفن على حسك؟؟ أحسُّ أن آباءً وآماداً بيني وبين ذلك الماضي القريب منذ عام.

هنا الغربة، الغربة الحقيقية، غربة النفس والفكر. غربة الروح والجسد. هنا في تلك الورشة الضخمة، التي يدعونها العالم الجديد.

عرفتُ الآن مدى الدعاية التي تغمُرُ بها أمريكا العالم، والتي يُسهم فيها المصريون الذين جاءوا إلى أمريكا ثم عادوا، وأستطيعُ أن أقيسَ – على ضوءها – مدى الدعاية التي تغمُرُنا بها أوروبا، والتي يسهم فيها المصريون العائدون من هناك،

(١) أمريكا من الداخل: ١٥٥.

(٢) المرجع السابق: ١٥٦.

وأشخاصهم الضئيلة. إنهم لا يجدون لأنفسهم قيمةً ذاتيةً، فيبالغون في تضخيم أوروبا وتضخيم أمريكا، علَّهم يستمدّون منها قيمةً ذاتيةً!

وبعد: فقد أنهيتُ المهمةَ الأولى في اللغة الإنجليزية، وأصبحَ لديّ من الوقت ما يسمحُ أن أعرفَ أحوالكم وأخباركم، هناك في الوطنِ المجهولِ من أبنائه، فلعلَّكَ تجدُ بينَ يديك ما تحدّثني به أنا بعد، عن الحياة، وعن الأدب، وعن خواطرك الخاصة. والسلام عليك ورحمة الله.

كولورادو: ٢٣/١٢/١٩٤٩م
من أخيك: سيّد قطب

* * *

الرسالة الثانية:

«أخي أنور:

كنتُ في حاجةٍ نفسيةٍ إلى رسالتك، لأفرحَ بك ولك، ثم لأصدّق ظني فيك. فلقد كانَ الكثيرون يلومونني - في مواراة - إذ قدّمْتُك للنقدِ الأدبي في مجلة «العالم العربي»، وكنتُ أعرفُ ماذا أصنع وهم لا يعرفون!

وإنك تزيدني فرحاً وغبطةً إذا أنت بعثتَ إليّ بين الحين والحين، بقصاصات من مقالاتك في الرسالة، في شتى الموضوعات.

تنتظرُ عودتي لأخذَ مكاني في ميدانِ النقدِ الأدبي؟ أخشى أن أقول لك: إنَّ هذا لن يكون! وإنه من الأولى لك أن تعتمدَ على نفسك إلى أن ينبثقَ ناقدٌ جديد!

إنني سأخصّصُ ما بقيَ من حياتي وجُهدي لبرنامجِ اجتماعي كامل، يستغرقُ أعمارَ الكثيرين. ويكفي أن أجذك في ميدانِ النقدِ الأدبي، لأطمئنَ إلى هذا الميدان!

بهذه المناسبة: هل لي أن أذكّرَ لك بعضَ أخطارِ الطريق التي بلوَّتها فيه:

إن أخطرَ ما في طريقِ النقدِ الأدبي، هو مغرباته الكثيرة، وتكاليفه الشاقة، مغرياتُ الصداقة والجفوة، مغرياتُ الشهرة ولُفتِ الأنظار، مغرياتُ الملابسِ الكثيرة

في حياة الفرد وحياة الشعب. ثم تكاليفُ قولِ الحق التي كثيراً ما يكونُ ثمنُها غالياً. فهل لي أن أطمئن إلى أنك ستستيقظُ بهذه الدوافع كلها، فلا تدعُ واحدةً منها أو جميعها تَغشى صفحاتك بالضباب. أرجو، وأدعو الله لك بالتوفيق.

وأشرت إلى ما بيني وبين الدكتور طه حسين: إنني أعتقدُ على أية حال أنه من الخير للبلاد أن يكونَ هذا الرجل في وزارة المعارف. ولستُ أسألُ عما يكونُ لي أو عليّ، فطريقي واضحٌ أمامي، وهدفي معروفٌ لي في جميع الظروف!

بهذه المناسبة: أتذكّرُ مقال «بدء المعركة بين الشيوخ والشباب» في «العالم العربي»؟ كتبَ إليّ أستاذُ في جامعة «هاليفاكس» بكندا، في هذه الأيام، يستأذنُ في ترجمته للغة الإنجليزية، لينشر في أمريكا. وقد أجبته بالموافقة! اكتبَ إليّ كثيراً، ولا تنتظرُ رسالةً برسالة.

أخوكم

سيد قطب

الرسالة غيرُ مؤرّخة. ومن تاريخ ختم البريد على المظروف، يتبيّن أنها صادرة من واشنطن في ٦ مارس ١٩٥٠م^(١).

نصّ رسائله الثلاث إلى محمد جبر

نشر «الطاهر أحمد مكي» في مجلة الهلال عام ١٩٨٦م، ثلاث رسائل، بعثها سيد قطب من أمريكا إلى زميله الأستاذ «محمد جبر» - مدير إحدى المدارس الثانوية، ورئيس جماعة دار العلوم الأدبية - وقدم لتلك الرسائل، بمقدمة طيبة.

نصّ رسالته الأولى:

«أخي الأستاذ جبر:

تحيةً وشوقاً ومودةً. وبعد:

(١) أمريكا من الداخل: ١٥٧ - ١٥٩. نقلاً عن مجلة الكتاب. السنة الخامسة عشرة. العدد: ١٧٥. تاريخ أغسطس ١٩٧٥م. صفحات: ٢٨ - ٢٩.

فقد شغلّنتني «دوشة» السفر عن إخبارك بموعده. ثم شغلّني إجهاد البحر واستقبال الحياة هنا عن الكتابة إليك - أو إلى أحد - حتى أستجم بعض الشيء.

والآن: كيف أنت؟ وكيف أحوال الجماعة؟ هل لك أن تكلف نفسك الاتصال بي دائماً، وإطلاعي على شؤوننا، التي تعلم أنها تهمّني حيث كنت؟ ثم هل لك أن تكتب إليّ بعنوان الأستاذ الكبير سعد بك اللبان لأكتب إليه، إذ أنني أجهل عنوانه.

ولست في حاجة أن أذكّر لك أنك تستطيع تكليفي بأية مهمة هنالك، ك شراء أشياء، أو السؤال عن أشياء، أو ما يعنّ لك أن تصنعه عن طريقي!

والآن: هل تستطيع - عند وصول هذا إليك - أن تتصل بمحمد قطب في دار الكتب - تليفون ٨٤٠٧٤ - لتسأله، لم لم يكتب إليّ منذ ثلاثة أسابيع، ولم يدعني قلقاً عليه، وعلى من في القاهرة معه؟

سيد قطب

١٩٤٨/١٢/١٩ م

* * *

نص رسالته الثانية:

«أخي الأستاذ جبر:

أبطأت في الرد عليك. إنها زحمة العمل، وسوء طريقة الدراسة.

فليس أبعد عن الإفادة من الجهد في تعلّم اللغة الإنجليزية من الطريقة الأمريكية؟ ولكنك كمدرّس تملكُ بجهدك الخاص، أن تتلافى عيوب الطريقة. وقد انقلبت وظيفتي في «المركز الدولي لتعليم اللغات» من مجرد طالب يتعلّم اللغة، إلى مدرّس يعلمهم كيف يُدرّسون اللغة، ولقد أفلحت طريقتي، ونجحت شيئاً ما في تعديل طريقتهم، في كثير من الأحيان!

إنّ أمريكا هي أكبرُ أكذوبة عرفها العالم!

نستطيع أن نفيّد من أمريكا في البعثات العلمية البحتة: الميكانيكا والكهرباء،

والكيمياء، والزراعة، وما إليها. فأما حينَ نحاول أن نستفيدَ من أمريكا في الدراساتِ النظرية - ومنها طرقُ التدريس - فأحسب أننا نخطئُ أشدَّ الخطأ، ونساقُ وراء الطريقة الأمريكية في الإعلان! ومع هذا فلا أحبُّ أن أتعجل، فقد تكونُ هناك أشياء لم أعلمها بعد. وإن كانَ المفروض أن طريقةَ المركز الدولي هي أنجحُ الطرق الأمريكية!

لقد تقدّمتُ فعلاً في اللغة الإنجليزية تقدُّماً ملحوظاً، ولكن ذلك بجهدِي الخاص، وبتعديلِ الطريقة الأمريكية وتلقيحها. وأحسبني لو كنتُ أبذلُ عُسْرَ هذا الجهد في مصر، لبلغتُ ما بلغتُ إليه فعلاً، باستثناء المُرانةِ على الحديث، فهي هنا أحسنُ بطبيعة الحال!

أما أولئك الذين يتحدثون عن أمريكا كما يتحدثون عن الأعاجيب السبع، فهم يحاولون أن يستمدّوا لهم قيمةً جديدةً لأنفسهم من وراء هذا التهويل!

أعرفُ أولئك البحارة القدامى الذين كانوا يجوبون البحار، ثم يتحدثون عن أهوال البحر، وعن المردة والعمالقة والعجائب المثيرة. . . إنهم كانوا يصنعون ما يصنعه المتأمرون اليوم. ولا أدري ماذا في أوروبا، ولكن - قياساً على ما كنا نسمعه عن أمريكا وعمّا رأيته فعلاً - أستطيعُ أن آخذ صورةً عن المبالغة والتهويل!

تجدُ الإجابة على أسئلتك، على جناحي هذا الخطاب».

سيد

١٢/٢/١٩٤٩م

١ - لا أملكُ أن أكتبَ لك بالتفصيل عن الحياة الأمريكية، فهذا يتطلبُ وقتاً وجُهداً لستُ أملكهما اليوم. وسيكونُ هذا موضوعَ كتيبٍ في سلسلة «اقرأ»^(١). ولكن أحسبني ألخصّها لك حين أقول: إنها حياةٌ عمادها اللذة والنجاحُ العملي! وإنه لا حسابَ فيها لأيِّ خلقٍ من الأخلاق، التي تعتزُّ بها الإنسانية. وإن كلَّ القيمِ الخلقية هي موضوعُ السخرية عند الأمريكيان!

(١) هو كتاب أو بحث «أمريكا التي رأيت» الذي أعلن أنه سينشره في سلسلة «اقرأ» الصادرة عن دار المعارف. ولكنه لم يصدر ولم يُنشر.

٢ - مستوى الحياة هنا مرتفع وغال . ولكنه ليس بالصورة المبهلة التي يتحدثون عنها في مصر . فالتالب العادي يستطيع أن يعيش في حدود (١٨٠) دولاراً عيشة راضية . أما أنا شخصياً فأضطر إلى إنفاق ما يقرب من (٢٥٠ - ٢٨٠) وذلك بسبب اضطراري إلى حياة مريحة كل الراحة، وإلى قيمة غذائية مرتفعة كذلك، وإلى شيء من المظهر في بعض الأوساط كرجل زائر، لا كطالب!

٣ - نفقات السفر إلى هنا في الدرجة الثانية في حوالي ٩٠ - ٩٦ جنيهاً . أما أنا فقد سافرت في الدرجة الأولى - حسب درجتي في الكادر! - .

٤ - أحسبني الآن في مستوى السنة الثانية الثانوية، أما في الحديث فقد أكون في مستوى «الثقافة» .

٥ - وجودي في واشنطن بالذات سهل لي كثيراً من الصعاب، لأنني بجوار المكتب، وكلهم أصدقائي .

اكتب إلي بالتفصيل، عن أحوالكم وأخباركم، وموقفكم في الوزارة، فإنه يهمني أن أكون على تمام الصلة بالإخوان وبحركتهم، أولاً بأول، مدة وجودي هنا . ولا يهمني أن تتأخر رسائلي في بعض الأحيان . .

* * *

نص الرسالة الثالثة :

«أخي الأستاذ جبر :

مرة ثالثة أكتب إليك، قبل أن أتلقى منك رداً، فلست ممن يتأسون سريعاً من الأصدقاء حين يقصرون . وزمالة عشرين عاماً ليست بالشيء الذي ينسى سريعاً! لا بد أن أشياء كثيرة عوقتكَ عن الكتابة إليّ، لست أدري أنا ما هي هذه الأشياء، ولكن من حقي أن أعرفها .

وأحوال الجماعة - ودعك من أحوالك أنت الخاصة، وحقّي الشخصي في الاتصال بها - كيف تسير؟ ثم هل لي أن أطمئن اليوم على صلاتك بالوزارة، في عهد الدكتور طه حسين؟ أرجو أن تكون خيراً، وأن يكون فيها جديد .

أنا أعرف أنك أنت لا يهْمُكَ لشخصك شيء، ولكن للجماعة ظرفاً آخر،
ومصالح عامة.

ثم ما هي أحوال الجماعة اليوم؟ من هم أعضاء مجلس إدارتها؟ كيف تسيرُ
الأمر داخِلها وخارجها. . . كلُّ أولئك من حقي أن أعرف عنه شيئاً.

أنا الآن في رحلةٍ لزيارة مدارس أمريكا وإداراتِ التعليم بها. وقد وجدتُ أشياء
كثيرة، يمكنُ الانتفاعُ بها. وهي ليست كُلُّها جديدةً علينا. فطالما طرَقناها في أحاديثنا،
وسأحدثُك عنها قريباً، عندما أعود!

أخوك
سيد قطب

٢٢/١/١٩٥٠م^(١)

عودته من أمريكا

أقام سيد في أمريكا أقل من سنتين، وفي أيامه الأخيرة امتلأ شوقاً إلى مصر
وأهلها، وزادَ حنينه للعودة إليها.

وقد نظّم قصيدتين وهو في أمريكا، ضمّنهما شوقه وحنينه لمصر، وشعوره
بالغربة هناك.

الأولى «هتاف الروح» والثانية «دعاء الغريب».

نظّم «هتاف الروح» وهو في «سان فرانسيسكو». ومما قاله فيها:

يُذني إليّ خيالك	في الجوّ يا مضرُ دفء
إلى الليالي هُنالك	وتستجيشُ حنيني
نشوى ترفُّ خيالك	للأمسيات السّكاري
ريانةً من جمالك	ونسمةً فيك تسري
ترى خطرتُ بِبالك؟	نجواك ملءُ فؤادي

(١) جريدة اللواء الأردنية. عدد: ٧٠٠. تاريخ ٨/١٠/١٩٨٦م. صفحة: ١٩. نقلاً عن مجلة
الهلال عدد أكتوبر ١٩٨٦م.

.....
 فِي النَّفْسِ يَا مِصْرُ شَوْقُ لِخَطَرَةٍ فِي رُبَاكَ
 لِضَمَّةٍ مِنْ ثَرَاكَ لِنَفْحَةٍ مِنْ جَوَاكَ
 لَوَمْضَةٍ مِنْ سَمَاكَ لِهَاتِفٍ مِنْ رُؤَاكَ
 لَلَّيْلَةٍ فِيكَ أُخْرَى مَعَ الرَّفَاقِ هُنَاكَ
 ظَمَّآنٌ تَهْتِفُ رُوحِي مَتَى تُرَانِي أَرَاكَ؟

أما قصيدة «دعاء الغريب»، فكل كلمة فيها تدلُّ على مدى شعوره بالغربة في أمريكا، وعلى دعائه المستمر للخلاص من هذه الغربة، وعلى مدى ما يحمله من شوقٍ وحنين لأرض الكنانة:

يَا نَائِيَاتِ الضُّفَافِ هُنَا فَتَاكِ الْحَبِيبِ
 عَلَيْهِ طَالَ الْمَطَافِ مَتَى يَعُودُ الْغَرِيبِ؟

* * *

مَتَى تُجِسُّ خُطَاهُ ذَاكَ الْأَدِيمَ الْمُغْبِرُّ؟
 مَتَى يَشُمُّ شَذَاهُ كَالْأَفْحَوَانِ الْمُعْطَرُّ؟

* * *

مَتَى تَرَى عَيْنَاهُ تِلْكَ الرُّبُوعَ الْمَوَائِلُ
 أَحْلَامُهُ وَوَمْنَاهُ تَدْعُوهُ خَلْفَ الْحَوَائِلُ

* * *

حَنِينُهُ رَفَافِ إِلَى الدِّيَارِ الْبَعِيدَةِ
 مَتَى مَتَى يَا ضِفَافِ تَأْوِي خُطَاهُ الشَّرِيدَةِ

* * *

رُؤَاكَ فِي نَاطِرِيهِ تَرِفُ كَالْأَحْلَامِ
 تُرَى هَفَوَتِ إِلَيْهِ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ

* * *

لَيْلَاتُكَ السَّارِيَاتُ كَالنَّسَمَةِ الْعَبْقَرِيَّةِ
حَالَتْ إِلَى ذِكْرِيَاتٍ مُعْطَرَاتٍ نَدِيَّةِ

* * *

مُجَنَّنَاتِ الْعَبِيرُ مُرْفَرَفَاتِ الْأَمَانِي
فِي عَالَمٍ مَسْحُورٍ مُوشَّعٍ بِالْأَغَانِي

* * *

هَنَّاكَ حَيْثُ خُطَاةُ مَنْثُورَةٌ فِي الطَّرِيقِ
مَا زَالَ فِيهَا الْحَيَاةُ تَدْعُو دُعَاءَ الْغَرِيقِ

* * *

يَا أَرْضُ رُدِّي إِلَيْكَ هَذَا الْوَحِيدَ الْغَرِيبَ!!
هَوَاهُ وَقِفْ عَلَيْكَ رُدِّي فَتَاكَ الْحَبِيبَ!!^(١)

وبما أن سيّد لم يكن في أمريكا طالباً لإكمال مرحلة معينة من الدراسة، بل كان موفداً إليها، وزائراً لمعاهدها وجامعاتها، وبما أن مهمته كانت عملية ميدانية، فقد كان أمر إنهاء بعثته العملية بيده.

ويبدو أنه علم أن الأسباب التي أبعدت من أجلها، قد اختفت أو خفت، ولا سيما أن الملك فاروق قد ضعف سيطرته الفعلية على البلاد!

قرّر سيّد العودة إلى مصر، وأخبر أهله وأصدقاءه بموعد عودته، وكان ممن أخبرهم «عباس خضر» الذي كان محرّر زاوية أسبوعية في مجلة الرسالة، هي زاوية «الأدب والفن في أسبوع» فنشر الخبر في زاويته، قائلاً: «يصل بالطائرة يوم ٢٠ أغسطس الحالي، الأستاذ سيّد قطب عائداً من أمريكا، حيث كان مبعوثاً من وزارة المعارف، لدراسة النظم التعليمية هناك»^(٢).

ووصل سيّد إلى القاهرة في ٢٠/٨/١٩٥٠م، وفي اليوم الثالث لوصوله باشر

(١) انظر القصيدتين في «أمريكا من الداخل»: ١٤٥ - ١٤٧.

(٢) المرجع السابق: ٣٨.

عمله في وزارة المعارف، حيث أُثبت في «ملفّه» في وزارة المعارف أنه عمل منذ ٢٣/٨/١٩٥٠م بوظيفة مراقب مساعد بمكتب وزير المعارف - وكان وقتها إسماعيل القباني - (١).

الدكتور سيّد قطب!!

ظنّ بعضهم أن سيّد كان موفداً إلى أمريكا للحصول على الدكتوراة، وأنه من ثمّ عاد حاصلاً عليها.

وحول هذا المعنى يقول عباس خضر: «كان سيّد مترفعاً جداً. أذكرُ عقب عودته من أمريكا أن كتبتُ عنه جريدة «المصري» شيئاً قالت فيه: «الدكتور سيّد قطب»، فكتب في العدد التالي أنه ليس دكتوراً. وكان يمكن أن يترك ذلك اللقب يجري على الأقلام والألسنة، ويشيعُ مسنداً إليه.. كما يفعل بعض المواطنين» (٢).

عودته صاحب رسالة

خيّب سيّد ظنّ أمريكا وأعوانها، الذين أرادوا احتواءه، ليعود «بوقاً» أمريكياً، يمهّد لاستعمارها القادم لمصر.

ولكنه استعلیٰ هناك بإيمانه، وزاد التزامه بإسلامه، وما أن انتهت أيامه هناك حتى أصبح مسلماً واعياً، ومؤمناً ملتزماً، صاحب اتجاه عملي للدعوة الإسلامية، والجهاد لإصلاح البلاد، وإزالة ما فيها من فساد وإفساد.

تعطلت إرادة الأمريكان أمام إرادة الله، وعاد يهاجمُ أمريكا، ويكشفُ مخازيها، ويحاربُ أعوانها وعملاءها، ويبطلُ مخططاتهم في وزارة المعارف وغيرها، ويواجههم من منطلق إسلامي واضح!!

* * *

(١) سيّد قطب، لعبد الباقي: ٤٣.

(٢) أمريكا من الداخل: ٣٩.

(٩)

مع سيّد قطب في رحلة ضياعه

المقصود برحلة ضياعه

رحلة ضياع سيّد، هي الفترة الزمنية التي عاشها، وهو جاهلٌ بنفسه وهدفه ورسالته ووظيفته، وهو جاهلٌ بسرّ الحياة، وطبيعة الكون، والصلة بينه وبين الحياة والكون!

رحلة ضياع سيّد، هي الفترة الزمنية التي عاشها، وهو قلقٌ حائرٌ بائسٌ تعيسٌ، لم يختَر اختياراً مقنعاً ولا مقبولاً!

رحلة ضياع سيّد، هي المرحلة التي تلقى فيها المبادئ والأفكار والتصورات والفلسفات الأوروبية والغربية المادية الجاهلية، عن الكون والحياة والإنسان، فأوجدت عنده تشويشاً وغبشاً، وظناً وشكاً، وحيرةً وقلقاً!! حيث تعارضت مع ما عنده من مقررات إسلامية، تلقاها منذ طفولته وصباه، وفي دراساته المختلفة.

رحلة الضياع عنده، هي تلك المرحلة التي وقع فيها صراعٌ بين التصورات الإسلامية التي تلقاها من قبل، والتصورات المادية الغربية التي تلقاها في شبابه، وكلٌ منها تدعوه ليعتنقها ويدين بها. فوقف بين الدعوتين حائراً قلقاً متردداً!! أو قل: وقف بينهما ضائعاً شارداً تائهاً!!

رحلة الضياع عنده، تصدق عليها الحيرة الشديدة التي يقرّها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا، وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ، كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ، لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى، اثْنًا، قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى.﴾ [سورة الأنعام: آية ٧١].

هي جانب خفي من حياته!

قد يستغربُ بعض القراء من هذا، وقد يتعجبُ آخرون، وقد يتشككُ فريقُ ثالث: هل ضياع سيّد قطب يوماً ما؟ هل كان يوماً ما حائراً تائهاً شاردًا؟

قد يستغربُ بعض الناس ذلك، لأنهم لم يعرفوا سيّد قطب إلا مفكراً إسلامياً رائداً أصيلاً، ولم يتعرفوا عليه إلا في مرحلة العطاء الفكري التي ختم الله بها حياته. وبعضهم تعرّف عليه ناقدًا أدبيًا ذوّاقاً قبل اتجاهه الإسلامي المحدّد، لكنه لم يقف على رحلة ضياعه، ولا على ملامحه فيها!

إن رحلة ضياع سيّد جانب خفي من حياته، مجهولٌ من قبل كثيرين من محبيه ومريديه!!.

وإننا نحبُّ هنا أن نطلعهم على هذا الجانب الخفي المجهول، لتتكمّل دراسة سيّد قطب من ناحية، ولنقدّمه لهم من خلال حياته الواقعية التي عاشها، بماله وما عليه فيها، وليس من خلال الصورة المثالية النموذجية التي يحبّون أن يعرفوه بها، وأن يُقدّم لهم على أساسها!!

نقدّم للناس هذا الجانب الخفي المجهول من حياة سيّد، لهدفٍ آخر، وهو أن يعرفوا فضل الله عليه، حيثُ أخرجهم من التّيه والضياع والشك والظلمات، إلى الرشيد والهدى واليقين والإيمان!! ثم ليُعرفوا الطبيعة الإيجابية الحركية العجيبة لهذا الدين، التي تُغيّر وتحوّل كلّ معدنٍ نفيسٍ دخلَ معمل الإسلام العظيم، فتخرجه من هذا المصنع بشخصيّة إيجابية حركية عظيمة، مثل ما حصل مع مفكرنا الراحل الشهيد!!

الفترة الزمنية لضياعه

متى كان ضياع سيّد قطب؟

لقد أخبر سيّد أبا الحسن الندوي، لما قابله الأخير عام ١٩٥١م - بعدما انتهت رحلة ضياعه - أنه نشأ على تقاليد الإسلام في طفولته في القرية، ولمّا سافر للقاهرة أقبل على الأدب والنقد والدراسة والثقافة والمعرفة، وصار يتلقّى من الثقافة الغربية الماديّة، وهذا جعله يمرُّ بمرحلة من الشك والارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حد! - على حسب قوله بالحرف -.

وفي هذه المرحلة – أي أثناء ضياعه – أقبل على القرآن يدرسه لدواعٍ أدبية، ثم نقله القرآن نقلةً بعيدةً إلى عالم الإيمان واليقين!

لقد استمرت رحلة ضياعه حوالي خمسة عشر عاماً. ولم يكن ضياعه فيها كلّها بدرجةٍ واحدة وعلى مستوى واحد، بل كانت الدرجة متفاوتةً ومتذبذبةً.

تسلّلت إليه الوسواسُ والشكوكُ والأوهامُ بالتدريج، ووصلت إلى نفسه وتصوّره بالتدريج، وظهر أثرها عليه بالتدريج! ولما تمكنت منه، ظهرت آثارها عليه بصورةٍ واضحة صارخة، وانعكست على ملامحه، بحيث بدت فيها تلك الملامح بارزةً شاخصة. ثم صار أثرها عليه يضعف ويقلُّ بالتدريج، وهو يحاول جاهداً أن يتخلّص منه بمشقةٍ ومجاهدةٍ، وكانت تبدو أحياناً في بعض نتاجه الشعري، وتخفت وتختفي في غيره!

وما أن تعامل سيّد مع حقائق الإسلام ومقررات الإيمان، حتى زالت آثارُ ولامحُ الضياع عنه، وتلاشت عن نتاجه!

إنّ رحلة ضياعه استمرت حوالي خمسة عشر عاماً، ما بين ١٩٢٥ – ١٩٤٠ م.

أي إنها بدأت معه وهو في الدراسة الثانوية، وتفاعلت معه وهو في الدراسة الجامعية، في كلية دار العلوم، وبلغت أوجها في آخر سنتين من دراسته الجامعية، أي عامي ٣٢ – ١٩٣٣ م واستمرت في أعلى درجاتها في السنوات الأولى من حياته الوظيفية، وبخاصة في السنتين الأولى منها: ٣٤ – ١٩٣٥ م.

ثم صارت تضعف تدريجياً إلى أن أوشكت على الزوال والتلاشي عام ١٩٤٠ م. لا نكاد نرى لها آثاراً عليه في المرحلة الأولى – غير الواضحة – من حياته الإسلامية، ما بين عامي ٤٠ – ١٩٤٥ م، وهي المرحلة التي درس فيها القرآن لدواعٍ أدبية.

أسباب ضياعه

نحبُّ أن نقف على أسبابِ ضياعه، قبل التعرّف على ملامحه فيها، ونوعِ ضياعه فيها.

إنَّ السببَ المباشر لضياعه، هو إقباله على الثقافة المادية الغربية، وأخذَه كلُّ ما فيها من مبادئ وأفكار وتصورات!!

ومعلومٌ أن تلك الثقافة في القرون الثلاثة الأخيرة – الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين – التي عَبَّ منها سيّد قطب – وأستاذُه العقاد من قبله – «تتميزُ بالسير نحو الفردية، وتنمية الاستقلال الفكري والنفسي، وإيجاد قيم خاصة، والخروج على القيم السائدة، ولذلك فإن الذي ينهلُ منها بغير ميزانٍ ثابت، يتيه في مجاهلها، ويضيع في تيّار ضلالها»^(١).

وهذه الثقافة المادية الغربية، جاهليةٌ مضادةٌ لمقررات الإسلام وتصوراته، ومعاديةٌ لها.

وقد تركت هذه الثقافة آثارها واضحةً على مختلف نواحي وجوانب ومجالات المعرفة الإنسانية، بحيث عرضتها وفق مبادئها وأفكارها وتصوراتها، فجاءت هذه النواحي والمجالات انعكاساً لتلك الثقافة المادية.

وبما أن سيّد كان «منهوماً» للثقافة والمطالعة، لا يشبع منها، لذلك راح يعبُّ ويغترف من تلك الثقافة الغربية، التي وَجَدَ كتباً مترجمةً لها في مكتبة أستاذه العقاد الضخمة! فقرأ ما تنتجه المطبعة العربية من نتاجٍ يعرض تلك الثقافة المادية، قرأ الكتب المؤلفة أو المترجمة، والدراسات، والدواوين الشعرية، كما قرأ المجلات والدوريات التي كانت تعرض تلك الثقافة، وتقدّم خلاصتها، وبخاصة مجلة «المقتطف» الرائدة في هذا المجال.

وما لنا نذهب بعيداً! لنستمع إلى سيّد قطب، وهو يقررُ هذه السِّمة المادية الجاهلية للثقافة الأوروبية الغربية، والتي لاحظها عليها بعد ما هداه الله إلى طريق الإيمان، وبصره بمعالمه.

يقول في فصل «التصور الإسلامي والثقافة» من كتاب «معالم في الطريق»: «إن اتجاهات «الفلسفة» بجملتها، واتجاهات «تفسير التاريخ الإنساني» بجملتها،

(١) سيّد قطب، لبركات: ١٢.

واتجاهات «علم النفس» بجملتها - عدا الملاحظات والمشاهدات دون التفسيرات العامة لها - ومباحث «الأخلاق» بجملتها، واتجاهات دراسة «الأديان المقارنة» بجملتها، واتجاهات «التفسيرات والمذاهب الاجتماعية» بجملتها - فيما عدا المشاهدات والإحصائيات والمعلومات المباشرة، لا النتائج العامة المستخلصة منها، ولا التوجيهات الكلية الناشئة عنها - إن هذه الاتجاهات كلها في الفكر الجاهلي - أي غير الإسلامي - قديماً وحديثاً، متأثرة تأثراً مباشراً بتصورات اعتقادية جاهلية، وقائمة على هذه التصورات! ومعظمها - إن لم يكن كلها - يتضمن في أصوله المنهجية عداً ظاهراً أو خفياً للتصور الديني جملة، وللتصور الإسلامي على وجه الخصوص»^(١).

ويعترف سيد بإقباله على الثقافة الغربية فترة من حياته، ويشير إلى أثرها عليه، ويقرر فضل الله عليه بعدها في هدايته إلى الفكر الإسلامي الأصيل: «إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة. كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية. ما هو من تخصصه، وما هو من هواياته. ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره، فإذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلاً ضئيلاً، إلى جانب ذلك الرصيد الضخم - وما كان يمكن أن يكون إلا كذلك - وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره. وإنما عرف الجاهلية على حقيقتها، وعلى انحرافها، وعلى ضآلتها، وعلى قزامتها، وعلى جعجعتها وانتفاشها، وعلى غرورها وادعائها كذلك!!! وعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التلقي»^(٢).

السبب المباشر لضياعه إذن، هو تلقيه من الثقافة الغربية المقررات والتصورات والمبادئ والأفكار، مع عدم إدراكه - أو نسيانه - للمقررات والتصورات الإسلامية.

والمسؤولون عن ضياعه، هم الذين فتحوا له ذلك المورد الثقافي الغربي، وسهلوا له العب منه!

(١) معالم في الطريق: ١٧١ - ١٧٢.

(٢) المرجع السابق: ١٧٦.

وفي طليعة هؤلاء المسؤولين، سيّد قطب نفسه! الذي سمح لنفسه أن يتزوّد من مصادر أجنبية، وهو غير متمكّن من مصادره الإسلامية، وهو غير واقف على أرضية إيمانية ثابتة صلبة!

ومنهم أستاذ العقاد، حيث حاول التلميذ أن يقلّد أستاذه في كل شيء، وأن يجعله قدوة له في كل شيء، فقلّده وجاراه في العبّ من تلك الثقافة الغربية، التي وجدّ مصادرها في مكتبة أستاذه الضخمة!

ومنهم أصحاب الدوريات من الصحف والمجلات السيارة، الذين قدّموا للشباب الناشئين، المتشوّقين للمعرفة والثقافة، تلك المقررات والتصورات المادية المتناقضة مع التصور الإسلامي!

ضياعه فكري وليس سلوكياً

الضياع نوعان:

الأول: ضياع فكري، وهو الوارد على العقل والذهن والتصور ويبقى في الدائرة النظرية التصورية.

الثاني: ضياع سلوكي، وهو الوارد على السلوك والعمل والتصرف والممارسة، بحيث ينعكس على السلوكيات والأعمال والتصرفات. فيبدو هذا الضائع متفلّناً من القيود، متحلّلاً من الأعراف والمبادئ والقيم، مقبلاً على المعاصي والأخطاء، من شرب الخمر والزنا والفجور.

وغالباً ما يكون تلازم وارتباط بين الضياعين عند الضائعين، بحيث يسلم الأول للثاني، ويوصل إليه، وينتهي به.

إن الذي يضيع في فكره وتصوّره، يضيع - غالباً - في سلوكه وتصرفاته وممارساته، لا يُستثنى من ذلك إلا بعض النماذج النادرة.

وكان سيّد - في ضياعه - من هذه النماذج النادرة! حيث كان ضياعه فكرياً ذهنياً نظرياً فقط، وانصبّ ضياعه على عقله وذهنه وتصوره، ولم يوصل ضياعه الفكري إلى ضياع سلوكي، ولم تتأثر سلوكياته بضياعه الفكري. . بمعنى أنه لم يعيش حياته منحرفاً

شاذاً متفلّثاً متحلّلاً، لم يعيش حياة «بوهيمية» عمادها الشهوة واللذة والشذوذ. لم يُعهد عنه أنه شرب الخمر أو ارتكب فاحشة الزنا، أو مارس الشذوذ والمخدرات!

ولهذا جأر بالتساؤل والشكوى

كان سيّد في ضياعه الفكريّ، دائم التساؤل والشكوى، والقلق والحيرة، والشعور بالتعاسة والتعب!

كان يعيش تناقضاً مزعجاً بين إichاءات التصورات المادية الغربية، وبين ما استقرّ في كيانه ونفسه وفطرته من الفضائل والقيم السلوكية.

إن كيانه لم يتلف في ضياعه الفكري، كما أن فطرته لم تفسد! فبينما كان متمزّقاً قلقاً، تائهاً بائساً، وبينما كانت التصورات الوافدة تدعوه إلى الشذوذ، كانت ضوابط فطرته وكيانه تكبح حركته، وتضبط تصرفه وسلوكه، فيعاني من ذلك ما يعاني، ويبدو هذا في نتاجه صراخاً وألماً وشكوى!!

ولو مارس سيّد ضياعاً سلوكياً فعلياً في عالم الواقع، لَمَا شعر بهذه الازدواجية الحادة، والمعاناة المؤلمة، ولَمَا برزت الشكوى في نتاجه الأدبي الشعري! وأذكر أنّ هذا هو التعليل الذي قدّمه الأستاذ محمد قطب لظهور آثار ضياع سيّد الفكري، على نتاجه الشعري في فترة ضياعه.

فقد تساءلت في رسالة الماجستير التي كتبتها عن «سيّد قطب والتصوير الفني في القرآن» عن سبب ظهور آثار ضياع سيّد على نتاجه، متمثلاً في شكواه وألمه وتساؤله وحيرته.

وكان الأستاذ محمد قطب مناقشاً لرسالة الماجستير – عام ١٩٨٠م –، ولَمَا وصل في المناقشة إلى هذه المسألة، قال: يختلف ضياع سيّد عن ضياع باقي كبار الأدباء والشعراء والمثقفين المصريين في ذلك الوقت، وبخاصة ضياع أستاذه العقاد.

لقد جمع أولئك المثقفون الضائعون – ومنهم العقاد – بين النوعين من الضياع. ضاعوا ضياعاً فكرياً، وضاعوا ضياعاً سلوكياً، وعاشوا حياةً عملية، بانحراف وإثم ومنكر!!

أما سيّد، فلم يكن في ضياعه مثل هؤلاء، ولهذا تمزق وتألّم، وتساءل واشتكى !! .

ملاحه في رحلة ضياعه

عندما نقرأ لسيّد قصائد نظّمها في رحلة ضياعه، وجعلها انعكاساً لنفسه وكيانه، وتسجيلاً لملاحه وسماته، فإننا نُشفقُ عليه، ونأسى له، ونتألّم — لحالته — معه !

لقد مرّ — في ضياعه — بمرحلة من التردد والشك، والحيرة والقلق، والعذاب والألم، والتساؤل والبحث، والتمرد والشكوى !! كان يبحث ويتأمل، وينظر ويفكر، ويسأل الأحياء والأموات والجوامد. كان يريد أن يكشف سرّ الحياة، ويعرف كُنْهها وغايتها. حاول السير «إلى القمة»^(١) فغاصت منه «الأقدام في الرمال»^(١)، واعتبر نفسه سائراً مُرغمًا، فرداً في «قافلة الرقيق»^(١)، عاجزاً عن معرفة «السر»^(١) !

راح يبكي بحرقة، ويصرخ من الألم، ويلوم نفسه المتحفّزة، وعقله الباحث، على حالته البائسة التي وصل إليها! وصار يتمنى لو يسعفه الموت، ليخلصه من عذاب الحيرة، وعناء البحث والمعرفة!

وظل يبحث ويتأمل ويسأل، سنواتٍ عديدة، فلم يصل إلى استقرار، ولم يجد مجيباً لأسئلته واستفساراته!

فقد في رحلة ضياعه اطمئنان الضمير، وسعادة النفس، وراحة البال، وسعة الصدر، ويقين القلب !! . فقد نفسه وقلبه، ويقينه وحياته وسعادته! . فغدا رجلاً بائساً حائراً تائهاً، حزيناً قلقاً شاردًا، عَدَمِيًّا عَبَثِيًّا، يقول بعدمية وعبثية الحياة!

لم يعرف — أثناء ضياعه — سرّ وجوده، ولا وظيفة الكون من حوله، ولا الحكمة من خلق الكون والإنسان، ولا الهدف من الحياة! لم يجد لحياته معنىً عظيمًا، فقال بتفاهتها بكلّ ما فيها، ونادى بعبثيتها وعدميتها، واعتبر الفناء والزوال نهايتها، ونهاية كلّ ما فيها من عقائد وأفكار وقيم، ومشاعر وأعمال!!

ولا يستغربن أحدٌ هذا الكلام عن سيّد قطب، ولا يتشككن في صحة هذه

(١) عناوين أربع قصائد تترجم عن ضياعه.

الملاح التي ذكرناها لسيد، أثناء رحلة ضياعه الشاقة، لأننا لم نأت بها من عندنا، بل هي ما صرّح ببعضها في قصائده، وما بدا بعضها من خلال بعض قصائده! لقد نظم سيد في ضياعه قصائد، جعلها ترجمةً لنفسه، وانعكاساً لحياته وملاحه، وبدا فيها شبيهاً بقائد الضائعين الشعراء «عمر الخيام».

«الشاطيء المجهول» سجل ضياعه

نشر سيد ديوانه «الشاطيء المجهول» في يناير - كانون ثاني - عام ١٩٣٥ م. ولم ينشر بعده دواوين شعرية أخرى، رغم أنه أعلن عن بعضها، مثل «أصداء الزمن» و«الكأس المسمومة» و«قافلة الرقيق» و«حلم الفجر»^(١).

والكتاب - «الشاطيء المجهول» - لم يُطبع إلا مرة واحدة، ولذلك هو الآن في حكم المفقود!

ويخبر الأستاذ يوسف العظم عن سيد قائلاً: «غير أن أستاذنا في أخريات عهدها به، كان يصرّح بأن الديوان أثر من آثار جاهليته. وكم كان يحب أن تصل يده إلى كل ما جاء فيه، في كل نسخة، وصلت أية بقعة في الأرض حتى يأتي عليه».

وقد نشر سيد ديوانه، لما كان في غاية شعوره بالضياع، حيث كانت السنوات الأربع: ١٩٣٢ م - ١٩٣٥ م، هي الفترة التي تمكّن الضياع فيها من فكره وشعوره، فجاءت هذه السنوات تسجيلاً لضياعه في أعنف وأشدّ درجاته.

قسّم سيد ديوانه إلى أربعة فصول:

- * الأول: ظلال ورموز: وقصائده ست عشرة قصيدة.
- * الثاني: صور وتأمّلات: وقصائده ثلاث عشرة قصيدة.
- * الثالث: غزل ومناجاة: وقصائده سبع وعشرون قصيدة.
- * الرابع: وطنيات: وقصائده ست قصائد^(٢).

(١) سنتكلم عن بحوثه المطبوعة وغير المطبوعة في آخر هذا الكتاب - بعون الله - .

(٢) انظر تعريف الدكتور عبد الله الخباص بفصول وقصائد ديوان «الشاطيء المجهول» في كتابه عن سيد قطب: ١٣٠ - ١٣٥ .

ويبدو ضياعه في قصائدِ الفصلين الأولين، وهو أكثر بروزاً في قصائد الفصل الأول: «ظلال ورموز».

إن ديوان «الشاطيء المجهول» هو سجلٌ وديوانٌ ضياع سيّد، وهناك قصائدٌ في الديوان، تترجم عن ضياعه، وتقدّمه بأبرز وأظهر حالاته ودرجاته.

بل إن اختياره لعنوان الديوان دليلٌ على ذلك، إنه يرى أن الحياة هي بحرٌ مجهولُ الكُنْهِ والحقيقة والغاية، وإنه هو يقف على شاطئ ذلك البحر المجهول، فجاء ديوانه وصفاً لمعالم وملامح وسمات «الشاطيء المجهول»، وهو شاطئ الحياة.

وقال سيّد في مقدمته التي كتبها لديوانه عن الحكمة من اختياره هذا العنوان: «يملاً الشغفُ بكشفِ «المجهول»، والحديثُ عن «السر»، حيزاً كبيراً من الديوان، ويمدُّ جناحيه على حيزٍ آخر، ومن هنا جاء اسمه»^(١).

وأولُ قصائد الديوان، سمّاها «إلى الشاطيء المجهول»، وقد نظّمها عام ١٩٣٤م، وهو في أوجِ شعوره بالضياع.

قال فيها:

إلى الشاطيء المجهول، والعالم الذي	حنّنتُ لمراه، إلى الضفة الأخرى
إلى حيث لا تدري، إلى حيث لا ترى	معالمَ للأزمان والكون تُستقراً
إلى حيث «لا حيث» تميزُ حدوده	إلى حيث تنسى الناس والكون والدهرا
وتشعُرُ أنَّ «الجزء» و«الكل» واحد	وتمزجُ في الحسّ البداهة والفكرا
فليس هنا «أمس» وليس هنا «غد»	ولا «اليوم» فالأزمان كالخلقة الكبرى
وليس هنا «غير» وليس هنا «أنا»	هنا الوحدة الكبرى التي احتجبت سراً ^(٢)

وأكثرُ ما يبدو ضياعه بروزاً في قصائد: «في الصحراء»، و«السر: أو الشاعر في وادي الموتى»، و«الإنسان الأخير»، و«الغد المجهول»، و«النفس الضائعة»، و«غريب»، و«خراب»، و«الشعاع الخابي»، و«سخرية الأقدار»، و«يوم خريف».

(١) الشاطيء المجهول: ١١.

(٢) المرجع السابق: ١٩.

نماذج من شعره في ضياعه

نقدّم فيما يلي نماذج لأبيات من شعره، يتجلّى فيها ضياعه وشعوره باليأس والحيرة والتيه. . ونوردها بدون تعليق، لأنها تُغني بذاتها عن كل تعليق.

من قصيدة «الشعاع الخابي»

١ - قال في قصيدة «الشعاع الخابي»، وقد نظمها سنة ١٩٣٢م:

لَاخَ مِنْ جَانِبِ الْأَفْقِ شُعَاعٌ بَيْنَمَا أَخْبُطُ فِي دَاجِي الظَّلَامِ
فِي صَحَارِي الْيَأْسِ أُسْرِي فِي ارْتِيَاعٍ حَيْثُ تَبْدُو مَوْجِشَاتٍ كَالرَّجَامِ

حَيْثُ يَسْرِي الْهَوْلُ فِيهَا وَاجِمًا
وَيَطُوفُ الرَّغْبُ فِيهَا هَائِمًا
وَالْغِنَاءُ الْمَحْضُ يَبْدُو جَائِمًا

.....

قُلْتُ مَاذَا؟ قَالَ لِي رَجْعُ الصَّدى إِيهِ مَاذَا؟ قُلْتُ لِلْوَهْمِ : عَلامَا؟
قَالَ لِي : اخْشَعْ أَنْتَ فِي وَادِي الرَّدَى حَيْثُ يُطَوِّى الضُّوءُ طُرًّا وَالظُّلَامَا

هَاهُنَا تَتَّوِي الْأَمَانِي، هَاهُنَا
فِي مَهَاوِي الْيَأْسِ، فِي كَهْفِ الْفَنَا
كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ، حَتَّى أَنَا!!^(١)

من قصيدة «خراب» :

٢ - في قصيدة «خراب» التي نظمها سنة ١٩٣٢م. خلع ضياعه ويأسه على

الكون من حوله. ومما قاله فيها:

زَهْرَةٌ فِي إِثْرِ أُخْرَى تَحْتَضِرُ وَهَوَ يَرْنُو ذَاهِلًا لِلزَّهْرَاتِ
مُلَقِّيَاتٍ حَوْلَهُ بَيْنَ الْحُفَرِ وَالرِّيَّاحُ الْهَوِجُ تَذْوِي مُغُولَاتِ
وَإِذَا الْكَوْنُ حَوَالِيهِ خَرَابٌ مَوْجِشُ الْأَرْجَاءِ مَفْقُودُ الْقَطِينِ

(١) الشاطئء المجهول: قصيدة «الشعاع الخابي»: ٢١ - ٢٣.

وَهُوَ يَرْنُو فِي وُجُومٍ وَاكْتِئَابٍ يَكْتُمُ الْعَبْرَةَ فِيهِ وَالْأَنِينُ
وَيُدَوِّي حَوْلَهُ صَوْتُ الْفَنَاءِ حَيْثُ تُمَحَّى كُلُّ آثَارِ الْوُجُودِ
أَيْنَ؟ - لَا أَيْنَ! - الْأَمَانِي وَالرَّجَاءِ طَمَسَ الْيَأْسُ عَلَيْهَا وَالْكُنُودُ! (١)

من قصيدة «في الصحراء»

٣ - في قصيدة «في الصحراء» التي نظمها سنة ١٩٣٢م، جعل نخلتين من نخيل الصحراء تنطقان باسمه، وتتحدثان عن ضياع الحياة والأحياء! وقال في مقدمتها:

في ليلة من ليالي الخريف المقمرة، الراكدة الهواء، المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبدى؛ كانت تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كئيب. ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قميئة. بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

قالت الصغيرة:

مَا لَنَا فِي ذَلِكَ الْقَفْرِ هُنَا مَا بَرَحْنَا مُنْذُ حِينَ شَاخِصَاتِ
كُلِّ شَيْءٍ صَامِتٍ مِنْ حَوْلِنَا وَأَرَانَا نَحْنُ أَيْضاً صَامِتَاتُ؟
تَطْلُعُ الشَّمْسُ عَلَيْنَا وَتَغِيبُ
وَيُطِلُّ اللَّيْلُ كَالشَّيْخِ الْكَيْبِ
وَالنُّجُومُ الزُّهْرُ تَغْدُو وَتَنُوبُ
وَعُدُو وَأَصِيلُ .: وَطُلُوعُ وَأَفُولُ .: ثُمَّ نَبْقَى فِي ذُهُولِ

سَاهِمَات!

أَفَلَا تَذَرِينَ يَا أُخْتِي الْكَبِيرَةَ مَا الَّذِي أَطْلَعَنَا بَيْنَ السِّبَابِ
أَيُّمَا إِثْمٍ جَنَيْنَا أَوْ جَرِيرَةَ سَلَكَتُنَا فِي تَجَاوِيفِ الْعَذَابِ
قَدْ سَيِّئْتُ اللَّبْثَ فِي هَذَا الْمَكَانِ
لِبُثَّةِ الْمَصْلُوبِ فِي صُلْبِ الزَّمَانِ
أَفَمَا آنَ لِتَبْدِيلِ أَوَانٍ؟
حَدِّثِي لِمَ نَشَقِي؟ حَدِّثِي كَمْ سَنَلْقَى؟ حَدِّثِي كَمْ سَنَبْقَى؟
واقفات!

(١) الشاطيء المجهول: قصيدة «خراب»: ٢٥ - ٢٦.

فأجابتها الكبيرة قائلة :

أنا يا أختاه: لا أدري الجواب ودفين السر لم يكشف لنا
منذ ما أطلعت في هذا الخراب وأنا أسأل: ما شأني هنا؟

فجيب الصمت حولي بالسكون!
وأنا أخبط في وادي الظنون
لست أدري حكمه الدهر الضنين

غير أنا حائرات .: والليالي العابثات .: تتجنى ساخرات

لاهيات!

وختم الحوار بين النخلتين بأن كل شيء في الوجود للزوال والشتات:

ثم ساد الصمت كالطيف الحزين
وتسمعت لأقدام السنين
وهي تخطو خطوة الشيخ الرزين

هامسات في الرمال .: منشدات في جلال .: كل شيء للزوال

والشتات! (١)

من قصيدة «النفس الضائعة»

٤ - قصيدة «النفس الضائعة» التي نظمها عام ١٩٣٤م، قرّر فيها أنه يفتش عن

نفسه، ولكنه لم يجدها، لأنها ضاعت منه:

أئنسي أنا؟ أم ذاك رمز لغابر
لأنكرت إحساسي وأنكرت منزعي
وأنكرت شعري، وهو نفسي بريئة
وتفصلني عما مضى من مشاعري
لأنكرت من نفسي أخص شعائري
وأنكرت آمالي، وشتى خواطري
ممحضة من كل خلط مخامر
عهود وآماد طوال الدياجر
.....

أنقب عن ماضي بين سرائري
أعيش بلا ماضٍ كأنني نبته
فألمحه كالوهم، أو طيف عابر
على السطح تطفو في مهب الأعاصير

(١) الشاطئ المجهول. قصيدة «في الصحراء»: ٢٧ - ٣١.

فَهَلْ تَمَّ نَبْتُ دُونَ جَذْرِ مُؤَاوِرِ
فَكَيْفَ عَزَاءُ الْمَرْءِ عَنْ فَقْدِ غَابِرِ
بِنَفْسِي الَّتِي أَحْيَا بِهَا غَيْرَ شَاعِرِ

وَتَاهَتْ بِوَادِ غَامِرِ التِّيهِ غَائِرِ
يَدَانِ، وَلَا يَجْلُوهُ ضَوْءُ لِنَاظِرِ^(١)

وَمَا غَابِرُ الْإِنْسَانِ إِلَّا جُدُورُهُ
وَقَدْ يَتَعَزَّى الْمَرْءُ عَنْ فَقْدِ قَابِلِ
أُنْقَبُ عَنْ نَفْسِي الَّتِي قَدْ فَقَدْتُهَا

وَلَكِنِّي أَيْأَسْتُ أَنْ أَلْتَقِيَ بِهَا
سَاحِيَا إِذَنْ كَالطَّيْفِ لَيْسَتْ تُحْسُهُ

من قصيدة «الغد المجهول»

٥ - وفي قصيدة «الغد المجهول» التي نظمها عام ١٩٣٤م، يقرر ضياع غده ومستقبله:

إِنِّي أَرْوَحُ مَعَ الظُّنُونِ وَأَغْتَدِي
أَبْغِي الْهُدَى فِيهَا، وَمَا أَنَا مُهْتَدِي

وَيَخَافُ مِنْ شَطِّ مُرِيبٍ أَجْرَدِ
إِنِّي أَحْسُ بِهَوْلِ هَذَا الْمَوْلِدِ

لَا شَيْءَ بَعْدَ الْفَقْدِ لِلْمُتَفَقِّدِ
تَذَرُوا الرِّيحَ بِهَا غُبَارَ الْفَدْفَدِ
مَاضٍ يَضِيعُ كَأَنَّهُ لَمْ يُوجَدِ
حَتَّى التَّأَلَّمَ لَا يَعُودُ بِمَشْهَدِي
فَالآنَ فَلْتَقْدِمِ بِهَوْلِكَ يَا غَدِي^(٢)

يَا لَيْتَ شِعْرِي، مَا يُخَبِّئُهُ غَدِي؟
وَأَجِيلُ بَاصِرَتِي بِهَا وَبَصِيرَتِي

فَكَأَنَّنِي الْمَلَأُحُ تَاهَ سَفِينُهُ
مَاذَا سَيُولَدُ يَوْمَ تُولَدُ يَا غَدِي؟

مَاذَا تَخَلَّفَ يَوْمَ تَذْهَبُ يَا غَدِي؟
سَتُخَلَّفُ الْأَيَّامُ قَاعًا صَفْصَفًا
لَا مُرْتَجَى يُرْجَى، وَلَا أَسَفٌ عَلَى
أَبَدًا وَلَا ذِكْرِي تُجَدِّدُ مَا انْطَوَى
رَبَّاهُ إِنِّي قَدْ سِئِمْتُ تَرْدُدِي

من قصيدة «غريب»

٦ - وفي قصيدة «غريب» التي نظمها عام ١٩٣٤م، يصرِّحُ بِغُرْبَتِهِ الْبَائِسَةِ الْقَاتِلَةِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ:

(١) الشاطيء المجهول. قصيدة «النفس الضائعة»: ٤٥ - ٤٧.

(٢) المرجع السابق: قصيدة «الغد المجهول»: ٤٨ - ٥٠.

غَرِيبُ! أَجَلُ أَنَا فِي غُرْبَةٍ
 غَرِيبُ بِنَفْسِي وَمَا تَنْطَوِي
 غَرِيبُ، وَإِنْ كَانَ لَمَّا يَزَلُ
 وَلَكِنَّهَا دَخَلَتْهَا الظُّنُونُ
 غَرِيبُ فَوَا حَاجَتِي لِلْمُعِينِ
 وَإِنْ حَفَّ بِي الصُّحْبُ وَالْأَقْرَبُونَ
 عَلَيْهِ حَنَائِيَا فُؤَادِي الْحَنُونُ
 بَبَعْضِ الْقُلُوبِ لِقَلْبِي حَنِينُ
 وَجَاوَزَ فِيهَا الشُّكُوكَ الْيَقِينُ
 وَوَا لَهْفَ نَفْسِي لِلْمُخْلِصِينَ^(١)

من قصيدة «السَّرَّ»

٧ - نظم في عام ١٩٣٤م، قصيدة «السَّرَّ: أو الشاعرُ في وادي الموتى» وقال في مقدمتها مبيناً المناسبة التي نظمها فيها: «اعتادَ الشاعرُ أن يتردَّدَ كثيراً على «وادي الموتى» في أوقاتٍ مختلفة، أكثرَ ما تكون عند مغرب الشمس وقبل طلوعها!

(١) الشاطيء المجهول. قصيدة «غريب»: ٥١ - ٥٢. والعجيب أن سيّد «ألقى» غربته على شقيقه «محمد» بحيث قال «محمد» مبيناً غربته هو الآخر، في قصيدة «غريب» التي صاغها وهو في الحادية والعشرين من عمره:

غَرِيبُ أَنَا فِي ذَلِكَ الْكَوْنِ كُلِّهِ
 غَرِيبُ بِنَفْسِي عَنْ نُفُوسٍ كَثِيرَةٍ
 وَأَحْسَبُ أَنِّي تَائِهٌ فِي غِمَارِهِمْ

 لَأَحْسَبُ فِي دُنْيَاهُمْ كُلَّ ضَلَّةٍ

 وَلَكِنِّي أَقْفَرْتُ يَوْماً مِنَ الْمُنَى
 فَلَفَّتْنِي الظُّلُمَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 وَمَا أَرْتَوِي مِنْ مَوْرِدٍ أَيْ مَوْرِدٍ
 وَطَاوَلَ قَلْبِي لِسُكُونٍ وَلِسُكْرٍ
 فَلَمَّا أَفَقْتُ الْيَوْمَ مِنْ ذَلِكَ الْكُرَى
 فَأَلْفَيْتُنِي فِيهِ غَرِيباً مُشَرِّداً

عَلَى سَعَةٍ فِي الْكَوْنِ تَوْحِي بِإِنْسَانٍ
 غَرِيبٌ يَفْكَرِي عَنْ دُنَى ذَلِكَ النَّاسِ
 كَمَا ضَلَّ وَمَضَّ فِي غِمَارِ الدُّجَى الْقَاسِي

 وَأَحْسَبُهَا دُنْيَا مِنْ شُرُورٍ وَأَرْجَاسٍ

 وَجِئْتُ إِلَى الظُّلُمَاءِ غَيْرَ مُزَوِّدٍ
 وَبُئْتُ لِي الْأَشْوَاكُ فِي كُلِّ مَقْصَدٍ
 وَمَا أَلْتَقِي إِلَّا بِدَجْوَانٍ أَجْرَدٍ
 بَلِيداً مِنَ الْإِحْسَاسِ أَيْ تَبَلُّدٍ
 تَلَمَّسْتُ حَوْلِي الْكَوْنُ عَلَيَّ أَهْتَدِي
 أَهْوَمُ فِي وَادٍ مِنَ التِّيهِ سَرْمَدٍ

انظر تعريف سيّد بقصيدة شقيقه في مقالته «الاتجاهات الحديثة في الشعر العربي» في «دار العلوم». السنة الرابعة. العدد الرابع. أبريل ١٩٤١م. صفحات: ٦٠ - ٦١.

وهو يجد في هذه الزيارات، لذة غريبة، كما يجد مجالاً لتأملات غير محدودة، ولكنها تثير فيه الشوق لمعاودتها كرة أخرى.

وفي مرة، منذ ستة أعوام [أي عام ١٩٢٨م، وقبل دخوله كلية دار العلوم] أرق في الهزيع الثاني، وجال بخاطره أن يلجأ إلى حمى الموتى، مدفوعاً بشعور غامض، لا يُبالي وحشة مثل هذه الأماكن، في جنح الليل المدلهم!

وسار خطوات، ولكنه أحسّ بالرهبة، وساوره الوجل وشعر كأن أصواتاً من وراء الحفائر تتناجي، ثم توجه له الخطاب!

ليس للشعري في هذا التصوير، فهو الحقيقة التي أحسها، كما يسمع الصوت، وكما ينظر المرثيات.

وقد عاد صامتاً واجماً، وبعد أن ذهب عنه الروح، حاول أن يفسر عن طريق «الوعي والتأمل» ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه. . . وبعد ست سنوات نجحت محاولته الشعرية:

لما سار بين القبور، كأنه سمع الأموات يسألونه قائلين:

من الطارق الساري خلال المقابر	كخفقة روح في الدُّجَنات عابر؟
من الوجل المذعور في وحشة الدُّجى	تقلبه الأوهام في كل خاطر؟
ينقل في تلك الدِّياجير خطوه	ويخطر في همس كهمس المحاذير؟

فأجاب الأموات على أسئلتهم، وعرفهم على نفسه، وعلى هدفه من القدوم إليهم، وأنه تائه يبحث عن الحقيقة:

هو الشاعر الملهوف للحق والهدى	ولسّر لم يكشفه ضوء لناظر
تخير في سر الحياة وما اهتدى	إليه، ولم يقنع بتلك الظواهر
وساءل عنه الكون، والكون حائر	يسر كمعصوب بأيدي المقابر
وساءل عنه الموت، والموت سادر	وساءل عنه الشعر في حق ثائر
وساءل عنه كل شيء، فلم يفر	بشيء، ولم يرجع بصفقة ظافر
أفي هذه الأجداث طلسم سره؟	لعل! فمن يذري بسر المقابر؟

وطرح عليهم أسئلته، التي يرجو أن يكون عندهم جوابٌ مقنعٌ عليها، بعد أن تعرَّسَ عليه أخذ ذلك الجوابِ من الأحياء. وهي أسئلةٌ تعبَّرُ عن ضياعه أبلغَ تعبير:

أنا الحيُّ، لَمَّا يَدْرِ أَسْبَابَ خَلْقِهِ
ذَلَفْتُ إِلَى وَادِي الْمَنَايَا لَعَلَّنِي
أَمَّا تَعْلَمُونَ السِّرَّ فِي خَلْقِ عَالَمٍ
وَتَكْنَفُهُ الْأَجْدَاثُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ غَايَةٍ غَيْرَ أَنَّهُ
ضَنِينٌ بِمَا يَبْغِيهِ لَيْسَ يُبِيحُهُ
وَمَاذَا لَقَيْتُمْ بَعْدَ مَا قَدْ خَلَعْتُمُو
وَمَاذَا وَرَاءَ الْغَيْبِ، وَالْغَيْبُ مُطْبِقٌ؟
سُؤَالُ أَخِي شَوْقٌ، وَقَدْ طَالَ شَوْقُهُ

أنا المُدْلِجُ الحَيْرَانُ بَيْنَ الْخَوَاطِرِ
أَفُوزُ بِسِرِّ فِي حَنَايَاهُ غَائِرِ
يَمُوتُ وَيَحْيَا بَيْنَ حِينَ وَآخِرِ
وَيَرْكَبُ لِلْغَايَاتِ شَتَّى الْمَخَاطِرِ؟
مَسْجُوقٌ إِلَى تَحْقِيقِ رَغْبَةٍ قَاهِرِ
لِسَائِلِهِ عَمَّا وَرَاءَ الظَّوَاهِرِ
قِيُودَ اللَّيَالِي الْخَادِعَاتِ الْمَوَاطِرِ
وَهَلْ يَتَجَلَّى مَرَّةً لِلنَّوَاطِرِ؟
وَحَيْرَتُهُ، بَيْنَ الشُّكُوكِ الْكَوَافِرِ

ولكنَّ الأمواتَ لم يُجيبوه على أسئلته، وكلَّمه شيخٌ منهم كأنه زعيمُهم، بأن
البحثَ عن السِّرِّ قد أتعَّبهم في دنياهم، فلما ماتوا استراحوا من البحثِ عن السرِّ،
فلماذا يأتي هو الآن ليزعجهم بهذه الأسئلة؟:

قال له الشيخُ الميتُ:

أَيَا وَيْلَهَا تِلْكَ الْحَيَاةُ وَأَهْلُهَا
وَتَطْلُبُ أَسْبَابَ الشَّقَاءِ لِنَفْسِهَا
وَتَسْأَلُ عَنْ «سِرٍّ» وَلَيْسَتْ بِحَاجَةٍ
لَقَدْ أَغْمَضَ الْمَوْتُ الرَّحِيمُ جُفُونَنَا
نَسِينَا سُؤَالَ، لَمْ يَزَلْ كُلُّ كَائِنٍ
نَسِينَاهُ فَارْتَحْنَا مِنَ الْحَيَرَةِ الَّتِي
وَهَا أَنْتَ ذَا تُذَكِّهِ يَا لَكَ جَائِرًا
وَهَا نَحْنُ وَدَّعْنَا هُدًى وَهَيْنَةً

يُكَشِّفُ عَنْ بَلَوَائِهَا كُلَّ سَاتِرِ
فَتَضْرِبُ فِي تِيهِ مِنَ الشُّكِّ غَامِرِ
إِلَى السِّرِّ تَشْرِيهِ بِأَنْفَسِ حَاضِرِ
وَهَذَا فِي أَفْكَارِنَا كُلِّ نَافِرِ
يُرَدِّدُهُ حَيْرَانٌ فِي حِزْرِ حَازِرِ
خَسِرْنَا بِهَا الْأَعْمَارَ جَدَّ نَوَاضِرِ
وَيَا لَكَ مَخْدُوعًا بِسِرِّ الْمَقَابِرِ
شَرِينَاهُمَا بِالْعُمْرِ يَا لِلْخَسَائِرِ

وعاد من عند الأموات بدون جواب، وازداد شعوراً بالتَّيه والحيرة والضياع!!!:

وَعَادَ أَخُو الْأَحْيَاءِ يَعْطُو بِحَسْرَةٍ وَلَهْفَةٍ مَحْرُومٍ، وَإِعْيَاءِ خَائِرِ

لَقَدْ كَانَ فِي الْمَوْتَى وَفِي الْمَوْتِ مَأْمَلٌ
فَأَلْقَى سَرَاباً ثُمَّ لَا يَنْقَعُ الصَّدى
فَقَدْ كَانَ خَيْراً أَنْ يَعِيشَ عَلَى الْمُنَى
وَيَا لَيْتَ هَذَا الْمَوْتَ يُسْرِعُ خَطْوَهُ

يُعَلِّلُهُ بِالْكَشْفِ عَنْ كُلِّ ضَامِرٍ
فَوَا نَدَماً عَنْ بَحْثِهِ الْمُتَوَاتِرِ
وَيَأْمَلُ بَعْدَ الْمَوْتِ كَشْفَ السَّائِرِ
فَيَطْوِي حَيّاً عُمُرَهُ رِبْحُ خَاسِرٍ!!^(١)

من قصيدة «سخرية الأقدار»

٨ - كيف كان ينظر إلى الأقدار في رحلة ضياعه؟ الجواب في قصيدته «سخرية

الأقدار»، التي نظمها عام ١٩٢٩م:

أَغْلَبُ الظَّنَّ، وَقَدْ تَذَرِي الظُّنُونُ
مَاهِرٌ يَهْزَأُ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ
أَنَّهَا أَلْعَابُ دَهْرٍ سَاخِرٍ
يَبْعَثُ النُّكْتَةَ عَفْوَ الْخَاطِرِ

* * *

وَسَوَاءٌ أَضْحَكْتَ سُمَّارُهُ
فَهُوَ يُلْقِي أَبَداً أَدْوَارُهُ
أَمْ دَهَتَهُمُ بِالرَّزَايَا وَالْمِحَنُ
وَهُوَ لَا يَسْأَلُ عَنْ مَاذَا وَمَنْ؟

* * *

يَسْمَعُ الْأَنَاتِ تَشْتَقُّ الْقُلُوبُ
لَيْكَادُ الصَّخْرُ مِنْ هَوْلٍ يَذُوبُ
صَارِخَاتٍ كَشَجِيَّاتِ النُّوَاخِ
وَهُوَ يَلْقَاهَا بِهُزْءٍ وَمِزَاحٍ^(٢)

من قصيدة «يوم خريف»

٩ - في قصيدة «يوم خريف»، التي نظمها عام ١٩٣٢م، أطلعنا على نظريته إلى نفسه، وإلى الكون من حوله. وهي النظرة بمنظار ضياعه وحيرته، فرأى الكون والحياة خريفاً يابساً جافاً ماحلاً، وألقى فيها تعبهُ وقلقه وضياعه على الكون، فبدأ الكون تعباً قلقاً ضائعاً:

وَقَفَ الْكَوْنُ شَاخِصاً فِي سُكُونٍ
وَشُخُوصُ الْأَحْدَاثِ يُغْرِقُهَا الصَّمْتُ
وَتَرَاءَى لِخَاطِرِي كَالْحَزِينِ
فَتَبْدُو كَبَاهِتَاتِ الظُّنُونِ

(١) الشاطيء المجهول. قصيدة «السر»: ٦٢ - ٧١.

(٢) المرجع السابق. قصيدة «سخرية الأقدار»: ٧٢.

وَكَاَنَّ الزَّمَانَ سَاوَرَهُ الْحُزْنَ
وَكَاَنَّ الْأَفْلَاكَ أَجْهَدَهَا السَّيْرُ
وَكَاَنَّ الْأَقْدَارَ أَرْخَتْ يَدَيْهَا

* * *

فَأَغْفَى إِغْفَاءَ الْمُسْتَكِينِ
فَنَاءَتْ بِحَمْلِ عِبِّ الْقُرُونِ
وَتَرَاحَتْ عَنْ صَرْفِهَا لِلشُّؤُونِ

وَقَفَ الْكَوْنُ سَاهِمًا لَيْسَ يَذْهَبُ
طَالَمَا دَارَ بِالْأَنَامِ وَدَارُوا
ثُمَّ مَاذَا؟ تَسَاءَلَ الْكَوْنُ: مَاذَا؟
أَيُّمَا غَايَةٍ نَوْمٌ إِلَيْهَا
تَعَبٌ ضَائِعٌ، وَجُهِدٌ غَبِينٌ

* * *

أَيْنَ يَمْضِي؟ وَأَيْنَ لَوْ شَاءَ يَمْضِي؟
بَيْنَ رَفْعٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَخَفْضٍ
أَحْيَاةٍ مَا بَيْنَ غَزَلٍ وَنَقْضٍ؟
أَيُّ قَصْدٍ قَضَيْتُهُ أَوْ سَأَقْضِي؟
وَمَصِيرٌ مُقَنَّعٌ لَيْسَ يُرْضِي

وَسَرَى الْيَأْسُ وَالْخُمُولُ إِلَيْهِ
وَتَمَشَّى الْهُمُودُ فِي كُلِّ شَيْءٍ

.....

مَاتُمْ صَامِتٌ يُهَوِّمُ فِيهِ
لَيْسَ مَوْتُ وَلَيْسَ ثَمَّ حَيَاةٌ
وَالْوُجُومُ الَّتِي يُغَشِّي عَلَيْهَا
وَحُفُوقُ الْأَرْوَاحِ أَبْطَأُ نَبْضًا
أَسْبَلَتْ عَيْنَهَا الْحَيَاةَ سَامَا

فَتَرَاحَى فِي سَيْرِهِ كَالْبَلِيدِ
مِشْيَةَ الدَّاءِ بِالْأَسَى الْمُنْكَودِ

.....

شَبَحَ الْيَأْسَ وَالْقُنُوطَ الْعَقِيمَ
كُلُّ شَيْءٍ فِي صَمْتِهِ كَالسَّقِيمِ
كَاسِفُ الْبَالِ مُمَعِنٌ فِي الْوُجُومِ
كَخُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السُّدُومِ
وَاسْتَنَامَتْ لِلْيَأْسِ وَالتَّسْلِيمِ^(١)

شعر الضياع في الأربعينيات

نتقل بعد هذه النماذج التسعة، لنورد نموذجين لشعر الضياع في الأربعينيات، وهما قصيدتان نظمهما في هذه الفترة، وختم بهما شعر الضياع. حيث انتهى ضياعه بعدها، واهتدى إلى طريقه المستقيم.

(١) الشاطيء المجهول. قصيدة «يوم خريف»: ١١٠ - ١١٣.

قصيدة «قافلة الرقيق»

نشرها في مجلة «الكتاب». عدد «يونيو» - حزيران - عام ١٩٤٦م، وجعل عنوانها عنواناً لديوان شعر له، لكنه لم يصدره.

قِفْ بِنَا يَا حَادِي الْعُمْرِ هُنَا لَحْظَةً نَنْظُرُ مَاذَا حَوْلَنَا
فِي طَرِيقٍ قَدْ نَثَرْنَا عُمْرَنَا فِيهِ أَشْلَاءُ حَيَاةٍ وَمُنَى

* * *

قَدْ نَثَرْنَاهَا عَلَى طَوْلِ الطَّرِيقِ وَمَضَيْنَا ضَمْنِ قِطْعَانِ الرَّقِيقِ
مَوَكِبٌ يَعْطُو إِلَى الشُّطِّ السَّحِيقِ مَغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ يَسْرِي مَوْهِنَا

* * *

مِنْ ظَلَامِ الْغَيْبِ تَخْطُو قَدَمَاهُ لِظْلَامِ الْغَيْبِ تَنْسَاقُ خُطَاهُ
فِي طَرِيقٍ غَامِضٍ يُدْعَى الْحَيَاةُ يَهْتَفُ الْحَادِي فَيَمْضِي مُذْعِنَا

* * *

قِفْ بِنَا نَنْظُرْ إِلَى أَشْلَائِنَا نَحْنُ لَا نَرْجِعُ يَوْمًا هَاهُنَا
مَرَّةً تَمْضِي، وَنَمْضِي وَحَدْنَا فِي ظَلَامِ الْغَيْبِ نَطْوِي الزَّمَنَا

* * *

لَهْفَةً لَوْ عُذْتُ أَرْعَى خُطَوَاتِي فِي طَرِيقٍ دَرَجَتْ فِيهِ حَيَاتِي
فَتَطَلَّعْتُ إِلَى هَذَا الشَّتَاتِ وَأَنَا فِي الْكَرَّةِ الْآخَرَى أَنَا

* * *

لَتَمَلَّيْتُ شَيَاتِي وَسِمَاتِي وَأَمَانِيَّ وَيَأْسِي وَرَجَاتِي
وَحِمَاقَاتِي وَرُشْدِي وَهَنَاتِي وَالْهُوَى الْحَانِي الَّذِي ظَلَّلْنَا

* * *

كُلَّهَا عَاهَدْتُ أَنْ أَقْضِيَ عُمْرِي وَأَنَا أَخْلِصُهَا سِرِّي وَجَهْرِي
وَإِذَا السَّوْطُ هَوَى يُلْهَبُ ظَهْرِي حَيْثُ لَا أَسْطِيعُ رَيْثًا أَوْ وَنَى

* * *

وَإِذَا الْأَمَالُ وَالْآلَامُ خَلْفِي سَاخِرَاتٌ مِنْ مَوَاعِيدِي وَخُلْفِي
مُلَقِيَاتٌ بَيْنَ إِهْمَالٍ مُسِفٍّ لَمْ أُودَّعْهَا. فَيَا وَاحِزْنَا

* * *

أُيْهَاجِ الْحَادِي أَلَا فَاْمُضِرْ بِنَا قَدْ أَثَارَتْ ذِكْرِيَاتِي الشَّجَنَا
لَمْ نَعُدْ نَجْزَعُ لَوْ تَحْدُولْنَا «نَحْنُ لَا نَرْجِعُ يَوْمًا هَاهُنَا»^(١)

* * *

قصيدة «أقدام في الرمال»

هي آخر قصيدة من قصائد ضياعه التي وقفت عليها، وقد نشرها في مجلة
«الكتاب». عدد «أكتوبر». عام ١٩٤٦م:

نَحْنُ؟ أَمْ تِلْكَ عَلَى الْأَرْضِ ظِلَالُ وَخَيَالُ سَارِبٍ إِثْرُ خَيَالُ
فِي مَتَاهَاتٍ وَجُودٍ لَزْوَالُ كَبَقَايَا الْخَطْوِ فِي وَجْهِ الرَّمَالُ

* * *

زُمُرُ تَذْلُفٍ فِي إِثْرِ زُمُرٍ وَيَحْ نَفْسِي! إِنَّهُ رَكْبُ الْبَشَرِ
مُغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ فِي كَفِّ الْقَدَرِ كُلَّمَا أَوْغَلَ فِي التِّيهِ انْدَثَرُ

* * *

أَيَّنَ رَأْسُ الرُّكْبِ أَمْ أَيْآنَ سَارَا؟ مَا أَرَى فِي إِثْرِهِ حَتَّى غُبَارَا
مَا أَرَى قَبْرًا وَمَا أَبْصِرُ دَارَا ضَلَّةً لِي! ذَاكَ ظِلٌّ وَتَوَارَى

* * *

مِنْ ظِلَامِ الْغَيْبِ فِي التِّيهِ الْبَعِيدِ لِظِلَامِ الْغَيْبِ فِي التِّيهِ الْمَدِيدِ
وَمُضَّةٌ كَالْبَرْقِ تَجْتَازُ الْوُجُودَ وَيُسَمِّيهَا بَنُو الْأَرْضِ الْخُلُودُ!

* * *

خِدْعَةٌ رَاقَتْ لِأُبْنَاءِ الْفَنَاءِ حِينَمَا أَعْيَا عَلَى الْأَرْضِ الْبَقَاءُ
الْمَسَاكِينُ هَبَاءٌ فِي فِضَاءِ رَحْمَةً لِلذَّرِّ فِي مَسْرِى الْهَوَاءِ

* * *

مَا أَرَى الْأَرْضَ تُجِسُّ الْوَافِدِينَ أَوْ أَرَى الْأَرْضَ تُجِسُّ الرَّاحِلِينَ

(١) مجلة الكتاب. المجلد الثاني، الجزء الثامن: يونيو ١٩٤٦م. صفحات: ٢٩٠ - ٢٩١.

كُلُّ مَا كَانَ وَمَا سَوَّفَ يَكُونُ نَأْمَةٌ تَهْجُسُ فِي جَوْفِ السُّكُونِ

* * *

خُطُواتُ ذَاهِبَاتٍ فِي الرَّمَالِ وَخَيَالَاتُ تَرَاءَى لِخَيَالٍ
وَشُخُوصُ تَتَوَارَى كَظَلَالٍ لِزَوَالٍ.. كُلُّ شَيْءٍ لِلزَّوَالِ!!^(١)

* * *

ضياع سيد وحكاية إلحاده

نتوقف مع القارئ قليلاً، لنزيل وهماً قد يخطر له، حول ضياع سيد قطب، بعد أن يطلع على الأبيات التي أوردناها من شعره.

ونؤكد ما قلناه من أن ضياعه الفكري كان مجرد حيرة وشك وارتياب، ولم يكن إلحاداً، ولم يتطور ليصبح إلحاداً. إن سيد لو وصل إلى الإلحاد، لما وجدنا في شعره هذه المعاناة الشديدة، والصراخ والألم والشكوى!

ولقد وقفنا من قبل - في مبحث صلة سيد بالعقاد - وناقشنا رواية «سليمان فياض» التي يقول فيها إنه سمع سيد قطب يقول عن نفسه: «إنه ظلّ ملحدًا أحد عشر عاماً، حتى أخذ يكتب كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» فإذا به يعثر على الطريق إلى الله، ويخرج من حيرة الإلحاد إلى طمأنينة الإيمان».

وقد تشككنا في صحة رواية سليمان فياض، وبيننا مخالفتها لما نُقِلَ عنه في تلك الفترة، وتناقضها مع نتاجه الإسلامي الذي صدر خلالها.

إن سيد لم يلحد يوماً في حياته، لم يكفر بالله يوماً، ولم ينكر وجوده يوماً، ولم يتطرق في أبيات شعره - التي صاغها أثناء ضياعه - إلى وجود الله، لأن هذه القضية لم يسمح لنفسه أن يفكر فيها، ولا أن يتساءل حولها، فضلاً عن أن يتشكك فيها!

أما موقفه من «الشعائر التعبدية» - وبخاصة أداء الصلاة - فلم أعثر على شيء فيه، لا سلباً ولا إيجاباً. فليس هناك كلام عن أنه كان محافظاً على الصلاة، مؤدياً

(١) مجلة الكتاب. المجلد الثاني. الجزء الثاني عشر. عدد أكتوبر ١٩٤٦م. صفحة: ٩٣٠.

لها في أوقاتها، في فترة ضياعه الفكري، كما أنه ليس هناك كلامٌ بضده، من أنه كان تاركاً للصلاة في هذه الفترة!

ولهذا أجد نفسي متوقفاً في هذه المسألة، فلا أقول إنه كان مؤدياً للصلاة في فترة ضياعه، ولا أقول إنه كان تاركاً لها. المهم أنه لم يكن ملحداً فيها!!

ضياع سيّد وحكاية دعوته للمجتمع العاري

قلنا إن ضياع سيّد كان ضياعاً فكرياً نظرياً، ولم يكن ضياعاً سلوكياً، أي إنه لم يضع في سلوكه وأعماله وتصرفاته وأخلاقه، فلم يكن ماجناً منحلاً متفلتاً من الأخلاق، ولم يُعهد عنه ممارسات شائنة، من شرب خمر أو زنا أو فجور.

ونقف هنا لننظر في حكاية دعوة سيّد إلى المجتمع العاري!!

رواية الأستاذ محمود عبد الحلیم للحكاية

الأستاذ محمود عبد الحلیم أستاذ كريم، من كرام وقدامى الإخوان المسلمين، وقد أصدر أخيراً كتاباً رائعاً، أسماه «الإخوان المسلمون: أحداثٌ صنعت التاريخ. رؤية من الداخل» وهو في ثلاثة أجزاء، وقد أرّخ فيه لتاريخ حركة الإخوان المسلمين تاريخاً جيداً، وأبرز أحداثاً هامةً صنعتها الحركة، أو شاركت فيها.

ولقد روى الأستاذ عبد الحلیم في الجزء الأول من كتابه حكاية غريبة، عن سيّد قطب في تلك المرحلة من حياته، التي سمّيناها «رحلة الضياع»، حيث نسب إلى سيّد أنه كان مُسِفّاً منحلاً، يطالبُ بحياة بهيمية، ويدعو إلى المجتمع العاري!

بدأ روايته – أو حكايته – بالإشارة إلى دور مجلة «الرسالة» في الأدب، وفي كونها ملتقى أفكار الأدباء وأقلامهم، على اختلاف وجهات نظرهم، «فقد كان يكتب فيها مصطفى صادق الرافعي، وهو حامل لواء الأدب الإسلامي، كما كان يكتب فيها عباس محمود العقاد، وكان معروفاً عنه في ذلك الوقت أنه يمثل الجانب الآخر»، أي: الجانب المعادي للأدب الإسلامي.

ثم أشار إلى سيّد قطب، وارتباطه بالعقاد، وعدائه للرافعي وأدبه. وأشار إلى مقالات سيّد في الرسالة ضدّ الرافعي وأدبه «فكان أشدّ الكتاب تهجماً على الرافعي

وإشادةً بالعقاد، هو سيّد قطب. . وكان هذا التهجم على الرافعي، يحزُّ في نفوس الألوِّف من قراء الرسالة، الذين كانوا لا يقتنونها كلَّ أسبوعٍ إلَّا لمقالة الرافعي، التي كان الزيات يجعلها دائماً المقالة الافتتاحية لكل عدد، أي: أن هؤلاء الألوِّف (!!) اعتبروا سيّد - في هجومه على الرافعي ودفاعه عن العقاد - معادياً للأدب الإسلامي، ومناصراً لنقيضه من الأدب غير الإسلامي. وبذلك اعتبر هؤلاء الألوِّف - ومنهم الأستاذ محمود عبد الحليم - سيّد عدواً للإسلام ودعوته، وعوناً للكفار الغربيين الذين يريدون القضاء على قيم الإسلام ومبادئه!!!.

ثم أشار إلى أن مجلة «الرسالة» كانت ذات كرامةٍ ورهبةٍ ووقار، فكان كل مَنْ أراد أن يكتب فيها «ملتزماً بهذا الوقار، مهما كان بطبيعته مسيئاً منحللاً، وقد يجد هؤلاء فيما سوى «الرسالة» من الصحف مجالاً لنشر آرائهم، وإبراز إسفافهم».

ومن هؤلاء سيّد قطب، حيث يرى عبد الحليم أن مقالاته في الرسالة متفكةٌ مع خطِّ سيرها الوقور، بينما سيّد كان ينشر في غير الرسالة مقالاتٍ يدعو فيها لرأيه، ويبرز فيها إسفافه، لأنه كان مسيئاً منحللاً!!!.

ويقدم عبد الحليم دليلاً على إسفاف سيّد وانحلاله، فيقول: «وقد قرأتُ في ذلك الوقت، في جريدة «الأهرام» مقالاً لسيّد قطب، يدعو فيه دعوةً صريحةً إلى العُري التام، وأن يعيشَ الناس عرايا، كما ولدتهم أمهاتهم - وكانت هذه البدعة قد انتشرت في بعض بلاد أوروبا -».

وقد أثارني هذا المقال إثارة لم أستطع معها أن أقاوم القلم، الذي وجد في العقل والمنطق والخلق والحياء، ألف دليل ودليل، يدحض هذه الدعوة، ويثبت أنها دعوةٌ تخريبيةٌ بهيميةٌ دخيلةٌ.

وتابع عبد الحليم روايته بأنه كتب مقالاً يردُّ به على دعوة سيّد، وأراد إرساله إلى «الأهرام» لتنشره في نفس المكان الذي نشر فيه سيّد مقاله.

ولكنه قبل إرساله، حمله إلى الأستاذ الإمام «حسن البنا» المرشد العام للإخوان المسلمين رحمه الله، ليرى رأيه فيه، ولكنَّ الإمام البنا نصحه بعدم نشر المقال، وعدم الرد على دعوة سيّد، وقدم له خمسَ خواطرٍ خطرت له، تدعوه إلى عدم نشر المقال.

ثم بين له ثلاثة أسباب وأخطارٍ تترتب على نشر المقال.

وكان الثالثُ منها في قول الإمام البنا: «الرَّدُّ نوعٌ من التحدي، والتحدي يخلق في نفس المردود عليه نوعاً من العناد، وهذا العناد يجعله يتعصبُ لرأيه، مهما اقتنع بخطئه. ونكونُ بذلك قد قطعنا عليه خطَّ الرجعة، وفي هذا خسارةٌ نحن في غنى عنها.

وهذا الكاتب — يعني سيّد قطب — شاب، وتركُ الفرصةَ أمامه للرجوع إلى الحق خيرٌ من إحراجِه. . . وما يدريك لعل هذا الشاب يفيقُ من غفلته، ويفيء إلى الصواب، ويكون ممن تتفعُّ الدعوةُ بجهوده في يومٍ من الأيام!!».

واقتنع عبدُ الحلیم بتحليلاتِ البنا، ومزق الرد بين يديه.

وعقب على هذه البصيرة النافذة من البنا في سيّد بقوله: «ولا داعي للإشارة إلى ما كان من أمر هذا الشاب، وما يسره الله إليه من اليسرى، حتى صار علماً من أعلام الدعوة، ثم كان من شهدائها. . وإن كان شيءٌ من نبوءة الأستاذ المرشد — رحمه الله — لم يتحقق في حياته!»^(١).

تشكك في الرواية ومناقشة هادئة لها

فاجأ الأستاذ محمود عبد الحلیم في روايته السابقة مختلف الأوساط: فاجأ الإسلاميين الذين استغربوا أن تصدرَ هذه الدعوة من سيّد قطب، وإن كانت في حياته الأولى — غير الإسلامية —!

فبعضهم أنكرها، وبعضهم تشكك فيها، وبعضهم اعتمدها.

وممن اعتمدها الأستاذ الأديب «عبد الله الطنطاوي» الذي دعاني — في تقديمه لكتابي «نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب» — للرجوع إلى هذه الرواية، لأن الكلام فيها «يلقي بعض الأضواء على شخصية سيّد، في جاهليته وفي إسلامه!»^(٢).

كما أنه فاجأ بهذه الحكاية الآخرين، فاعتمدوها في ما كتبوه عن حياة سيّد قطب

(١) الإخوان المسلمون: رؤية من الداخل، لمحمود عبد الحلیم ١: ١٩٠ - ١٩٢.

(٢) مقدمة «نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب» حرف: ج.

الأولى ، ومنهم الأستاذ «عادل حمودة» في كتابه «سيد قطب من القرية إلى المشنقة»^(١).

وأنا سأناقش الرواية مناقشة هادئة :

١- لا أملك تكذيب الرواية ، واتهام راويها الأستاذ عبد الحلیم بالكذب والتزوير والافتراء ، لأن له عندي منزلة رفيعة ، واحتراماً كبيراً ، لمسيرته المباركة في الدعوة إلى الله ، ضمن حركة الإخوان المسلمين !

٢ - لا أملك التحقق من روايته ، لأنه أحال على جريدة الأهرام ، التي نشرت المقال - على حسب قوله - لأن أعداد الجريدة القديمة لم توجد إلا في مصر ، وفي مراكز الوثائق فيها مثل «دار الكتب المصرية» !

٣ - كنت أتمنى على الأستاذ «محمود عبد الحلیم» أن يكون «وثائقياً موثقاً» في روايته وتاريخه . فيما أنه يقدم معلومات وروايات وأخباراً تاريخية ، فالأصل أن يشير إلى مصادره فيها ، وأن يوثق كل رواية أو خبر ، لأن هذه طبيعة الكتابة التاريخية ، التي دخل ميدانها ، حتى يكتسب كلامه صفة القبول والاعتماد التاريخي !

وبالنسبة لروايته المذكورة ، كان الأصل فيه أن يذكر تاريخ العدد من «الأهرام» الذي نشر فيه سيد مقالته ، بذكر اليوم والشهر والسنة . أما أن يتركنا هكذا ، غير عارفين باليوم والشهر ، ولا حتى السنة ، فهذا غير لائق ! ثم كان الأصل أن ينقل نص كلام سيد بين قوسين أيضاً !! .

٤ - ليس مستحيلاً - عقلاً - أن يكتب سيد ذلك المقال ، لأنه لم يكن ملتزماً وقتها بالفكر الإسلامي ، ومن الممكن - عقلاً - أن يدعو إلى أشياء تخالف أخلاق الإسلام وتوجيهاته ! .

٥ - رغم إمكانية العقلية النظرية ، إلا أنني أتشكك في قبول تلك الرواية ، والأخذ بها ، وأستبعد أن يكون سيد قد كتبها ، ودعا فيها إلى تلك الدعوة المردولة المنكرة ، أتشكك في وقوعها ، وأستبعد صدورها منه ، وأكاد أقول باستحالة ذلك !

(١) انظر: «سيد قطب من القرية إلى المشنقة»، لعادل حمودة: ١٠ - ١١ و ٥٥ - ٥٦ .

٦ - إنني - في موضوع الرواية - أعتبر الأستاذ عبد الحلیم غیر محايد، بل هو «متحامل» على سيّد قطب وقتها، وهذا يدعونا إلى عدم اعتماد كلامه عنه! والدليل على انحيازه ضدّ سيّد وتحامله عليه، هو مناصرته للرافعي في صراعه مع العقاد وتلاميذه، واعتباره إياه ممثلاً للأدب الإسلامي - وأنا أستغرب هذا الادعاء! - فكلّ خصوم الرافعي - في رأيه ورأي الرافعيين - هم خصوم للإسلام، وأعداء له.

وقد اعترف باستيائه - ومعه الألوف من مؤيدي الرافعي - من هجوم سيّد قطب على الرافعي وعلى أدبه، في المعركة الأدبية الحادة العالية المجلجلة التي شنها سيّد على الرافعي والرافعيين عام ١٩٣٨م - كما تحدثنا عنها من قبل - وهذا الاستياء جعله ينفر من سيّد، ويتحامل عليه..

وهذا جعله في الصفّ المقابل لصفّ سيّد وقتها، صفّ الرافعيين الذين هاجموا سيّد هجوماً عنيفاً حاداً، ووجهوا له شتائم واتهامات مؤذية!

إن هذه الظروف والملابسات قد صاحبت نفسية الأستاذ عبد الحلیم وهو ينسب ذلك المقال لسيّد، وقد ظللتها بهذه الظلال، ولوّنتها بهذه الألوان والأصباغ!!

إنني أعتبر أنّ من الممكن - عقلاً - أن تكون هذه الملابسات والأجواء قد حملت الأستاذ عبد الحلیم - المتحامل على سيّد وقتها - أن «يفترض» مقالاً لسيّد يدعو فيه تلك الدعوة المردولة، ليصدق ظنه فيه، من أنه عدو للإسلام وأخلاقه، حملته على أن «يتخيّل» ذلك المقال تخيلاً!

ومن الممكن - عقلاً وواقعاً - أن يكون قد قرأ وقتها مقالاً في الأهرام، يدعو فيه كاتبه إلى العُري التام، فسها عن اسم الكاتب وغفل عنه، ولمّا حاول تذكره خائنه ذاكرته، وأوحت له تلك الملابسات والظلال باسم سيّد قطب المتحامل عليه وقتها!

وهذا يعني أن الأستاذ محمود عبد الحلیم قد «وهم» في دعواه التي نسبها لسيّد، وأن ذاكرته خائنه في ذلك، وأن سيّد لم يكتب ذلك المقال، ولم يدع إلى تلك الدعوة، ومن الممكن أن تكون صادرة عن أديب آخر، وقد يكون من أحد تلاميذ العقاد المقربين... وقد... وقد...

هذا التشكُّك منّا في رواية عبد الحلیم، وهذا الرفض منّا لها، وهذا الترجيح منّا فيها، يزول ويتلاشى إذا وثّق لنا الأستاذ المؤرخ روايته – أو وثّقها أحد الباحثين – وأوقفنا على نصّ كلامه فيها، بذكر اليوم والشهر والسنة، لصدور ذلك العدد من الأهرام! .

وليس غريباً أن يَهمَّ الأخ الأستاذ محمود عبد الحلیم في هذه الرواية، وأن تخونه ذاكرته فيها، لأنه بشرٌ يخطئ ويصيب، ولأنه يؤرخ من ذاكرته وليس من وثائقه، والذاكرة قد تخون صاحبها!

ووقوعه في «الوهم» – أحياناً – حمَل أحد الإخوة على التعقيب على كلامه، والاستدراك على كتابه، وتصحيح بعض الأوهام والأخطاء التاريخية التي وقع فيها – وهي قليلة – وهو الأخ الأستاذ «إبراهيم العدوي» في كتيب أصدره!

أليس من الممكن – عقلاً وواقعاً – أن تكون هذه الرواية التي أوردها مما وهم فيه، وأن تُضاف إلى استدراكات وتصحيحات الأخ العدوي؟ هذا ما أرجّحه وأميلُ إليه – حتى إشعار آخر –!

سيد يحارب الرذيلة ويدعو إلى الفضيلة

قرأنا مقالات سيد، كتبها في الثلاثينيات وفي الأربعينيات، وفيها يحارب الرذيلة، ويدعو إلى الفضيلة، ويهاجم المنحرفين والفساسدين وأصحاب المنكر، ويرفض النظرة الغربية للحياة وللجنس والشهوة، ويدعو إلى مخالفتها، ويحذر من احتذائها.

وهذا ما جعلنا نستغرب رواية الأستاذ محمود عبد الحلیم، ونرجح عدم صحتها.

وفيما يلي نماذج لهذه العبارات:

١ – نشر مقالاً في مجلة الرسالة، بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٣٣م بعنوان «العالم يجري». وردت فيه هذه العبارات: «في مصر اليوم دعوة حارة وخطرة معاً، إلى تقليد الغرب، والجري وراء الغرب. وإن كان الغرب نفسه لا يعرف اليوم وجهته، وهو شارد كالضال في متاهات الحياة، فكأننا سنجري وراء من يجري، وهو لا يعرف مبتغاه!!!».

وهذه الدعوة من الواجب التحذير منها. . فليس من الواجب أن يفقد الشرق طمأنينته، ويجري وراء الغرب المأخوذ المشدوه، دون ما تأمل ولا تفكير.

إن للشرق رسالة قد يكون الآن موعدها، ورسالته هذه تقوم على خصائصه الأصلية فيه، وستصبح واجبة عليه - بل أصبحت - لأن الغرب يكاد يتهالك ضعفاً وإعياء، لفرط جرّيه، وكثرة اصطداماته. .»^(١).

٢ - نشر مقالاً في مجلة «الرسالة» بتاريخ ٤ يونيو ١٩٤٥م بعنوان «صور من الجيل الجديد» عرض فيها انحرافات أخلاقية، لست صور من الجيل الجديد التقطها من على قارعة الطريق، وهي صور: «تلميذة، عذراء، خطيبة، زوجة، أم، أب»، وكلها صور مشوهة منحرفة.

ثم عقب عليها بقوله: «منذا الذي دفع بالجيل إلى الهاوية؟ منذا الذي جعل هذه الصور الشائنة تتوالى أمام عينيه دون استنكار؟ بضعة مواخير. . . بعضها يُسمى مجلات، وبعضها يُسمى أفلاماً، وبعضها يسمى أغاني، تتسوّر جدران البيوت عن طريق المذياع. . . وبضعة «هلافيت» لا يهمهم أن يكون في البلد فراش نظيف. . . يسمّون أنفسهم من حملة الأقلام!!!»^(٢).

٣ - نشر في مجلة الرسالة في صيف عام ١٩٤٦م، خمس مقالات تحت عنوان «من لغو الصيف»، سجّل فيها بعض المظاهر الشائنة التي رآها على شواطئ الاسكندرية، وكتبها بأسلوبٍ ساخرٍ رفيع، وهاجم تلك المظاهر بكل جرأة وحدة وانفعال.

قال عن النساء بملابسهن الفاضحة على الشاطئ: «ويحي إنني لا أرى هنا عرائس، ولا حتى شياطين. . . أحسّ هنا ثقل الضرورات وصلصلة القيود. هنا أجساد تشدّها الغريزة، هنا لحم. لحم فقط، يكاد يتجرّد من الروح. لحم قذر رخيص. هنا صراصير!!»

(١) مجلة الرسالة. السنة الثانية. المجلد الثاني. عدد: ١٧. تاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٣٣. صفحة: ١٣.

(٢) مجلة الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٦٢٢. تاريخ ٤ يونيو ١٩٤٥م. ص ٥٨١.

... رخيص. فكثيرٌ من هذه الأجساد العارية يفقد حتى قيمة اللحم العزيز. لستُ أشكُ الآن في أن الملابس من صنعِ حواء. فهذا التسترُ وهذا الخفاءُ هما مبعثُ الفتنة والأشواق – حتى الجسديّة – وحين يتجرّد الجسد نفسه يموت»^(١).

ووصَفَ الناس والنساء على «البلاج» بأنهم في سوقِ رقيق. وقال: «هذا الحشدُ من العرايا فوق «البلاج» إنه يذكّرني بسوق الرقيق... إنني أسمعُ هنا صلصلة القيود، ووسوسة الأغلال، وسوط النّخّاس! لا ألمح هنا طلاقة الروح، ولا حتى فراهة الجسد. لا ألمحُ الحرية التي ترفرفُ بلا سدود ولا قيود...»

ولكن أهذه محنةٌ رَوّاد «البلاج» وحدّهم في هذه الأيام؟

كلا! إنما هي محنةٌ هذه الإنسانيّة التي غفلتُ عن نفسها، لتسمعَ صوت الآلات، محنةٌ هذه الحضارة الماديّة الواردة من أوروبا...

كم أمقتُ هذه الحضارة الأوروبيّة وأحتقرُها، وأرثي للإنسانيّة التي خُدعتُ بها، فأوردتها التهلكة... بريقٌ وضجيج، ومتاع حسيّ غليظ...»^(٢).

ويسجّل إشفاقه على تلك النساء «الجواري» ويتمنّى مَنْ يعيذهن إلى بيوتهن وكرامتهن «مَنْ ذا ينقذُكُنَّ أيتها الجواري المسكينات من سوق الرقيق؟ مَنْ ذا يردُّكن إلى البيوت الكريمة المصونة؟ ويردُّ إليكن كرامتكن المهدّدة، التي سلبت منكن باسم «المودرنزم» في هذه الأيام السود؟

كان الرجال يتشّهون نظرةً من بعيد، ويتشوّقون إلى زواجٍ كريم نظيف. فصرّتنَ اليوم سلعةً معروضة على الأنظار، سلعةً في سوق الرقيق!»^(٣).

ويعتبر تلك النساء وأولئك الرجال على الشاطئ، الذين يتحركون عليه وهم

(١) مقال «صراصير» في الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٣. تاريخ ٦ أغسطس ١٩٤٦. صفحات: ٨٥٧ – ٨٥٨.

(٢) مقال «سوق الرقيق» في الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٥. تاريخ ١١٩ أغسطس ١٩٤٦ م. صفحة: ٩١١.

(٣) الرسالة – المرجع السابق: ٩١٢.

أشباهُ عِراةٍ، قاذوراتٍ ونجاساتٍ، ويتمنى على البحر لو يجرّفهم فيه ويبتلعهم داخله، لينظّف شاطئه منهم: «يا بحرُ، إنك لتغضب، وإنك لتزمر، وإنك لتجرّف في ساعات غضبك وزمجرتك كلّ خبث في جوفك، فتقذف به إلى الشاطئ... أعكس مرةً أيها البحر، فاجرّف إلى جوفك قذّر الشاطئ بكل ما فيه!»^(١).

إنه يعتبر تلك المناظر على الشاطئ مقرّزة منقّرة: «هذه الأجساد الرخيصة المكشوفة، المتلاحمة في البحر وعلى الرمال، المرمية في أوضاع حيوانية مريضة، على مشهدٍ من الأنظار. هذا اللحم المكّدس، المختلط من الرجال والنساء في كل مكان، حيث لا يثير في أيّ حس سليم إلّا التقزز والاشمئزاز، حتى في نفوس طلاب الجسد من ذوي الغرائز السليمة»^(٢).

ويهاجمُ دعاةَ العري وأنصارَ المجتمعات العارية، الذين يريدون تقليدَ الغربيين في مجتمعاتهم العارية هناك، يهاجمهم بعباراتٍ حادة جداً: «هناك مُخنّثون رُقعاء، في الصحف الداعرة، وفي كل مكان... هناك أولادٌ لا أعراض لهم في بيوتهم، يصيحون في وجهك كما تصيح الكلاب: هذا تأخّر! هذه رجعية! هذا جمود!

ويقولون لك: في أوروبا وفي أمريكا، وفي بلاد العالم المتحضّر، تختلطُ اللحوم وتتعرّى الأجساد!

وفي الغابة كذلك — يا أولاد — تختلطُ اللحوم وتتعرّى الأجساد!

ولكن الغابة أشرف وأسلم!

لأن الفطرة هناك أصدق وأنظف، فأثنى كثير من الحيوان والوحوش هناك لذكّر واحد. وهي بذلك أعفّ وأشرف من تسعة وتسعين في المائة، ممن ينشرون صورهنّ عارية على البلاج، أو شبه عارية في الحفلات الداعرة في أوساط «الأرستقراط».

(١) مقال «هؤلاء الأرستقراط» في الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٧. تاريخ ٢ سبتمبر ١٩٤٦م. صفحة: ٩٦٣.

(٢) مقال «مفارقات» في الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٩. تاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٤٦م. صفحة: ١٠١٧.

ونفوس الذّكران من الحيوان هنالك أرقى وأقوى من نفوس تسعة وتسعين في المائة من نفوس الرّقعاء من مخنّثي الصحافة والإذاعة والسينما والطرب في هذه الأيام!»

إنه يعتبر دعاة العري وتقليد الغربيين في عريهم «قوادين»، ولا يفرّق بينهم وبين الذين «يقودون» إلى الزنا والفاحشة حقيقة: «صحفيّون ناجحون، ومطربون ناجحون، وممثّلون ناجحون. لماذا؟ لأنهم يحترفون الدّعارة والقوادة، لأنهم دعاة مواخير. . . ولم يتعقب بوليس الآداب إذن مديري المواخير؟. . . إنهم صحفيون ناجحون، أو مطربون ناجحون، أو ممثّلون ناجحون. . . كلها «فرقة كعب» بين هؤلاء وهؤلاء!

ما الفرق بين ذلك الصحفي الذي ينشر في صحيفته تلك الصور الداعرة على البلاج، أو في حفلات «الأرستقراط» ليقودك إلى شراء صحيفته، وبين ذلك «القواد» الذي يعرض عليك الصور العارية جلسة على المقهى أو البار، ليقودك إلى الماخور؟»^(١).

٤ - وأختم هذه النماذج بالإشارة إلى دعوة سيّد قطب إلى عدم تقليد الغربيين في حياتهم الشهوانية العارية، ويطالب بالعودة إلى الشرق وحياته الإسلامية الكريمة.

كتب مقالاً عام ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م في مجلة «العالم العربي» بعنوان: «عودوا إلى الشرق»، ومما قاله فيه: «الحياة على الطريقة الغربية ألدّ من غير شك، وأكفل بالراحة. . . ولكنها ليست أرفع ولا أكرم ولا أكثر تقدّماً في سلّم الإنسانية. . . حياة تنطلق فيها المرأة من كل قيد. . . حياة تكفل الاختلاط والمرح، في الندوات والمراقص والحفلات ودور العلم، بكل مافي الاختلاط من حرية ومتاع وانطلاق. . . هي حياة لذيدة من غير شك، ولكنها حياة أدنى إلى حياة الحيوان منها إلى حياة الإنسان، فهي حياة رجعية متخلّفة في تطوّر الإنسانية. . . إنها تروي غرائز الجنس، وتُحقّق لذائد الجسد، وتُطلق المتعة حُرّة، لا يحدّها عُرف، ولا يقفّ في طريقها قيد، وتُسمّي ذلك كلّ حرية. هي حرية نعم. ولكنها ليست حرية الروح. بل حرية الجسد، حرية العبد والحيوان، لا حرية الإنسان.

(١) انظر مقال «مفارقات» في المرجع السابق. صفحة: ١٠١٨.

« . . . مَنْ أَرَادَ اللذة الحيوانيةً طليقةً سهلةً رخيصةً، ففي حياة الغرب مَتَّسَعٌ لما يريد، وَمَنْ أَرَادَ الحرية الإنسانية، فيجدها في الشرق، وما فيه من حرية روحية كريمة، التي هي أرفعُ مِنْ كلِّ لذة جسد، وَمِنْ كلِّ حرية فكر، على طريقة العبيد الغربيين. وستنصرُ هذه الحياةُ في يوم من الأيام، حيثُ يتوارى أولئك المتنفِّجون باسم المدنية الغربية: مدنية الحيوان والعبيد!!»^(١).

إلى هذه الفضائلِ كان يدعو سيّد قطب، وليسَ إلى «المجتمع العاري»! ونقفُ لتساءل: هل الكاتبُ الذي كتبَ العباراتِ السابقة، وحاربَ الدعوةَ إلى المجتمعات العارية تلكَ الحرب، يدعو إلى عُريِ الشعب، وتقليدِ الغربيين في حياتهم البهيمية العارية؟ اللهم لا.

ولذلك نتشككُ في رواية الأخ الأستاذ «محمود عبد الحليم»، عن سيّد قطب، بل نرفضُها، ونقولُ بعدم صحتها، لأنها تتعارض مع ما قدّمنا من عباراتٍ صريحة لسيّد في رفضها ونقضها ومحاربتها!!

* * *

(١) مقال «عودوا إلى الشرق» في «العالم العربي». المجلد الأول. العدد الثاني. جمادى الثانية ١٣٦٦م. صفحات: ٣ - ٤.

(١٠)

المرأة في حياة سيّد قطب

خلاصةُ هذا المبحث «المرأة في حياة سيّد قطب» أن سيّد أحبّ حباً صادقاً شريفاً مرتين. وخطب - أو حاول الخطبة - مرتين. ولكنه لم يتزوج، وغادرَ هذه الدنيا وهو يقاربُ الستين من عمره بدون زواج.

وهنا أتذكّرُ طرفة، سمعتها من أحدهم، تدلُّ على مقدار استخدام أعداءِ الإسلامِ لسلاحِ الإشاعات الكاذبة، لتشويه صورة أعلام الفكر والدعوة.

قال أحدُ هؤلاء الأعداء: إن سيّد قطب، لم يكن ملتزماً بما يدعو إليه التزاماً عملياً، بدليل أنه شاهدَ سيّد وهو يسير في شوارع القاهرة - بعد خروجه من السجن عام ٦٤ - وبرفقته زوجته وابنته الكبيرة، وكانتا متبرجتين، حاسرتين عن رأسيهما، كاشفتين عن الأيدي والأرجل والنحور!!!

حبّه الأول في القرية

عاش سيّد حبّه الأول، عندما كان في قريته، وقبل أن يغادرها إلى القاهرة، وكانت فتاته تربطها به صلةٌ مصاهرةٍ بعيدة - كانت ابنة عم زوجة عمه - وقد أعجبت تلك الفتاة برجولته وشجاعته ونخوته، حيث كان يقفُ مدافعاً عن الفتيات الطالبات في المدرسة، ويمنعُ الطلاب المشاكسين من التعرض لهن بالكلمة أو الإشارة. وكانت أحياناً تأتي إلى البيت مع صويحباتها الطالبات بحجة اللعب مع شقيقة سيّد الصغيرة، لكنه كان يحسُّ أنه هو المقصود في الزيارة... ووقعت محبتها في قلبه، وأحسَّ أنها تبادله نفسَ الشعور!.

وبين سيّد صفاتها، وما حبّ بها إليه فقال: «كانت خمريّة اللون، ذات طابع

خاص، غير مكرّر في الوجوه... ولم تكن حسب مقاييس القرية جميلة، فليست بيضاء البشرة، وليس أنفها دقيقاً بالقدر المطلوب، وليس فمها كذلك، «كخاتم سليمان». . ولكنها هي وحدها من بين بنات المدرسة – بل من بين بنات القرية جميعاً – كانت تبدو في نظره جميلة، وكان سرّ جمالها عنده، أنها ذات طابع خاص! وإن لم يكن يدرك في ذلك الحين معنى الطابع الخاص»^(١).

وترك سيّد قريته إلى القاهرة للدراسة، وترك حبّه الأول فيها، ولكن فتاته بقيت في مخيلته وذاكرته لم تُفارقها.

وبعد غيبة ثلاثة أعوام في القاهرة، عاد إلى قريته، وكان أول ما قام به بعد وصوله إليها: «السؤال عن مصير الطفلة التي فتنته أول مرة. وعلم أنها تزوجت! وأنها تزوجت في جهة نائية عن القرية!! ورأى نفسه في حاجة لأن ينسحب من الجمع، ورأى عينيه تتغرغان بالدموع!»^(١).

حبّه الثاني في القاهرة

أحبّ للمرة الثانية، بعدما تخرّج من الكلية، وعمل في الوزارة، وكان هذا في أواخر الثلاثينيات – أثناء الحرب العالمية الثانية –^(٢).

كانت فتاته الثانية بنتاً قاهرية، ملامحها تكاد تشبه بنت قريته – فتاته الأولى – «لم تكن ممن يحسبهن العرف جميلات، كان تكوينها الجسدي – إذا استثنينا صدرها الفاتن – ليس ممتازاً، ولكن كانت هناك في وجهها جاذبيّة ساحرة، كانت خمريّة اللون، واضحة الجبين، وفي عينيها وهج غريب، تطلّ منه إشراقة مسحورة»^(٣).

وبعد ما أحبها، تقدّم لخطبتها من أهلها. وكانت تصغره بعشرة أعوام^(٤).

(١) طفل من القرية: ٥٥.

(٢) أشواك: ٧٤.

(٣) المرجع السابق: ٤١.

(٤) المرجع السابق: ١٠.

عذابه وعذابها معاً

بنى في أحلامه عشَّ الزوجية السعيد، وتناولَ يدها في ليلة الخِطبة ليلبسها خاتمَ الخطوبة، ولكنه: «أحسَّ بيدها ترتعش ملتصقةً في يده، ونظرَ فإذا دمعةٌ تندُّ من عينيها»^(١).

وأحسَّ — ساعتها — بأن أحلامه قد تلاشت، وأنه قد طلعَ عليها نهارُ الواقع المرِّ المؤلم!!

وبعد إلحاحه عليها في معرفة سرِّ دمعتهَا، اعترفتْ له بأنها قبل أن تتعرف عليه، كانت تعيش قصة حبٍّ مع ابن جيرانها الضابط في الجيش.

بعد معرفته هذه الحقيقة القاسية، تعذَّب معها، وتعذبتْ معه، وعاشا فترة حياة العذاب والحيرة والحرمان.

إنه لا يقدرُ على الزواج منها، لأنها ليست «عذراء القلب» وهو يتطلب في «فتاة أحلامه مفارقاتٍ لا تجود بها الحياة، يتطلبُ الحورية القاهرية المغمضة العينين، يتطلب الفتاة العذراء القلب والجسد في زيِّ قاهري»^(٢).

وهو لا يقدر على فراقها ونسيانها، لأن محبتها نُقشت على سويداء قلبه، وظلَّت سماء حياته!

أشواك والكأس المسمومة

عاشا سنواتٍ عديدةً في عذابٍ مرير، ومعاناةٍ شديدة، وحيرةٍ قاتلة، وسارا طويلاً وسط أشواكٍ دامية!

واتخذ سيّد من عذابه وحرمانه ومعاناته، مادةً لنتاج أدبي رفيعٍ نثراً وشعراً. أما النشر، فقد ألّف بشأنها قصته الرومانسية الرفيعة «أشواك» — التي طبَّعها في مايو ١٩٤٧م — وسجَّل في القصة تجربته مع فتاته — خطيبته — وصوَّرها بمختلف مراحلها.

(١) المرجع السابق: ١٠.

(٢) المرجع السابق: ٧٠.

أطلق على نفسه في القصة اسم «سامي» وعلى خطيبته اسم «سميرة» وأضاف إلى نسيج القصة ما أوحى إليه خياله.

وأهدى القصة إلى فتاته، وقال في الإهداء: «إلى التي خاضت معي في الأشواق، فذُميت وذُميت، وشقيت وشقيت، ثم سارت في طريق، وسرت في طريق. جريحين بعد المعركة، لا نفسها إلى قرار، ولا نفسي إلى استقرار!»^(١).

أما الشعر، فقد نظم بشأنها قصائد شعرية رفيعة، منها: «تطهير الصنم» و«عبادة جديدة» و«حب الشكور» و«نهاية المطاف» و«بعد الأوان» و«الكأس المسمومة».

ويبدو أنه كان ينوي جمع قصائد العذاب والحرمان، وإصدارها في ديوان. أسماه «الكأس المسمومة» - الذي أعلن أنه سيصدره - ولكنه عدل عن ذلك.

قال في قصيدة «نهاية المطاف»:

قَدْ مَضَى الْحُلْمُ فَحَقَّقْ فِي الْعَيَانِ هَلْ تَرَى إِلَّا خَوَاءً فِي الزَّمَانِ
وَتَهَاوِيلُ الرُّؤْيَى يَا وَيْحَهَا غَالَهَا الصَّحُورُ فَمَاتَتْ مُنْذُ كَانَ

* * *

نَمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ إِنْ كُنْتَ تَنَامُ لَفَّكَ الصَّمْتُ وَغَشَّاءَ الظَّلَامُ
يَأْمَنُ الدُّنْيَا وَيَخْلُو لِلْكَرَى مُعْدَمُ الْكَفِّينِ مَفْقُودُ الْحُطَامِ

* * *

قَدْ خَلَا الْهَيْكَلُ مِنْ وَحْيِ الصَّنَمِ وَغَدَا مَعْبُودُكَ الْأَسْنَى حُطَمَ
أَتَطِيقُ الْآنَ تَحِيًّا مُلْجِدًا أَمْ تُرَى تَخْلُو لِشَيْطَانِ النَّدَمِ

* * *

ضِيقَتْ بِالْخَوْفِ وَدُنْيَا الْأَضْطِرَابِ أَتَرَى الْأَمْنَ هُنَا بَيْنَ الْيَبَابِ؟
أَيُّهَا الْمُنْكَوبُ فِي أَحْلَى الْمُنَى الْحَيَاةُ الْحُبُّ وَالْحُبُّ الْعَذَابُ

* * *

(١) المرجع السابق: ٥.

أَيَّنَ أَحْلَامُكَ بِالْعِشِّ الْجَمِيلِ؟ أَيَّنَ آمَالُكَ بِالظِّلِّ الظَّلِيلِ
قَدْ مَضَى الْحُلْمُ وَوَلَّى مَوْهِنَا فَارْكُنِ الْآنَ إِلَى الصَّخْرِ الطَّوِيلِ

* * *

تَمْ يَا مَنْكُودُ مَا كُنْتَ تَرُومُ وَمَشَى السَّلْوَانُ فِي الْحَبِّ الْقَدِيمِ
نَمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ وَاهْنَا بِالْكَرَى الْكَرَى الْمَيِّتُ فِي الْقَلْبِ الْعَقِيمِ^(١)

* * *

وقال في قصيدة «بعد الأوان»، التي نشرها في مجلة «العالم العربي» عام

١٣٦٦م:

ذَهَبَ الزَّمَانُ فَاْمَضِي أَنْتِ عَنِّي
مَا عَادَ يَوْقِظُنِي نِدَاؤُكَ خِلْسَةً مِنْ بَعْدِ وَهْنِ
مَاتَتْ مُنَايَ جَمِيعُهَا، مَا عَادَ يَنْفَعُنِي التَّمَنِّي
فَرَقَ الزَّمَانُ طَرِيقَنَا، فَاْمَشِي وَحَسْبُكَ ذَاكَ مِنِّي

* * *

هَذَا خُطَايَ عَلَى الطَّرِيقِ وَتِلْكَ وَاجِفَةٌ خُطَاكَ
الرَّيْحُ تَطْمُسُهَا فَلَا خَطُؤَ وَلَا أَثَرَ هُنَاكَ
شَبَّحَانِ قَدْ عَبَّرَا، فَلَمْ تَشْعُرْ بِهِذَا أَوْ بِذَاكَ
تَتْلُوهُمَا الْأَشْبَاحُ، وَالْأَيَّامُ مَاضِيَةٌ دَرَاكَ^(٢)

لكن معاناته وحيرته وعذابه، أكثر ظهوراً في قصيدة «الكأس المسمومة» - التي

نشرها عام ١٩٤٣م وهو في ذروة المعاناة والعذاب والألم - :

(١) الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٣١. تاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٥م. صفحة: ٨٤٩.

(٢) مجلة «العالم العربي». المجلد الأول. العدد الثاني. جمادى الثانية ١٣٦٦هـ. صفحة: ٥٥. وقد اختار هذه القصيدة الأديب البحراني (إبراهيم العريض) ضمن كتابه «من الشعر الحديث» الذي طبعته له دار العلم للملايين في بيروت عام ١٩٥٨م. صفحات: ٢٢٩ - ٢٣٠.

أَقْلَاكِ أَقْلَاكِ كَالشَّيْطَانِ أَقْلَاكِ
 أَقْلَاكِ إِنَّكِ فِي نَفْسِي وَفِي زَمَنِي
 سَمَّمْتِ عَيْشِي وَأَحْلَامِي وَأَخِيلَتِي
 وَعَشْتُ أَرْعَاكِ فِي قَلْبِي، وَأَنْتِ بِلا
 مَنْ أَنْتِ؟ مَا أَنْتِ؟ إِنِّي حَائِرٌ قَلِقٌ
 أَنْسى اللَّيَالِي الَّتِي قَضَيْتُهَا قَلِقاً
 أَنْسى الدَّمُوعَ الَّتِي أَرْسَلْتُهَا غَدِقاً
 وَكِبْرِيَانِي الَّتِي مَا كُنْتُ أَخْفِضُهَا
 أَنْسى وَأَذْكُرُ أَحْلَامِي وَأَخِيلَتِي
 وَكُلَّهِنَّ نَسِجُ الْوَهْمِ فِي خَلْدِي
 أَقْلَاكِ؟ لَيْتَ! فَإِنِّي لَسْتُ أَقْلَاكِ
 أَقْلَى وَأَهْوَى وَأَيَّامِي مُوزَّعَةٌ
 هَذَا الرَّحِيقُ وَهَذَا السَّمُّ قَدْ مُزِجَا
 هَاتِي لِي السَّمَّ صِرْفاً لَا يُمَارِجُهُ
 مَلَلْتُ كَأْسَكَ لَا أَلْتَدُّ نَشْوَتَهَا

أَقْلَاكِ كَالسَّمِّ يَسْرِي جَدَّ فِتَاكِ
 وَفِي حَيَاتِي أَفْعَى ذَاتُ أَشْوَاكِ
 وَأَنْتِ شَيْطَانَةٌ فِي سَمْتِ أَمْلَاكِ
 قَلْبٌ يُحْسُ وَيَرْعَى كَيْفَ أَرْعَاكِ
 أَنْتِ أَسْطُورَةٌ فِي كَفِّ أَفَاكِ؟
 وَأَنْتِ سَاكِنَةٌ رَاضٍ مُحْيَاكِ
 وَلَسْتُ لَوْلا هَوَاكِ الْمُرَّ بِالْبَاكِ
 مِنْ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ فِي دُنْيَاكِ لَوْلاكِ
 كَأَنَّهِنَّ نُجُومٌ بَيْنَ أَحْلَاكِ
 وَلَسْنَ غَيْرَ أَحَابِيلٍ وَأَشْوَاكِ
 أَهْوَاكِ؟ لَيْتَ! فَإِنِّي لَسْتُ أَهْوَاكِ
 بَيْنَ الْهَوَى وَالْقَلَى كَالضَّاحِكِ الْبَاكِ
 وَلَسْتُ أَرَوِي بِكَأْسٍ غَيْرِ رِيَاكِ
 هَذَا الرَّحِيقُ فَإِنِّي لَسْتُ بِالْبَاكِ
 وَلَا أَحْطُمُهَا تَحْطِمْ سَفَاكِ^(١)

وأخيراً فسخ الخطبة

بعد معاناةٍ مريرة استمرت عدة سنوات، قرَّرَ سيِّدُ فسخ الخطبة، وفراق تلك الخطيبة. وراح يتساءل: «تُراهُ أخطأ الطريق، فطلب الحورية العذراء في بنت من بنات القاهرة؟ أم تُراهُ أخطأ الطريق من أوله فطلب حياةً زوجيةً لا تصلح له بحال؟»^(٢).

افترقا.. وسار كلُّ في طريقه..

أما سيِّد فلم ينسَ قصته معها ولا تجربته المرأة، وبقي يشعرُ بالألم والجحمان كلما

(١) مجلة الرسالة. السنة الحادية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٢٩. تاريخ ٢٣ أغسطس

١٩٤٣م. صفحة: ٦٦٩.

(٢) أشواك: ٧٠.

تذكرها. ولهذا صرف النظر عن الحب والخطوبة والزواج فترةً طويلة! وأما هي فقد تألمت قليلاً، ثم نسيت القصة والمعاناة والتجربة، وتزوجت فيما بعد!

وبعد أعوام، كان سيد يسير في الشارع العام في القاهرة، وفجأةً رآها، وتكلّما، وقالت له:

«ألا تزال وحيداً كما أنت؟»

قال: هذا لا يهمُّ على كل حال. وأنت؟ ثم التفت إلى الطفل الصغير الذي يُمسك بطرف ثوبها، وينطُّ وهو يسير بخطواتٍ قافزةٍ صغيرة. وقال: أهذا ابنك؟

قالت: نعم! واسمه «سمير» اسمك المختار! ^(١).

محاولته الزواج بعد ذلك

استمرَّ تأثره بقصته مع خطيبته السابقة عدة سنوات، وكان هذا صارفاً له عن الوقوع في حب فتاة أخرى، وعن محاولة الخطبة والزواج. وانصرف في هذه السنوات إلى الأعمال الأدبية المختلفة، وانشغل بها عن التوجُّه نحو الحب والعشق. وتسامى بغريزته، واستعلى على هُتاف قلبه، ونداء كيانه.

ثم توجَّه للفكر الإسلامي أولاً، والعمل الإسلامي بعد ذلك، وجَدَّتْ له شواغلُ وأعمالٌ جديدة، ملأت عليه حياته وفكره وقلبه، فلم يجد فسحةً من الوقت للتفكير في الزواج.

وسافر إلى أمريكا، وأقام فيها لمدة سنتين، وعادَ منها بعد ذلك، وبدأ التفكير في الزواج، وشرع في البحث عن شريكة حياته، لكنَّ الأعمال والشواغل لم تجعل له فرصةً ولا فسحةً لاستكمال البحث واختيار الزوجة!

وقامت الثورة، واستغرقت أعمالُ سيد بعد الثورة — مع رجال الثورة، ومع جماعة الإخوان المسلمين — كلَّ وقته.

(١) المرجع السابق: ١٢٨ — ١٢٩.

وقبيل اعتقاله عام ١٩٥٤م، أوشك أن يخطب إحدى الفتيات الصالحات الملتزمات، وبدأ الخطوات الأولى لذلك، لكن الأحداث الجديدة فاجأته، وقطعت عليه محاولاته، واستقرَّ به المكان في السجن مظلوماً، ليقضي فيه سنوات من عمره.

ثم أفرج عنه بعفو صحي عام ١٩٦٤م، وكان عمره قد قارب التاسعة والخمسين، وكان أول ما فكَّر به بعد مغادرة السجن، الشروع في الزواج، وبحث، ووجد بُغيته عند إحدى النساء الصالحات، وأوشك أن يعلن خطبتها، لكن الطغاة لم يمهلوه^(١)، إذ سرعان ما زجَّوا به في السجن، عام ١٩٦٥م، ليلقى وجه الله شهيداً عام ١٩٦٦م، ويذهب إلى جنة الخلد لينال نصيبه من الحور العين — إن شاء الله — !!

* * *

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب — عند لقائي معه في منزله في مكة عام ١٩٧٨م.

القِسمُ الثَّانِي
مَعَ سَيِّدِ قُطْبٍ
فِي مَسِيرَةِ حَيَاتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ

(١)

تمهيد نقلة بعيدة

نبدأ القسم الثاني من هذا الكتاب بهذا التمهيد، الذي نشير فيه إلى «النقلة البعيدة» التي نقلَ الله سبحانه بها سيّد قطب، من طريقٍ إلى طريق .
فقد تكلمنا في القسم الأول عن «رحلة الضياع»، التي سارَ فيها سيّد طويلاً، ونقلنا فيه كلاماً له، يصوّر ملامحه في ضياعه، ويوحى بمدى حيرته وقلقه ومعاناته، في تلك الرحلة المريرة.

نقلة بعيدة إلى عالم الإيمان واليقين

لو استمرَّ سيّد سائراً في «رحلة الضياع»، لقضى عمره ضائعاً قلقاً، حائراً بائساً حزيناً، يسأل ولا يجد جواباً، ويبحث ولا يصل إلى نتيجة. يبكي ويتألم، ويتعذب ويصرخ، ويئنّ ويشكو. لا يجد قلبه ولا نفسه ولا حياته!

ولكن الله قدّر له أمراً آخر، ورسم له طريقاً جديداً، وأعدَّ له مهمةً كبرى!!

وسارَ سيّد في الطريق الجديد، وانتقل «نقلة بعيدة»، إلى عالم الإيمان واليقين، وعالم الإسلام والعمل، وعالم الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، وعالم الدعوة والحركة والجهاد..

سارَ سيّد في طريقه الإسلامي الجديد، بخطاً ثابتة موفقة، وإذا به يتحوّل كليّةً من حالٍ إلى حال. وإذا بنفسه وحسّه وكيانه، ومشاعره وأفكاره، تولّد كلّها ولادةً جديدة، وتُصاغ صياغةً إسلاميّة أصيلة..

وإذا بسيّد - في تكيّفه مع حياته الإسلامية الجديدة وتفاعله معها - كأنه إنسانٌ آخر، ولا يكادُ المرء يصدّق أن سيّد الذي عرفه في رحلة الضياع، هو نفسه سيّد الذي

يعرفه ويقرأ له في «الظلال» و«المعالم» و«خصائص التصور الإسلامي». بل يكاد يجزم أنهما شخصان متغايران، وشخصيتان مختلفتان!!

السِّرُّ هو في طبيعة هذا الدين

وعندما يقف المرء متسائلاً عن السِّرِّ في هذه النقلة الإيمانية البعيدة، في حياة سيّد، فسيزول عنه استغرابه، عندما يعرف ذلك السِّرَّ الذي وقف عليه سيّد.

لقد كان في السابق يبحث عن هذا السِّرِّ، وقطع رحلة ضياعٍ شاقة، وهو يبحث عنه، وصاغ قصيدة «السِّرِّ» التي أثبتنا بعض أبياتها فيما سبق.

وأخيراً وفقه الله لمعرفة السِّرِّ، وفتح عينيه على معالم الطريق. أدرك سيّد السِّرِّ، فغيّر نظرتَه إلى الكون والحياة والإنسان.

هذا السِّرُّ هو «ومضة الإيمان» التي أضاءت جوانح كيانه، فبددت ظلامه، وراح سيّد يمشي في عالم النور والإيمان، سويّاً على صراطٍ مستقيم!.

إنَّ الفضلَ في ما وصل إليه سيّد من الحق، يعود إلى الله سبحانه، فهو الذي أنعم عليه بهذه النعمة، ومنَّ عليه بهذه المنة.

وسيّد مدرك لهذه المنة الربّانية، ومقرُّ بهذا الفضل الإلهي: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا، قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ...﴾ [سورة الحجرات: ١٧].

والسبب في هذا التحول الجديد لسيّد، هو معرفته لهذا الدين، ولطبيعته وملامحه وخصائصه ومقوماته.

إنَّ الإسلام العظيم، ينقل المسلم المتفاعل معه، نقلةً بعيدةً من عالم إلى عالم، هذه طبيعته الحية، وهذه سمته الفاعلة الإيجابية الحركية، هكذا فعل الإسلام مع الصحابة، ونقلهم نقلته البعيدة من حياة الجاهلية والضياع، إلى حياة السعادة والعمل والجهاد، وهكذا فعل مع كل من أقبل عليه وتفاعل معه، هكذا أقبل عليه سيّد، وهكذا فعل به وأثر في حياته. ولهذا كانت نقلة سيّد الجديدة البعيدة، مظهراً من مظاهر فضل الله وإنعامه، ونموذجاً عملياً لطبيعة هذا الدين العظيم!

كانت النقلة متدرّجة

لم ينتقل سيّد نقلته الجديدة الإيمانية فجأة، ولم يتحوّل بين يوم وليلة، من ذلك الحائر الضائع – الذي عرفناه في رحلة الضياع – إلى هذا المفكر الإسلامي الرائد.

كانت النقلة بالتدرّج، وكان التفاعل مع العالم الجديد بالتدرّج! بدأت النقلة عندما أقبل على القرآن الكريم، يدرّسه لدواعٍ أدبية، في مكتبة «القرآن الجديدة».

ووقف على بعض التوجيهات القرآنية الفكرية، التي سجّلها في كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام».

وسافر إلى أمريكا.. وهناك تعمقت معاني الإيمان في نفسه، وشعشع النور في شغاف قلبه، وأخذ على ضوئه يدرك سرّ الحياة وغايتها.

سمّى هذه الومضة الإيمانية «موسيقى الوجود» وقال إنه أحسّ بها مرتين: «مرة وأنا في عرض المحيط، والباخرة تمرّ مرّ الريح على وجه الخضمّ، والنسيم رخاء، والليل ساكن، والقمر مفضفض اللألاء.

والثانية وأنا على قمة جبل، تشرف على حديقة من الصخور، يسمونها هنا [في سان فرانسيسكو] «حدائق الآلهة»، وقد انكشف المرتقى والمنحدر كلاهما، واعتنقا عند تلك القمة الشاهقة في الفضاء.. لست أدري كيف أحسّست، ولست أدري كيف أقول، إلّا أنّ تعبيراً واحداً انسأب على لساني في تلك اللحظة، التي أوّضت في روحي كما توّضت الشعلة، فتكشف الطريق إلى بعيد ثم تغيب. تعبير واحد أحسّست فيه كلّ ما فاض على خاطري في تلك اللحظة من قدسية وشفافية وتسبيح «موسيقى الوجود»^(١).

أثّرت هذه الومضة الإيمانية في كيانه فوراً، واكتشف على ضوئها سرّ الحياة،

(١) مقال «موسيقى الوجود». مجلة الكتاب. المجلد التاسع. الجزء الرابع. أبريل ١٩٥٠م. صفحة: ٣٢٦.

وأعلنها وهو واقفٌ هناك — عند حديقة الآلهة في سان فرنسيסקو — «كلاً. إنها ليست
لُقيَ هذه الحياة. ولا وليدة المصادفة العمياء. . كلاً. إنَّ هناك نَغماً واحداً سارِباً في
هذا الكون كَلَّهُ، ولكن الأذان لا تسمعه في كل آن. وإن هناك نَسَقاً واحداً يضمُّ
الأشْآت، ولكن العيون لا تبصره في كل اللحظات.

وتساءَلَ هناك عن حقيقة ما يحسُّه: «هل خدَعْتَنِي الأوهام؟ وكذَّبْتَنِي الأحلام؟
كلاً. فإني لأَكْذِبُ ما تلمسه يدي، وما تراه عيني، وما تسمعه أُذني، ولا أَكْذِبُ مَسَّ
هذه اللحظة الخاطفة لروحي، وإشراقها في ضميري. .»^(١).

ثم استقرَّت حقيقة الإيمان في نفسه، وسيطرت على وجدانه وحسّه وفكره،
ووجَّهت مشاعره وأفكاره وأعماله، نحو الغاية المحددة.

وتذوَّقت روحه حلاوة الإيمان، فأحسَّ كأنه وُلِدَ من جديد، فضمَّ على الإيمان
جوانحه، وصارَ عليه حريضاً، وبه ضَنيّاً، واعتبره أغلى من كل شيء، بل أغلى
وأَنْفُسُ من حياته نفسها.

ووجدَ بهذا الإيمانِ الجوابَ الفاصلَ اليقينيَّ على أسئلته التي طالما حَيَّرْته في
رحلة ضياعه السابقة، والتي طالما وجَّهها إلى الأحياء والأموات. عَرَفَ من أين جاء؟
ولماذا جاء؟ وخط السير؟ عَرَفَ الغايةَ والنهايةَ، فاخْتَفَتْ عنه مشاعرُ القلقِ والشكِّ
والحيرة!

وكسب بهذا الإيمان كَسْباً عظيماً، في عالم الشعور وعالم التفكير! . .

حياته الإيمانية في ظلال القرآن

عاش سيِّد ما تبقى من عمره، حياة إيمانية إسلامية عظيمة، رفيعة سامية، في
ظلال القرآن الكريم.

قال عنها في مقدِّمة «الظلال»: «الحياةُ في ظلال القرآن نعمة. نعمة لا يعرفها
إلا مَنْ ذاقها. نعمة ترفعُ العمر وتباركه وتزكّيه. والحمدُ لله. لقد مَنَّ الله عليَّ بالحياة

(١) مجلة الكتاب — المرجع السابق — : ٣٢٧.

في ظلال القرآن، فترة من الزمان. ذُقْتُ فيها من نعمته ما لم أذُق قط في حياتي. ذُقْتُ فيها هذه النعمة التي ترفعُ العمر وتباركُه وتزكّيه. . .»

«عشتُ - في ظلال القرآن - أتملّي ذلك التّصوّرَ الكاملَ الشّامِلَ الرّفيعَ النّظيفَ للوجود. . . لغاية الوجود كلّهُ، وغاية الوجود الإنساني. وأقيسُ إليه تصوّراتِ الجاهلية، التي تعيشُ فيها البشرية، في شرقٍ وغربٍ، وفي شمالٍ وجنوب. . .»

«عشتُ - في ظلال القرآن - أحسُّ التّناسقَ الجميلَ بين حركة الإنسان كما يريدُها الله، وحركة هذا الكون كما أبدعه الله. . .»

عشتُ - في ظلال القرآن - أرى الوجودَ أكبرَ بكثيرٍ من ظاهره المشهود. . . أكبرَ في حقيقته، وأكبرَ في تعدّدِ جوانبه. . .»

«وفي ظلال القرآن تعلّمتُ أنه لا مكانَ في هذا الوجود للمصادفة العمياء، ولا للفلّة العارضة. . .»

«ومن ثمّ عشتُ - في ظلال القرآن - هادئ النفس، مطمئن السريرة، قدير الضمير. . . عشتُ أرى يدَ الله في كلّ حادث، وفي كلّ أمر. عشتُ في كنفِ الله وفي رعايته، عشتُ أستشعرُ إيجابية صفاته سبحانه وفاعليتها. . .»

«أيُّ طمأنينة ينشئها هذا التّصوّر؟ وأيُّ سكينَة يفيضُها على القلب؟ وأيُّ ثقة في الحق والخير والصّلاح؟ وأيُّ قوّة واستعلاء على الواقع الصغير، يسكبُها في الضمير؟»^(١)

سيدّ يعترف في الظلال بضياعه السابق

اعترف سيدّ في الظلال - في أكثر من موضع - بفضلِ الله عليه، ونقله له نقلًا بعيدة، من عالم الحيرة والتعب والضياح، إلى عالم الإيمان، والرضا واليقين.

أشار إلى الفرقِ بين مَنْ رُزِقَ نعمة الإيمان، ومَنْ حُرِمَ هذه النعمة، وكأنه يشيرُ إلى نفسه وضياعه السابق: «إن رصيّد الإيمان الذي تقومُ الأُمّةُ المسلمةُ حارسةً عليه

(١) مقتطفات من مقدمة «الظلال» ١ : ١١ - ١٤.

في الأرض، ووارثةً له منذ أقدم الرسالات، هو أكرمُ رصيدٍ، وأقومُهُ في حياة البشرية.
إنه رصيدٌ من الهدى والنور، ومن الثقةِ والطَّمَأْنِينَةِ، ومن الرِّضَا والسَّعَادَةِ، ومن
المعرفة واليقين.

وما يخلو قلبٌ من هذا الرصيدِ حتى يجتاحهُ القلقُ والظلام، وتعمره الوسواس
والشكوك، ويستبدُّ به الأسى والشقاء. ثم يروحُ يتخبطُ في ظلماء طاخية، لا يعرفُ أينَ
يضعُ قدميه في التيه الكئيب!

وصرخاتُ القلوب التي حُرمتْ هذا الزاد، وحُرمتْ هذا الأنس، وحُرمتْ هذا
النور، صرخاتٌ موجهة في جميع العصور... هذا إذا كان في هذه القلوب حساسيةٌ
وحيوية، ورغبةٌ في المعرفة، ولهفةٌ على اليقين... فأما القلوبُ البليدة الميته الجاسية
الغليظة، فقد لا تُحسُّ هذه اللهفة، ولا يُورِّقها الشوقُ إلى المعرفة...»^(١).

واعترف بصراحة بحالته السابقة، وما كان عليه فيها من ضياعٍ وتعبٍ وقلق،
وذلك أثناء حديثه عن نعمة الإيمان، وعن أثر الإيمان على المؤمن...

«إن الإيمانَ هو كبرى المنن التي يُنعمُ بها الله على عبده في الأرض.
إنه أكبرُ من منّة الوجود، الذي يمنحه الله ابتداءً لهذا العبد، وسائر ما يتعلقُ بالوجود من
آلاء الرزق والصحة والحياة والمتاع...»^(٢).

«ومن هذه المعرفة – التي يقدمها الإيمان للمؤمن – يستمدُّ المؤمنُ الطمأنينةَ
والسكينة، والارتياحَ لما يجري حوله، ولما يقع له.

فهو يعرفُ من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟ وماذا هو واجدٌ هناك؟...
ومن هذه المعرفة تختفي مشاعرُ القلق والشك والحيرة، الناشئة عن عدم معرفة
المنشأ والمصير، وعدم معرفة المطويِّ من الطريق، وعدم الثقة بالحكمة التي تكمنُ
وراء مجيئه وذهابه، ووراء رحلته في ذلك الطريق.

(١) الظلال ١ : ٣٤٢.

(٢) الظلال ٦ : ٣٣٥١.

يختفي شعورُ كشعورِ «الخيّام» الذي يعبرُ عنه بما ترجمته:

لَبِستُ ثَوْبَ العُمَرِ لَمْ أُستَشِرْ وَحِرْتُ فِيهِ بَيْنَ شَتَى الفِكْرِ
وَسَوْفَ أَنْضُو الثَّوْبَ عَنِّي وَلَمْ أَدْرِ لِمَاذَا جِئْتُ؟ أَيْنَ المَقَرِّ؟

ويختفي شعورُ كالشعورِ الذي عِشْتُهُ في فترةٍ من فترات الضياع والقلق، قبل أن أحيا في ظلال القرآن، وقبل أن يأخذَ اللهُ بيدي إلى ظلِّه الكريم. ذلك الشعور الذي خلَعْتُهُ رُوحِي المتعبَةُ على الكون كله، فعَبَّرْتُ عنه أقول:

وَقَفَ الكَوْنُ حَائِراً: أَيْنَ يَمْضِي؟ وَلِمَاذَا؟ وَكَيْفَ - لَوْ شَاءَ - يَمْضِي؟
عَبْتُ ضَائِعٌ وَجُهْدٌ غَبِينٌ وَمَصِيرٌ مُقَنَّنٌ لَيْسَ يُرْضِي^(١)

فأنا أعرفُ اليوم - والله الحمدُ والمِنَّةُ - أنه ليس هناك جهدٌ غبين، فكلُّ جهدٍ مجزِي. وليس هناك تعبٌ ضائع، فكلُّ تعبٍ مثمر. وأنَّ المصيرَ مُرْضٍ، وأنه بين يدي عادلٍ رحيم!

وأنا أشعرُ اليوم - والله الحمدُ والمِنَّةُ - أنَّ الكونَ لا يقفُ تلك الوقفةَ البائسةَ أبداً، فَرُوحُ الكونِ تؤمنُ برَبِّها، وتتجهُ إليه، وتُسَبِّحُ بحمده. والكونُ يَمْضِي وفقَ ناموسِهِ، الذي اختاره الله له، في طاعةٍ وفي رضا وفي تسليم!

وهذا كَسْبٌ ضَخْمٌ في عالمِ الشعورِ، وعالمِ التفكيرِ، كما أنه كَسْبٌ ضَخْمٌ في عالمِ الجسدِ والأعصابِ، فوقَ ما هو كَسْبٌ ضَخْمٌ في مجالِ العملِ والنشاطِ والتأثيرِ والتأثيرِ...»^(٢).

* * *

(١) بيتان من قصيدته «يوم خريف» التي نظمها عام ١٩٣٢م. ونشرها في «الشاطئ المجهول». وقد أشرنا لها أثناء كلامنا عن رحلة ضياعه.

(٢) الظلال ٦: ٣٣٥٢ - ٣٣٥٣.

(٢)

مراحل حياة سيد قطب الاسلامية

ارتباطاته السياسية السابقة

بدأ سيد قطب حياته السياسية مع حزب الوفد. وهو حزب ذو أغلبية شعبية، أسسه «سعد زغلول»، وسمي بهذا الاسم، أخذاً من حادثة «الوفد» من الزعماء المصريين، الذين اجتمعوا بزعماء الإنجليز، وفاوضوهم بشأن استقلال مصر، وكان هذا بعد ثورة ١٩١٩م.

والسبب في انتمائه لحزب الوفد منذ مطلع شبابه، هو إقامته عند خاله «أحمد حسين عثمان»، الذي كان وفدياً، ثم تعرف سيد على العقاد، وإعجابه به وبمكتبته، والعقاد كان وفدياً.

كان انتماء سيد لحزب الوفد وهو في مرحلة دراسته المتوسطة – عندما كان في تجهيزية دار العلوم – واستمر وفدياً أثناء دراسته الجامعية، في كلية دار العلوم. وقد فتحت المجلات والدرويات الوفدية صفحاتها أمام سيد قطب الوفدي، وصار ينشر فيها نتاجه الأدبي والسياسي.

بقي سيد مع حزب الوفد، ما يزيد على سبعة عشر عاماً، إلى أن وقع حادث «فبراير ١٩٤٢م».

ففي هذا الحادث، تقدّم السفير البريطاني في القاهرة بإنذار شديد، إلى الملك «فاروق» وطالبه فيه بإقالة رئيس الوزراء، وأمره بأن يعهد إلى «مصطفى النحاس» بتشكيل وزارة جديدة، وذلك خلال أربع وعشرين ساعة.

ورضخ الملك لإنذار السفير البريطاني، وعهد إلى زعيم حزب الوفد «مصطفى

النحاس» بتشكيل الوزارة الجديدة! وهكذا وصل حزب الوفد إلى الحكم، عن طريق الدبابات الإنجليزية، وبفضل الاستعمار البريطاني! وبذلك خسر حزب الوفد الكثير من شعبيته، وانفض عنه كثير من المؤيدين.

وكان سيد من أول أولئك الساخطين، الناقمين على الحزب وعلى زعيمه النحاس - الذي قبل بالتدخل الإنجليزي البغيض - فتخلى عن الحزب!

شكّل بعض الزعماء المنشقين عن حزب الوفد، بسبب ذلك الحادث حزب «الطليعة الوفدية» أو حزب «السعديين» - نسبةً إلى «سعد زغلول» مؤسس حزب الوفد - فانضمَّ سيد إلى الحزب الجديد.

بقي سيد مع حزب السعديين حتى عام ١٩٤٥م. بعد عام ١٩٤٥م تخلى عن الأحزاب كلها!

كتب في عام ١٩٤٥م مقالاً حاداً صارخاً عنيفاً، إلى قادة الأحزاب في مصر، سمّاه «عدّلوا برامجكم، أو انسحبوا قبل فوات الأوان»، ودعاهم فيها إلى تعديل برامج الأحزاب، لتلبي مطالب الشعب، أو الانسحاب من السياسة^(١).

وفي نهاية عام ١٩٤٥م، كتب مقالاً في الرسالة، سمّاه «أين أنت يا مصطفى كامل؟»، ومصطفى كامل هو مؤسس الحزب الوطني في مطلع هذا القرن. وهو زعيم وطني مخلص، أجمع المصريون على تقديره.

وقد أعلن سيد في هذا المقال، الحرب على الأحزاب المصرية كلها، كما أعلن رفضه لتلك الأحزاب، وخروجه منها، وعدم انتمائه لأيٍّ منها: «هذا القلم ليس لحزب من الأحزاب، فقد بات صاحبه لا يرى في الأحزاب إلا أقزاماً، بعد أن خلا الميدان من كل جبار، فهو بهذا يتوجّه إلى مصر الخالدة، وهي أخلد وأسمى»^(٢).

(١) انظر الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٢٧. سنة ١٩٤٥م. صفحة: ٧٢٣ وما بعدها.

(٢) الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٤٨. تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥م. صفحة: ١٣٠٩.

وقد بين سبب تركه للأحزاب، وصوّر شخصيات رجالها بقوله: «لم أعد أجد في حزب من هذه الأحزاب ما يستحقّ عناء الحماسة له، والعمل من أجله!

كلّهم سواء أولئك الرجال، رجال الجيل الماضي، للجميع عقلية واحدة لا تصلح لهذا الجيل، عقلية أنصاف الحلول، كلّهم نشأوا وفي نفوسهم أن إنجلترا دولة لا تقهر، وأن الفقر مرضٌ مستوطن... .

هؤلاء جميعاً، لم يعودوا يصلحون لقيادة الجيل الجديد، أعصابٌ منهوكة، وقلوبٌ خاوية من الإيمان الحارّ بشعبهم وأمتهم»^(١).

لم يكن سيّد قطب - وقد تخلّى عن الأحزاب كلّها عام ١٩٤٥م - ممّن ييأسون من الإصلاح، ولا ممّن يؤثرون القعود. ولذلك لم يجلس بعدها في بيته، يبكي على وطنه، ويندبُ حظه العاثر!

لقد كان لسيد - بعد تركه الأحزاب كلّها - جهودٌ فردية ملحوظة، في الدعوة إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي، وكتب مقالاته السياسية والاجتماعية في مجلات ذلك العهد، مثل «الرسالة» و«الثقافة» وغيرهما.

كما أنشأ مجلّتين لهذه الغاية الأولى هي «العالم العربي»، والثانية هي: «الفكر الجديد».

وكان منزله في «حلوان» منتدى سياسياً عاماً، يقصده الشباب المتلهّف على الإصلاح، ويستمع لتحليلات سيّد وآرائه وتوجيهاته.

استمرّ سيّد يعمل في الدعوة والإصلاح بمفرده، بدون انتماء لحزب من الأحزاب، ولا جماعة من الجماعات، حتى عام ١٩٥٣م، عندما وجد ضالّته في «جماعة الإخوان المسلمين»، فانضمّ إليها، واستمرّ معها إلى أن لقي ربه.

(١) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨١. تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦م. صفحات: ٧٩٦ - ٧٩٧.

مراحل حياته الإسلامية

قلنا - فيما سبق - إنَّ توجُّهَ سيِّد الإسلامى ، لم يكن فجأةً ، ولا على مستوى واحد ، وإنما كان متدرِّجاً ، ولذلك جاءتْ حياته الإسلامية على مراحل .
وقد قسم سيِّد قطب نفسه - وهو أدرى بنفسه وحياته - مراحلَ حياته خمسةَ أقسام :

ففى عام ١٩٥١م ، زار مصر الأستاذ «أبو الحسن علي الحسينى الندوى» ، واجتمع بسيِّد - وكان لسيِّد يومها توجُّهٌ إسلامى بارز - وذَكَرَ سيِّد للندوى مراحلَ حياته الخمسة :

* الأولى : نشأته على تقاليد الإسلام فى الريف ، وفى بيته .

* الثانية : انتقاله إلى القاهرة ، حيث انقطعتْ كلُّ صلةٍ بينه وبين نشأته الأولى ، وتبحَّرتْ ثقافته الدينية الإسلامية .

* الثالثة : مروُّه بمرحلة الارتياب فى الحقائق الدينية إلى أقصى حدود .

* الرابعة : إقباله على القرآن ، والنظرُ فيه لدواعٍ أدبية .

* الخامسة : تأثيرُ القرآن فيه ، حيثُ تدرَّجَ به إلى الإيمان والالتزام^(١) .

وقد قَسَمَ الأستاذ «يوسف العظم» حياةَ سيِّد قطب الإسلامية إلى ثلاثِ مراحل :

الأولى : الإسلامياتُ الفنية .

الثانية : الإسلامياتُ العامة .

الثالثة : الإسلامياتُ الحركيةُ الهادفة^(٢) .

وستكلم فيما يلى عن التحديدِ الزمنى لكلِّ مرحلة ، وخصائصِ كلِّ منها ، وسماتِ سيِّد الفكرية فى كلِّ منها .

(١) انظر كلام سيِّد ، للندوى فى كتاب الأخير «مذكرات سائح فى الشرق العربى» : ١٨٩ .

(٢) انظر «رائد الفكر الإسلامى المعاصر» ، ليوسف العظم : ١٤٩ - ١٥١ .

المرحلة الأولى : مرحلة الإسلاميات الفنية الأدبية

تبدأ هذه المرحلة، منذ إقبال سيّد على القرآن الكريم، يدرسه لدواعٍ وأغراضٍ أدبية.

وكان ذلك عام ١٩٣٩م، عندما نشر في مجلة «المقتطف» مقالاً بعنوان: «التصوير الفني في القرآن الكريم».

وقد بدأ مقاله بمقدمة، بيّن فيها أن القرآن - رغم ما قامت حوله من دراساتٍ أدبية بيانية - فإنه لم يُدرَس من الناحية الفنية دراسةً مستقلة حقيقية، وأعلن فيه أنه لا بد من دراسةٍ أدبيةٍ فنية، نقدية بيانية للقرآن «تكشف عما حوى من الجمال التصويري، وتشرح خصائصه الفنية، ولوازم أسلوبه، وحيوية تعبيره، وروحانية اتجاهه».

وذكر في مقاله الذي نُشر على حلقتين في مجلة «المقتطف» نماذج من الصور الفنية الرفيعة في القرآن.

وأشار في نهاية المقال إلى أن الموضوع - التصوير الفني في القرآن - خصبٌ مطوّل، وأنه في هذا المقال إنما فتح الباب أمام الباحثين لبحثوا فيه: «لم يكن قصدي مما قدّمْتُ إلّا ضرب الأمثلة، ولفت النظر. فلم أكن أنوي الاستقصاء، وما يزال وراء ذلك ما لم أذكر. والموضوع خصبٌ، وصالحٌ للدراسات المستفيضة...».

ثم قال: «تلك عجالة في هذا البحث البكر الخصب، ولعلّها تكون مقدّمةً لبحثٍ شامل كبير إن شاء الله»^(١).

وانتظر سيّد ستة أعوامٍ كاملة، ولم يتوجّه أحدٌ من دارسي القرآن إلى طرق هذا الموضوع!

وفي ربيع عام ١٩٤٥م، قدّم سيّد للقراء كتابه القرآنيّ الإسلاميّ الرائع الأول «التصوير الفني في القرآن»، الذي صدر في أبريل - نيسان - ١٩٤٥م. والذي سجّل

(١) انظر «المقتطف» مجلد ٩٤. الجزءان الثاني والثالث. فبراير ومارس ١٩٣٩م. وانظر كتابنا «نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب» فصل «سيّد قطب رائد نظرية التصوير».

فيه اكتشافه للنظرية الفنية الجمالية الرائدة في الأسلوب القرآني . وهي «التصوير الفني» ، القاعدة المطردة في أسلوب التعبير القرآني .

وقال في مقدمة الكتاب : «ومرّت السنوات ، وصورُ القرآن تُخايلُ لي ، وتترأى فيها آثارُ الإعجاز الفني . وكلّما عدتُ إليها ، قوّي في نفسي أن أتولّى البحث الذي تركته ، فلم يحاوله أحد ، وأن أكمله وأتوسّع فيه . وظللتُ أعكفُ على القرآن بين الحين والحين ، أتملّى صورَهُ الفريدة ، فتزداد فكرة البحث في نفسي رسوخاً ، ثم تَشغَلُنِي عنه الشواغل ، فيرتدُّ أمنيّة في الضمير ، ورغبة في الشعور . إلى أن شاء الله أن أتوفّر عليه في هذا العام»^(٢) .

وقد أعجبَ بالكتاب الأدباء والنقاد والمثقفون ، وأشادوا به ، وقرّظه بعضهم على صفحات المجلات – وبخاصّة «الرسالة» – مثل : عبد المنعم خلاف ، وعلي الطنطاوي ، وعلي أحمد باكثير ، وعبد اللطيف السبكي ، ونجيب محفوظ ، وتوفيق الحكيم ، وأحمد الشرباصي ، وغيرهم .

مشروع سيد «مكتبة القرآن الجديدة»

اعتبرَ الأدباء والنقاد سيّد قطب رائدَ نظرية جمالية قرآنية ، وهي «نظرية التصوير» ، واعتبروا كتابه اكتشافاً للنظرية ، لا مجرد تأليف في بيان القرآن وبلاغته ! .

وقرّر الأستاذ علي الطنطاوي – بعدما قرأ الكتاب – أن الله ادّخر له مفتاحاً خاصاً ، فتح به كنوز القرآن البيانية ، وأنه لم يُعطِ هذا المفتاح لأحد من السابقين .

وقد بيّنا في كتابنا الذي خصّصناه لتلك النظرية «نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب» أن الله خصّ سيّد بمفتاحين اثنين ، فتح بهما كنوز القرآن المذخورة :

* الأول : المفتاحُ الجمالي في مشروع «مكتبة القرآن الجديدة» ، وأساسُ المكتبة هو كتابه الرائد «التصوير الفني في القرآن» .

* الثاني : المفتاحُ الحركي في تفسيره الحركي الرائد «في ظلال القرآن» .

فكّر سيّد إذن – عام ١٩٤٥ – أن يعدّ مشروعاً أدبياً نقدياً ، أسماه «مكتبة

القرآن الجديدة» .

(١) التصوير الفني في القرآن ، لسيد : ٧ – ٨ .

وجعل هدفه من هذه المكتبة القرآنية: «أن يتوجّه البحث في جمال التعبير القرآني كلّ هذا الاتجاه، وأن ننظر إلى هذا الجمال الخالد من زاوية أخرى، غير زاوية البلاغة المعهودة، القائمة على أساس المعاني والألفاظ»^(١).

وكرّر في أكثر من موضع، وركّز على أن هدفه من «مكتبة القرآن الجديدة»، هدف فني بياني أدبي جمالي، وبين أن دراسته للقرآن في هذه المكتبة دراسة أدبية نقدية. قال في مقدمة «مشاهد القيامة في القرآن» عن هذا الهدف: «وفي اعتقادي أنني لم أصنع بهذا الكتاب، وبسابقه [التصوير الفني] ولن أصنع بلواحقه، إلا أن أردّ القرآن في إحساسنا جديداً، كما تلاه العرب أوّل مرة، فسُحروا به أجمعين. فلا أقلّ من أن يُعاد عرضه، وأن تُردّ إليه جدّته. وأن يُستقذّر من ركام التفسيرات اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية والأسطورية أيضاً، وأن تُبرز فيه الناحية الفنية، وتُستخلص خصائصه الأدبية، وتنبّه المشاعر إلى مكامن الجمال فيه. وذلك هو عملي الأساسي في مكتبة القرآن»^(٢).

كما أكّد على أنه ينظر في أسلوب القرآن وتعبيره، بعين الناقد الأدبي، ويتدبّره بحاسته الأدبية النقدية الذوقية: «فهدفي هنا هدف فني خالص محض، لا أتأثّر فيه إلا بحاسة الناقد الأدبي المستقل. فإذا التقت في النهاية قداسة الفن بقداسة الدين، فتلك نتيجة لم أقصد إليها»^(٣).

وبعد عامين من صدور كتاب «التصوير الفني»، وفي أبريل - نيسان - عام ١٩٤٧م أصدر كتابه الإسلامي القرآني الثاني، - والثاني في «مكتبة القرآن الجديدة» - وهو كتاب «مشاهد القيامة في القرآن». وجعله مقصوداً على بيان «التصوير الفني» في موضوع من موضوعات القرآن «مشاهد القيامة»، بما فيها من مشاهد النعيم الحسية والمادية في الجنة، ومشاهد العذاب الحسية والمادية في النار.

وكان ينوي متابعة إصدار الدراسات في هذا الموضوع، واستمرار البحث في

(١) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٦٥٣. يناير ١٩٤٦م. صفحة: ١٤.

(٢) مشاهد القيامة في القرآن: ٨.

(٣) المرجع السابق: ١٠.

هذا المشروع - «مكتبة القرآن الجديدة» - .

فقد أعلن عن عزمه على إصدار كتبٍ أخرى، وهي :

١- القصة بين التوراة والقرآن .

٢ - النماذج الإنسانية في القرآن .

٣ - أساليب العرض الفني في القرآن .

٤ - المنطق الوجداني في القرآن .

ولكنه لم يُصدر واحداً منها، بل عدلَ عنها، وانتقل إلى دراساتٍ أخرى للقرآن، وهي الدراسات الفكرية التي أوصلته لها المرحلة الثانية من حياته الإسلامية .

إذن كان أول اتصالٍ علمي لسيد بالقرآن اتصالاً أدبياً فنياً نقدياً .

وكانت المرحلة الأولى من حياته الإسلامية، هي المرحلة الرابعة من حياته العامة، التي قال هو للندوي عنها: إنه أقبل على القرآن يدرسه لدواعٍ أدبية .

ولقد صدق «عادل حمودة» عندما قال عن هذه المرحلة الإسلامية الأولى من حياته: «اكتشف سيد قطب الإسلام بمنظار النقد الأدبي»^(١) .

أقبل سيد على القرآن إقبالاً أدبياً، ودرسه دراسةً جماليةً نقدية، ولكن القرآن قاده إلى عالم الإيمان .

ولذلك بدأ سيد كتاب «التصوير الفني»، بعنوانٍ مثير «لقد وجدت القرآن»، بين فيه خلاصةً موجزةً لتعامله مع القرآن، منذ طفولته حتى إعدادِه هذا البحث، الذي وجد فيه القرآن: «وحيث انتهيت من التحضير للبحث. وجدتني أشهد في نفسي مولد القرآن من جديد. لقد وجدته كما لم أعهده من قبل أبداً»^(٢) .

نعم، لقد وجد القرآن، فدرسه لدواعٍ أدبية ونقدية وفنية وجمالية .

وبالقرآن وجد الإيمان، الإيمان الحي المؤثر الفاعل .

(١) سيد قطب من القرية إلى المشنقة: ٦٨، وانظر ما بعدها .

(٢) التصوير الفني في القرآن: ٨ .

بدأت مرحلة الإسلاميات الفنية الأدبية، بكتابة سيّد لمقال «التصوير الفني في القرآن»، وانتهت عام ١٩٤٧م، بطباعته لكتاب «مشاهد القيامة في القرآن»، أي أن هذه المرحلة استغرقت من عمره حوالي ثماني سنوات.

المرحلة الثانية: الإسلاميات الفكرية العامة

وقد أوصلته المرحلة الأولى إلى هذه المرحلة، أي أن دراسته الأدبية الفنية للقرآن، قادتّه إلى الوقوف على التوجيهات القرآنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك. ومن هنا دخل عالم الفكر الإسلامي الإصلاحي.

بدأت هذه المرحلة منذ عام ١٩٤٧م – وهو العام الذي طبع فيه «مشاهد القيامة في القرآن»، وانتهت به مرحلته الأولى – وانتهت هذه المرحلة عام ١٩٥٣م – وهو العام الذي انضم فيه إلى جماعة الإخوان المسلمين رسمياً –.

وهذه المرحلة الثانية هي الخامسة من مراحل حياته التي ذكرها لأبي الحسن الندوي. وهي «تأثير القرآن فيه، حيث أوصله إلى عالم الإيمان والالتزام».

وفي هذه المرحلة كان ذهابه إلى أمريكا، وفي هذه المرحلة كانت له جهود في الإعداد للثورة، ولما قامت كانت له صلات وثيقة مع رجالها في أول أيامها.

وفي هذه المرحلة أصدر عدداً من الكتب الإسلامية الإصلاحية، وهي:

١ – العدالة الاجتماعية في الإسلام. وهو أول كتاب فكري إسلامي له. وقد كتبه بعد عام ١٩٤٧م، وطبع الكتاب عام ١٩٤٩م، لما كان سيّد في أمريكا.

٢ – معركة الإسلام والرأسمالية، وقد ألفه بعد عودته من أمريكا. وطبعه في مطلع عام ١٩٥١م.

٣ – السلام العالمي والإسلام، وقد صدر في نهاية عام ١٩٥١م.

٤ – دراسات إسلامية، وقد ضم ستاً وثلاثين مقالة إسلامية، نشرها سيّد في عدة مجلات، وصدر الكتاب عام ١٩٥٣م.

٥ – في ظلال القرآن: الذي بدأ إصداره في أكتوبر ١٩٥٢. وفي الفترة ما بين «أكتوبر» ١٩٥٢م إلى «يناير» ١٩٥٤م، أصدر ستة عشر جزءاً من الظلال.

العدالة الاجتماعية في الإسلام

وقد كانت مصر تعيشُ مرحلةً خطيرة، بعد الحرب العالمية الثانية، من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

كان في مصر جيشُ الاحتلال الإنجليزي، وكان فيها الملكُ الفاسد «فاروق»، ووطنه وحاشيته، وكان فيها الأحزابُ المختلفة المتناحرة، وكان فيها الباشواتُ وكبار الملاك والإقطاعيون وأغنياء الحرب. وبقيتْ غالبيةُ الشعب المصري على حالتها، من الفقر والجوع والحرمان، وحدثت الهزاتُ الاجتماعيةُ الخطيرة.

ونشط الشيوعيون في الدعاية لمذهبهم، وراحوا يُمنّون الفقراء والعمال والفلاحين بجنتهم الموهومة، واستغلّ الشيوعيون هذه الأوضاع العفنة، ومعلوم أن الشيوعية لا تنشط إلا في الأجواء الموبوءة والمجتمعات المريضة!

وكان سيد قطب يعيشُ هذه المآسي، وتزعجُه تلك المظاهر الاجتماعية الشائنة.

ومن جانبٍ آخر، أدام نظراته في القرآن، وأطال الوقوف أمام آياته، ووجد فيها توجيهاتٍ إصلاحية، في الأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وفهم عن آيات القرآن ما تقدّمه له، وما توحى به من مقرراتها وإيحاءاتها ودلالاتها. ووضع يده على كثير من الحقائق القرآنية بهذا الخصوص.

وعرف أن الإصلاح السياسي والعدالة الاجتماعية، ليست عند الشيوعيين ولا عند الغربيين، وإنما هي في آيات القرآن، وحقائق الإسلام.

وألهمه الله استخدام هذا المصطلح «العدالة الاجتماعية»، وبذلك رفض المصطلحين الآخرين، الشائعين في الأوساط الاجتماعية والإصلاحية، وهما «الشيوعية» و«الاشتراكية»!!

وكان كتابه الشهير «العدالة الاجتماعية في الإسلام» وبه تحوّل سيد من كاتب، إلى مفكر إسلامي، وبه عاش مرحلة «الإسلاميات الفكرية العامة»، وبه بدأ سيره الحثيث نحو الفكر الإسلامي الذي أصبح رائداً له.

وقد أحدث الكتابُ ضجةً - فور صدوره - في مختلف الأوساط:

- ١ - فالأوساط الشيوعية حاربتَه، واعتبرتْ صاحِبَه من ألدِّ أعدائِها، لأنَّه يفتحُ عيونَ المظلومين على بابٍ آخر، غيرِ الباب الذي يدعونهم هم إليه.
 - ٢ - والأوساطُ الغربيَّة الراصدة لاتجاهاتِ الإصلاح في المجتمع، حاربتَه واعتبرتْ صاحِبَه صاحب دعوة إسلامية، والإسلامُ ودعائُه أعداءُ لهم.
 - ٣ - والأوساطُ الحكوميَّة الرسميَّة، اعتبرتْ الكتاب، وتوجَّه سيّد الجديد، انتصاراً لفكرٍ ودعوةٍ خصومِها «الإخوان المسلمون»، الذين كانوا - وقتَ إصدارِ الكتاب - في السجون والمعتقلات، جزاءً لهم على قتالِ اليهود في فلسطين!! ولذلك حاربتْ هذه الأوساطُ الكتاب.
 - ٤ - لكن الأوساطُ الإسلاميَّة - وبخاصَّةٍ شبابُ الإخوان المسلمين - فرحوا بالكتاب، وأعجبوا به، واعتبروه إضافةً كبيرةً في الدعوة الإسلاميَّة، واعتبروا توجَّه سيّد الفكريِّ الإسلامي كسباً للدعاة إلى الله، واعتبروه قريباً جداً من الإخوان المسلمين، واعتبره بعضهم في طريقه إلى الإخوان، إن لم يعتبره بعضهم من الإخوان فعلاً!
- وأقبلَ شبابُ الإخوان على الكتاب، يدرسونَه ويتفاعلون معه.

مجلة «الفكر الجديد»

وفي هذه المرحلة من حياته الإسلاميَّة، أصدر سيّد مجلة «الفكر الجديد». حيث صدرَ العددُ الأوَّل منها في يناير ١٩٤٨م. ولم تستمرَّ إلا ثلاثة أشهر، حيث أغلقتها الحكومةُ في مارس ١٩٤٨م، بعد صدور اثني عشر عدداً منها.

وقد تكلمنا عن هذه المجلة بالتفصيل، أثناء حديثنا عن جهود سيّد في الصحف والمجلات.

ويهمُّنا هنا أن نقرِّر الطابعَ الإصلاحيَّ الإسلاميَّ الجريءَ القويَّ الحاد للمجلة، ولمقالاتِ سيّد فيها، مما جعل الحكومة تضيقُ ذرعاً بها وتغلّقها.

ومن عناوين مقالاته فيها: «فلنؤمنُ بأنفسنا»، «أفخاذ ونهود»، «أنتم أيها المترفون تزرعون الشيوعية زرعاً»، «وضع مقلوب في جوائز فؤاد الأول، درس في الكرامة

لأساتذتنا الكبار»، «أولاد الذوات وبناتهم هم نَتْنُ الأرض ولعنةُ السماء»، «تحرروا يا عبيد الأمريكان والروس والإنجليز»، «يا شبان الوادي تأهبوا واستعدّوا»، «ليس الشعب متسوِّلاً، فردّوا له حقوقه، وهو غني عن برّكم».

وهي عناوينُ حادةٌ صارخةٌ عنيفةٌ جريئةٌ، تدل على عقليةٍ سيِّد، وطريقتهِ في التفكير، وأسلوبهِ الهجوميّ في التعبير، وجرأتهِ في الإصلاح.

مقالاته في المجالات الإصلاحية الجادة

بعدما عادَ من أمريكا عام ١٩٥٠م، عادَ بهمةٍ عالية، وهدفٍ رفيع، ورسالةٍ إصلاحيةٍ إسلامية، يريدُ تحقيقَها. ووجدَ الأمورَ في مصرَ تزدادُ سوءاً، والحياةُ الاجتماعيةُ والسياسيةُ تزدادُ تدهوراً، والشعبُ يزدادُ معاناةً، فقامَ بواجبه في الإصلاح والتغيير على أساس الإسلام.

ومارسَ دعوتهُ للإصلاح في عدةِ وسائل: الكتابةُ في الصحف والمجلات، كتابةُ الكتب من الميدان، إلقاءُ المحاضرات والاشتراك في الندوات، الذهابُ إلى المنتديات، الإعدادُ الخفيُّ والعلنيُّ للتغيير والإصلاح.

ويقول هو عن جهوده في ذلك: «واستغرقتُ أنا عام ١٩٥١م في صراعٍ شديدٍ بالقلم والخطابة والاجتماعات، ضدَّ الأوضاعِ الملكية القائمة، والإقطاعِ والرأسمالية. وأصدرتُ كتابين في الموضوع^(١). غيرَ مئاتِ المقالاتِ في صحفِ الحزب الوطني الجديد، والحزب الاشتراكي، ومجلةِ الدعوة التي أصدرها الأستاذ صالح عشاوي، ومجلةِ الرسالة، وكلُّ مجلةٍ أو جريدةٍ قبلتُ أن تنشرَ لي»^(٢).

كانت أعنفُ مقالاته، التي تنشرها له مجلةُ «الاشتراكية» لسان حال «الحزب الاشتراكي» الذي شكله «أحمد أمين».

وكانت أهدأ مقالاته، تلك التي تنشرها له مجلةُ «الدعوة» لصاحبها «صالح عشاوي».

(١) هما كتابا «معركة الإسلام والرأسمالية» و«السلام العالمي والإسلام».

(٢) كتاب «لماذا أعدموني» أو «كلماتي الأخيرة». وهو اعترافه أمام المحققين عام ١٩٦٥م.

بينما كانت مقالاته في صحيفة «اللواء الجديد» لسان حال «الحزب الوطني الجديد» برئاسة فتحي رضوان، متوسطة بين العنف الحاد والهدوء القوي!

مدارس للسخط

اخترنا مقالين من مقالاته الثورية العنيفة في هذه المرحلة، مقالين ثوريين، لكنهما من أهدأ مقالاته، لأنه نشرهما في مجلة هادئة جداً، هي مجلة «الرسالة».

● الأول مقال: «مدارس للسخط». وقد بدأه بقول أحد أصحابه معاتباً له:

«أما تفتأ هكذا ساخطاً على جميع المظاهر والأوضاع؟ أرخ أعصابك يا أخي، ودع الخلق للخالق. إنه لا فائدة. لا فائدة من كل هذه التصرفات!!!»

قلت لصاحبي: أما أنا فساظِلُّ ساخطاً، أعلن سُخْطِي على كل شائِه من المظاهر والأوضاع...

وقلت لصاحبي: إنه لو وُكِّلَ إليَّ الأمر، لأنشأتُ ضعفَ هذه المدارس التي تنشئها الدولة، لأعلمَ الشعبَ فيها شيئاً واحداً، هو: السُّخْطُ!

السُّخْطُ على الأوضاع والمظاهر الشائِهة، التي تسيطر على حياة هذا الجيل في كل اتجاه. فالسُّخْطُ هو دليلُ الحيوية الكامنة، والرضا بهذه الحال الدائمة، هو نوعٌ من اليأس والتشاؤم، يقتلُ الأمم أو يؤدي بها إلى الاضمحلال!

أجل! لو وُكِّلَ إليَّ الأمر، لأنشأتُ مدرسةً للسُّخْطِ على هذا الجيل، من رجال السياسة في هذا البلد...

ومدرسةً للسُّخْطِ على أولئك الكتّاب والصحفيين...

ومدرسةً للسُّخْطِ على أولئك الوزراء...

ومدرسةً للسُّخْطِ على أولئك الباشوات وغير الباشوات...

ومدرسةً للسُّخْطِ على أولئك «الأرستقراط»، الذين يعرفون من هم...

ومدرسةً للسُّخْطِ على أولئك الذين ليسوا «أرستقراط»...

ومدرسةً للسخط على محطة الإذاعة، تلك المحطة التي تنقل ما في المواخير
والصلوات . . .

ومدرسةً للسخط على تلك الصحافة «الداعرة» . . .

وأخيراً مدرسة للسخط على هذا الشعب، الذي يسمح بكل هذه «المساخر»
ويتقبل كل الأوضاع، دون أن ينتفض فينبذ هؤلاء وأولئك جميعاً . . .

مدارسُ للسخط! ما أحوج هذا الشعب منها إلى الكثير، إنه لأحوج إليها من
الطعام والشراب . . .

إنما تنشئها الأقلامُ الجادة المخلصة . . وإنها لفريضةٌ على كل صاحب قلم،
ولن تضيع صرخةً واحدة مع الهواء، فالهواءُ أحفظ للأصدا . . ولا يأس مع
الحياة! (١) . . .

● المقال الثاني «سأم» وقد نشره قبل أسابيع من قيام الثورة. حيث نشره في
الصفحة الأولى من مجلة «الرسالة». بتاريخ ١٩ مايو ١٩٥٢م.

بدأ المقال بقوله: «ذلك الذي تلمحه على وجوه الناس في هذه الأيام، وتلمسه
في أحاديثهم في كل مكان . . .

سأم من كل شيء، ومن كل فكرة، ومن كل عمل، ومن كل أحد، ومن كل
اتجاه . . .

سأم هو مزيج من ألمٍ قد مات! ومن يأسٍ من الأعمال والرجال، ومن «قرِفٍ»
شامل، ومن استهتار . . .

يقلبُ الناسُ صفحات الصحف، ويمرون على العنوانات الضخمة بدون
اكتراث، كأن لم يعد شيء يدعو إلى الاكتراث . . .!

في الحياة السياسية «سأم . سأم . سأم تموت منه الكلمات في الشفاه» .

(١) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة، المجلد الثاني. عدد: ٦٩١. تاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٤٦م.
صفحات: ١٠٨١ - ١٠٨٢.

في الأزمات الاقتصادية الخانقة «لم يعد أحد يشكو. إنه ما فائدة الشكوى؟ ما جدوى الألم؟ سأم. سأم. سأم تموت منه الكلمات في الشفاه».

«هل مصر بلد مجنون؟.. أم إنني أنا المجنون؟ لأنني لا أفهم أن في مصر مصالح، وأن في مصر شركات؟.

ثم مالي لا أصمت كما يصمت الناس والشعب في هذه الأيام؟ ألا أحس ذلك السأم الذي يرين على الوجوه؟ ألا أشعر بذلك الهم الجاثم على الصدور»^(١).

هذه نماذج لنشاطه الإصلاحي في مرحلته الإسلامية الثانية، مرحلة الإسلاميات الفكرية العامة.

إن سيد عاش آلام الشعب، ولاحظ حاجاته الضرورية، ولم يشأ أن يعتزل في بيته، كما فعل فريق من الأدباء والكتاب والمثقفين، بل نزل إلى المجتمع، وتعامل مع الناس، وتبنى مشكلاتهم وقضاياهم.

كانت حياته الإسلامية الفكرية دعوة إلى الإصلاح والثورة والتغيير، وإنكاراً للمنكرات العامة والخاصة، في كل نواحي الحياة في المجتمع!...

المرحلة الثالثة: مرحلة الإسلاميات الحركية

المقصود بالإسلاميات الحركية هو: الفهم الصحيح الشامل للإسلام، كما هو في الكتاب والسنة، وإدراك خصائصه ومقوماته، والوقوف على طبيعته، وملاحظة مهمته، والالتفات إلى سمة «الإيجابية الواقعية المؤثرة الحركية» فيه.

وبعد الفهم الحركي الإيجابي للإسلام، الالتزام به في التصور والفكر، وفي العبادة والذكر، وفي السلوك والمعاملة.

ثم القيام بالجهد العملي، وتقديم «شهادة الحق» عملياً، لهذا الإسلام، والانتقال به إلى الميدان، ميدان الجهاد والدعوة والمواجهة، مواجهة الجاهلية، ومجاهدة أصحاب الباطل.

(١) مجلة الرسالة. السنة العشرون. المجلد الأول. عدد: ٩٨٥. تاريخ ١٩ مايو ١٩٥٢م. صفحات: ٥٤٥ - ٥٤٦.

ولقد تحققَ هذا الأمرُ لسيّد قطب في المرحلة الثالثة أحسنَ تحقيقٍ، وقامَ به خيرَ قيامٍ، وأدّاه أفضلَ أداءٍ، وقَدّمَ دراساتٍ حركية أصيلة - في الظلال والخصائص والمقومات والمعالم وهذا الدين - وبذلَ جهوداً عمليةً دعويةً حركيةً، خَتَمَها بتقديم روحه فداءً هذه المعاني، ومغادرته هذه الدنيا شهيداً في سبيل الله - إن شاء الله - .

تبدأ هذه المرحلة منذ عام ١٩٥٣م، عندما انتمى سيّد لجماعة الإخوان المسلمين، وانتظمَ في صفوفها.

وتنتهي هذه المرحلة باستشهاده في ٢٩/٨/١٩٦٦م.

وهذه المرحلة هي أفضل مراحل حياته الإسلامية، وأكثرها عطاءً وبركة، وجهاداً ودعوة، وفكراً وتربية!!

سيّد رائد الفكر الحركي الإسلامي

تُعتبرُ هذه المرحلة مرحلة النضج الفكري والحركي لسيّد قطب، وكلما تقدّمت أيامٌ وسنواتُ هذه المرحلة، كلما ازدادَ سيّد نضجاً وإدراكاً ووعياً وحركة. واستمرَّ يرتقي ويتدرّج في هذه المعاني الحركية العظيمة، ويصلُ فيها إلى مقرّراتٍ وحقائق جديدة، ويرتادُ فيها مجالاتٍ جديدة، حتى وافاه الأجل، ولقيَ الله شهيداً، وهو الأكثرُ وعياً ونضجاً وحركة ونشاطاً، ودعوة وتنظيماً وجهاداً!

وصورة سيّد في هذه المرحلة التي استقر عليها هي الصورة الأخيرة النهائية، التي ظهرَ فيها على الناس، فرأه الناسُ عليها، وعرفوه من خلالها، وتعاملوا معه مفكراً إسلامياً حركياً أصيلاً.

وهذه الصورة هي التي يحبُّ سيّد أن يُعرَفَ بها، ومن خلالها، وأن يُقدّمَ فكره على أساسها.

أمّا المراحلُ السابقة، فهي مراحلُ تاريخية ماضية، مرّت وانتَهت، وليس لها بالنسبة له إلّا البعدُ التاريخي. وكلُّ مَنْ تكلمَ عن تلك المراحل السابقة، فليتكلمْ عليها بهذا الاعتبار. يعرضُها ويبينُها، ويُعرِّفُ سيّد فيها، ويقدّمُ فكره وملامحه من خلالها، لكن لا يكتفي بذلك، ولا يتوقّفُ عند مرحلة منها، ثم يختمُ البحثَ ويطوي

الأوراق!! لا يتوقف عندها لأن سيّد لم يتوقف عندها، وبما أن سيّد اجتازها إلى ما بعدها، واستقرت مسيرة حياته عند المرحلة الإسلامية الحركية، فلا بد للباحث والدارس والمحاضر والمتكلم، وهو يعرض لسيّد، أن يتوقف عندما توقف عنده سيّد، وأن يعرض سيّد على الناس في الصورة التي قدّمها سيّد نفسه، وارْتضاها في آخر عمره، وارْتضاها الله سبحانه له.

قدّم سيّد في هذه المرحلة كتباً وأبحاثاً، ودراساتٍ واعيةً ناضجة، حوت خلاصة فهمه للإسلام، وتدبره للقرآن، وتصوّره للعمل والدعوة والحركة والجهاد.

وأصبح سيّد بهذه الأبحاث والدراسات، رائداً للفكر الإسلامي المعاصر، من حيث عرضه وبيانه، ومن حيث الإضافات عليه، ومن حيث مجاهدة الجاهلية به، ومن حيث إعادة صياغة المسلم على أساسه.

والكتب التي أصدرها في هذه المرحلة هي: في ظلال القرآن – وبخاصة الطبعة المنقحة – وهذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، والإسلام ومشكلات الحضارة، وخصائص التصور الإسلامي، ومقومات التصور الإسلامي، ومعالم في الطريق.

بعض أعماله في هذه المرحلة

قلنا إن هذه المرحلة تبدأ منذ عام ١٩٥٣م، حيث انتظم سيّد قطب عملياً في صفوف جماعة الإخوان المسلمين.

ومن أبرز أعماله في هذه المرحلة:

إسناد قيادة الإخوان المسلمين أعمالاً ثقافية دعوية له، مثل إصداره جريدة «الإخوان المسلمون» فترة قصيرة، وإلقاء أحاديث «الثلاثاء» أحياناً في المركز العام للإخوان المسلمين، وإلقاء أحاديث ومحاضرات إسلامية في مناسبات إسلامية.

وقد حضر في ٢/٣/١٩٥٣م إلى دمشق، مندوباً عن «لجنة الدراسات الاجتماعية المصرية» إلى مؤتمر «الدراسات الاجتماعية» المنعقد فيها، وألقى في المؤتمر كلمة عن «التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكامل الاجتماعي»^(١).

(١) رائد الفكر الإسلامي المعاصر، ليوسف العظم: ٣٨.

وفي دمشق التقى مع قادة العمل الإسلامي في سوريا. والتقطت له صورة مع كل من الأستاذين: علي الطنطاوي، وعصام العطار.

وفي كلية الآداب - جامعة دمشق - ألقى محاضرة مؤثرة، قال عنها «محمد الياسين» - مرافقه مدة وجوده في سوريا - : «كانت محاضرة رائعة، حلق فيها سيد قطب، خلال ساعتين من الزمان، يبحث في جمال التعبير القرآني، ويضع أيدينا على جوانب الإعجاز، ولم يكن بيده كتاب ولا ورقة»^(١).

ولما انتهى المؤتمر في دمشق، توجه سيد قطب لزيارة الأردن عن طريق البر، ويروي الأستاذ يوسف العظم أن السلطات الأردنية يومها منعت من دخول الأردن، بأمر من القائد الإنجليزي «جلوب» الذي كان يومذاك يحكم في الأردن كما يشاء^(٢)!!

وفي ٢/١٢/١٩٥٣م جاء سيد قطب إلى القدس، ممثلاً للإخوان المسلمين في المؤتمر الإسلامي الشعبي المنعقد في القدس. «ولولا أن وفود المؤتمر كانت في زيارة جماعية، لحيل بينه وبين الدخول في المرة الثانية، كما حيل بينه وبين الزيارة الأولى!»^(٣).

ومن أبرز ما جرى له في هذه المرحلة، إدخاله السجن، مع العديد من أفراد جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م، حيث عذب مع إخوانه تعذيباً رهيباً بشعاً، ثم حوكم أمام محكمة يرأسها الضابط «جمال سالم» عام ١٩٥٥م، وأصدرت المحكمة عليه حكماً بالسجن خمسة عشر عاماً. قضى منها حوالي عشر سنوات ثم أخرج عنه بعفو صحي عام ١٩٦٤م.

ومن أهم أعماله في هذه المرحلة، قيادته التنظيم الإخواني الجديد، فكرياً أولاً، ثم عملياً وفعلياً بعدما خرج من السجن، إلى أن أُلقي القبض عليه في آب «أغسطس» ١٩٦٥م، حيث عذب تعذيباً لا يكاد يوصف، ثم حوكم أمام محكمة يرأسها الضابط «فؤاد الدجوي»، وحكم عليه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم بعد ذلك.

(١) مجلة الشهاب. السنة الرابعة. العدد الحادي عشر. تاريخ ١٥/٨/١٩٧٠م. صفحة: ٩.

(٢) رائد الفكر الإسلامي، للعظم: ٣٨.

(٣) المرجع السابق: ٣٨ - ٣٩.

كانت حياة سيد قطب في هذه المرحلة الأخيرة المباركة من حياته، عطاءً متجدداً متواصلاً، عطاءً بدون توقُّف، سواء كان العطاء فكرياً تربوياً، من خلال كتبه الحركية الناضجة التي أصدرها، أو كان عطاءً عملياً واقعياً، من خلال ملحمة الرائعة التي كتبها في سجنه بصموده وثباته، وجراته وشجاعته، وصبره واستعلائه، ومن خلال إنشائه وقيادته للتنظيم الإخواني الجديد: «وكان الأهم من كل ذلك - نفسياً - أن أعاد اتصالاته مع الإخوان المسلمين، داخل السجون وخارجها، وأنشأ أرقى أشكال التنظيم الإسلامي، سريةً وفاعليةً في مصر. . وكان هذا الإنشاء يُعتبر عملية انتحار - إن جاز التعبير - في الظروف الرهيبة، التي كانت تسود أرض الكنانة!!»^(١).

* * *

(١) سيد قطب، لبركات: ١٩.

(٣)

مشاهد

من حياة سيّد قطب الإسلاميّة

الأول

سيد قطب مع رجال الثورة

التخطيط الإخواني المسبق للثورة

أجمع المؤرخون من الإخوان المسلمين – ومعهم المنصفون من المؤرخين المحايدين – على التخطيط الإخواني المسبق للثورة المصرية، وأن هذا التخطيط بدأ في الأربعينيات.

جاء هذا الكلام في كتب المؤرخين من الإخوان المسلمين مثل: «صفحات من التاريخ»: لصلاح شادي رحمه الله. و«الإخوان المسلمون رؤية من الداخل»: لمحمود عبد الحلیم. و«الإخوان المسلمون والنظام الخاص»: لأحمد عادل كمال. و«حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وجمال عبد الناصر»: للمرشد العام محمد حامد أبو النصر. و«أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون»: لحسين حمودة. و«الصامتون يتكلمون»: لسامي جوهر. ومذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف رحمه الله التي أسماها «أرغمت فاروق على التنازل عن العرش».

ومن مذكرات «عبد المنعم عبد الرؤوف» أُلخِصَ هذه الحقائق، باعتباره أهم وثيقة عن التخطيط الإخواني قبل الثورة، وتجميع الضباط الملتزمين للقيام بها.

يقرر عبد المنعم عبد الرؤوف أن الأخ المسلم الصاغ «محمود لبيب»، كان هو وكيل الإخوان المسلمين للشؤون العسكرية. وأنه تعرّف عليه والتقى به بعد تخرج عبد الرؤوف ضابطاً من الكلية الحربية.

وقد كان عبد الرؤوف مواظباً على حضور حديث الثلاثاء، الذي يلقيه الإمام الشهيد حسن البنا، في المركز العام للإخوان المسلمين، ثم صار يدعو معه ضباطاً

آخرين لحضور الحديث، كان في مقدّماتهم النقيب جمال عبد الناصر حسين، وكان هذا في شهر أكتوبر عام ١٩٤٢م.

وتمّ تشكيل أول أسرة إخوانية للضباط، مكونة من سبعة من ضباط الإخوان المسلمين عام ١٩٤٤م، وكان نقيب الأسرة هو الصاغ محمود ليب، والأعضاء هم الضباط الإخوان: عبد المنعم عبد الرؤوف، جمال عبد الناصر، كمال الدين حسين، حسين أحمد حمودة، سعد توفيق، صلاح خليفة، وخالد محيي الدين!!^(١).

ثم تبعها الأسر الإخوانية لضباط الجيش.

وبعد سنتين من تشكيل هذه الأسر الإخوانية من الضباط، بايع أفرادها السبعة «عبد الرحمن السندي» مسؤول «النظام الخاص» للإخوان المسلمين على كتاب الله والجهاد في سبيل الله، وكان هذا في مطلع عام ١٩٤٦م^(٢).

أطلق الإخوان السبعة على أسرهم - وعلى باقي الأسر الإخوانية للضباط - اسم «تنظيم الإخوان الضباط»^(٣).

وظلّ تنظيم «الإخوان الضباط» يزداد ويقوى ويشتدّ، وكان يرأسه الصاغ محمود ليب، ومن أنشط أعضائه «عبد المنعم عبد الرؤوف» و «جمال عبد الناصر»، وكان يتبع «النظام الخاص» السريّ للإخوان المسلمين بقيادة «عبد الرحمن السندي»!

حتى وقعت هدنة «رودس» بين اليهود وقادة الدول العربية، عام ١٩٤٩م، وعادت قوات الجيش المصري من فلسطين، وكان من بين العائدين الضابط جمال عبد الناصر، الذي كان محاصراً في «الفالوجة».

وقد عقدت قيادة «الإخوان الضباط» - برئاسة محمود ليب، وحضور الضابطين عبد الرؤوف وعبد الناصر - اجتماعات عديدة، انتهوا فيها إلى: وجوب الثأر لمقتل الشهيد حسن البنا، والحذر من أفراد الحرس الحديدي - التابع للقصر - حتى

(١) مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف: ٤٣.

(٢) المرجع السابق: ٤٤ - ٤٦.

(٣) المرجع السابق: ٤٦.

لا ينكشف تنظيمهم، والتخلص من النظام الملكي، والقيام بانقلاب لإيجاد نظام إسلامي، وتدريب المدنيين من الإخوان المسلمين، وبدء القتال ضد قوات الإنجليز^(١).

وفي مايو ١٩٤٩م، استدعى الضابط جمال عبد الناصر إلى مكتب رئيس الوزراء «إبراهيم عبد الهادي»، للتحقيق معه بتهمة انتمائه إلى الإخوان المسلمين. لكن عبد الناصر استطاع نفي هذه التهمة^(٢).

وأرسل محمود لبيب، إلى زوجة عبد الناصر، مرتب شهر، وأبلغها اهتمام الإخوان الضباط بموضوع التحقيق مع عبد الناصر، وأنهم لن يتخلوا عنه.

وبمناسبة هذا الحادث - التحقيق مع عبد الناصر - اقترح محمود لبيب المسؤول عن التنظيم، تغيير اسمه من تنظيم «الإخوان الضباط» إلى تنظيم «الضباط الأحرار»، لإبعاد جماعة الإخوان المسلمين، المكروهة من الملك والأحزاب والإنجليز^(٣).

وهكذا كان!

وفي سبتمبر عام ١٩٤٩م، ظهر خلاف كبير بين الضباط، البارزين في تنظيم الضباط الأحرار، وهما عبد الرؤوف وعبد الناصر، فبدأ الناصر يريد الإسراع في عمل انقلاب، ويريد فتح التنظيم «الضباط الأحرار» أمام ضباط الجيش عموماً، ولو لم يكونوا ملتزمين مع الإخوان المسلمين، ولا مع الخلق الإسلامي الكريم! وعبد الرؤوف ملتزم بالبيعة مع الإخوان، والطاعة لتعليمات مكتب الإرشاد للجماعة، ويطلب بقصر عضوية التنظيم على الضباط الإخوان، وعدم انضمام أي ضابط آخر له!

واتفقا على أن يحتكما إلى رأي الفريق «عزيز المصري»، الذي طالبا بالاتفاق معاً لطرده الإنجليز، وإلغاء النظام الملكي، فإذا لم يتفقا معاً، فليسير معاً متوازيين

(١) المرجع السابق: ٦٣ - ٦٤.

(٢) المرجع السابق: ٦٤.

(٣) المرجع السابق: ٦٤.

كقضيبي السكة الحديد^(١).

وأخبر عبد الناصر عبد الرؤوف أن هدفه هو «إلغاء النظام الملكي»، وأنه قد ضمَّ إلى التنظيم بعض الضباط من غير الإخوان - بدون علم قيادة التنظيم الإخوانية - مثل: صلاح سالم وعبد الحكيم عامر^(٢).

وأخبر عبد الرؤوف قائده محمود لبيب بالخلاف بينه وبين عبد الناصر، وبآراء عبد الناصر الجديدة.

وبعد بضعة أشهر مرض محمود لبيب، وأصيب بالفالج، وعجز عن الكلام، وصار طريح الفراش، وتوفي ذلك المجاهد الكبير عام ١٩٥٠م. وكانت عنده أسرار وأموال واشتراكات وحلقات التنظيم الإخواني^(٣).

عبد الناصر يستولي على أسرار التنظيم الإخواني

سافر عبد المنعم عبد الرؤوف إلى مقر عمله في سيناء، ومحمود لبيب يحتضر. ويروي الضابط حسين حمودة، ما فعله عبد الناصر بعد سفر عبد الرؤوف، فيقول: زرت محمود لبيب قبل وفاته، فوجدت عنده عبد الناصر، فقال لي ولعبد الناصر:

إنني سأموت، وسأكتب مذكرةً بأسماء الضباط الإخوان، وقائمةً باشتراكاتهم التي عندي، وسأسلم ذلك لعبد الناصر، ليستمّر التنظيم الإخواني للضباط، ودعا إلى التعاون بين عبد الناصر وعبد الرؤوف.

وخرج حسين حمودة من بيت محمود لبيب، وترك عنده عبد الناصر، ولمّا توفي لبيب، اشترك في جنازته عبد الناصر وحمودة، واعترف عبد الناصر لحمودة، بأنه أخذ من لبيب قبل وفاته، أسراراً وأسماء وأموال التنظيم الإخواني للضباط، الذي عُرف باسم «الضباط الأحرار».

(١) المرجع السابق: ٦٥.

(٢) المرجع السابق: ٦٥.

(٣) المرجع السابق: ٦٥ - ٦٦.

وبعد حين، قال عبدُ الناصر لحمودة: إنه سيضم إلى التنظيم ضباطاً آخرين من غير الإخوان!.

وأعلن لحمودة انفصاله بالتنظيم عن الإخوان المسلمين، وقال له: إنه بموت حسن البنا ومحمود لبيب، انقطعت صلة الإخوان الضباط بضباط الجيش. وأنه يرى - لدواعي الأمن - قطع الصلة بعبد الرحمن السندي - رئيس الجهاز السري المدني للإخوان المسلمين -^(١).

استقلَّ عبدُ الناصر بتنظيم «الضباط الأحرار» بعد عام ١٩٥٠م، وانفصلَ به عن قيادة الإخوان المسلمين، وضمَّ إليه ضباطاً من غير الإخوان، وممن لا يتمتعون بصفات طيبة، ولا أخلاقٍ فاضلة، مثل: عبد الحكيم عامر، وزكريا محيي الدين، وصالح سالم، وجمال سالم، وغيرهم.

وأمامَ هذا الأمر، رأت قيادة الإخوان المسلمين، الاستمرار في ربط الضباط الملتزمين مع الإخوان بالجماعة، عن طريق الأسر والاشتراكات وغيرها.

وجعلت لهم قيادة خاصةً مرتبطةً بقيادة الجماعة. وبما أن عبد الناصر انفصلَ عن قيادة الجماعة، وبما أن عبد الرؤوف في سيناء، وتعدَّزُّ عليه ممارسة مهامِّ وصلاحيات القيادة، لذلك أسندَ مكتبُ الإرشاد قيادة الضباط الإخوان في الجيش للمقدِّم أركان حرب «أبو المكارم عبد الحي»^(٢).

من هذا التلخيص الموجز، نعرفُ أن تنظيم «الضباط الأحرار» - الذي قام بثورة عام ١٩٥٢م في مصر - تنظيمٌ إخوانيٌّ أساساً، وأنه ظلَّ إخوانياً صرفاً حوالي خمس سنوات، منذ تأسيسه عام ١٩٤٦م، وحتى استقلال عبد الناصر به عن الإخوان عام ١٩٥٠م.

ومع ذلك بقي وجودُ الضباط الإخوان، حاضراً ومؤثراً ومتميّزاً وقوياً، في تنظيم «الضباط الأحرار»، الذي انفصلَ به عبدُ الناصر عن الإخوان، وبقي فيه ضباطٌ إخوانٌ

(١) أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون، لحسين حمودة: ١٥٠ - ١٥١.

(٢) المرجع السابق: ٦٧.

نشطاء، مثل: كمال الدين حسين، وحسين حمودة، وصلاح خليفة، وغيرهم.
بالإضافة إلى التنظيم الإخواني الجديد للضباط، المستقل عن الضباط الأحرار،
الذي كان يرأسه الضابط الإخواني أبو المكارم عبد الحى.
وحتى الأيام الأخيرة للتمهيد للثورة، كان عبد الناصر يتصل بالقيادة الإخوانية،
ويُريها أنه ما زال على ولائه للإخوان، وانتمائه لهم، وأنَّ ضمَّه لضباطٍ من غير
الإخوان، لا يعني انقطاعه أو انفصاله عن عضوية الجماعة!!.

عبد الناصر يتصل بقيادة الإخوان عن طريق جديد

أراد عبد الناصر أن يُبقي صلةً واهيةً بينه وبين القيادة الإخوانية الجديدة، رغم
أنه فصلَ تنظيم «الضباط الأحرار» عنها، واستقل هو برئاسته ومتابعته!!.
فقطعَ الاتصالَ عن الطريق الأصلي الأول، طريق عبد المنعم عبد الرؤوف
وحسين حمودة، وغيرهم من الضباط الإخوان، الملتزمين بالجماعة، الثابتين على طاعة
القيادة الإخوانية، وبيعَتهم لها، الذين يدركون أهداف عبد الناصر الجديدة، ويعرفون
التغيرات الجديدة على تنظيم الضباط الأحرار!
واتصلَ بالقيادة الإخوانية عن طريقٍ جديد، طريق الضابط الإخواني المجاهد،
صلاح شادي رحمه الله!!

فقد روى شادي في كتابه «صفحات من التاريخ» أنه جاءه في نهاية عام ١٩٥٠م
— وبعد وفاة محمود لبيب — الضابط الإخواني «عبد الفتاح غنيم»، وأبلغه رغبة
عبد الناصر الاتصالَ بالإخوان المسلمين من جديد. وأخبر صلاح شادي الشهيد
عبد القادر عودة بذلك، فكلف عودة شادي بالاتصال به!! وتمَّ الاتصالُ الأول بين
شادي وعبد الناصر في مكتب المحامي الأخ حسن العشماوي، ثم استمرت الصلة بين
عبد الناصر والقيادة الإخوانية عن طريق صلاح شادي بعد ذلك!^(١).

وبذلك تخلص عبد الناصر من الضباط الإخوان، الذين كانوا يعرفونه،

(١) صفحات من التاريخ، لصلاح شادي: ١٢٢ وما بعدها.

ويحذرون من التغير المفاجيء لأفكاره، ومن رغبته في الانفصال بتنظيمه عن الإخوان: من أمثال عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حمودة.

وخفي على الفريق الجديد - شادي وإخوانه - حقيقة أغراض عبد الناصر، ولم يفتنوا إلى ألامبيه ومكايده ومكره، ولم ينتبهوا إلى أنه يستغل صلته بالإخوان استغلالاً، فأخذوا وعوده لهم على ظاهرها.

وكان يتصل معه على الخط الجديد، مجموعة من كرام الإخوان المسلمين، وهم: صلاح شادي، وحسن العشماوي، وعبد القادر حلمي، وفريد عبد الخالق، وصالح أبو رقيق^(١).

عبد الناصر ينكث بعده مع الإخوان

استمر الاتصال والتنسيق بين اللجنة الإخوانية الجديدة، وعبد الناصر ومن معه من الضباط الأحرار - من غير الإخوان المسلمين - وزادت الاتصالات بين الفريقين في الأيام الأخيرة، قبل قيام الثورة. وكانت اللجنة تبلغ المرشد العام، حسن الهضيبي رحمه الله، بكل ما يجري بينهم وبين عبد الناصر.

ويروي الأخ عبد القادر حلمي، أن اللجنة الإخوانية المتصلة بعبد الناصر، عرضت على حسن الهضيبي آخر ما توصلت له مع عبد الناصر، وذلك قبل قيام الثورة. وأن المرشد أبدى لأعضاء اللجنة مخاوفه من عبد الناصر، ووجه لهؤلاء الإخوان عدة استفسارات «أهمها مدى تمسك هؤلاء الضباط بالإسلام، ومدى إخلاصهم في قولهم بالعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وهل تم الاتفاق في وضوح وصراحة على هذا الأمر؟ وهل اتفق على المشاركة الكاملة بين الإخوان والضباط الأحرار في الانقلاب، والمسؤولية إزاءه، والتعاون في تنفيذه، وبعد نجاحه؟ وفي النهاية، أعطاهم المرشد موافقته المشروطة بالأمرين السابقين...».

وأخذ هؤلاء الإخوان موافقة المرشد السابقة، والتقوا بعبد الناصر، في بيت

(١) الإخوان المسلمون، لمحمود عبد الحليم ٣: ١٣٣ - ١٣٥.

عبد القادر حلمي ، ويروي حلمي بعض ما دار في ذلك اللقاء بقوله : «اجتمعنا بجمال عبد الناصر، وشرحتُ له وجهة نظر المرشد بالتفصيل . وقد صدّق عبدُ الناصر على جميع تحفظات المرشد، وأكّد قبولها، وأنه سبق الاتفاقُ معنا عليها. . .»!!

وفي نفس المكان والزمان - ٢٢ يوليو ١٩٥٢م في بيت عبد القادر حلمي - انفرد صلاح شادي بعبد الناصر فترة قصيرة «وتذكّرا في هذا اللقاء عهدهما السابق، على المبادئ والأهداف، التي بايعا اللهَ عليها، قبل الإقدام على هذه الخطوة المصرية، وأشهدا اللهَ على هذا العهد بقراءة الفاتحة. . .»^(١).

وقامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بتنسيق كبير بين عبد الناصر والإخوان المسلمين . وفي ٣٠ يوليو ١٩٥٢م عُقدَ أولُ لقاءٍ بين عبد الناصر والمرشد العام حسن الهضيبي، في منزل الأخ صالح أبو رقيق - أحد أعضاء اللجنة الخماسية الإخوانية التي اتفقت مع عبد الناصر - وبحضور الإخوان الخمسة كلهم.

ويروي صالح أبو رقيق، أن عبد الناصر رفض في ذلك اللقاء أيّ تنسيقٍ أو تعاونٍ أو تشاور، وقال إنه «يرفض وصايةً من أيّ جهةٍ على الثورة»!

فاستغرب الهضيبيُّ من كلام عبد الناصر، ووجّه كلامه لحسن العشماوي : ألم تتفقوا على المشاركة يا حسن؟ فأجاب العشماوي : بلى اتفقنا!.

ولكن عبد الناصر قال للهضيبي : «إحنا لم نتفق على شيء!!»^(٢).

وفوجيء الإخوان الخمسةُ بتنصّل عبد الناصر من اتفائه معهم، كما فوجيء المرشد العام بذلك، واستمرت الجلسةُ في مناقشات حامية، أنهارها المرشد بقوله لعبد الناصر : «اسمع يا جمال. . ما حصلش اتفاق. . وسنعتبركم حركةً إصلاحية. . إن أحستتم فأنتم تحسنون للبلد. . وإن أخطأتم فسنوجّه لكم النصيحة بما يُرضي الله. . .».

ولما خرج عبد الناصر، قال الهضيبي للإخوان الخمسة - وكأنه كان يستطلع الغيب - «الراجلُ ده ما فُهِشَ خير. ويجبُ الاحتراسُ منه!!»^(٣).

(١) صفحات من التاريخ، لشادي : ١٧٦ - ١٧٧.

(٢) المرجع السابق : ١٨٢. (٣) الإخوان المسلمون، لعبد الحليم ٣ : ٢٤.

ثم تتابعت الأحداثُ بعد ذلك، واتسعتُ شقّةُ الخلاف بين الإخوان، وبين عبدِ الناصر ورجال الثورة، وانتهتُ بالقطيعة بين الفريقين، ثم رسمَ عبدُ الناصر المؤامراتِ ليوقعَ بالإخوان. ودبرَ مسرحيةَ حادثِ المنشية، التي اتَّهم فيها الإخوان المسلمين بمحاولةِ اغتياله، حيث أجرى لهم مذابحَ بشعة في سجون مصر، ووقعتُ لهم المحنُ المتوالية!!!.

وهكذا نرى كيف أن تنظيمَ «الضباط الأحرار» بدأ إخوانياً صرفاً، وكيف أن الإعدادَ للثورة بدأ عند الإخوان المسلمين، وعلى أيدي ضباطهم... وكيف أن عبد الناصر - الضابطُ الإخوانيَّ الموثوقَ عندهم - قد ابتعدَ بالتنظيم، واستقلَّ به وبالثورة عن الإخوان، وبطشَ بهم شرَّ بطشة!!!.

سيد قطب ورجال الثورة

قصةُ سيد قطب مع رجال الثورة قصةٌ عجيبة، تبدأُ بجهودِ سيد الإصلاحية قبل قيام الثورة، ثم اتصالُ بعضِ ضباط الثورة به قبيلَ قيامها، وتتلُمذُ ضباطها على كتبه وفكره، ثم التنسيقُ بينهم وبينه بعدَ قيامها. وكيف أنهم كلَّفوه ببعض الأعمال الإصلاحية، وكيف كانوا يُشيدونَ به ويُثنون عليه، ثم كيف انتهت قصته معهم بالانفصال التام والقطيعة التامة، وانحيازُه الكامل إلى الإخوان المسلمين، ليجري له ما جرى للإخوان على يدي عبدِ الناصر، ثم إعدامُ عبدِ الناصر له بعد ذلك!!

جهود سيد قطب في التمهيد للثورة

عرَفنا أن سيد قطب اتجه - بعد عودته من أمريكا عام ١٩٥٠م - إلى الفكر الإسلامي والعمل الإسلامي العام.

وقد تفرَّغ للإصلاح الاجتماعي والسياسي الإسلامي، وانطلقَ من الإسلام في دعوته الإصلاحية، ومحاربة المظاهر والأوضاع الشائنة في المجتمع.

وصار يكتبُ المقالات الإصلاحية الإسلامية القوية والعنيفة والحادة، وينشرها في كلِّ صحيفةٍ أو مجلةٍ رضيت أن تنشرَ له.

وأبرزُ المجالاتِ الجادة الإصلاحية التي كانت تصدرُ قبل الثورة ثلاث، وهي

«الاشتراكية» لأحمد حسين، زعيم الحزب الاشتراكي - مصر الفتاة سابقاً - و«اللواء الجديد» لفتحى رضوان، زعيم الحزب الوطني الجديد، و«الدعوة» لصالح ع شماوي وكيل جماعة الإخوان المسلمين، ونشر سيد في هذه المجلات الثلاث عدة مقالات قوية.

كما نشر في صحف ومجلات أخرى مثل: الرسالة، وروز اليوسف، والأهرام، والمصور، وغيرها.

حارب سيد في مقالاته التي كتبها قبيل الثورة مظاهر الفساد والانحراف في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهاجم المسؤولين عن الفساد - دون أن يسميهم - وبخاصة القصر الملكي، وحاشية الملك فاروق وبطانته، ورجالات الأحزاب، وكبار الرأسماليين والإقطاعيين، ونجوم الانحلال من الفنانين والفنانات، ورجالات الإنجليز، وعملاء الفرنسيين والأمريكان، وغيرهم.

وقد نالت مقالاته العنيفة إعجاب وتقدير الجماهير، واستحوذت على قلوبهم.

ولا ننسى أن هذه المقالات، كثيراً ما جرّت عليه المصاعب والأذى والبلاء، فأحياناً كانت الرقابة تصدر المقالة، وتمنع الصحيفة من نشرها، وأحياناً كان سيد يُقدم للاستجواب والمحاكمة بعد نشر المقالة، سواء في مخافر الشرطة أو في المحاكم! وكان سيد يزداد نشاطاً وكتابة، ويشعر بالرضا عن جهوده ويحس بأنه يحقق رسالة عظمى، وهدفاً سامياً.

ولكن زملاءه وأصدقاءه ومحبيه كانوا يُشفقون عليه، ويخشون عليه الخطر والهلاك، وكانوا يُحذرونه ويطالبونه بالتخفيف، وكان يردّ عليهم، ويبين باعته الذي يدفعه للازدياد.

أشار في مقال «إنها العقيدة في الله» الذي أعاد نشره في كتاب «دراسات إسلامية» إلى إشفاق زميل له، وردّه على دعوته له بالتخفيف..

«قال له صاحبه - وهو يحاوره -: يا أخي، اسمح لي أن أقول لك: إنني لم أعد أفهمك.. إنك تريد أن تقف في وجه التيار.. إنك تلقي بنفسك إلى التهلكة

بدون روية . . إنك تتصرف كما لو كنت تريد أن تتخلص من الحياة . . قل لي :
لحساب من تُعرض نفسك لكل هذا؟ إن الشعب لم يبلغ درجة من الوعي تُتابعك في
أهدافك، وتدرُّك ما الذي أنت تريد . .

وأنت تُجابه قوى جارفة، قوى تملك أن تشتري دولاً وأمماً وشعوباً، قوى
مدرَّبة، لها عملاء في كل مكان، ولها أجهزة التي مرَّنت على العمل . . هذه القوى
تملك أن تحيلك متَّهماً في أعين مواطنيك، تملك أن تجرِّدك من سمعتك ذاتها،
فتظهركَ للناس خائناً، وتجدُّ ألفَ شاهد، وألفَ جهاز من أجهزة الدعاية، تهتفُ بذلك
ليلَ نهار . . إنك لست غنياً ولا فتياً، فأنت رجلٌ تدلفُ إلى الكهولة . . وأنت لا تستندُ
إلى حزبٍ أو هيئة، تنفقُ عليك إذا انقطعَ رزقك، أو تنفقُ على أهلك إذا انقطعَ عنهم
عونك . . .

وقد ردَّ سيّد على إشفاقٍ ونصيحة زميله وصديقه بقوله :

«يا أخي، إنني أدركُ هذه المخاوفَ كلّها، وأبصرُ هذه المخاطرَ جميعها»^(١).

ولما اتهمه زميله بأنه بعمله هذا يريد أن يموت، قال له : «أريد أن أحيأ، أريد أن
أحيأ حياةً طويلة، فأنا لم أشبع بعدُ من هذه الحياة : وأنا لم أتمَّ إلا القليل من الواجباتِ
التي أرجو أن أوفِّقَ إلى النهوض بها . . وأمرٌ آخر : إنني قد بعُدتُ فترةً من حياتي
عن الله، وإنني لأرجو أن أعيشَ حتى أنفقَ من عمري في قُرْبِهِ فترةً تعدلُ كفتي
الميزان . .

وأنا في النهاية لا أنسى أنني رجلٌ ذو أعباء .

وإن الموتَ والحياةَ غيبٌ من غيب الله . فلا يجوزُ أن يكونا في حسابٍ أحدٍ يريدُ
أن يؤديَ واجباً، أو يغيّرَ منكرًا، أو يذهب أو يجيء، حتى في تجارةٍ أو معاش . . .»^(٢).

وقد أشار سيّد في تقريره الذي قدّمه للمحقّقين عام ١٩٦٥م إلى جهوده في
الإصلاح قبيل الثورة : «واستغرقتُ أنا عام ١٩٥١م، في صراعٍ شديدٍ بالقلم والخطابة

(١) دراسات إسلامية : ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) المرجع السابق : ١٤٤ .

والاجتماعات، ضدّ الأوضاع الملكية القائمة، والإقطاع والرأسمالية، وأصدرتُ كتابين في الموضوع^(١)، غير مئآت المقالات في صحف الحزب الوطني الجديد، والحزب الاشتراكي، ومجلة الدعوة التي أصدرها الأستاذ صالح ع شماوي، ومجلة الرسالة، وكلّ جريدة أو مجلة قبلت أن تنشر لي . . .»^(٢).

تأثر ضباط الجيش بسيد

تأثر ضباط الجيش الوطنيون، الراغبون في الإصلاح والتغيير، بمقالات سيد الإصلاحية الثورية التغييرية. وكانوا يقرءون ما يكتبه سيد من كتب ومقالات.

وكان عشرات من الضباط الوطنيين منضمين إلى تنظيم «الضباط الأحرار»، وطلبت قيادة التنظيم السرية - بزعامة عبد الناصر - من الضباط قراءة مقالات سيد والتثقف بكتبه الفكرية الإسلامية.

وكان كتابه الفكري الإسلامي الأول «العدالة الاجتماعية في الإسلام» من أوائل الكتب التي كان الضباط الأحرار يتدارسونها في لقاءاتهم السرية.

عن هذا الأمر يقول «الطاهر أحمد مكي» في مجلة الهلال: «لقي كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام» إقبالا وترحيبا، وكان من الكتب التي تركت تأثيرها واضحا في فكر الضباط الأحرار، ومن أوائل الكتب التي قرؤوها، قبل أن تقوم الثورة نفسها، أو بالدقة عام ١٩٥١م.

فقد طلب مني الكتاب صديق له قريب ضابط في الجيش، ثم عاد ورجاني أن أدله أين يُباع، فهو بحاجة إلى أكثر من نسخة، وكان هذا الضابط هو البكباشي «إبراهيم عاطف» الذي انتخبه الضباط سكرتيراً لناديهم مع محمد نجيب، إبان تحديهم للقصر الملكي»^(٣).

(١) هما: كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية»، وكتاب «السلام العالمي والإسلام».

(٢) لماذا أعدموني: ١١.

(٣) جريدة اللواء الأردنية. عدد: ٧٠٠. تاريخ ٨/١٠/٨٦. نقلاً عن مجلة الهلال. عدد أكتوبر ١٩٨٦م.

وقد شبّه بعضهم سيّد قطب بالرجل الفرنسي الشهير «ميرابو» الذي كان له دور هام في التمهيد للثورة الفرنسية، فأطلقوا على سيّد لقب «ميرابو الثورة المصرية»!!

سيّد مع قادة الثورة قبل قيامها

كان من مظاهر تقدير ضباط الثورة وقيادتها لسيّد قطب، قبل قيامها، أن تلك القيادة — بزعامة عبد الناصر — كانت تعرف لسيّد منزلته ومكانته، ولذلك كان يأتي إلى منزله في «حلوان» زعماء الضباط يستشيرونه في الإعداد للثورة، ويدرسون معه وسائل نجاحها!

يروى «سليمان فياض» في مقالته «سيّد قطب بين النقد الأدبي وجاهلية القرن العشرين» في مجلة الهلال، عن زيارته لسيّد في بيته في حلوان، بعد قيام الثورة، وينقل هذا الحوار الذي دار بينه وبين سيّد قطب في حديقة المنزل:

«سألته عن رأيه في هذه الثورة.

ابتسم. وقال لي: هنا تحت هذه الشجرة، كان الضباط الأحرار يعقدون بعض اجتماعاتهم معي، في فترة التمهيد للثورة.

ثم دخل سيّد البيت، وعاد يحمل مظروفاً. أخرج منه صوراً، وأخذ يُريها لي، واحدة واحدة، وكان هو في كل صورة، وتحت هذه الشجرة، وكانت كلها صوراً ليلية، أخذت في ضوء «الFLASH» وفي كل صورة كان هؤلاء الضباط الأحرار، وهو بينهم أبداً واسطة العقد!! ولما رددت إليه آخر صورة، قلت:

لا أرى بينهم محمد نجيب؟

قال: هذا جاءوا به واجهةً للثورة، الرتبة العسكرية لها حساب!

ثم أشار إلى صورة جمال عبد الناصر، وقال: هذا هو قائد الثورة الحقيقي، يتوارى الآن وراء نجيب، وغداً سيكون له شأن آخر!!

قلت له: أراض أنت عن هذه الثورة؟

قال: لا أجد في تطوّر أمورها ما يُريح! فهؤلاء الأمريكان يحاولون احتواءها بدلاً

من الإنجليز! أتفهم ما أعنيه؟...»^(١).

وعن حضور زعماء الضباط الأحرار إلى بيت سيّد قطب ليتدارسوا معه وسائل نجاح الثورة، يروي أحد الضباط من الإخوان المسلمين، وهو الضابط «محمود العزب» من بور سعيد، فيقول:

«إن رائدنا وأستاذنا سيّد قطب هو الذي رعى الثورة، جَنِيناً فوليداً. وأمرنا أن نستعدّ لها...»

إن الجيش لا يمكن أن ينسى أن سيّد قطب هو «أبو الثورة» وأبو الثوار، وتواضعه يزيدنا تعلقاً به، وإكباراً له».

ويتابع محمود العزب روايته قائلاً: «قُبِلَ الثورة بأيام، تلقّينا من الأستاذ سيّد قطب أمراً، بأن نكون على استعداد، وكنتُ على رأس تنظيم الإخوان المسلمين في بور سعيد، ولما تلقيتُ الأمر حضرتُ إلى القاهرة، ومضيتُ إلى منزل الأستاذ سيّد، وكان ذلك في يوم ١٩ يوليو ١٩٥٢م، وكان لديه بعض قادة الثورة - منهم البكباشي جمال عبد الناصر - وذكر لي الأستاذ سيّد أن أكون أنا ومن معي على أهبة الاستعداد، وأن يكون الإخوان المسلمون المدنيون على استعداد أيضاً، فإذا سمعنا بقيام الثورة كنّا حُماتها، وحفظة الأمن في بور سعيد. وحذّرنا من سفك الدماء!»^(٢).

سيّد مع قادة الثورة بعد قيامها

ونظراً لصلة سيّد الوثيقة بقيادة الثورة قبل قيامها، كان من المنطقي أن تزداد صلتهم به وثوقاً بعد قيامها، وأن يزداد تقديرهم له. وأن يُسندوا له أعمالاً إصلاحية. وطبعاً كان تأييد سيّد للثورة عند قيامها قوياً وحماسه لها عالياً.

(١) جريدة اللواء الأردنية. عدد ٦٩٦. تاريخ ٨٦/٩/١٠. نقلاً عن مجلة الهلال المصرية. عدد سبتمبر ١٩٨٦م.

(٢) مجلة كلمة الحق - التي أصدرها أحمد عطار في مكة. السنة الأولى. العدد الثاني. تاريخ صفر ١٣٨٧هـ. صفحة: ٣٨.

قال الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار «بَلَغَ من احترامِ الثورةِ لسيّد قطب، وعرفانها بجميله وفضله، أنّ كلّ أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا ملتفتين حوله، ويرجعون إليه في كثيرٍ من الأمور، حتى إنه كان هو المدنيّ الوحيد الذي يحضرُ جلساتِ المجلس أحياناً، وكانوا يتردّدون على منزله في حلوان»^(١).

ويروي أحمد عطار بعضَ الوظائف التي أسندَها مجلسُ قيادة الثورة لسيّد قطب، فيقول: «قَرَّرَ مجلسُ قيادة الثورة - ونشرت القرارُ مجلةً آخر ساعة - أن يُسندَ إلى سيّد قطب منصبَ وزير المعارف كما أذكر، ولكن سيّد قطب اعتذر!

ورجوهُ أن يتولّى منصبَ المدير العام للإذاعة، فاعتذر!

وأخيراً وافق على أن يكون السكرتير العامَ لهيئة التحرير، ولبث فيه شهوراً..

وبدأ الخلافُ بين سيّد قطب وبين عبد الناصر وزملائه، فاضطّر سيّد إلى الاستقالة من هيئة التحرير»^(٢).

أما «عادل حمودة» فيروي في كتابه «سيّد قطب من القرية إلى المشنقة» عن بعض ما أسندَ مجلسُ الثورة إلى سيّد من أعمال: «والذين عاصروا تفاصيل الأيام الأولى للثورة، يؤكّدون أنّ سيّد قطب كان له مكتبٌ في مبنى مجلس قيادة الثورة، وأنه كان يقيمُ هناك إقامةً شبه دائمة.. حيث أوكلتُ إليه هو، ومحمد سعيد العريان، مهمة تغيير مناهج التعليم...»

وفي ذلك الوقت عَرَفَ كمال الدين حسين عن قرب.. الذي رشحه لتولّي منصب وزير التربية والتعليم، الذي تولّاه هو بنفسه..»^(٣).

سيّد ومحمد قطب يرويان عن صلته برجال الثورة

أجرتُ مجلة «الغرباء» لقاءً مع الأستاذ محمد قطب، وكان مما سألتُه عنه، صلة سيّد برجال الثورة، عند قيامها.

(١) كلمة الحق - المرجع السابق - : ٣٧.

(٢) المرجع السابق - : ٣٩.

(٣) سيّد قطب من القرية إلى المشنقة : ١١١.

وجاء في جوابه على السؤال قوله: «نعم، كانت له بهم صلة شخصية في الشهور الأولى. حين دَعَوْه ليكون مستشاراً للثورة في الأمور الداخلية. فعمل معهم فترة، ولكنه تبين له منذ اللحظة الأولى – لا أقول من الأسبوع الأول ولكن من اليوم الأول – عداؤهم لجماعة الإخوان المسلمين. فحاول أن يوفق بين الطرفين، غير أنه ما لبث أن تبين له أن لا سبيل إلى التوفيق، فانقطع عن الاتصال معهم.

وقد استمرت هذه الفترة ثلاثة أشهر، كانت الصلة فيها بينه وبين رجال الثورة صلة وثيقة كاملة. ثم كان الانقطاع بعدها تدريجياً، حتى وصل إلى الانقطاع الكامل بعد حوالي شهرين آخرين»^(١).

أما سيّد نفسه فقد قال للمحققين عن صلته برجال الثورة عند قيامها: «استغرقت في العمل مع رجال ثورة ٢٣ يوليو حتى فبراير – شباط – ١٩٥٣ م. عندما بدأ تفكيري وتفكيرهم يفترق حول هيئة التحرير، ومنهج تكوينها، وحول مسائل أخرى جارية في ذلك الحين، لا داعي لتفصيلها»^(٢).

أما عن ساعات عمله معهم، فيقول: «كنت أعمل أكثر من اثنتي عشرة ساعة يومياً، قريباً من رجال الثورة، معهم ومع مَنْ يحيط بهم»^(٣).

وصف لحفل تكريم رجال الثورة لسيّد

أعدّ رجال الثورة حفل تكريم لسيّد، وكان حفلاً مشهوداً، أثنوا فيه على سيّد ثناءً رفيعاً، وأشادوا فيه إشادة بالغة.

وقد حضر الحفل مرافقاً لسيّد، الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، ووصف لنا في مجلّته «كلمة الحق» بعض ما جرى فيه.

كان الحفل أساساً، محاضرة دعا زعماء الثورة سيّد إلى إلقائها في نادي الضباط في «الزمالك»، وجعلوا عنوان المحاضرة «التحرر الفكري والروحي في الإسلام» وكان

(١) مجلة الغرباء. السنة الثالثة عشرة. العدد الثالث. سبتمبر ١٩٧٥ م. صفحة: ١٢.

(٢) لماذا أعدموني: ١١.

(٣) المرجع السابق: ١٣.

ذلك بعد شهرٍ من قيام الثورة، أي في شهر أغسطس ١٩٥٢م.

وذهب سيّد في الموعد المحدّد - يرافقه أحمد عطار - لإلقاء المحاضرة. قال أحمد عطار: «وفي الموعد المحدّد حضرتُ معه وكان النادي مزدجماً بحدائقه وأبهاؤه الفسيحة، وحضرها جمعٌ لا يُحصى من الشعب، وحضر إلى النادي أبناء الأقطار العربية والإسلامية الموجودون في مصر، وكثيرٌ من رجال السلك السياسي، وكبار زعماء الأدب والفكر والقانون والشرعة، وأساتيد من الجامعات والكليات والمعاهد.

وكان مقرراً حضورُ محمد نجيب، وتولّيه تقديم سيّد قطب، إلا أن عذراً عارضاً اضطرَّ محمد نجيب للتخلّف، وبعث برسالةٍ تليت على الحاضرين، تلاها أحد الضباط.

وموجزُ كلمة محمد نجيب: أنه كان حريصاً على أن يحضر المحاضرة، ويُفيد من علم سيّد قطب. ووصف سيّد بأنه رائد الثورة ومعلمها وراعيها.

وبعث نجيب برسالته مع أنور السادات، وأناب عنه جمال عبد الناصر! وحوّل الضباطُ محاضرة سيّد إلى مناسبةٍ للاحتفال والاحتفاء به، وبيان مناقبه، وبدل أن يحاضر سيّد فيهم، صار الخطباء يتكلمون عن سيّد ويثنون عليه، وهو جالس!

افتتح أحد الضباطِ الحفل، بآياتٍ من القرآن، وقال أحد كبار الضباط: «كان مقرراً أن يقوم الرئيس محمد نجيب، بتقديم أستاذنا العظيم، ورائد ثورتنا المباركة، مفكر الإسلام الأول في عصرنا، الأستاذ سيّد قطب. ولكنّ أمراً حال دون حضوره. وأريد مني تقديم الأستاذ سيّد قطب، وإن كان في غنى عن التقديم، وعن التعريف».

وكان حاضراً الحفل الدكتور طه حسين، فتقدّم وألقى كلمةً رائعة، قال فيها: «إن في سيّد قطب خصلتين، هما: المثاليّة، والعناد. وذكر سيّداً، وأدبه وعلمه، وثقافته وكرامته، وعظمته وفهمه للإسلام. وذكر أثر سيّد في الثورة ورجاليها. وختم طه حسين كلمته بالقول: إن سيّد قطب انتهى في الأدب إلى القمة والقيادة، وكذلك في خدمة مصر والعروبة والإسلام!

ثم وقف سيّد قطب، وألقى كلمةً مرتجلة، وسط تصفيق المصفيقين، وهتاف الهاتفين له!

وقال عن الثورة: «إن الثورة قد بدأت حقاً، وليس لنا أن نشي عليها، لأنها لم تعمل - بعد - شيئاً يُذكر، فخرج الملك ليس غاية الثورة، بل الغاية منها العودة بالبلاد إلى الإسلام...».

ثم قال سيّد: «لقد كنتُ في عهد الملكية، مهياً نفسي للسجن في كل لحظة، وما آمنُ على نفسي في هذا العهد أيضاً، فأنا في هذا العهد، مهياً نفسي للسجن، ولغير السجن، أكثر من ذي قبل!». .

وهنا وقف جمالُ عبد الناصر، وقال بصوته الجمهوري ما نصّه: «أخي الكبير سيّد، والله، لن يصلوا إليك إلا على أجسادنا، جثثاً هامدة، ونعاهدك باسم الله، بل نجددُ عهدنا لك، أن نكون فداءك حتى الموت!!!».

وصفّق الناسُ تصفيقاً حاداً متواصلاً، مع الهُتاف المتكرر بحياة سيّد قطب.

ثم وقف الضابط «محمود العزب»، وتكلّم عن دور سيّد قطب في التمهيد للثورة، وعن حضوره لبيت سيّد قبيل الثورة، وأنه وجدَ عنده عبدُ الناصر، وغيره من ضباط الثورة!! وبينَ نظرة رجال الثورة لسيّد.

ثم وقف الأستاذ «أحمد عبد الغفور عطار» وعقّب على كلام الدكتور طه حسين عن سيّد، فقال عطار عن سيّد: إن سيّد عنيد في الحق، فهو إذا اعتقد شيئاً أصرّ عليه، ولا يعتقّد إلا الحق، وهو عنيدٌ في كفاحه وجهاده، لا يثني عزيمته وعناده أمرٌ من هذه الأمور التي تحطّم الرجال حطماً. . وأولى خصال سيّد هي الإيمان بالله، فهو يعرف أن قوة الحكومة كبيرة، ولكنه يؤمن أن الله أكبر، وهذا الإيمان يجعل تلك القوة الكبيرة الضخمة، صغيرة وضعيفة. فيكبرُ عليها بإيمانه أن الله أكبر.

ولهذا لم يُبالِ بقوى الطغيان، وقوى الفساد، وقوى الشر الكبيرة، ودفعه إيمانه بأن الله أكبر على الوقوف في وجهها، والانتصار عليها. .

... وعندما انتهى الحفلُ كان البكباشي جمالُ عبد الناصر في وداع سيّد قطب، وكان الضباطُ والجنودُ وجماهيرُ الناس تهتفُ بحياة سيّد^(١).

(١) مجلة كلمة الحق . السنة الأولى . العدد الثاني . مايو ١٩٦٧م . صفحات: ٣٧ - ٣٩.

نكتفي بتقديم هذه المعلومات العجيبة للقارىء، كما رواها أحد الحضور - أحمد عطار - ولا نعلق عليها، إلا بالإشارة إلى هذه الفراسة الإيمانية النفاذة لسيد قطب، حيث لم تغرّه المظاهر، ولم يكن صاحب نظرة ضيقة، لا يرى إلا أمام عينيه. إنه كان حادّ النظر، نفّاذها، يستشرف المستقبل، وينظر فيه على أساس السنن والحقائق، وإلا فما معنى أن يتوقّع السجن والموت، على أيدي رجال هم الآن يحتفون به، ويهتفون ويصفقون له!!!.

ونذكر القارىء بأن عبد الناصر - الذي أقسم أمام الجماهير الحاشدة في ذلك الحفل، أن يحافظ على سيد وحياته، والذي عاهد أنه يكون فداءه حتى الموت - هو الذي حكم عليه بالإعدام، وأمر بتنفيذ ذلك الإعدام، وكان سبباً مباشراً في موت سيد واستشهاده بعد أربعة عشر عاماً كاملة من هذا التاريخ!!!.

سيد وهيئة التحرير

بعد قيام الثورة، وفي مطلع عام ١٩٥٣م، أراد عبد الناصر تشكيل حزب، أو هيئة أو تنظيم سياسي، ليكون واجهة للثورة، وحزباً لها، يتبنّاها ويدافع عنها، وليتحدّى جماعة الإخوان المسلمين - أكبر تنظيم إسلامي، وأضخم قوة شعبية في مصر - .

فكان أمره بإنشاء «هيئة التحرير» في ٢٣/١/١٩٥٣^(١).

وطلب عبد الناصر من الإخوان المسلمين الانخراط في هيئة التحرير، وحلّ شعبهم وتنظيمهم! وأرسل عبد الناصر الضابط «إبراهيم الطحاوي» في بداية شهر يناير ١٩٥٣م، إلى الأخ اللواء «صلاح شادي» بهذا الخصوص، فرفض صلاح شادي عرض عبد الناصر. فطلب عبد الناصر من الإخوان عقد جلسة عمل معه، ليتدارسوا موضوع انصهار الإخوان في هيئة التحرير! واجتمع الفريق الإخواني المفاوض لعبد الناصر، في منزل الأخ المستشار «حلمي عبد الباقي» - ومنهم صالح أبورقيق، وفريد عبد الخالق، وصلاح شادي، وحسن العشماوي، وحلمي عبد الباقي - . وبعد مداورة موسّعة

(١) الإخوان المسلمون، لمحمود عبد الحليم ٣: ١٧٥.

للموضوع مع عبد الناصر، رفضوا الانصهار في هيئة التحرير، والذوبان فيها، والانضمام إليها. وقالوا لعبد الناصر: لا. فضَمَّ عبدُ الناصر هذه المخالفة إلى ملفِّ الإخوان عنده، وإلى «لاءاتهم» الأخرى، وزادَ حقداً عليهم من أجل ذلك^(١).

ويروي الأخُ محمود عبد الحليم «أن قيادة الإخوان لم تمنع أفراد الإخوان من الحركة كما يشاءون، ولم تحجر عليهم الالتقاء مع أعضاء هيئة التحرير وزيارة مكاتبها. وأمام دعوة عبد الناصر المتكررة للإخوان لدخول الهيئة «قام عددٌ من دعاة الإخوان بزيارة مقر قيادة الهيئة، والالتقاء بطبقة الموجهين فيها، والفلاسفة الذين صاغوا مبادئها، وحددوا أهدافها، وهم من أساتذة الجامعة وكبار الكتاب... فلما التقوا بهم، واستطلعوا منهم ما صاغوه من مبادئ وأهداف، سمعوا منهم كلاماً خطيراً! سمعوا منهم أن الهيئة أوسع أفقاً من الإخوان المسلمين، فمثُلها العليا لا تقصر على محمد وعمر وخالد، بل تتسع لتشمل لينين وماركس وفرويد. رجَعَ إلينا هؤلاء الإخوانُ الدعاة رافضين آسفين...»

وكان منهم الأخُ الأستاذ «البهي الخولي» الذي قصَّ عليَّ ما رأى وما سمع. وأخبرني - فيما أخبرني - أن فلاسفة هيئة التحرير أخبروه أن خزائن الدولة مفتوحةٌ للدعاة على مصاريعها، وكذلك مناصبها...»

وقد كان هناك تركيز من جمال عبد الناصر، على جرَّ شخصيتين إخوانيتين بالذات إلى الهيئة، وهما الأخوان: البهي الخولي، وسيد قطب.

حتى نشرت بعض الصحف في تنبؤاتها - مثل «أخبار اليوم» - أن الأستاذ سيد قطب مرشحٌ لمنصب هام، وشاع في الأوساط الإخوانية أنه مرشحٌ وزيراً للمعارف، وأن الأستاذ البهي الخولي مرشحٌ لمنصب كبير في وزارة الأوقاف! ويبدو في تلك الأيام، أن الأستاذ سيد قطب قد سارع بإعلان قطع صلته بهذه الهيئة...»^(٢).

(١) انظر قصة الإخوان مع عبد الناصر بشأن هيئة التحرير في كتاب صلاح شادي رحمه الله «صفحات من التاريخ»: ٢٠٨ - ٢١٨. وانظر الإخوان المسلمون، لمحمود عبد الحليم

٣ : ٢٦ - ٢٨. (٢) الإخوان المسلمون، لعبد الحليم ٣ : ١٧٤.

ونحنُ مع الأستاذ محمود عبد الحليم في اتصالِ عبدِ الناصر بالإخوان بشأنِ هيئة التحرير، وفي حرصه على أن يكسبَ سيّد قطب للهيئة، لكننا لسنا معه، في أن سيّد قطب وقتها - نهاية عام ١٩٥٢م وبداية عام ١٩٥٣م - كان من الإخوان المسلمين رسمياً، أو أنه منضمٌ لهم فعلاً!

إلا إذا كانَ الأستاذُ عبد الحليم يقصدُ أن سيّد قطب كان قريباً جداً من الإخوان، وأن الناسَ يعتبرونه من الإخوان، وأن عبدَ الناصر يتعاملُ معه بهذا الاعتبار!

أما بخصوص سيّد قطب وهيئة التحرير، فيبدو أن عبدَ الناصر قد أشركَ سيّد قطب معه، أثناء التفكير في نظامِ وجهازِ وفكرِ هيئة التحرير، وقد استغرقَ هذا عدةَ شهور من عام ١٩٥٢م.

ولما صدرَ المرسومُ الجمهوريُّ بإنشاءِ الهيئة في ٢٣/١/١٩٥٣م، كان سيّد يتسلّمُ مسؤوليةً رئيسيةً فيها!

لم يكن سيّد قطب سكرتيراً لهيئة التحرير، لأن عبدَ الناصر كان هو السكرتير العام لها. ويبدو أن سيّد كان مساعداً له.

لم يستمرَّ عملُ سيّد في هيئة التحرير طويلاً، فقد كان أقلَّ من شهر، إذ أن الهيئة تأسست في ٢٣/١/١٩٥٣م، واستقالَ سيّد منها في شهر فبراير «شباط» - كما جاء في تقريره الذي كتبه للمحققين - .

سيّد يحاول الإصلاح بين عبد الناصر والإخوان المسلمين

لما ازدادت شقّةُ الخلافِ بين الإخوان المسلمين وبين عبد الناصر، كانت العلاقة بين عبد الناصر وبين سيّد، ما زالت جيدةً وقويةً، ولم يكن وقتها من الإخوان رسمياً.

وكان سيّد يخشى تحوّل الخلاف إلى صدام، وفي هذا خسارةٌ للإخوان وللثورة، وللمجتمع والوطن.

ولذلك حاولَ سيّد الإصلاح بين عبد الناصر والإخوان، باعتباره صديقاً للطرفين، مُقرباً من كلّ منهما.

وكان يلاحظ المكر البغيض مِنْ قِبَلِ مجموعةٍ من المقرَّبين من عبد الناصر، الذين كانوا يوغرون صدره على الإخوان، ويقدمون له تقاريرَ كاذبة عنهم، ويوحون له بالصدام معهم.

وكانت تحركُ هؤلاء أصابعَ أجنبية، وبعضهم كانوا عملاء للمخابرات الأمريكية! قال سيّد في تقريره للمحقّقين: «فيما يتعلّق بالخلاف بين رجال الثورة والإخوان المسلمين. وكنتُ في ذلك الوقت ألاحظُ نموّه عن قُرب، لأنني أعملُ أكثر من اثنتي عشرة ساعة يومياً، قريباً من رجال الثورة، ومعهم، ومع مَنْ يحيط بهم.

أقول: المهمُّ الآن أن الأستاذ «فؤاد جلال» كان من بين أعضاء جمعية الفلاح^(١)، وكان وكيلاً للجمعية - وكان وزيراً في أوّل وزارةٍ بعد الثورة - وكنتُ ألاحظُ في مناسباتٍ كثيرة أنه يغذي الخلاف بين رجال الثورة والإخوان المسلمين، ويضخّم المخاوف منهم، ويستغلُّ ثقةَ الرئيس جمال عبد الناصر به، ويبثُّ هذه الأفكار في مناسباتٍ كثيرة، لم يكن يُخفيها عني، لأنه كان يراني كذلك مقرباً من رجال الثورة، وموضعَ ثقتهم، مع ترشيحهم لي لبعض المناصب الكبيرة الهامة، ومع تشاورنا كذلك - على المفتوح - في الأحوال الجارية إذ ذاك، مثلُ مسائل العمال والحركات الشيوعية التخريبية بينهم، بل مثلُ مسألة الانتقال ومدّتها، والدستور الذي يصدرُ فيها.

المهم أنني كنتُ أربطُ بين خطة الأستاذ فؤاد وجمعية الفلاح - كمنظمة أمريكية الاتجاه والاتصال - وبين إشعال الخلاف بين الثورة والإخوان.

وقد حاولتُ وقتها - ما أمكن - منع التصادّم، الذي كنتُ ألعنُ بوادره، ولكنني عجزت. . . وتغلّب الاتجاه الآخر في النهاية. . .»^(٢).

(١) جمعية «الفلاح» جمعية أمريكية مشبوهة، أسّسها الدكتور أحمد حسين عام ١٩٥١م ليشاغب فيها على الإخوان المسلمين، وقد انضم لها بعض كبار الأدباء والسياسيين من أمثال الدكتور محمد صلاح الدين والدكتور عبد الرزاق السنهوري وأحمد الباقوري. انظر: لماذا أعدموني: ١٣ - ١٤. و«الإخوان المسلمون» لعبد الحليم ٣: ١٦٥ - ١٧١.

(٢) لماذا أعدموني: ١٣ - ١٤.

سيّد يفاصل رجال الثورة وينحاز إلى الإخوان

كان بإمكان سيّد قطب أن يبقى مع عبد الناصر، وأن ينعم بالمناصب والمراكز والأموال التي يغدقها عليه، وأن يوافق على بطشه وظلمه وطغيانه، مقابل التمتع بما لديه من متاع الدنيا! كان بإمكانه أن يفعل هذا - كما فعل كثيرون من المرتزقة التجار المحيطين بعبد الناصر - لو كان سيّد مرتزقاً، تاجر مبادئ وأفكار، وطالب دنيا وملذاتها ومتاعها!!

لكن سيّد قطب لم يكن كذلك، كان صادقاً في التزامه وأفكاره وإصلاحه، صادقاً في معاملاته وصلاته وارتباطاته وولاءاته!

ظنّ في رجال الثورة - وبخاصة زعيمها عبد الناصر - الصدق والوطنية، والرغبة في الإصلاح ومحاربة الفساد ونشر العدل، فتعامل معهم على هذا الأساس، نسّق معهم قبل قيام الثورة، وتعاون معهم بعد قيامها، وكان معهم ليل نهار، أكثر من اثنتي عشرة ساعة يومياً.

عرض عليه عبد الناصر «بعض المناصب الكبيرة الهامة» - حسب كلامه هو - فرفضها، لأنه لم يكن طالب وظائف، وجامع أموال، رفض وزارة المعارف، ورفض إدارة الإذاعة، ورفض غير ذلك.

وما قبل العمل في مركز هام في هيئة التحرير إلا ليعطي الهيئة إطاراً إسلامياً، وبُعداً تربوياً، لينشئ شباب مصر وجيل الثورة، على الإسلام ومبادئه.

ولكنه وجد في معظم رجال الثورة - وبخاصة زعيمها عبد الناصر - غير ذلك. ووجد «فلسفة الثورة» ونظام هيئة التحرير على غير ما يريد هو ويطلب ويتمنى!

وجد عند عبد الناصر البطش والبغي والظلم والعدوان، وجد عنده المكر والكيد والحقْد، وجد عنده الكذب والنفاق، وجد عنده كراهية الحق، وحرب الإسلام، وبُغض الدعاة إلى الله - الإخوان المسلمون - .

وكان لا بدّ من الانفصال بينه وبين عبد الناصر - وغيره من رجال الثورة - ففأصلّهم، وخالفهم، وفارقهم، وترك لهم مناصبهم ووظائفهم ومراكزهم وأموالهم، التي حاولوا إغراءه بها!

كان ذلك الانفصال والافتراق في مطلع عام ١٩٥٣م، أي بعدَ شهرٍ من قيام الثورة: «استغرقتُ في العملِ مع رجالِ ثورة يوليو حتى فبراير ١٩٥٣م، عندما بدأ تفكيري وتفكيرُهم يفرقُ حول هيئة التحرير، ومنهج تكوينها، وحول مسائل أخرى جارية في ذلك الحين، لا داعي لتفصيلها... وفي الوقت نفسه كانت علاقاتي بجماعة الإخوان تتوثق...»^(١).

وبذلك فاصَلَ سيّد رجالِ الثورة وقاطعَهم، وانحازَ إلى الإخوان المسلمين، وصارَ واحداً منهم!.

* * *

(١) لماذا أعدموني: ١١.

الثاني

سيّد قطب في طريقه إلى الإخوان المسلمين

لم ينضمّ سيّد قطب إلى جماعة الإخوان المسلمين فجأة، وبدون مقدمات. وإنما سلك طريقاً طويلة - زمنياً - حتى وصل إلى الجماعة، وكانت هناك مراحل متعاقبة، سار فيها سيّد خُطواتٍ متدرّجة، إلى أن صار رسمياً أخاً مسلماً عاملاً، في جماعة الإخوان المسلمين!

أخطاء في بيان صلته بالإخوان

كثيراً ما وقع الكاتبون والمؤلفون والمتكلّمون في أخطاء تاريخية، وذلك أثناء كلامهم عن صلة سيّد قطب بالإخوان المسلمين، حيث يوردون أقوالاً، ويروون روايات، لا صحة لها، ولا دليل عليها، بل هي متعارضة مع ما يرويّه سيّد نفسه عن صلته بالجماعة!

من هذه الأخطاء:

أنه التقى بمرشد الإخوان المسلمين ومؤسس جماعتهم، حسن البنا.

وأنه استمع منه إلى محاضرة، فأعجب به، وتأثر لكلامه.

وأنه دفع أصول كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» إلى حسن البنا عام ١٩٤٨م ليطبّعه، وأن البنا طبعه بعد سفر سيّد إلى أمريكا.

وأنه أهدى كتاب «العدالة الاجتماعية» إلى شباب الإخوان المسلمين، الذين كانوا وقتها في السجون والمعتقلات.

وأنه التقى بالإخوان المسلمين بعد عودته من أمريكا عام ١٩٥٠م. وأبدى

اعتراضاتٍ له على منهجهم في العمل، وأنَّ صالح عثماوي – ثم المرشد العامَّ حسن الهضيبي – دعاه إلى الانضمام للجماعة، وإصلاح منهاجها من الداخل.

وأنه انضمَّ إلى الإخوان رسمياً عام ١٩٥١م.

وأنه كان يقول: وَلِدْتُ عام ١٩٥١م.

وأنَّ عبدَ الناصر كان يتعاملُ معه قبلَ قيام الثورة، باعتباره مندوباً رسمياً عن الإخوان المسلمين.

وأن حسنَ الهضيبي قدَّم اسمه لعبد الناصر ليكون وزيراً ممثلاً للإخوان في الوزارة.

وأنه كان – منذ ١٩٥١م – عضواً في مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين – وهو أعلى سلطة قيادية للإخوان –.

وأنه كان منذُ عام ١٩٥١ رئيساً لقسم نشر الدعوة في الجماعة.

وأنَّ مكتب الإرشاد جعله مندوباً عن الإخوان، لدى الحزب الشيوعي المصري، للتنسيق بين الإخوان والشيوعيين، في مقاومة طغيان عبد الناصر عام ١٩٥٣ و ١٩٥٤م.

ونرى أن كلَّ ما مضى عبارة عن أخطاء تاريخية!! لأنها لا دليلَ عليها، ولأنَّها تتعارضُ مع كلامه هو عن طريقه للإخوان، وانضمامه إليهم، وبيانهِ الأعمال التي أوكلوها إليه^(١).

سيد مصليح إسلامي قبل توجهه للإخوان

عرَّفنا – فيما سبق – أن سيد قطب توجهَ للقرآن، وأنَّ القرآن قادهُ إلى الفكر الإسلامي العام.

(١) أورد هذه الأخطاء التاريخية كثير ممن كتبوا عن سيد قطب في المجلات الإسلامية، وأورد بعضها الأستاذ يوسف العظم في كتابه عن سيد قطب. وما أبرئ نفسي، فقد أوردتُ بعضها في الطبعة الأولى من هذا الكتاب «سيد قطب الشهيد الحي» الصادرة عن مكتبة الأقصى في عمان عام ١٩٨١م.

إن سيّد كان مصلحاً إسلامياً منذ عام ١٩٤٧م، وكان يدعو إلى إصلاح الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية على أساس الإسلام، يكتب ويؤلف ويحاضر، داعياً إلى أفكاره الإسلامية الإصلاحية.

ولكنه كان يدعو للإصلاح، ويقوم بأعماله الإصلاحية، من منطلقٍ فرديٍّ ذاتيٍّ، أي أنه كان يتحرك بمفرده، ويفكر بمفرده، فلم يكن وقتها متتمياً إلى الإخوان المسلمين – الذين كانوا في أوج نشاطهم، وقمة حركتهم، في الأيام الأخيرة من حياة الشهيد حسن البنا – كما أن سيّد لم يكن متتمياً إلى أي حزبٍ سياسي، أو أية جماعةٍ إصلاحية، إسلاميةٍ أو غير إسلامية!

هل عمل سيّد على إنشاء جماعة إسلامية؟

ذهب بعضُ الكاتبين إلى أن سيّد قطب، عمل – بعد منتصف الأربعينيات – على تأسيس جماعةٍ إصلاحيةٍ إسلامية، وإنشاء تنظيمٍ إسلاميٍّ دَعَوِيٍّ، وأنه بدأ بتجميع الشباب المسلم، ثم جَدَّتْ له أعمالٌ جديدة، ثم سافر إلى أمريكا. ولما عاد من أمريكا وجَدَ ضالَّته في جماعة الإخوان المسلمين، فعَدَلَ عن تنظيمه الإسلامي، وانضمَّ إلى الإخوان!.

يقول الأستاذ يوسف العظم بهذا الخصوص: «قاده تفكيره، إلى أن يقوم بتنظيم مجموعات من الشباب، تعمل وفق برنامجٍ محدّد، ومنهاجٍ حركيٍّ شامل، يدعو لاستئناف حياةٍ إسلاميةٍ جديدة... غير أن الأقدار ساقته إلى التعرف على العطاء الفكري، والجيل المؤمن، الذي ربّاه الأستاذ «الإمام الشهيد حسن البنا». فلقي في هذا الجيل بُغيته، ووجد في الفتية ضالَّته...»

إلى أن يقول: «... ولو أراد سيّد قطب أن يُنشئ تنظيمًا جديدًا، ويُقيم حركةً ثانية – غير حركة الإخوان المسلمين – للقي من السلطة كلَّ دعم، ومن الحكام كلَّ عون... سيّما وكان الإخوان يومئذٍ على أبواب محنة عاتية...»^(١).

ولست مع الأستاذ يوسف العظم فيما ذهب إليه، ولا أرى أن الأمر كان عند سيّد

(١) الشهيد سيّد قطب ليوسف العظم: ٣٦ – ٣٧ باختصار.

على تلك الصورة، ولا أعتقد أنه شرع في إنشاء جماعة إسلامية!
لعدم وجود دليل على ذلك أولاً. لا من أقوال سيد قطب، ولا من أقوال
الشباب الذين كانوا حوله.

صحيح أن سيد كان يدعو إلى الإصلاح الإسلامي، وصحيح أنه كان يفتح بيته
في حلوان أمام الزائرين، وصحيح أنه كان يتردد على بيته كثير من الشباب المتأثرين
بمقالاته، والمعجبين بأفكاره، وصحيح أنه كان يحاور زائريه في أفكاره الإصلاحية
الإسلامية.

لكن هذا كله شيء، والقول بأنه شرع في إنشاء جماعة إسلامية شيء آخر، فلا
يدل اتصاله بزائريه على تنظيم!

لذلك نرى أن تصور سيد قطب للإصلاح والتغيير - قبل ذهابه إلى أمريكا - كان
لا يتعدى مقالات وكتباً، وندوات ومحاضرات، يث فيها أفكاره، ومناقشات
و«دردشات» مع زائريه في بيته، وهذا كله لا يرتقي ليكون تنظيمًا، أو شروعاً في إنشاء
ذلك التنظيم!!.

سيد لم يهد كتاب «العدالة» إلى شباب الإخوان
لم يثبت أن سيد قطب قد التقى بالإمام حسن البنا، أو أنه سمع له محاضرة
أو حديثاً.

ولم يثبت أن سيد قد التقى بالإخوان المسلمين وتعامل معهم، قبل ذهابه إلى
أمريكا.

لكن هذا لا يعني أنه كان لا يعرف عن حسن البنا، أو عن الإخوان المسلمين
شيئاً.

فهو أديب كبير، ومثقف عريض الثقافة، وهو رجل اجتماعي، كان له حضور
دائم في حياة مصر الثقافية والاجتماعية السياسية والإصلاحية، وله اطلاع على تيارات
الإصلاح فيها.

وكان الإخوان المسلمون — بعد الحرب العالمية الثانية — في قمة نشاطهم، وفي عنفوان تأثيرهم في الحياة المصرية. وسيّد كان يعرف عنهم وعن نشاطهم.

لكنه لم يدرك قيمة الإخوان المسلمين، ولا أثر إمامهم حسن البنا، ولم يكن يتوقّع قوتهم في الحياة المصرية!

وهو يعترف بذلك قائلاً: «لم أكن أعرف إلا القليل عن الإخوان المسلمين، إلى أن سافرت إلى أمريكا في ربيع ١٩٤٨م»^(١).

كان قد انتهى من تأليف كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» قبل سفره إلى أمريكا، وأراد أن يطبعه. وقد حال سفره عن إشرافه على طباعته.

وليس صحيحاً أن سيّد قطب عهد بالكتاب إلى حسن البنا ليطبّعه، وأن حسن البنا هو الذي طبّعه، وأمر بتوزيعه على الإخوان.

فالصحيح أن سيّد عهد بالكتاب إلى شقيقه «محمد قطب» وأن شقيقه هو الذي تولّى طباعته. وصدرت طبعته الأولى في أبريل — نيسان — ١٩٤٩م.

وقد صدر سيّد قطب كتاب العدالة بإهداء مثير. حيث قال في الإهداء: «إلى الفتية الذين ألمحهم في خيالي قادمين، يردّون هذا الدين، جديداً كما بدأ.. يُقاتلون في سبيل الله، فيقتلون ويُقتلون، مؤمنين في قرارة أنفسهم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين..»

إلى أولئك الفتية، الذين لا أشك لحظة أن روح الإسلام القوية، ستبعثهم من ماضي الأجيال، إلى مُقبل الأجيال، في يومٍ قريب.. جدّ قريب»^(٢).

وقد فهم كثيرون، أن سيّد يقصد بإهدائه هذا شباب الإخوان المسلمين. وكان الإخوان في هذه الفترة، يعيشون خلف أسوار السجون والمعتقلات، جزاءً لهم لقتالهم البطوليّ ضد اليهود في فلسطين. وكانت حكومة السعديّين تحارب الإخوان، وكلّ ما له صلة بالإخوان، وكلّ مَنْ يتقرّب إلى الإخوان.

(١) لماذا أعدموني: ١٠.

(٢) انظر «لماذا أعدموني»: ١١. والشهيد سيّد قطب، ليوسف العظم: ١٥٤.

فهتت الحكومة أن سيّد — الذي كان في أمريكا، عند صدور كتابه — يقصدُ شباب الإخوان بإهدائه، فبادرت إلى مصادرة الكتاب، وسحبه من الأسواق — كما يروي الأستاذ يوسف العظم — .

وفهم الإخوان أن سيّد يعينهم هم بالإهداء، فأعجبوا بالكتاب، وبادروا إلى تداوله داخل السجون وخارجها.

وعلق حسن البنا على الكتاب — كما يروي الأستاذ يوسف العظم — يقول: «هذه أفكارنا، وكان ينبغي أن يكون صاحبها واحداً منا»^(١).

جزم كاتبون بأن سيّد كان يقصدُ بذلك الإهداء شباب الإخوان، ورفضوا أنه لم يكن يعينهم!

قال الأستاذ يوسف العظم بهذا الخصوص: «ولست مع الذين يقولون: إن الشهيد لم يكن يقصد بمقدمته تلك، شباب الإخوان ولا حركتهم...»^(١)، فهو يجزم بأنه كان يعينهم ويقصدهم!

مع أن الصحيح هو خلاف ما جزم به الأستاذ العظم!!

فعندما قابلت الأستاذ محمد قطب، وسألته عن هذا الإهداء، نفى أن يكون قاصداً شباب الإخوان. وإنما أهداه إلى شباب، يلمحهم بخياله قادمين، وهو لم يرهم في عالم الواقع!

ثم إن صيغة الإهداء تدلُّ على ذلك، فهو يتخيّل فتية قادمين، يدعون إلى هذا الدين، وهو يستشرف قدومهم، ويتوقّع هذا — بفراسته وفطنته — وهو يرى أن الأحوال والأحداث والأمور، تتطلب قدومهم، وتقدّم إرهابات لوجودهم. وأن روح الإسلام القوية العظيمة الحية، ستبعثهم وتوجدهم، لأن كل ما حولهم يوجب وجودهم!

وما لنا نذهب بعيداً في التفسير؟ وعندنا تصريح من سيّد قطب نفسه، وهو أبلغ ردّ على جزم الأستاذ يوسف العظم السابق.

(١) الشهيد سيّد قطب، ليوسف العظم: ١٥٥.

قال سيّد في تقريره: «في الوقت ذاته صدر لي كتابُ «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، سنة ١٩٤٩م، مصدّراً بإهداء هذه الجملة... ففهم الإخوانُ في مصر، أنني أعنيهم بهذا الإهداء، ولم يكن الأمرُ كذلك!! ولكنهم من جانبهم تبنّوا الكتاب، واعتبروا صاحبه صديقاً...»^(١).

ومما يدلُّ على أن سيّد لم يكن يقصدُ شبابَ الإخوان في إهداء الكتاب في طبعته الأولى، أنه قصّدهم وعَنَاهم في طبعة الكتاب الثانية، التي أصدرها عام ١٩٥٤م، بعدما صار أخاً عاملاً مع الإخوان المسلمين، حيث قال في إهدائه الجديد: «إلى الفتية الذين كنتُ ألمحُهم بعين الخيال قادمين، فوجدتُهم في واقع الحياة قائمين... يجاهدون في سبيلِ الله بأموالهم وأنفسهم، مؤمنين في قرارة نفوسهم: أن العزةَ لله ولرسوله وللمؤمنين.

إلى هؤلاء الفتية، الذين كانوا في خيالي أمنيةً وحُلماً، فإذا هم حقيقةً وواقع، حقيقةً أعظمُ من الخيال، وواقعٌ أكبرُ من الآمال.

إلى هؤلاء الفتية الذين انبثقوا من ضمير الغيب، كما تنبثقُ الحياةُ من ضمير العدم، وكما ينبثقُ النورُ من خلالِ الظلمات.

إلى هؤلاء الفتية الذين يجاهدون باسمِ الله. في سبيلِ الله. على بركةِ الله. أهدي هذا الكتاب...»^(٢)

حادثتان في أمريكا قرّبتاه من الإخوان

لما كان سيّد في أمريكا، عرّف أمريكا -قائدة الجاهلية المعاصرة- على حقيقتها، ووقفَ على مقدارِ الكيدِ والحقْدِ والعداوةِ التي يُكنُّها الغربيون -صهيونيون وصلبيّون وملحدون- للإسلام والمسلمين وحربهم للدعوة الإسلامية، ممثّلةً في حركة الإخوان المسلمين -رائدة حركة البعث الإسلامي المعاصرة-.

(١) لماذا أعدموني: ١٠ - ١١ باختصار.

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام: ١.

وبما أن سيّد كان في أمريكا صاحبَ حسٍّ إسلامي، وهدف إسلامي، وتميّز إسلامي، فقد كان يجدُ نفسه قريباً - نفسياً - من الإخوان المسلمين.

وقد حدثت له في أمريكا حادثتان، قرّباه من الإخوان المسلمين، لأنه عرّف منهما فضلَ حركة الإخوان ودورها، وأثرها على القوى المعادية للإسلام والمسلمين، ومقدارَ حقدٍ وحرب تلك القوى على هذه الحركة!

الحادثة الأولى: عندما استشهد الإمام حسن البنا - مؤسس الإخوان المسلمين ومرشدُهم - حيث اغتالته الحكومة المصرية والقصر الملكي في ١٢ فبراير ١٩٤٩م.

وقد لاحظَ سيّد مظاهرَ الفرح والابتهاج - بل والشّماتة - التي عند الأمريكيّين، لاغتيال المرشد حسن البنا، كما اطلّع على سرور الصحفيّين والمراقبين، كما بدأ في تحليلاتهم وتعليقاتهم في الصحف الأوروبية والأمريكية. حيث اعتبروا «حسن البنا» أخطرَ رجلٍ في الشرق، وبقتل حكومة مصر - العميلة - له، تخلّصوا من خطره عليهم. كما اعتبروا جماعة الإخوان المسلمين، أخطرَ جماعةٍ وتنظيمٍ في بلاد المسلمين، لوقوفها في وجه المخططات الغربية والشرقية والصهيونية، ضدّ الإسلام والمسلمين.

يقول سيّد: «وقد قُتلَ الشهيد حسن البنا، وأنا هناك في عام ١٩٤٩م، وقد لفتَ نظري بشدّة ما أبدته الصحفُ الأمريكية - وكذلك الإنجليزيّة التي كانت تصلُ إلى أمريكا - من اهتمامٍ بالغٍ بالإخوان، ومن شماتة، وراحةٍ واضحة، في حلّ جماعتهم وضربها، وفي قتل مرشدها»^(١).

الحادثة الثانية: جهودُ رجلِ المخابرات البريطاني «جون هيوورث دن» في تحذير سيّد من خطر الإخوان المسلمين.

فقد جاء «جون هيوورث دن» من بريطانيا إلى مصر، وهناك درسَ في جامعيتها، وتعرّف على المسلمين فيها، بهدف الرصد وجمع المعلومات، ثم ادعى الإسلام،

(١) لماذا أعدموني: ١٠.

وتسمى باسم «جمال الدين دن»، وتزوج من مصرية مسلمة تدعى «فاطمة»، ثم غادر مصر إلى أمريكا، واستقر هناك مدرساً في جامعاتها^(١).

وقد التقى «دن» في أمريكا بسيد قطب أكثر من مرة، وحاول احتواءه لمصلحة المخابرات الإنجليزية!

عرض عليه أن يترجم كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام» إلى الإنجليزية، مقابل عشرة آلاف دولار. ولكن سيد رفض عرضه، وأعطى الكتاب إلى المستشرق «هاردي» في جامعة «هاليفاكس» في كندا، لترجمته مجاناً!

وقدّم له هذه الحقيقة عن رؤساء أمريكا: «والكثير من الحاكمن في الدولة الأمريكية، تخرجوا في المعاهد التبشيرية. وهي حقيقة أفضى بها إليّ أحد الأساتذة الإنجليز، الذين التقيت بهم في أمريكا، وعدّ لي عشرات من الأسماء البارزة، في وزارة الخارجية الأمريكية، وفي السلك السياسي؟

ولم يكن يُفضي إليّ بهذه الحقيقة بريئاً لوجه الله، وإنما هو — كما عرفت فيما بعد — أحد رجال قلم المخابرات البريطاني، الذين يهتمهم ألا يثق الشرقيون كثيراً في نيات أمريكا.

مما دعاني إلى التشكك في بياناته لي، فتحققتها بوسائل أخرى^(٢).

أما بالنسبة للإخوان المسلمين فقد حدث «دن» سيد قطب كثيراً عن جماعتهم، وصار يعرض عليه تقارير كثيرة، مفصلة ودقيقة عن الجماعة، وعن تحركات ونشاطات وخطب مرشدها «حسن البنا»، منذ تأسيس الجماعة في الإسماعيلية عام ١٩٢٨م، إلى أن حُلّت الجماعة عام ١٩٤٨م، واغتيل مرشدها في مطلع عام ١٩٤٩م.

وعقب «دن» على ذلك، بتصوير الخطر الماحق، الذي سيحل بمصر، إذا حكمتها هذه الجماعة، وبين لسيّد أن الأمل معقود على أيدي الشباب والمثقفين والمفكرين — من أمثال سيد — ليحولوا بين هذه الجماعة وبين استلام الحكم!

(١) أخبرني بذلك الأستاذ محمد قطب.

(٢) معركة الإسلام والرأسمالية: ٩٧ — ٩٨.

ونصح «دن» سيّد بالكفّ عن معاداة بريطانيا، والهجوم عليها، لأنّها إنّ خرجت من مصر، فستحلّ محلّها أمريكا، وهي أشدّ عداءً منها^(١).
وقد ألّف «دن» عام ١٩٥٠م، كتاباً خطيراً جداً، سماه «الاتجاهات الدينية والسياسية في مصر الحديثة»، تحدّث فيه كثيراً عن حركة الإخوان المسلمين، وبين خطرهما على العالم الغربي، وحذّر منها، ودعا إلى مقاومتها ومحاربتها^(٢).
وقرأ سيّد هذا الكتاب في أمريكا، وأضافه إلى سجلّ حقّد الغربيّين على حركة الإخوان، وإلى جهود المستشرق «دن» في تأجيج هذا الحقد عند الغربيّين.
قال سيّد: «ومن حديث عن خطر هذه الجماعة، على مصالح الغرب في المنطقة، وعلى ثقافة الغرب وحضارته فيها. وصدرت كتب بهذا الخصوص سنة ١٩٥٠م، أذكر منها كتاباً لجيمس هيوarth دن بعنوان: «التيارات السياسية والدينية في مصر الحديثة».
كلّ هذا لفت نظري إلى أهمية هذه الجماعة، عند الصهيونية والاستعمار الغربي»^(٣).

عملاء أمريكا في مصر يحاربون الإخوان

عاد سيّد من أمريكا إلى مصر عام ١٩٥٠م، وهو قريب جداً من الإخوان المسلمين، والذي جعله يقترب من الإخوان، ما رآه هناك في أمريكا، وزيادة وعيه الإسلامي، وجهده العملي الإصلاحي.
كذلك كان لاحترام شباب الإخوان له، وإعجابهم بفكره، وتردّدهم عليه، وزياراتهم له، أثر في اقتراجه الكثير من الإخوان.
لكنه لم ينضم رسمياً للإخوان قبل ثورة يوليو عام ١٩٥٢م، لانشغاله بأعمال إصلاحية في محاربة الملكية، وفي التمهيد للثورة! فلما قامت الثورة، انصرف إلى أعمال عديدة مع رجالها، استغرقت معظم وقته، بحيث كان يعمل معهم أكثر من

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) انظر «الإخوان المسلمون»، لمتشل — طبعة أبو السعود — : ٨ حاشية.

(٣) لماذا أعدموني : ١٠.

اثنتي عشرة ساعة يومياً.

كلُّ هذه الأمور أُخِّرَتْ انضمامه إلى الإخوان.

قال سيّد عن هذه الفترة: «فلما عدتُ في نهاية عام ١٩٥٠م، بدأ بعضُ شبابهم يزورني، ويتحدّثُ معي عن الكتاب — العدالة الاجتماعية في الإسلام — ولكن لم تكن لهم دار — لأن الجماعة كانت لا تزال مصادرة —»^(١).

وكأنَّ عدم وجود دار للإخوان، وعدم نشاطهم الرسمي العلني، كان عاملاً آخر من عوامل تأخير انضمام سيّد للإخوان.

ولما بدأت الخلافاتُ بينه وبين رجال الثورة، بدأ يقتربُ من الإخوان أكثر، وكلما اتسعتُ شقّةُ الخلافِ مع رجال الثورة، كانت تضيقُ المسافةُ بينه وبين الإخوان، وهكذا، فكلُّ ابتعادٍ منه عن رجال الثورة يقابله اقترابٌ منه للإخوان: «وعندما بدأ تفكيري وتفكيرهم يفترق.. وفي الوقتِ نفسه كانت علاقتي مع جماعة الإخوان تتوثق..».

ومما زادَ قُرْبَه من الإخوان، وتقصيرُ المسافةِ في طريقه إليهم، ما لاحظهُ بعدَ عودته إلى مصر، من حربِ عملاء أمريكا للإخوان، واتفاقهم مع كلِّ الأعداء في الداخل والخارج، على الإيقاعِ بالجماعة، وبخاصةٍ بعدَ قيام الثورة!

وأبرزُ مثالٍ على ذلك، ما ذكرهُ سيّد عن رجالِ جمعية «الفلاح» — وهي جمعيةُ أنشأتها أمريكا، واستقطبتُ رجالَ الفكر والأدب والسياسة، وكان يرأسها الدكتورُ أحمد حسين، وكان عبدُ الناصر يقربُ رجالها، ويُسَلِّمُهم المراكزَ والوظائف — حيثُ كانوا يحاربونَ الإخوانَ المسلمين، ويقدمونَ التقاريرَ لعبدِ الناصر، يوغرونَ صدره على الإخوان، ويضخّمون له خطرهم عليه، ويُزيّنون له البطشَ بهم، والقضاءَ عليهم.

وعلى رأسِ هؤلاءِ العملاء، «فؤاد جلال» وكيلُ جمعية الفلاح، والوزيرُ في أولِ حكومةٍ بعدَ الثورة، والمقربُ من عبدِ الناصر^(٢).

(١) لماذا أعدموني: ١١.

(٢) انظر قصة فؤاد جلال وجمعية الفلاح في «لماذا أعدموني»: ١٢ — ١٤.

لسيّد ارتباطان مع الإخوان

يظهرُ لنا ممّا سبقَ، أن لسيّد قطب ارتباطين مع الإخوان:

الأول: كان ارتباطاً عاطفياً، أي أن سيّد كان مؤيداً للإخوان المسلمين، مقتنعاً بدعوتهم قريباً منهم، عاطفته جيّاشة نحوهم. وقد بدأ هذا الارتباط العاطفي عندما كان في أمريكا، وجرت له فيها أحداثٌ وحوادث، زادت اقتناعه بدعوة الإخوان، وقربته منهم.

واستمرّ ارتباطه العاطفيّ معهم لما عادَ إلى مصر، وانفتحَ عليهم وجرى بينه وبينهم اتصالٌ وتزاوُرٌ وتنسيقٌ، وصار يزداّد يوماً بعد يوم.

إذن، كان سيّد عام ١٩٥١م - وهو العام الذي جعله بعضُ الكاتِبين بدايةً انضمامه الرسمي للإخوان - مؤيداً للإخوان، مرتبطاً معهم ارتباطاً عاطفياً فقط!

وقل مثل هذا عن صلة سيّد بالإخوان عام ١٩٥٢م، ومطلع عام ١٩٥٣م، التي لا تعدو أن تكونَ من ذلك النوعِ العاطفي.

وفي هذه المرحلة كان بعضُ المراقِبين يعتبرونَ سيّد أخاً عاملاً، من الإخوان المسلمين رسمياً، وقد يتعاملُ معه على هذا الأساس. وربما كان عبدُ الناصر يتعامل معه على هذا الأساس، ويعتبره من الإخوان المسلمين فعلاً، سواء قبل الثورة أو بعد قيامها. وربما كان بعضُ أفراد الإخوان، يتعاملون معه على هذا الأساس أيضاً.

لكنّ هذا كلّهُ لا يجعلُهُ أخاً عاملاً من الإخوان، لأن الحقيقة لم تكن كذلك!

الثاني: كان ارتباطاً تنظيمياً رسمياً، وذلك عندما أتمَّ سيّد سيره في طريقه إلى الإخوان، وانضمَّ إليهم بالفعل، وصارَ أخاً مسلماً ملتزماً بنظام الجماعة وتنظيمها، وكان هذا في مطلع عام ١٩٥٣م.

وهذا ما سنتحدث عنه فيما يلي - بعون الله - .

الثالث

سيّد قطب مع الإخوان المسلمين

انتهت رحلة سيّد في طريقه إلى الإخوان، بانضمامه فعلاً إلى الجماعة، والتزامه بهم وبمنهجهم وتنظيمهم.

وهذا ما ستحدث عنه الآن، ونبرز أهم أعماله الإخوانية، ونردّ على بعض الادّعاءات والأخطاء في ذلك.

انضمامه للإخوان مطلع عام ١٩٥٣م

أخطأ كثيرون في تحديد سنة انتظامه في جماعة الإخوان، فمنهم من جعل ذلك عام ١٩٥٠م بعد عودته من أمريكا مباشرة، ومنهم من جعله عام ١٩٥١م، ونسبوا له قوله «لقد ولدت عام ١٩٥١»، ومنهم من جعله قبيل قيام الثورة في يوليو ١٩٥٢م، ومنهم من جعله بعدها مباشرة... وهكذا.

من هؤلاء «جيلس كيبل» مؤلف كتاب «النبي والفرعون: التطرف الإسلامي في مصر» حيث روى «عن شهود أحياء من الإخوان: أن صالح ع شماوي - صاحب مجلة الدعوة ومؤسسها - هو الذي أقنعه بالانضمام إلى الجماعة... وأن ذلك كان بالنسبة له أحد تحولاته الكبرى. لأنه قبل أخيراً الدخول في تنظيم، بعد أن استمر أكثر من ربع قرن يرفض قيود التنظيمات والأحزاب... وأنه قال بعد انضمامه إلى الإخوان: «لقد ولدت من جديد عام ١٩٥١م». وفي رواية أخرى: «أنا ولدت الآن فقط عام ١٩٥١م»^(١).

(١) سيّد قطب، لعادل حمودة: ١٠٠.

لقد انضمَّ سيد فعلاً للإخوان المسلمين في مطلع عام ٥٣، وذلك بعد ما فاصَلَ رجالَ الثورة وفارقَهم في شهر فبراير - شباط - ١٩٥٣ م.

يقولُ عن هذا الموضوع: «وفي الوقتِ نفسِه كانتِ علاقتي بجماعة الإخوان تتوثق، باعتبارها في نظري حقلاً صالحاً للعمل للإسلام على نطاقٍ واسع، في المنطقة كُلِّها، بحركةٍ إحياءٍ وبعثٍ شاملة.

وهي الحركةُ التي ليس لها في نظري بديلٌ يكافئُها، للوقوف في وجه المخططات الصهيونية والصليبية الاستعمارية، التي كنتُ قد عرُفْتُ عنها الكثير - وبخاصَّةٍ في فترةٍ وجودي في أمريكا - .

وكانت نتيجةُ هذه الظروف مجتمعة، انضمامي بالفعل سنة ١٩٥٣ م إلى جماعة الإخوان المسلمين»^(١).

وهذا التحديدُ من سيِّد نفسه، لم يترك مجالاً لأحدٍ كي يقولَ بغيره، كما أن هذا التحديدُ يُلغي جميعَ ما أورده الكاتبون - من كرامِ الإخوان المسلمين وغيرهم - من أقوالٍ وآراءٍ تخالفه!

مناقشة هادئة لروايات الأستاذ يوسف العظم

أوردَ الأستاذُ يوسف العظم في كتابه عن سيِّد قطب، رواياتٍ لا تتفقُ مع كلام سيِّد نفسه.

فقد ذهبَ الأستاذُ العظم إلى أن انضمامَ سيد للإخوان كان عام ١٩٥١ م: «وهكذا كانتُ صلةُ الرجل بالجماعة إعجاباً، فاتِّصلاً، فانتظاماً في الصف عقبَ عودته من الولايات المتحدة عام ١٩٥١ م»^(٢).

وإذا تعارضَ كلامُ العظم مع كلام سيِّد، في أمرٍ يخصُّ سيِّد، فالمقدَّم والمعتَبَرُ هو كلام سيِّد، ولهذا نرفضُ روايةَ العظم المذكورة - مع احترامنا وتقديرنا له! - .

(١) لماذا أعدموني: ١١ - ١٢.

(٢) سيِّد قطب، ليوسف العظم: ٣٧.

وقد بنى الأستاذ العظم على الرواية السابقة أموراً أخرى، سجّل له فيها أعمالاً إخوانية، أسندها الإخوان له: «وفي عام ١٩٥٢م فورَ خروج رجال الإخوان المسلمين من معتقلات فاروق، انتُخب الأستاذ سيّد قطب عضواً في مكتب الإرشاد للجماعة، وعُيّن رئيساً لقسم نشر الدعوة في المركز العام للجماعة!»^(١).

ولدى مناقشتنا لهذه الرواية، نجد أن المآخذ عليها من ثلاثة جوانب، وهم فيها الأستاذ العظم:

* الأول: قوله إن الإخوان المسلمين أُفْرِجَ عنهم من معتقلات فاروق عام ١٩٥٢!

وهذا غيرُ صحيح، إذ من المعلوم أن حكومة السعديين برئاسة «إبراهيم عبد الهادي» - التي اغتالت حسن البنا - قد أُسْقِطَتْ بعد الانتخابات، وأنَّ حزب الوفد - الذي فاز بالانتخابات - قد شكّل حكومةً جديدةً في شهر يناير ١٩٥٠م. وأنَّ أولَ ما قام به حزب الوفد هو الإفراجُ عن الإخوان المعتقلين في معتقلات فاروق.

وبهذا نعرفُ أن خروج الإخوان من معتقلات فاروق كان في مطلع عام ١٩٥٠م.

وفي شهر كانون أول - ديسمبر - عام ١٩٥١م، افتتح الإخوان المسلمون مركزهم العام رسمياً، وعادت جماعتهم لمزاولة أعمالها بصورة رسمية^(٢).

وقد بايَعَ الإخوان المسلمون «حسن الهضيبي» مرشداً عاماً جديداً للإخوان المسلمين، خلفاً للمرشد الأول الشهيد حسن البنا، وكانت المبايعة في ١٩/١٠/١٩٥١م^(٣).

* الثاني: قوله إن سيّد قطب انتُخبَ عضواً في مكتب الإرشاد عام ١٩٥٢م. وهذا غيرُ صحيح أيضاً.

(١) المرجع السابق: ٣٨.

(٢) الإخوان المسلمون، لعبد الحلیم ٢: ٣٠١.

(٣) المرجع السابق: ٢: ٤٧٧.

فمعلوم أن هناك دورتين لمكتب الإرشاد في عهد المرشد الجديد حسن الهضيبي .

الأولى كانت بعد انتخابه مباشرة، وكان أعضاء المكتب هم :

«عبد القادر عودة، ومنير دلة، وعبد الحكيم عابدين، وصالح ع شماوي، وأحمد حسن الباقوري، وعبد الرحمن البنا، ومحمد الغزالي، وعبد العزيز كامل، والدكتور حسين كمال الدين، وفهمي أبو غدير، ومحمد خميس حميدة، ومختار عبد العليم، وفريد عبد الخالق، وحسني عبد الباقي»^(١).

والدورة الثانية كانت في ديسمبر - كانون أول - ١٩٥٣م، وقد نجح في عضوية المكتب الإخوة: «الدكتور محمد خميس - وكيلًا للجماعة - وعبد الحكيم عابدين - سكرتيراً - والدكتور حسين كمال الدين - أميناً للصندوق - وعبد القادر عودة، والدكتور كمال خليفة، وعمر التلمساني، وعبد الرحمن البنا، وعبد المعز عبد الستار، وأحمد شريت، ومحمد فرغلي، وعبد العزيز عطية، ومحمد حامد أبو النصر، ومنير دلة، وصالح أبورقيق، والبهني الخولي»^(٢).

وهو المكتب الذي قابل محنة الإخوان مع عبد الناصر، وأدخل معظم أعضائه السجون والمعتقلات، وحُكم على بعضهم بالإعدام، وبعضهم بالسجن المؤبد، وبعضهم بسنوات طويلة!

ومن رواية المرشد الرابع - الحالي - للإخوان «محمد حامد أبو النصر» لأعضاء مكتب الإرشاد، في دورتيه السابقتين قبل محنة الإخوان، نعرف أن سيد قطب لم يكن عضواً في المكتب في أي من الدورتين.

* أما المأخذ الثالث على رواية الأستاذ العظم، فهو في قوله: إن سيد قطب عُيِّن رئيساً لقسم نشر الدعوة.

(١) حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر، للمرشد محمد حامد أبو النصر: ٥٦ - ٥٧.

(٢) المرجع السابق: ٧٦ - ٧٧.

وهذا لم يصح أيضاً، فالثابت أنه عمل في قسم نشر الدعوة، وليس رئيساً له، وكان مجال عمله في القسم هو «الأمور الثقافية، ودرسُ الثلاثاء، وجريدةُ الإخوان المسلمين، وكتابةُ بعض الرسائل الشهرية للثقافة الإسلامية» على حسب كلام سيّد نفسه^(١).

الهضيبي يرد على سيّد قطب!

روى الأخ محمود عبد الحليم في مذكراته «الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ» خبراً عن صلة سيّد قطب بالإخوان، وبخاصة المرشد حسن الهضيبي قبل انضمامه للإخوان عام ١٩٥٣ م.

وخلاصة الخبر أن الإخوان المسلمين فجّروا المعارك ضد القوات الإنجليزية في قناة السويس في نهاية عام ١٩٥١ م. وأن الإنجليز ردوا على هذا بعنف وقسوة ووحشية، فدمّروا البيوت، وقتلوا وجرحوا الناس، واستشهد في الأيام الأولى للمعركة ثلاثة من طلاب الإخوان في الجامعات - عادل غانم وعمر شاهين وأحمد المنيسي - .

وكان رأي فريق من الإخوان المسلمين - ومعهم الغيارى والمتحمسون من الإسلاميين - أن يدخل الإخوان المعركة ضد القوات الإنجليزية بكل كثافة وضخامة وقوة! بينما كان رأي فرق من الإخوان التأمني والتريث والانتظار، حتى تحين الفرصة المناسبة، لئلا تحصد قوات الإنجليز شباب الإخوان على ضفاف القناة!

وقد نشرت جريدة «المصري» كلمة للأخ محمد طاهر منير - رئيس شعبة الإخوان المسلمين بالسويس - يدعو إلى الرأي الثاني.

فردّ عليه الشيخ محمد الغزالي - عضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين - في جريدة «المصري» بكلمة جعل عنوانها «لن تبلغ أمة هدفها إلا إذا نظّفت جبهتها الداخلية - رأي الإخوان المسلمين في الموقف». ودعا الغزالي إلى القوة والحشد في مقاومة الإنجليز، وإلى أن يُلقى الإخوان بكل ثقلهم ضدّ الإنجليز.

(١) لماذا أعدموني: ١٢.

وإزاء الموقفين المتناقضين للغزالي ومنير - وكلاهما من الإخوان - أشفق بعض الناس من عدم اشتراك الإخوان في حرب الإنجليز، وخشوا في إحجامهم عن الجهاد. فنشر الصحفي «إحسان عبد القدوس» في مجلة «روز اليوسف» مقالاً أبدى فيه هذا الإشفاق، وتمنى على الإخوان تبني موقف المواجهة مع الإنجليز، وأثنى فيه على جهود الإخوان وجهادهم.

وأحب المراقبون والمقربون من الإخوان، سماع رأي المرشد العام «حسن الهضيبي» لأنه القول الفصل في الموضوع.

قال الأخ محمود عبد الحليم: «وهنا تقدّم الأستاذ سيّد قطب - وكان حتى ذلك الوقت لا يزال في صفوف المتعاطفين مع الإخوان - تقدّم بطلب الكلمة الفاصلة من المرشد العام، فنشر له «المصري» في أول يناير ١٩٥٢م الكلمة التالية، تحت عنوان «رأي الإخوان ورأي الإسلام».

أثنى سيّد في كلمته على رأي محمد الغزالي السابق، ومما جاء في كلمته قوله: «هناك كلمة صريحة يجب أن تُقال للإخوان المسلمين، وأحسبني أقدر الناس على قولها لهم، بحكم ما بيني وبينهم من صداقة وثقة وتعاون!

إنه لا الأخ الحاج طاهر منير رئيس شعبة الإخوان بالسويس، ولا الأخ الأستاذ محمد الغزالي عضو مكتب الإرشاد، يملك أن يقول كلمة الإخوان الرسمية. فقاوون الإخوان يجعل هذه الكلمة الرسمية من حق المرشد العام!».

«... فالناس في حاجة ماسّة، إلى كلمة صريحة واضحة رسمية من الإخوان، في هذه الأيام. لأن هناك ما يدعو إلى قولها... وأصدقاء الحركة الإسلامية من أمثالي، هم أحرص الناس على سماع هذه الكلمة، فيما تواجهه البلد من أحداث!».

وختم سيّد كلمته بدعوة المرشد العام الصريحة، ليحسم الموقف، ويقول كلمة الفصل: «إن أصدقاء الإخوان - قبل منافسيهم - هم الذين يطلبون هذا الإيضاح... وهذا وقته... بعدما استرد الإخوان نشاطهم، واستأنفوا جهادهم...».

من هذه الكلمة لسيد نعرف أنه حتى كتابتها - في مطلع ١٩٥٢م - لم يكن من الإخوان رسمياً، بل كان صديقاً لهم، بينه وبينهم مودة وثقة وتعاون!

وكان المرشد العام حسن الهضيبي، عند حسن ظن سيّد قطب، فردّ عليه بعد يومين - في ٣/١/٥٢م - في جريدة «المصري» بكلمة، جعلَ عنوانها «الإخوان». الإخوان» أكّدَ فيها حرصَ الإخوان على الجهاد، ورغبَتهم في مقاومة الإنجليز، وإصلاح مظاهر الحياة في الأمة. ودعا إلى العمل الصامت، وترك لأعمال الإخوان مهمة بيان موقفهم وجهادهم.

وقال عن سيّد: «قال الكاتبُ الجليلُ الأستاذُ سيّد قطب: إن دورَ الإسلام في الكفاح الشعبي دورٌ إيجابي دائماً، والشعبُ يكافح اليوم من أجل غايتين جليتين: التحرُّر المطلق من كل استعمار أجنبي. والعدالة الاجتماعية من كل استغلال. ورأيُ الإسلام واضح. فما رأي الإخوان؟

فإذا كان رأيُ الإسلام في ذلك واضحاً، فما معنى السؤال؟ إن رأيَ الإخوان كذلك واضح!!».

إلى أن قال الهضيبي لسيّد: «وأما رفعُ مستوى المعيشة، فلعلَّ الكاتبَ يعلم من رأي الإخوان المسلمين فيه ما لا يعلمه غيره، من وجوب توفير المسكن والملبس والغذاء والعلاج، لكل فرد في دولة الإسلام. ويعرفُ أن هذا مبسوطٌ في كتبهم ورسائلهم.

ويعرفُ أنه مبسوط في كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» الذي يدرسه الإخوان فيما يدرسون من كتبٍ بدقّة وعناية.

... أما أن الكاتبَ يريد منا أن نضعَ مناهجَ محدودة، وبرامجَ واضحة، فإن هذا من التفصيل الذي نعتزمه، حين تتوفر لنا أسبابُ النشر، كما توفرت لنا أسبابُ القول فيه، ولعلَّ ذلك يكون قريباً، إن شاء الله»^(١).

مظاهر إعجاب سيّد بالبنا وبالإخوان

لم ينضمَّ سيّد إلى الإخوان المسلمين رسمياً في مطلع عام ١٩٥٣م، إلا بعدما أُعجبَ بالإمام الشهيد حسن البنا مؤسس الجماعة.

(١) انظر تفاصيل المساجلة بين سيّد قطب والهضيبي، في كتاب الإخوان المسلمون، لعبد الحليم

أما إعجابه بحسن البناء فلأنه بنى بناء الإخوان على أسس سليمة، فجاء بناءً روحياً نفسياً في نفس كل فرد في الجماعة، وبناءً فكرياً متوازناً في تصوّر الأفراد والجماعة، وبناءً تنظيمياً متيناً رفيعاً لدى الأفراد، ولدى الوحدات التنظيمية للجماعة!

قال عن إعجابه بالبناء، في مقاله «حسن البناء وعبقريّة البناء»: «في بعض الأحيان، تبدو المصادفة العابرة، كأنها قدرٌ مقدور، وحكمةٌ مدبرةٌ في كتابٍ مسطور... حسن «البناء»... إنها مجردُ مصادفة أن يكون هذا لقبه... ولكن من يقول: إنها مصادفةٌ، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هي البناء، وإحسانُ البناء، بل عبقريةُ البناء؟ لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيراً من الدعاة... ولكن الدعاية غيرُ البناء... وما كل داعية يملك أن يكون بناءً، وما كل بناء يوهبُ هذه العبقرية الضخمة في البناء!!

هذا البناء الضخم... الإخوان المسلمون... إنه مظهرُ هذه العبقرية الضخمة في بناء الجماعات... إن عبقرية البناء تبدو في كل خطوة من خطوات التنظيم... من الأسرة، إلى الشعبة، إلى المنطقة، إلى المركز الإداري، إلى الهيئة التأسيسية، إلى مكتب الإرشاد...

هذه من ناحية الشكل الخارجي - وهو أقلُّ مظاهرِ هذه العبقرية - ولكن البناء الداخلي للجماعة أدقُّ وأهم، وأكثرُ دلالةً على عبقرية البناء والتنظيم... البناء الروحي...»^(١).

أما إعجابُ سيّد البناء الضخم الذي أقامه البناء «الإخوان المسلمون» فتجلى في قوله عنهم: «حيّا الله الإخوان المسلمين... لقد تلفتُ مصر حين جدّ الجدّ، وتخرج الأمر، ولم يعدّ الجهاد هتافاً وتصفيقاً، بل عملاً وتضحية، ولم يعدّ الكفاح دعايةً وتهريجاً، بل فداءً واستشهاداً.

لقد تلفتُ مصر، فلم تجد إلاّ الإخوان، حاضرين للعمل، مهئين للبدل، مستعدين للفداء، مدربين للكفاح، معتزمين الاستشهاد...

(١) دراسات إسلامية: ٢٢٥ - ٢٢٦ باختصار. وانظر المقال كاملاً في الكتاب: ٢٢٥ - ٢٣٠.

لقد تركوا غيرهم يخطبون ويكتبون، أما هم فذهبوا فعلاً إلى ساحات الجهاد. ولقد تركوا غيرهم يجتمعون وينفضّون، أما هم فقد حملوا سلاحهم ومضوا صامتين...»^(١).

ومن مظاهر إعجابه بجماعة الإخوان وتقديره لها - ممّا دفعه للانضمام إليها - ما قاله عنها:

«باعتبارها في نظري حقلاً صالحاً للعمل للإسلام على نطاقٍ واسعٍ في المنطقة كلّها؛ بحركةٍ إحياءٍ وبعثٍ شاملة.

وهي الحركة التي ليس لها في نظري بديلٌ يكافئها للوقوف في وجه المخططات الصهيونية والصليبية الاستعمارية...»^(٢).

وما قال عنها بعد بطش عبد الناصر بها: «إن السياسة المخططة من جانب الصهيونية والصليبية الاستعمارية لتدمير حركة الإخوان المسلمين في المنطقة، تحقيقاً لمصالح ومخططات تلك الجهات قد تحققت بنجاح»^(٣).

ولما حارب عبد الناصر حركة الإخوان، وغيب أفرادها في السجون، فتح الباب على مصراعيه، وغزت قوى الفساد والإفساد المجتمع المصري: «ثم تضخم هذا الشعور، وأنا أرى النتائج الواقعية في حياة المجتمع المصري، من انتشار هائل للأفكار الإلحادية وللانحلال الأخلاقي، نتيجةً لتدمير حركة الإخوان المسلمين، ووقف نشاطها التربوي. وكأنما كان وجود هذه الجماعة سداً، قد انهار، وانطلق بعده التيار!»^(٤).

«... ويستطيع الإنسان أن يلحظ بسهولة، علاقة هذا الانحدار بتدمير حركة الإخوان المسلمين، ومنع نشاطها. كما يستطيع أن يربط بين هذا التدمير وبين الخطط

(١) المرجع السابق: ٢٤٣.

(٢) لماذا أعدموني: ١١.

(٣) المرجع السابق: ١٥.

(٤) المرجع السابق: ١٥ - ١٦.

الصهيونية والصليبية والاستعمارية بخصوص هذه الجماعة، وبخصوص المنطقة بجملتها...»^(١).

«لقد امتلأت نفسي اقتناعاً بضرورة وجود حركة إسلامية، كحركة الإخوان المسلمين في هذه المنطقة، وضرورة عدم توقُّفها بحالٍ من الأحوال...»

الصهيونية والصليبية الاستعمارية تكره هذه الحركة، وتريدُ تدميرَها... ومخططاتها الواضحة من كتبها، ومن إجراءاتها، ومن تقاريراتها، ومن دسائسها، تقومُ كُلُّها على أساس إضعاف العقيدة الإسلامية، ومحور الأخلاق الإسلامية... ووقَّف نشاط الإخوان حقَّق الكثير من هذه المخططات، وساعدَ على نشر الأفكار الإلحادية، والانحلال الأخلاقي...»^(٢).

انضمامه للإخوان وهم مقدِّمون على محنة خطيرة

إن الأمر العجيب الذي يلفت النظر، والذي يدلُّ دلالة واضحة على نفسية وطبيعة سيِّد، هو «توقُّيت» انضمامه إلى الإخوان المسلمين!

لقد انضمَّ إليهم في فترة حرجة جداً، حيث كانوا مُقدِّمين على محنة خطيرة شديدة قاسية!

كان قبل أن ينضمَّ إليهم مقرباً من عبد الناصر ورجال الثورة، الذين يملكون السلطة، والمراكز والوظائف والمناصب والأموال، وكان مطلعاً على الكيد الذين يكيدونه للإخوان، ومقدار الحقد الأسود الذي يملأ قلوبهم ضدَّ الإخوان، وعلى علم بالمؤامرات الداخلية والخارجية - من القوى المعادية وعملائها في الداخل - التي تُحاك ضدَّ الإخوان.

كان على علم بكل ذلك، وعلى إمام به، واطلاعٍ عليه... ومع ذلك ترك الدنيا وما فيها عند عبد الناصر ورجال الثورة، وزهد في ما عندهم، من وظائف ومراكز

(١) لماذا أعدموني: ١٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٦.

وأموالٍ ومناصب، وذهب إلى الإخوان المسلمين، فانضمَّ إليهم وصارَ واحداً منهم... وهو يعلم ما هم مقدمون عليه، وهو يكاد يرى المحن والأهوال التي تنتظرهم، وهو يبصرُ الدماء والأشلاء التي تملأُ طريقهم... ومع كل ذلك انضمَّ إليهم!

إن انضمامه للإخوان في هذه الفترة، لا يتفقُ مع منطق «المتاجرة» بالأفكار والمبادئ، ولا يتفقُ مع منطق إثارة السلامة والعافية!

ولو كان سيّد تاجر أفكارٍ ومبادئ، وجامع أموال، وعابد مناصب، لما أقدم على ذلك! لو كان مثل أولئك التجار المرتزقة، لأقبل على عبد الناصر، يرتع بما يغدقه عليه - كما فعل كثير من الرأتين حوله - أو على الأقل لابتعد عن نقطة الخطر وميدان المواجهة، وانصرف عن الإخوان المقدمين على المحنة، وآثر العافية والسلامة في بيته!

إن انضمام سيّد إلى الإخوان، في الوقت غير المناسب - بمنطق المرتزقة تاجر المبادئ - ليدل على طبيعة ونفسية سيد، تلك النفسية الصادقة الجادة الجريئة الشجاعة. إن هذا يدل على صدقه وتجرده، وإخلاصه ووفائه، وجراته وشجاعته وإقدامه!!

وهو في هذا الموقف، يذكّرنا بصحابة رسول الله ﷺ الذين آمنوا راغبين في ما عند الله، وأسلموا وقت الخطر والمحنة، وساروا مع النبي ﷺ وهم يعرفون عقبات الطريق، ويدركون مشقاته، ويشاهدون أشواكه!.

إن موقفه ليذكّرنا بموقف الحبر اليهودي الصالح «مُخَيَّرِيق» الذي كان من أغنى يهود المدينة مالاً، وأعظمهم جاهاً ومنزلة، ثم آمن وأسلم وأتبع رسول الله ﷺ في ظرف عصب، ألا وهو هزيمة المسلمين في أثناء معركة أُحُد، حيث شاهد عشرات المسلمين شهداء، وعشرات منهم جرحى، وشاهد رسول الله ﷺ جريحاً، وشاهد الصولة والجولة - في أثناء المعركة - للمشركين، وواقع الأمر لا يوحى - بالمنظار المادي - بالنصر للمسلمين، ومع ذلك أوصى بكل ماله للمسلمين، ونطق بالشهادتين، ودخل ميدان أُحُد، مجاهداً مع المسلمين، وما هي إلا لحظات، حتى

سقط الشهيد «مخيريق» شهيداً على أرض المعركة! (١).

إن انضمام سيد للإخوان وقت المحنة، يذكّرنا بقصة إسلام الحبر الشهيد «مخيريق» على أرض أحد!!!

من أعماله الإخوانية

عمل سيد مع الإخوان أكثر من سنة ونصف، ما بين مارس - آذار - ١٩٥٣ م ونوفمبر - تشرين ثاني - ١٩٥٤ م!

وكان عمله مع الإخوان مما يتفق مع ثقافته، ولذلك أسندت له قيادة الإخوان أعمالاً ثقافية، ضمن قسم نشر الدعوة.

قال سيد: «ومع ترحيبهم - على وجه الإجمال - بانضمامي إلى جماعتهم، إلا أن مجال العمل بالنسبة لي في نظرهم كان في الأمور الثقافية لقسم نشر الدعوة، ودرس الثلاثاء، والجريدة التي عملت رئيساً لتحريرها، وكتابة بعض الرسائل الشهرية للثقافة الإسلامية. . أما الأعمال الحركية كلها فقد ظلت بعيداً عنها» (٢).

وأهم الأعمال التي قام بها هو إشرافه على جريدة «الإخوان المسلمين».

وقد سبق أن تكلمنا عن عمله في هذه الجريدة، أثناء كلامنا عن عمله في الصحف والمجلات، في القسم الأول من هذا الكتاب.

كانت الجريدة أسبوعية، تصدر كل يوم خميس، عن المركز العام للإخوان المسلمين.

أصدر سيد العدد الأول منها بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٧٣ هـ، وفق ٢٠/٥/١٩٥٤ م.

وقد أصدر منها اثني عشر عدداً. ثم أوقفها بتاريخ ٦ ذي الحجة ١٣٧٣ هـ وفق ٥/٨/١٩٥٤ م.

(١) انظر قصة مخيريق في: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣: ٣٩٣.

(٢) لماذا أعدموني: ١٢.

وسبب إيقافه لها هو تدخل الرقابة الحكومية المباشر، وبخاصة بعد اشتداد الخلاف بين حكومة الثورة والإخوان، حيث منعت الرقابة نشر كثير من مقالاتها وتحليلاتها وأخبارها.

وكان سيّد يكتب فيها عدة مقالات، ولا يخلو عددٌ منها من أكثر من مقالٍ أو تعليقٍ أو تحليلٍ له.

ومن مقالاته فيها: منهجٌ للأدب. بل نقذف بالحق على الباطل. الاتجاهات الثابتة للشعوب. هذا الشعب يريد. صحوةٌ ليس بعدها سبات. قضيةٌ واحدة وأمة واحدة. الرسالة الإسلامية والضمان الاجتماعي^(١).

وقد صرّح سيّد أثناء محاكمته أمام «جمال سالم» في ٢٢/١١/١٩٥٤م، بأنه أغلق جريدة الإخوان المسلمين باختياره، لأنه لم يستطع أن ينشر فيها ما يريد بسبب الرقابة^(٢).

ومن أعماله الإخوانية، إلقاءه حديثَ الثلاثاء في المركز العام، وكان يحضرُ هذا الحديث آلاف من الإخوان. وآخر «حديث ثلاثاء» ألقاه في المركز، كان بعد عودة المرشد العام حسن الهضيبي من بلاد الشام بأسبوع^(٣).

ومن أعماله الإخوانية خارج مصر، إيفاده إلى دمشق في ٢/٣/١٩٥٣م ليحضر مؤتمر «الدراسات الاجتماعية» فيها، حيث ألقى فيها بحثاً بعنوان «التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكامل الاجتماعي».

وبعد المؤتمر التقى بقيادات الإخوان المسلمين في سوريا، وألقى محاضرة مؤثرة في جامعة دمشق، وصفها مرافقه - الأستاذ محمد الياسين - بأنها محاضرة

(١) انظر «وسائل الإعلام المطبوعة في دعوة الإخوان المسلمين»، لمحمد فتحي شعير: ٣٩٠ - ٤٠٤.

(٢) انظر أقواله أمام المحكمة في مجلة «المجتمع» عدد: ٥٣٩. تاريخ ٢٥ أغسطس ٩٨١ صفحة: ٢٦.

(٣) المجتمع - السابق - صفحة: ٢٧.

رائعة، حُلِّقَ فيها سيّد خلال ساعتين من الزمان، وقُدِّمَ جوانب من جمال التعبير القرآني وإعجازه، ولم يكن بين يديه كتاب ولا ورقة^(١).

وحاولَ بعد المؤتمر زيارة الأردن - كما يروي الأستاذ يوسف العظم - ولكن السلطات منعتَه من الدخول بأمرٍ من «جلوب»^(٢).

ومن أعماله الإخوانية خارج مصر، انتداب الإخوان له ليشارك في المؤتمر الإسلامي الذي نظّمه الإخوان المسلمون، ودعّوا له قادة الرأي والفكر والعمل في العالم الإسلامي، والذي انعقد في بيت المقدس في شهر كانون أول ١٩٥٣م^(٣).

والتقى سيّد في هذا المؤتمر، قادة الرأي والفكر والعمل في العالم الإسلامي، وأعجبوا به!!.

قال الأستاذ «علي الطنطاوي»، عن سيّد: «وصرتُ ألقى على أفرادٍ من اصطفيتُ من أعضاء المؤتمر، فكانتُ لنا لقاءاتٌ مع الشهيد السعيد سيّد قطب، كان يحضرها عصام العطار وزهير الشاويش، ويحضرها أحياناً أديب صالح، وكنا لا نفرقُ إلا قليلاً، وأخذتُ لهذه الجلسات صور، نُشر بعضها»^(٤).

وقال «علّال الفاسي» عن سيّد في المؤتمر: «اجتمعنا في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس، برئاسة علامة العراق المجاهد السيّد أمجد الزهاوي، فرأيتُ من «قطب» المناضل المتواضع، الذي لم يكن يتطلع لشيءٍ من المناصب أو الألقاب، بل يتأثّر حينما يرى بعض أصدقائه يتهافون عليها، ولقد عملنا معاً في لجنة المؤتمر السياسية، التي كنت أترأسها، وصَلَّينا وأعضاء هذه اللجنة بأثرٍ وشايةٍ من بعض شيوخ فلسطين المشهورين، ذوي الصلة بكلوب باشا..»^(٥).

(١) مجلة الشهاب. السنة الرابعة. العدد الحادي عشر. تاريخ ١٥/٨/١٩٧٠م. صفحة: ٩.

(٢) سيّد قطب، للعظم: ٣٨.

(٣) سيّد قطب، للعظم: ٣٨ - ٣٩.

(٤) ذكريات، لعلّال الطنطاوي ٥: ١٤١.

(٥) سيّد قطب بقلم طائفة من الكتاب: ١٥.

قصر مدته التنظيمية مع الإخوان :

معلوم أن مدة سيد التنظيمية مع الإخوان قصيرة، وهي المدة ما بين انضمامه إلى الجماعة إلى وقوع المحنة الشديدة عليها. وهي الفترة من مارس - آذار - ١٩٥٣م إلى نوفمبر - تشرين ثاني - ١٩٥٤م. وبعضهم يعتبر قصر هذه المدة مأخذاً يؤخذ على «وضع» سيد التنظيمي، ووثيقة اتهام ضده، فيجعل هذه المدة التنظيمية القصيرة، مانعاً يمنع سيد من الريادة الفكرية والدعوية والحركية للإخوان.

وصارت ترتفع بعض الأصوات من بعض الإخوان، تشير إلى هذا. وكأنها ترفض الريادة والقيادة الحركية لسيد، لأنه لم يعيش في التنظيم مدة طويلة، ولم يمض سنوات كثيرة مع الجماعة، ولم يتشرب منهاج وخطة وتصور الجماعة!

ويعتبرون سيد - لهذه المدة القصيرة - غير مؤهل ليقود التنظيم الإخواني السري في الستينيات، وغير مؤهل ليقدم أفكاره الدعوية والحركية للإخوان، وبخاصة في «الظلال»، و«المعالم»، ويعتبرون سيد - نتيجة لهذه المدة القصيرة - قد خالف فهم الجماعة في العمل والدعوة، أكثر من مرة، في أكثر من موضع في الظلال والمعالم!! وكأنهم يدعون - بطريق غير مباشر - إلى طرح أفكار سيد الدعوية والحركية، وإلى تجاوز مرحلته في فهم الدعوة، وتقديم فقهها، وبيان معالم طريقها!

ممن كان يلمح إلى هذا - ولا يصرخ به - الأخ الأستاذ «مصطفى مشهور» - نائب المرشد العام محمد حامد أبو النصر - بأكثر من مكان، عندما كانت المجالات الإسلامية - وبخاصة المجتمع - تجري لقاءات معه، وتسأله عن الدعوة والحركة، ومن جملة ما تسأله عنه: سيد قطب وفكره ومنهجه في الدعوة.

من ذلك سؤال مجلة المجتمع له - ول بعض قادة العمل الإسلامي - عن «فكر سيد قطب ومنهج الحركة الإسلامية».

وقد ورد في جواب الأستاذ مشهور قوله: «الأستاذ سيد - رحمه الله - لم يمض على انتمائه للإخوان والعمل معهم - قبل دخوله السجن - أكثر من ثلاثة أعوام تقريباً [وأقول بل أقل من عامين]، وفي السجن رأى ولمس ما حدث من ظلم وحرب

للإسلام، وقتلٍ للدعاة إلى الله، وتعذيبٍ غير عادي، فلا شك أن كل ذلك له أثرٌ في تفكيرِ الأستاذ سيّد، وتصوّره لأسلوبِ التغيير..»^(١).

صحيحٌ أن مدة سيّد التنظيمية مع الإخوان قبل السجن قصيرة، وصحيحٌ أن جوّ السجن كان يمنع الاتصال التنظيمي، بين سيّد وبين قيادة التنظيم الإخواني، وأنه لم تكن له صفة قيادية تنظيمية في السجن!

لكن هذا كله ليس مأخذاً ضده، ولا مطعناً عليه!!

إننا نعرف أن «الدعوة لمن صدق، لا لمن سبق»!!

بمعنى أن الأقدارَ والمنازلَ للرجالِ الدعاة السائرين إلى الله، لا تتحدّدُ بالأسبقية فقط – وإن كان السبق ملحوظاً – بل لا بدّ أن يضاف إلى السبق الزماني، الصدقُ الإيماني والعملي، ولا يجوزُ أن يُعتبر التأخر الزماني، حائلاً دون وصولِ الصادق إلى مقدمة المراكز، وأرفع المقامات!

ونشهدُ أن سيّد كان صادقاً في انتمائه الإخواني، صادقاً صدقاً قولياً وإيمانياً، وعملياً وجهادياً، ودعويّاً وحركياً تنظيمياً!

ثم إن سيّد لم يأت للإخوان المسلمين مادة «خاماً» بدائياً ساذجاً، لينشئه الإخوان من الأوليات، ويبدأوا معه من نقطة الصفر – كما يحصلُ مع بعض من يأتي للتنظيم –!

لقد جاء سيّد للإخوان بعد أن أثبت وجوده الحيّ المؤثر في عالم الفكر والحركة والجهاد. جاء للإخوان، وهو مفكرٌ إسلاميٌّ له العديدُ من الكتب الإسلامية، وله الجهودُ الملحوظة في الدعوة والإصلاح والتغيير، وله التصورُ الواضحُ الصحيح للعمل والدعوة!

وبعد المحنة أثبت صدقه الإيمانيّ والدعويّ والتنظيميّ عملياً، فوقف مواقف الرجال، ووفى وفاء الرجال، وصدق صدق الرجال، في الوقت الذي تساقط فيه كثيرون ممّن سبقوه في الانتماء التنظيمي للإخوان!!!

(١) مجلة المجتمع. السنة الثامنة. عدد: ٨٢١. تاريخ ١٦ يونيو ١٩٨١. صفحة: ٢١.

لا يجوز أن نعتبر مدته القصيرة مع الإخوان قبل السجن، مأخذاً أو مطعناً، أو ملمزاً ضده، ويجب أن لا ننسى «أن الدعوة لمن صدق لا لمن سبق!!».

اتهامات لسيد بأعمال لم يقم بها

نسب بعض الباحثين والكتّاب أعمالاً إخوانية لسيد في هذه المرحلة، واتهموه بالقيام بها، مع أنه هو في التحقيق نفى قيامه بها.

من هذه الاتهامات:

أن الإخوان المسلمين انتدبوا سيد قطب ليكون ممثلاً لهم لدى الحزب الشيوعي المصري — الذي كان يرأسه الدكتور فؤاد مرسي — وذلك بعد منتصف عام ١٩٥٤م، للتنسيق بين الإخوان والشيوعيين من أجل مقاومة حكم عبد الناصر، والقضاء عليه!

ذكر ذلك الدكتور عبد العظيم رمضان في كتابه «الإخوان المسلمون والتنظيم السري». وقال إنه نقل الخبر عن صحيفة الحزب الشيوعي السرية «راية الشعب».

وزعمت الصحيفة أن سيد قطب التقى مع مندوب الحزب الشيوعي مرتين: الأولى في ١٦ يوليو ١٩٥٤م. والثانية في ٢٠ أغسطس ١٩٥٤م!

ودار النقاش بين سيد ومندوب الحزب الشيوعي، على كيفية مقاومة ومواجهة رجال الثورة، وإسقاط الحكومة، وكيفية التنسيق بين الإخوان والشيوعيين في هذا الخصوص!

ولكن الاتصالات بينهما لم توصل إلى اتفاق!^(١).

ومما يجعلنا نرفض رواية الشيوعيين ولا نصدقها، أنهم مغرضون محرفون، غير مؤتمنين على التاريخ، وأنهم كثيراً ما حرفوا وافتروا في رواياتهم. ثم! إن الإخوان لم يُشيروا إلى شيء من هذا، وسيد قطب أيضاً لم يشر إليه عندما استجوبه المحققون، وحاكمه المحاكمون، ونرى أن سيد كان يتصف بالصدق، ولو حصل هذا لذكره!

(١) انظر كتاب «سيد قطب»، لعادل حمودة: ١١٨ — ١١٩. نقلاً عن «الإخوان المسلمون والتنظيم السري»، للدكتور عبد العظيم رمضان: ١٩٩ — ٢٠٠.

ومن هذه الاتهامات: أن سيّد كان عضواً في التنظيم السّري للإخوان، وأنه أوقف جريدة «الإخوان المسلمين» العلنية، وبدأ ضدّ حكومة الثورة «حرب المنشورات» السرية. ونُسب له الإشراف على النشرة السرية التي كان يُصدرها التنظيم السري «الإخوان في المعركة» والتي كان سيّد يفضح فيها عبد الناصر، ويذكر عمالته للأمريكان وللإهود، ويبين أن عبد الناصر قد اتفق مع الإهود أثناء حصارهم له في «القالوجا» في حرب فلسطين، وأنهم جنّدوه من يومها لمصلحتهم! وأن سيّد انتقل سرّاً من القاهرة إلى «بني سويف»، ليوجّه حرب المنشورات السرية ضد الحكومة!

وقد ورد في سجلّ محاكمات الإخوان عام ١٩٥٤م الذي أصدرته الحكومة، وأشرفت عليه - مما يجعلنا نشكّ في صحة تلك الأقوال، وفي صدورهما فعلاً عن رجال الإخوان - أن المحكمة سألت الشهيد «يوسف طلعت» - رئيس النظام الخاص للإخوان - عنّ كان يقوم بتحرير الأخبار لنشرة «الإخوان في المعركة»؟

فقال: بأنه لا يذكره. ولما قيل: هل هو سيّد قطب؟ قال: نعم! (١).

وورد في السجلّ المذكور، أن المحكمة استدعت سيّد قطب شاهداً أثناء محاكمة المرشد العام «حسن الهضيبي».

وسأله وكيل النائب العام: هل كلّفك المرشد أن تشتري آلة «رونو» لطباعة المنشورات؟

فأجابه سيّد: لم يكلّفني أن أشتري أنا. ولكن حين أغلقت الجريدة - وأغلقتها أنا باختياري، لأنني لم أستطع أن أنشر فيها ما أريد بسبب الرقابة - بقيت لديّ تعليقات كثيرة لم يسمح الرقيب بها. شكوتُ إليه [المرشد العام] هذه الحالة، وأنا لا نستطيع أن نوصّل صوتنا إلى الشعب، لا عن طريق الصحف، ولا عن طريق المنشورات. فأخبرني أن مكتب إداري القاهرة له إمكانيات، ويطبّع منشورات الإخوان، فيمكن أن يطبع هذه المقالات والتعليقات، التي تقف الرقابة دونها.

فلما رجعتُ إلى رئيس مكتب إداري القاهرة، قال: ليس لديّ إلا ماكينه

(١) سيّد قطب، لعادل حمودة: ١١٧ - ١١٨.

صغيرة. فبلغت المرشد، فأمرني أن يُصرف ثمنُ ماكينة «رونيو» حديثة لهذا الغرض، ليس للمنشورات، ولكن لأعمال الطباعة بمكتب القاهرة أيضاً!»^(١).

نوردُ هذه الأقوالَ من باب الأمانة، لأننا اطلعنا عليها، ولكننا نسكتُ عليها، ونتوقفُ فيها، لأننا لا نملكُ أدواتٍ يقينية، للحكم لها أو عليها. فالله أعلم أيُّ ذلك كان، وكيف كان!!

وأمامنا عبارةٌ لسيد ذات دلالة كاشفة على هذا الموضوع. فقد قال للمحققين عام ١٩٦٥م: «أما الأعمالُ الحركيةُ كُلُّها فقد ظلَّت بعيداً عنها.

ثم كانت حوادث ١٩٥٤م، فاعتقلتُ مع من اعتقلوا في يناير، وأُفرجَ عنهم في مارس. ثم اعتقلتُ بعد حادث المنشية، في ٢٦ أكتوبر كذلك، واتُّهمتُ بأني في الجهاز السري، ورئيسُ لقسم المنشورات به، ولم يكن شيءٌ من هذا كله صحيحاً!.

وأرجو أن يلاحظَ أنني لا أقصدُ تبرئة نفسي، من عمل سُجنتُ من أجله عشرَ سنوات، وانتهى أمرُه، ولا قيمةً لتبرئة نفسي منه الآن. وإنما هذا جانبٌ من الصورة التي لها دخلٌ قويٌّ في الوقائع الجديدة...»^(٢).

سيد مع الهضيبي ضد مخالفيه من الإخوان

وقعتْ خلافاتٌ خطيرة بين الإخوان المسلمين عام ١٩٥٣م، وقادتْ إلى فتنٍ شديدة بين صفوف الإخوان!.

ومن مظاهرِ هذه الفتنة، التجاوزاتُ الكثيرة التي كان يرتكبها الأخ «عبد الرحمن السندي»، رئيسُ الجهاز الخاص للإخوان المسلمين.

وقد أدَّى ذلك إلى اتخاذِ مكتب الإرشاد قراراً بفضل السندي، مع ثلاثة من كبار مساعديه — وهم: أحمد زكي، وأحمد عادل كمال ومحمود الصباغ — ونُشرَ هذا في الصحف، وكان القرارُ مساء يوم الأحد ٢٢/١١/١٩٥٣.

(١) مجلة المجتمع. عدد: ٥٣٩. تاريخ ٢٥ أغسطس ١٩٨١م. صفحة: ٢٧.

(٢) لماذا أعدموني: ١٢.

وقد حاولَ الإخوةُ الأربعةُ المفصولون التشويشَ وبثَّ الفوضى، فقام عددٌ من الإخوان - من مؤيديهم - باقتحامِ منزل المرشد العام «حسن الهضيبي»، لإرغامه على الاستقالة من منصبه!

وكان هناك ارتباطٌ وثيقٌ بين الإخوة الأربعة المفصولين، وبين ثلاثةٍ من كبار الإخوان المسلمين أعضاء الهيئة التأسيسية، وهم الإخوة: صالح ع شماوي، ومحمد الغزالي، وأحمد عبد العزيز جلال.

وهناك ارتباطٌ وثيقٌ بين هؤلاء الإخوة المتمردين، الخارجين على قيادة مكتب الإرشاد، وبين عبد الناصر، حيث كانوا يرتّبون معه خطواتهم، وينسّقون معه عملية عزل المرشد العام الهضيبي، لتعيين مرشدٍ جديد من طرفهم وطرف عبد الناصر، ومكتب إرشادٍ جديد من الإخوان المتمردين، يكون مقبولاً عند عبد الناصر.

ولم يكن عددُ هؤلاء الإخوة المتمردين كبيراً، لكن كان تشويشُهم عالياً، مدعوماً من قبل الحكومة بزعامة عبد الناصر!

وكان أن احتلتُ جموعٌ من المتمردين المركزَ العام مساء يوم الجمعة ٢٧/١١/١٩٥٣م، وكان معهم الإخوة الثلاثة الكبار: ع شماوي والغزالي وجلال، ومن هناك أعلنوا حلَّ مكتب الإرشاد، وعزلَ المرشد الهضيبي، وتكوينَ مكتب إرشادٍ جديد، وأعلنوا عن تعيين الشيخ «سيد سابق» مرشداً جديداً، وصالح ع شماوي وكيلاً له.

وكان من بين الموجودين في المركز العام، اثنان من مساعدي «عبد الرحمن السندي» هما الأخوان «صلاح العطار» و«سيد عيد»، وكانا على ولائهما للقيادة الشرعية للإخوان بقيادة الهضيبي، فعملاً بحكمةٍ وفطنةٍ على إضعافِ موقف المتمردين المحتلين للمركز العام، وصرفِ كثيرٍ منهم إلى بيوتهم، إلى أن جاء الأخ «صلاح شادي»، بمجموعاتٍ من الإخوان المؤيدين للشرعية، وأنهى احتلالَ الفريق المخالف للمركز العام!!.

يهمُّنا موقفُ سيد قطب من هذه الفتنة الخطيرة، التي أدمت قلبَ كلِّ أخٍ من

الإخوان المسلمين، وتركت آثاراً سيئة على مسيرتهم لسنواتٍ تالية!!^(١)

إن سيّد كان يلمحُ الخيطَ الدقيقَ بين المتآمرين المتمردين وبين عبدِ الناصر، وحرّصه على تفريقِ كلمة الإخوان، وعزلَ المرشدَ حسنَ الهضيبي الذي تصدّى لمؤامراتِ عبدِ الناصر، ووقفَ له برجولة وثبات!

يروى الأخ محمود عبد الحليم - وهو يؤرخُ لهذه الفترة الدامية الأليمة - عن الأخ «سيّد عيد» - الذي كان له وللأخ صلاح العطار فضلٌ كبير في إنهاءِ احتلالِ المركز العام - قوله:

«في أثناء انتظارنا في ذلك المساء قُربَ منزلِ المرشد العام، التقينا بالأخ الأستاذ سيّد قطب، وكان غاضباً يردّدُ: يا فرحة الصهيونية والصليبية العالمية!

ويقول الأخ سيّد عيد: وعندما أتيحتُ لي فرصةُ الالتقاءِ بالأستاذ سيّد قطب في السجن، سألتُهُ: ما دخلُ الصهيونية والصليبية العالمية بخلافٍ داخلي بين الإخوان؟

فقال لي: لقد اتّصلَ بي الأستاذ «علي أمين» في الساعة الثانية ظهرَ يومِ الحادث [الجمعة ٢٧/١١/١٩٥٣م] وقال لي: أين حاسّةُ الصحفي عندك؟... الإخوان «قايمين» على بعضِ السلاح، وأنتَ قاعد في البيت؟

فقمْتُ في الحال، وأخذتُ سيارةَ تاكسي، وذهبتُ إلى بيتِ المرشد فلم أجِدْ شيئاً غيرَ عادي... وذهبتُ إلى المركز العام، فلم أجِدْ شيئاً ملفتاً للنظر كذلك... ثم تَحَدَّثْتُ بعدها كُلَّ الأمور التي حدثت... هذا ما جعلني أقطعُ بأن الأمرَ مدبّر من أكثر من جهة!!^(٢).

لقد كان سيّد قطب مع القيادة الشرعية، مثلَ جموع الإخوان المسلمين، ففي يوم الأحد ٢٩/١١/١٩٥٣م حضرتُ وفودَ ضخمة من مختلفِ شُعَب الإخوان في مصر

(١) انظر تفصيلات هذه الأحداث الأليمة في كتاب الإخوان المسلمون، لعبد الحليم ٣: ١٩٥ - ٢٥٤.

(٢) الإخوان المسلمون، لعبد الحليم ٣: ٢١٤.

إلى المركز العام، مُعلنةً تأييدها للمرشد الشرعي الهضيبي . واجتمعَ مكتبُ الإرشاد في المركز، وخطبَ في الوفود – كما قالتْ جريدةُ المصري – كلُّ مِنْ: عبد الحكيم عابدين، ثم تلاه سيّد قطب، ثم حسن دوح وعز الدين إبراهيم وسعيد رمضان وخميس حميدة، ثم تكلمَ المرشدُ الهضيبي، وأثنى على المتكلمين والحاضرين! (١).

* * *

(١) الإخوان المسلمون، لعبد الحلیم ٣: ٢١٧.

الرابع

محنة سيّد قطب الأولى في السجن (١٩٥٤م - ١٩٦٤م)

اعتقال سيّد الأول في مطلع عام ١٩٥٤م
تفاقم الخلاف بين عبد الناصر وبين الإخوان المسلمين، وبيّت عبد الناصر النية
لضرب الإخوان.

وفي ١٥ يناير ١٩٥٤م - وفي الساعة الواحدة إلّا ربعاً من صباح ذلك اليوم -
أصدر مجلس قيادة الثورة، أمراً بحلّ جماعة الإخوان المسلمين، واعتبارها حزباً
سياسياً، يجري عليها ما يجري على الأحزاب السياسية المنحلة!

وأذاع المجلس بياناً مطوّلاً، أذيع من الإذاعة، ونشر في الصحف، نُسب فيه إلى
الإخوان القيام بأعمالٍ خطيرة، تفرّق الأمة، وتهدّد الأمن، كما نُسب لهم الاتصال
بالإنجليز، والتآمر معهم ضد الوطن^(١).

وفي صبيحة هذا اليوم تمّ اعتقال قادة الإخوان المسلمين، وعلى رأسهم المرشد
العام حسن الهضيبي.

وكان سيّد قطب في مقدمة الإخوان المعتقلين.
ولعلّ هذا هو أول اعتقال لسيّد، وأول دخولٍ له إلى السجن! حيث لم يحصل
له هذا طيلة حياته السابقة!!

ومما يشرفه أن هذا الاعتقال كان في سبيل الله، وأنه أُدخل السجن مع ألوف
الإخوان لأنهم يقولون ربّنا الله، وأن الذين اعتقلوهم هم أعداء الدين والأمة، وأولياء
الشیطان والأعداء والكفار!

(١) انظر البيان في كتاب محمود عبد الحليم «الإخوان المسلمون» ٣: ٢٥٩ - ٢٦٧.

وقد تطورت أحداثُ الصراع مع عبد الناصر، بينما كانت قياداتُ الإخوان في السجون.

فقد أقالَ عبدُ الناصر محمد نجيب من جميع مناصبه، في ٢٥ فبراير ١٩٥٤م.

وفي ٢٨ فبراير ١٩٥٤م، نظمَ الإخوان المسلمون مظاهرةً ضخمة حاشدة. وكان من نتيجتها رضوخُ عبد الناصر لمطالبها، وإعادةُ محمد نجيب إلى الرئاسة، والإفراجُ عن جميع الإخوان المعتقلين!

وقد بدأ الإفراجُ تبعاً عن الإخوان المعتقلين منذ مطلع شهر مارس، وأُفرجَ عن آخر دفعةٍ من الإخوان – ومنهم المرشد العام – في ٢٥ مارس.

المهمُّ أن سيّد أفرجَ عنه في هذا الشهر، ولا نعرفُ في أيِّ يومٍ من أيام الشهر، ولا الدفعة الإخوانية التي أفرجَ عنه معها!!^(١).

اعتقال سيّد الثاني في أكتوبر ١٩٥٤م

أقبلَ الإخوانُ على دعوتهم وعملهم بعدَ الإفراج في شهر مارس، وزادت أعمالُ سيّد قطب الإخوانية بعد هذا الإفراج، حيثُ أصدرَ جريدة الإخوان المسلمين، وأشرفَ على إعدادِ رسائل إسلامية، تصدرُ عن المركز العام، وقسمِ نشرِ الدعوة فيه.

ولما زادتُ شقّةُ الخلاف بين الإخوان وعبد الناصر، صارَ الإخوان يصدرونَ نشراتٍ سرية، يوردونَ فيها الأخبار السرية لتلك الخلافات، والاحتكاكات مع عبد الناصر، ويسجّلون فيها الكثير من التحليلات والنظرات والتعليقات، وكان لسيّد قطب دورٌ كبيرٌ في كتابة تلك التحليلات والتعليقات!

واستمرَّ سيّد في عمله هذا، من مطلع شهر أبريل، حتى كان حادثُ المنشية في ٢٦/١٠/١٩٥٤م!

حيثُ أذيعَ في الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم، أن عبدَ الناصر قد نجا من محاولة اغتياله، عندما أطلقَ الجاني عليه النار، وهو يخطبُ في دارِ هيئة التحرير، في المنشية، في الإسكندرية.

(١) انظر تفصيلات هذه الأحداث عند محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون ٣: ٢٦٨ – ٢٩١.

ونُسبت المؤامرة إلى الإخوان المسلمين، واتُّهم فيها «محمود عبد اللطيف»،
عضو أسرة من أسر «النظام الخاص» في القاهرة، نقيبُه فيها هو المحامي «هنداوي
دوير».

وقامت الحكومة بحملةٍ مسعورة، ألقت فيها القبض على الألوف من الإخوان
المسلمين، والزَّجَّ بهم في السجون! (١).

وكان سيّد في مقدمة المعتقلين من الإخوان، في نهاية شهر أكتوبر.
وباعتقال سيّد، وإدخاله السجن، تكونُ قد بدأت محنته الحقيقية، التي صاحبته
حتى استشهاده، والتي أكمل باقي حياته فيها.

وفي ذلك يقول: «ثم كانت حوادث ١٩٥٤م. فاعتُقلت مع من اعتُقلوا في يناير،
وأُفرج عنهم في مارس. ثم اعتُقلت بعد ذلك، في حادثِ المنشية في ٢٦ أكتوبر
كذلك» (٢).

التحقيق مع سيّد

بعد أقل من شهرٍ من اعتقال سيّد قطب، وقيادات وأعضاء جماعة الإخوان
المسلمين، شُكِّلَ لهم محاكمٌ عسكرية، سميت «محكمة الثورة»، رؤساؤها وقضاؤها
هم ضباط الجيش.

وقد صُبَّ على الإخوان في السجون، صنوفٌ من الاضطهاد والتعذيب والأذى،
لا توصف، وقد واجه الإخوان هذا التعذيب، وقابلوه بإيمانٍ وصبرٍ وثباتٍ وعزة
واحتراب.

وكان نصيبُ سيّد من التعذيب كبيراً، وأدّى إلى مضاعفة أمراضه، المستوطنة في
بدنه، وإصابته بأمراضٍ أخرى.

ومن المحاكم المشكّلة لمحاكمة الإخوان، المحكمة الأولى، وكان يرأسها

(١) انظر تطورات الأحداث في المرجع السابق ٣: ٣٨٥ - ٣٩٨.

(٢) لماذا أعدموني: ١٢.

جمال سالم، وكانت بعضوية: أنور السادات وحسين الشافعي، وكان الضباط الثلاثة: أعضاء في مجلس قيادة الثورة.

وفي شهر نوفمبر ١٩٥٤م، حاکمت المحكمةُ المرشدَ العام «حسن الهضيبي». وفي مساء يوم الاثنين ٢٢ نوفمبر، استدعت المحكمةُ سيّد قطب، ليكونَ شاهداً في محاكمة الهضيبي.

وسألتُ المحكمةَ عدّة أسئلة عن صلته بالهضيبي، أجابَ عليها بجرأةٍ وصراحةٍ وشجاعة. وكان الكلام عن خطة الإخوان في مقاومة عبد الناصر، عامي ١٩٥٣م و ١٩٥٤م، وعن التنسيق بينهم وبين الجيش، وعن المنشورات التي كانوا يُصدرونها، وعن دور سيّد فيها، وعن رأيه في تلك الأحداث! (١).

سيّد يُري القضاة آثار التعذيب

في إحدى محاكمات الإخوان، أمام محكمة جمال سالم عام ١٩٥٤م، وبعد شهرين من إحضار سيّد من السجن إلى المحكمة، شاهداً في محاكمة حسن الهضيبي، استدعي سيّد شاهداً مرةً أخرى.

وكان خلال الشهرين قد تعرضَ لتعذيب رهيب، بحيث أُصيبَ بنزيفٍ رئوي شديد.

ولما دخلَ قاعةَ المحكمة، دارَ بينه وبين رئيسها جمال سالم الحوار التالي:

جمال سالم: يبدو عليك التعبُ يا أستاذ سيّد. فهل أنت تعبان؟

سيّد قطب: نعم! لأنني كنتُ واقفاً على قدمي ستّ ساعات! قبل دخولي المحكمة!

جمال سالم: وماذا يعني هذا؟ كلُّنا نقفُ مُدداً طويلاً!

(١) انظر أقواله كشاهد في هذه المحاكمة. كما نقلتها مجلة المجتمع. عدد: ٥٣٩. تاريخ ٢٥ أغسطس ٨١. صفحات: ٢٦ - ٢٧.

سيّد قطب: ولكنّا نحنُ الإخوان المسلمين تُطبَّق علينا في السجن مبادئُ
الثورة!!

ونزع سيّد قطب ردائه عن جسمه أمام الحضور، فظهرت لهم على جسمه آثارُ
التعذيب الشديد!!

فاضطّر جمال سالم إلى رفع الجلسة فوراً!!^(١).

إن هذه الحركة العجيبة المفاجئة من سيّد، تدلُّ على جرأته وشجاعته، فهو
لم يخش المحكمة العسكرية، ولا قضاتها الجلّادين. كما أنه أراد إطلاع الناس على
بعض ما يجري للإخوان في السجون من تعذيب واضطهاد! وأراد أن ينبّ عن
الإخوان في فضح الحُكّام والقضاة، وبيان حقيقة جورهم وظلمهم. علماً بأن من
يجرؤ على الإشارة للقضاة الجلّادين عن التعذيب في السجون، كانوا يعيدونه إلى
الزبانية ليصبّوا عليه العذاب! ولنا أن نتصوّر العذاب الذي صبّوه على سيّد، عندما
أعادوه إلى السجن، بعد رفع الجلسة!!

محاكمته السرية والحكم عليه

تأخّرت محاكمة سيّد قطب أمام محكمة جمال سالم قليلاً، بسبب الأمراض
التي أصيب بها، والتي ضاعف منها تعذيبه المتواصل.

«وفي اليوم الثالث من شهر أيار سنة ١٩٥٥م، نُقل إلى المستشفى العسكري،
للمعالجة مما أصابه من آثار التعذيب، والأمراض المختلفة التي خلّفها سجنه
الرهيب، في جسده الطاهر: مرضاً صدرياً، وأزمة قلبية، و«روماتيزم» في معظم
أعضاء جسمه المعذب المكدود.

وفي الثالث عشر من تموز سنة ١٩٥٥م، حكمت محكمة الشعب، أو قلّ «مهزلة
الشعب» على الرجل المبتلى، والعالم الرباني، بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً مع
الأشغال الشاقة!

(١) مجلة المجتمع. عدد: ٥٣٩. تاريخ ٢٥ أغسطس ١٩٨١م. صفحة: ٢٧. وانظر مذابح
الإخوان في سجون ناصر، لجابر رزق: ١١٣.

وكان الحكمُ غيابيّاً، لعدم استطاعته حضورَ الجلسة، من جرّاء ما أصابه من إعياءٍ ومرضٍ وتعذيب!«^(١).

وكانت محاكمته سرّيةً، لأنهم يخشونَ من جرأة سيّد وشجاعته، وفضح جلّاديه أمامَ الناس.

وتروي مجلةُ «الشهاب» أنه في اليوم الذي تقرّرت فيه محاكمةُ سيّد جاءه مديرُ السجن حمزة البسيوني. وقال له: لن نحاكمكَ لأنك مُصدور!

وعُرفَ السبب بعدَ ذلك، لأنه كان من المقرّر في ذلك الوقت، حضورُ مندوبٍ عن لجنة حقوق الإنسان الدولية، ويخشونَ أن يتحدّث سيّد أمامه عن التعذيب!

وبعد ذهابِ المندوب قُدّم سيّد للمحاكمة، وعندما سألوه، خَلَعَ قميصه ليُري القضاةَ والمحامين والشهود، آثارَ التعذيب الوحشية.

ولما سمعَ الحكمَ بسجنه خمسةَ عشرَ عاماً، اعترضَ عليه مستهزئاً: إنّها مدةٌ قليلة، فأينَ حكمُ الإعدام؟«^(٢).

ويحكى سيّد في تقريره عن مرضه قبلَ المحاكمة، من أنه كان في «السجن الحربي» تمهيداً لمحاكمته، فلما مرضَ نُقلَ إلى مستشفى سجن «طُرة» ولما خفَّ مرضُه أُعيدَ إلى الحربي للمحاكمة أمامَ جمال سالم: «في ذلك الوقت أنا كنتُ في «طُرة» معتقلاً، ولم يصدُر عليّ حكمٌ بعد، ولم أحاكَم، وذلك بسبب «تمزُّقٍ في الرئتين ونزيفٍ حاد» اقتضى نقلي من السجن الحربي في ٢٥ يناير ١٩٥٥م، إلى مصحّة ليمان طُرة للعلاج... وفي أبريل كانت حالتي قد تحسّنت نوعاً ما، وتقرّر إعادتي للسجن الحربي، لتقديمي للمحاكمة...»^(٣).

(١) سيّد قطب، ليوسف العظم: ٣٩.

(٢) مجلة الشهاب اللبنانية. السنة السادسة. العدد التاسع. أيلول ١٩٧٢م. صفحة: ٢.

(٣) لماذا أعدموني: ٢٠.

سيّد في «ليمان طُرة»

نُقِلَ سيّد بعد الحكم عليه بالأشغال الشاقة خمسة عشر عاماً، إلى ليّمان - أو سجن - طُرة، لقضاء مدة الحكم.

وسجن «طُرة» بُني في منتصف القرن التاسع عشر، وأُعدّ من ذلك الوقت ليكون سجنًا. وهو من أسوأ سجون مصر، وأكثرها قذارة وإيذاء، وسيق الإخوان إليه لتحطّم نفسيّاتهم، ويُقضى على آمالهم، وتنخر الأمراض في أبدانهم!^(١)

ويروي سيّد أن الإخوان المسجونين، كانوا موزّعين على ثلاثة سجون رئيسة:

سجن طُرة: وفيه حوالي أربعمئة من الإخوان، ضمنهم أشهر قياداتهم.

سجن مصر: وفيه حوالي هذا العدد.

السجن الحربي: وفيه حوالي ألفين من الإخوان الموقوفين.

وكان ضمن الإخوان في سجن «طُرة» بعض الضباط، من أمثال: حسين حمودة، وفؤاد جاسر، وجمال ربيع.

كما كان ضمن قيادات الإخوان في سجن طُرة: منير الدلة، وصالح أبو رقيق^(٢).

سيّد يروي محاولة جمال ربيع لتحرير الإخوان من السجون

روى سيّد في تقريره محاولة للضابط السجين «جمال ربيع» لإخراج الإخوان من السجون الثلاثة: طُرة ومصر والحربي. واستيلائهم على أسلحة الحرس، ثم وصولهم إلى القاهرة، واتفاقهم مع وحدات من الجيش، وعمل انقلاب!

وأن جمال ربيع بدأ يرسم هذه الخطة في ربيع عام ١٩٥٥م، وأنه عرضها على فؤاد جاسر وحسين حمودة، فلم يوافقا. وأنه عرضها على صالح أبو رقيق «فشتمه وعنفه».

(١) انظر وصف سجن طُرة في كتاب «الإخوان المسلمون، لمحمود عبد الحليم» ٣: ٤٩٤ -

٤٩٧. وفي كتاب «عندما غابت الشمس»، لعبد الحليم خفاجي: ١٨١ - ٢٠٠.

(٢) لماذا أعدموني: ١٩.

وعرضَ جمال ربيع الخطة على سيّد قطب قائلاً: «إنه لا يجدُ في الإخوان خمسين رجلاً، قلوبهم حديد، لتنفيذ خطته»، وعلّق سيّد عليها بقوله: «ومع عدم خبرتي بالمسائل العسكرية الفنية، فقد أحسّست أنها محاولة انتحارية جنونية لا يجوز التفكير فيها!»

ويروي سيّد أن جمال ربيع أراد موافقة الضابط الإخواني «معروف الحضري» السجين في السجن الحربي، فلما نُقل سيّد إلى السجن الحربي لمحاكمته في أبريل ١٩٥٥م، ألحَّ جمال على سيّد للاتصال بالحضري بشأن خطة الخروج، وأمام إلحاح جمال أخبر سيّد الحضري بها، وقبل أن يعرف الحضري مَنْ هو صاحب الخطة، قال لسيّد في عصبية: «دي دسيسة لتدبير مذبحة كبرى للإخوان الذين في السجون، والذين في الخارج جميعاً»، ولما عرف أن صاحب الخطة هو جمال ربيع، طلب من سيّد أن يقول له: «دي عملية انتحارية. ولا يجوز التفكير فيها أصلاً!».

ويتابع سيّد كلامه عن خطة جمال ربيع، بأن ربيع نُقل من سجن طرة إلى سجن «الواحات»، مع قيادات الإخوان، وأنه بقي في الواحات يخطط لتهديب الإخوان.

ومن رواية سيّد للحادثة، نفهم أنه يتهم «جمال ربيع»، بأن خطته كانت «دسيسة» من الحكومة، لتدبير مذبحة للإخوان، ولا يلزم من هذا أن ربيع متآمر مع الحكومة في ذلك، فقد يكون حسن النية، ولكن الحكومة قد تستغلها لتحقيق ما تريد، وترتيب مذبحة للإخوان^(١).

وفي نفس الوقت يحكي سيّد عن مؤامرة أخرى تدبرها الحكومة لترتيب مذبحة للإخوان في السجون، وأن الطرف فيها هو الضابط «عبد الباسط البنا» - شقيق الإمام الشهيد حسن البنا، الذي كان قائد كتيبة سجن طرة - .

وكان سيّد مريضاً في مستشفى سجن طرة، ويروي أنه جاءه إلى المستشفى الضابط عبد الباسط البنا ثلاث مرات، وأنه كان يحدثه فيها عن ضرورة تخليص الإخوان مما يعانونه في السجن!

(١) انظر تفصيل سيّد لخطة جمال ربيع في «لماذا أعدموني»: ١٩ - ٢٣.

ويقول سيّد عن عبد الباسط: «ومع معرفتي أنه لم يكن يوماً ما من الإخوان في حياة أخيه الشهيد حسن البنا. فقد سألتُه: وكيف ذلك؟ فقال: إنه كقائدٍ لكتيبةٍ، يضعُ نفسه وأسلحةَ الكتيبة تحت تصرّفنا، لأنه لم يُعد يطيق منظرَ طابور الإخوان في الجبل!»

وردَّ سيّد على عرض عبد الباسط بشكره على عواطفه - الظاهرة - نحو الإخوان، وقال له: «نحنُ نرى أننا أدّينا واجبنا، وانتهت مهمتنا بدخولِ السجون، ولم نَعُدْ نستطيعُ عملَ شيءٍ، فمن أرادَ أن يعملَ من غيرنا فليعمل».

ولما رفض سيّد عرض عبد الباسط انقطعت زيارته له في مستشفى السجن، ثم نقلته الحكومة من هذا الموقع إلى موضع آخر! (١)

حسين حمودة وجمال ربيع يصححان رواية سيّد

روى الضابط الإخواني «حسين حمودة»، في الطبعة الثانية من كتابه «أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون»، بعض التصحيحات لرواية سيّد، عن خطة جمال ربيع المشار إليها، وهذه التصحيحات أوردّها حمودة وجمال ربيع.

وقد نفى حمودة وجود خطةٍ لتهديب الإخوان من السجون الثلاثة، واعتبر الخطة فاشلة. وأن التفكير فيها نوعٌ من الجنون.

وقال حمودة: «وللحقيقة والتاريخ، لم يعرض عليّ جمال ربيع إطلاقاً، خلال تواجدي بليمان طرة، أي مشروعٍ للهرب على الإطلاق!»

ويقرر حمودة أن جمال ربيع لم يكن من الإخوان المسلمين، وكلُّ جريمته - التي عُدب من أجلها، وحُكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً - هي أنه كان يعملُ أركان حربٍ للكتيبة الفلسطينية، التي كان يرأسها الضابط الإخواني الملتزم «عبد المنعم عبد الرؤوف»، وأرادَ عبدُ الناصر أن يكون جمال ربيع شاهداً ضدَّ قائده

(١) انظر رواية سيّد لعرض عبد الباسط البنا في «لماذا أعذمونى»: ٢١.

عبد الرؤوف، ولكن إيمانه وصدقه وخلقه ورجولته ودينه، منعه من تلك العملية القذرة، ووفى لقائده عبد الرؤوف، فدفع ثمن وفائه غالياً!

وبينما نفى حسين حمودة قصة التفكير في الهرب من السجون الثلاثة، فقد أقرّ بخطة جمال ربيع، في تهريب الإخوان المسجونين في سجن الواحات!

وروى حمودة تفاصيل خطة ربيع لتهريب الإخوان، ومعهم بعض الرهائن، من مصر إلى السودان - عن طريق درب الأربعين البري - وهناك يطلبون حق اللجوء السياسي، ويُخرجون نظام عبد الناصر، ويهزّونه هزّاً عنيفاً، في الداخل والخارج.

وقرّر حمودة أن الخطة أوشكت أن توضع موضع التنفيذ في سجن الواحات، لولا أن عبد الناصر أرسل للضابط الأخ حسين حمودة، بأن ينسى الإخوان ما جرى لهم، وأن يفتحوا صفحة جديدة، وأنهم على وشك الإفراج عنهم، ثم تلاحت الأحداث بعد ذلك من تأميم قناة السويس، إلى العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، وعندها أهمل جمال ربيع خطته.

وقد قال حسين حمودة عن رواية سيّد للخطة: «والشهيد سيّد قطب عذب تعذيباً شديداً قبل إعدامه. ولم يراعِ المجرمون الذين عذبوه، أنه كان مريضاً بالقلب والرئتين.

وفي أقواله المنشورة، ما يفيد أنه علم من صالح أبورقيق، بمحاولة جمال ربيع إقناع الإخوان، بالهرب من سجن الواحات، الأمر الذي لم يقتنع به الأستاذ صالح أبورقيق. وهذا الجزء من أقوال الشهيد سيّد قطب صحيح تماماً!

أما الجزء الخاص بمحاولة جمال ربيع، الخروج بالقوة من السجون الثلاثة، فإنني أستبعد تماماً أن يكون الشهيد سيّد قطب قد أدلى بهذه الاعترافات. وإنّ المحقق قد دسّها عليه، لأن معظم هؤلاء المحققين في عهد عبد الناصر، كانوا من معدومي الضمائر، الذين يُزوّرون الأقوال والاعترافات، لخدمة أسيادهم الحكام..»

ولما عرض حسين حمودة كلام سيّد قطب على جمال ربيع، ابتسم وقال: «سامحهم الله، وعلى أيّ حال أنت تعرف الحقائق. ولكنني ابتداءً أبريئُ أستاذي

الشهيد سيّد قطب، مَنْ أن يكونَ قد وردَ على لسانه في التحقيق، أو في غيره، أيُّ شيء عن هذا الخيال الخاص، بما أسموه خطة الخروج من سجون القاهرة، وهو أمرٌ مضحك»^(١).

إذن، حسين حمودة وجمال ربيع، يعترفان بخطة الهروب من سجن الواحات إلى السودان، ولكنهما ينفيان خطة الخروج المسلّح من سجون القاهرة، ويعتبرانها خطة جنونية مضحكة!

وهما ينفيان أيضاً أن يكونَ سيّد قطب قد أدلى بهذا الكلام للمحقّق عام ١٩٦٥م. ويؤكدان - كلاهما - أن هذه الفقرة مدسوسة عليه، دسّها المحقّقون على اعترافه، وأضافوها له!!

والله أعلم بحقيقة الأمر كيف كان، فنحنُ نؤمنُ بصدّق الأخوين حسين حمودة وجمال ربيع، ولا نستبعدُ تلاعبَ المحقّقين باعترافِ سيّد وتقريره، ولا ننفي احتمالَ إضافة أقوالٍ من عندهم، على كلام سيّد الذي كتبه بخط يده!!^(١)

سيّد يلخص مذبحة الإخوان في سجن طرة

وقعت مذبحة للإخوان المسلمين المسجونين في سجن «طرة»، وقد تمّت بموافقة زكريا محيي الدين وزير الداخلية وقتها، ورئيسه عبد الناصر.

وقد روى روايات خمسة شهود من الإخوان، الذين كانوا في السجن، وتابعوا أحداث المذبحة، ورووا تفصيلاتها، روى شهادات هؤلاء، جابر رزق رحمه الله، في كتابه «مذبحة الإخوان في ليّمان طرة».

كان عدد الإخوان المسجونين في طرة مائة وثلاثة وثمانين أخاً، وكانوا موزعين على غرف السجن.

كان مديرُ السجن - وقت المذبحة - الضابط «سيّد والي»، وكان ضابطُ

(١) انظر تصحيحات حسين حمودة وجمال ربيع لرواية سيّد قطب في كتاب حمودة «أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون». الطبعة الثانية: ٢١١ - ٢١٨.

السجن : عبد العال سلومة، وعبد اللطيف رشدي، وعبد الله ماهر.

وسبق المذبحة تكديرات متوالية، من ضباط السجن للإخوان، كان آخرها تكدير الضابط عبد الله ماهر لأحد الإخوان – عبد الغفار السيد – عندما زاره أهله، حيث منَعوا الزيارة، وأرسلوه مع بعض إخوانه للتأديب.

وأيقن الإخوان المسجونون وجود مؤامرة يحيكها ضباط السجن – بالتنسيق مع عبد الناصر، ووزارة الداخلية – لإبادة نزلاء سجن طرة، وذلك عندما يذهبون للجبل – البعيد عن السجن ثلاثة كيلومترات – ثم تصوير الأمر وكأنه محاولة من الإخوان للهروب.

وقبل المذبحة عمل ضباط السجن على تقييد الإخوان بسلاسل حديدية ليؤخذوا للجبل قسراً، وتطلق عليهم النار هناك!

فاتفق الإخوان على الامتناع عن الذهاب للجبل، وطلبوا حضور النيابة للتحقيق، لأن حياتهم معرضة للخطر من قبل إدارة السجن، ولأنهم سيطلقون عليهم النار في الجبل، بزعم أنهم هاربون متمردون.

وفي صباح يوم السبت ١٩٥٧/٦/١م، حصلت مفاوضات بين إدارة السجن وبين الإخوان للخروج، وأصر الإخوان فيها على طلب النيابة للتحقيق ولحمايتهم.

وعند الظهر حضر للسجن اللواء «إسماعيل همت» نائب مدير مصلحة السجون، ومعه كتيبة مسلحة من الجيش. وبينما كان الإخوان في العنابر والممرات، أخذ الجنود مواقعهم في بناية السجن، ثم أصدر إسماعيل همت أوامره للجنود ببدء المعركة، قائلاً: «اضرب». وانطلق الرصاص على الإخوان في العنابر، فظن أحد الإخوان أنها رصاصات فارغة للتخويف، فقال: إنه «فشك» – أي فارغ – فأصابته رصاصة في جبهته فكان أول شهيد. فصاح أحد الإخوان: «إنه ضرب في المليون» ادخلوا في الغرف وأغلقوها!

واستمر إطلاق الرصاص، وسقط عدد من الشهداء والجرحى في الممرات، ثم هاجم الجنود الغرف المفتوحة، وأجهزوا على من بها من الإخوان، أما الغرف المغلقة فقد أنجى الله الإخوان داخلها!..

وبعد انتهاء المعركة «المذبحة» كانت حصيلتها سقوط واحد وعشرين شهيداً من الإخوان، وثلاثة وعشرين جريحاً.

وجاء «صلاح دسوقي الششتاوي» - سكرتير مجلس الوزراء وقتها، والمقرب من عبد الناصر - للتحقيق، وخاف الجنود والضباط من المسؤولية - كما يروي أحدهم وهو الضابط محمد صبحي - ولكن صلاح دسوقي قال لمدير السجن «سيد والي» مهناً له: أنا قلت يا أبو السيد: «ما فيش شخص يقدر يعمل هذا العمل العظيم غيرك، وليتك خلصتنا من البقية».

وبكلمة صلاح دسوقي تحول التحقيق وجهة أخرى، فبدل أن ينظروا للإخوان باعتبارهم مجنئاً عليهم، عاملوهم باعتبارهم جناة، فعاقبوهم!

وقال ضابط المباحث «أحمد صالح داوود» لأحد الإخوان في السجن - بعد المذبحة: بأن سببها هو أن الإخوان المسلمين بالأردن، قد ساعدوا على إفشال انقلاب عسكري، قاده عميل عبد الناصر «علي أبو نوار» فعاقب عبد الناصر الإخوان في مصر، ورتب لهم هذه المذبحة في سجن طرة^(١).

بعد هذا التلخيص الموجز غاية الإيجاز عن المذبحة، نورد رواية سيد قطب لها:

«كان هناك ضابط اسمه عبد الله ماهر، على علاقة ظاهرة بالخمسة الشبان اليهود المسجونين في حادث جاسوسية... ويحتفي بأخت واحد منهم حفاوة مكشوفة!

وبدأ هذا الضابط التحرش والاستفزاز للإخوان بشكل ظاهر، مما أدى شيئاً فشيئاً، إلى خلق جو مشحون بالتوتر بين إدارة اليمان وبين الإخوان.

واحتك ذلك الضابط بمجموعة من الإخوان الشبان المندفعين، وحصل بينه وبينهم تماسك بالأيدي، انتهت المسألة بوضعهم في التأديب.

وظلت خطة الاستفزاز وشحن الجو بالتوتر من جانب عبد الله ماهر، حتى جاء

(١) انظر تفصيل المذبحة وشهادة شهودها في وثيقة جابر رزق «مذبحة الإخوان في ليمان طرة». وانظر رواية الشهيد محمد يوسف هواش لها في رسالته «مجزرة القرن العشرين».

يوم، علم الإخوان الذين يخرجون للجبل أن هناك خطة لضربهم بالرصاص في الجبل، بحجة محاولتهم التمرد أو الهرب، فرأوا - تفويتاً لهذه الخطة - أن يعتصموا بالزنازين في اليوم التالي، ويطلبوا حضور النيابة، لإخطارها بما وصل إلى أسماعهم، من تلك الخطة، التي تدبر لهم.

وهنا أمرت الكتيبة بضربهم بالرصاص داخل عنابرهم، بل داخل الزنازين بالنسبة لعدد كبير منهم.

وقتل ٢١، وجرح حوالي ذلك...

إن هذا الإجراء الذي اتُخذ من إدارة السجن - وفي ظل ذلك الخيط المتسلسل من الحوادث - يدل بوضوح على أنها خطة مذبحة متصلة، وراءها يد مدبرة! لا يهمني الآن تعيينها!!

ولعله لم يكن من المصادفات كذلك، أن يكون السيد صلاح دسوقي، هو المشرف على التحقيق في مذبحة طرة. وقد شاع بين الإخوان في ذلك الحين، أن التحقيق الذي تجريه النيابة كان يتجه في أول الأمر إلى اعتبارهم مجنياً عليهم، وأنه بعد حضور السيد صلاح وحضور محقق آخر، اتجه التحقيق إلى اعتبارهم جناة...

وقد صرّح سيّد بأن مذبحة الإخوان في طرة - وما سبقها من محاولات من الحكومة لاستدراجهم لقتلهم - جعلته يخرج بنتيجة: «ما تركته هذه السلسلة من شعور في نفسي عميق بأن حركة الإخوان المسلمين، مقصود بالذات القضاء عليها، لصالح جهات أجنبية. وإن شئت التدابير تُتخذ، وشئت الوسائل، لتدمير أشخاصها بالتعذيب، أو تذيبهم، أو تخريب بيوتهم، للقضاء في النهاية على الاتجاه من أساسه!»^(١).

سيّد يحاول حل لغز حادث المنشية

حادث المنشية هو الحادث الذي اتهم فيه الإخوان المسلمون بمحاولة اغتيال عبد الناصر، عندما نُسب لمحمود عبد اللطيف إطلاق الرصاص من مسدسه على

(١) لماذا أعدموني: ٢٣ - ٢٥ باختصار.

عبد الناصر، وهو يخطبُ في مبنى هيئة التحرير في المنشية بالإسكندرية، مساء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م. والذي أعقبه بطشُ عبد الناصر وتنكيله بالإخوان وتعذيبهم.

لما استقرَّ سيّد قطب المقامُ في سجن طرّة، صارَ يحاولُ حلَّ لغزِ حادثِ المنشية، ويفكرُ ويطلُّ التفكير، ويتساءلُ باستمرار، ويسألُ كلَّ مَنْ يقابله من الإخوان القياديين في الجماعة، وفي التنظيم الخاص، ولم يخرج منهم بجوابٍ شافٍ مقنع، فالكلُّ لا يعرفُ حقيقةَ ما جرى.

وخرجَ سيّد بنتيجة: إنّ الحادثَ مفتعلٌ مدبّر، وإنّ الإخوان ليسوا هم الذين حاولوا اغتيالَ الرئيس، وإنّ هناك أيادي أجنبية وراءه، رَبَّتْ الأمورَ حتى وصلت إلى ما وصلت إليه!!

وقد ربطَ سيّد بين حادثِ المنشية وبين دورِ جمعية الفلاح المصرية، ذاتِ العمالة الأمريكية، في توسيع شقّة الخلاف بين الإخوان وعبد الناصر، منذ بداية الثورة.

يقولُ في تقريره عن الربطِ بين جمعية الفلاح وبين حادثِ المنشية وعن محاولاته حلَّ اللغز: «منذُ أن وقعَ هذا الحادث، وأنا أشكُّ في تدبيره. لم أكنُ أعلمُ شيئاً يقينياً عن ذلك، ولكن كلَّ الظروف المحيطة، كانت تجعلني أشكُّ في أنه ليس طبيعياً. كان شيءٌ ما يلحّ على تفكيري في أنه مدبّر، لتكملةِ الخطة التي تنتهي بالتصادم الضخم بين الثورة والإخوان، تحقيقاً لأهدافٍ أجنبية. أرجحُ - من استقراء الأحوال، ومن خطة الأستاذ فؤاد جلال وكيل جمعية الفلاح - أنها أمريكية!

وعندما كانَ السيد صلاح دسوقي يستجوبني هنا في السجن الحربي عام ١٩٥٤م، صارحتهُ برأيي في تدبير الحادث.. وقد انتفضَ وقتها بشدة، وهو يقولُ لي: هل أنت كذلك - بكل ثقافتك - من الذين يقولون إنها تمثيلية؟!.

وقلت له: أنا لا أقولُ إنها تمثيلية، ولكني أقول: إنها مدبرة! لهدف معين، وإن أصبعاً أجنبياً ذات دخل فيها!

فقال لي وقتها - وقد هدأ اضطرابه - : جايز! ولكن واحداً من الإخوان المسلمين هو الذي قامَ بالحادث!.

إنَّ شعوري وتقديري بأنَّ حادثَ المنشية مدبَّر تدبيراً، جعلَ يملأ نفسي رغبةً في معرفة الحقيقة!

غير أنني لم أجدُ أحداً ممن التقيتُ بهم في سجن «طرة» عام ١٩٥٥م – وكانوا كثيرين قبلَ ترحيلهم إلى الواحات – يدلُّني على هذه الحقيقة!

كلُّ مَنْ سألتهم – ومنهم ناسٌ قريبون جداً من محمود عبد اللطيف، الذي انطلقت الرصاصاتُ من مسدَّسه، ومن هنداوي دوير كذلك – قالوا لي: المسألةُ غامضة «وموش عارفين الحكاية دي حصلت ازاي» وبعضهم قال: المسألةُ فيها سرٌّ لا يمكن الآن معرفته... وكانت كلُّ الأجوبة لا تملكُ أن تعطيني الحقيقة!!^(١).

وأحبُّ أن أقرِّر هنا، أنه ثبتَ أن الحادثَ كان مدبَّراً، وأنَّ للمخابراتِ الأمريكية يداً في الحادث وتدبيره، وأنَّ لعبد الناصر وخاصة رجاله يداً مباشرة في هذا الحادث، وأنَّ الذي أطلق الرصاصَ ليس محمود عبد اللطيف بل أحدُ ضباط الشرطة، بترتيبٍ من رجال عبد الناصر! وأنَّ المقصودَ من كلِّ هذا البطشُ بالإخوان المسلمين، وضربهم، والقضاء على دعوتهم. وأنَّ هناك اتفاقاً بين عبد الناصر والمخابرات الأمريكية، على ضربِ الإخوان، وعلى تجميدِ حالة الحرب بينه وبين إسرائيل لعشر سنوات – كما صرَّح بذلك السفيرُ الأمريكي في السعودية للسفير السوري في السعودية وقتها الأخ عمر بهاء الدين الأميري –^(٢)!!

وقد وضحت الحقيقةُ بعد أن صارَ الصامتون يتكلَّمون. فقد صرَّح بهذه الحقيقة محمد نجيب، وحسن التهامي، وقادة الإخوان من أمثال صلاح شادي ومحمد حامد أبو النصر.

وقد جلَّى هذه الحقيقةُ بالإثباتات والشهود والروايات والتحقيقات والمقابلات، الأستاذ أحمد رائف في كتابه الوثيقة «سرايب الشيطان: صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين» الذي طبعه مؤخراً^(٣).

(١) لماذا أعدموني: ١٤ – ١٥.

(٢) انظر وثيقة عمر الأميري في مجلة المجتمع عدد: ٧٥٨.

(٣) انظر كتاب أحمد رائف «سرايب الشيطان» الفصول من السادس حتى العاشر.

سيد في مستشفى سجن «طرة»

تضاعفت أمراض سيد قطب الجسمية، وكثيرٌ منها رافقه منذُ شبابه قبل دخوله السجن، لكنَّ جوَّ السجن وبيئته ساعدا على تفاعلها وتضاعفها، وبعضها أمراضٌ جديدة استوطنت جسمه بسبب طبيعة السجن وجوّه.

وأمام تدهور حالته الصحية، كان لا بدَّ أن يُنقلَ إلى المستشفى، وبما أنه محكومٌ عليه بالسجن خمسة عشر عاماً، فقد رتبوا له وضعاً خاصاً استثنائياً، وهو أن يقيم في مستشفى سجن «طرة» أو مصحة طرة كما يسميها سيد - وهو ليس مستشفى بالمعنى المعروف، ولكنه بناء متواضع، داخل السور الكبير المحيط بالسجن - .

وقد قدَّر الله لسيد أن يعيش في مستشفى السجن حوالي تسع سنوات.

إنَّ سيد في مستشفى السجن يقضي مدة «محكوميته» ولذلك لم يتعرض فيه إلى تعذيب - لأن تعذيبه البدني توقَّف بعد محاكمته والحكم عليه - . وجوده في المستشفى أحسن من وجوده في العنابر والزنازين.

وقد كان السَّجانون يحترمون سيد، لأنه بشخصيته وحياته وسلوكه قد أجبرهم - نفسياً - على احترامه وتقديره. ولهذا كانوا يخففون الرقابة عنه، ويتسامحون في معاملته، فكان عنده بعض الكتب والمراجع. ومن مستشفى السجن أُلِّف كتاباً إسلامية ناضجة، خرجت أصولها من السجن إلى المطبعة! (١).

وجاءت عليه فترة، لم يكن بالسجن في طرة، ولا في مستشفى إلاً هو، واثنان من الإخوان المرضى، لأن باقي الإخوان نُقلوا إلى سجن الواحات وسجن القناطر وغيرهما: «وبعد مذبحة طرة، لم يُعد في اليمان أحدٌ من الإخوان معي، إلا الأخ محمد يوسف هواش، والأخ محمد زهدي سلمان. وهذا الأخير - بحكم ثقافته المحدودة - لا يتمكّن من المشاركة في أيِّ تفكير من هذا النوع. فلم يبق معي إلا هواش» (٢).

(١) انظر سيد قطب، لعادل حمودة: ١٣١.

(٢) لماذا أعدموني: ٢٧.

من أمراض سيد قطب

بمناسبة حديثنا عن إقامة سيد في مستشفى سجن طرة، بسبب أمراضه، نتوقف لنشير إلى أهم هذه الأمراض:

هناك أمراض استقرت في جسمه الناحل منذ طفولته. منها أمراض في معدته وأمعائه.

ومنها أمراض في رئتيه، التي كانت تسبب له آلاماً حادة، في جهازه التنفسي، وتجعله طريح الفراش أياماً وأسابيع، يمنعه الطبيب خلالها من الحركة، أو القيام بأي مجهود عضلي أو ذهني.

وهذا مثال على أمراض جهازه التنفسي، أخبرنا به لما كان في الأربعين من عمره: «إلى الإسكندرية... لا بد من تغيير الهواء في هذا العام... فها هي ذي أعصابي تعلن الثورة، وتعلنها وتعلنها، ثم تمل من هذا الإعلان، فتضرب إضراباً تاماً وتنام!.. وها هو ذا الطبيب، والطبيب، لا يجدون في جعبتهم - بعد أن أتناول نصف ما في صيدلية حلوان من الأدوية: حقناً وتجرعاً وبلعاً - إلا أن يقولوا: غير الهواء!..»^(١).

ولما اعتقل في نهاية عام ١٩٥٤م عذب تعذيباً رهيباً بشعاً، ضاعف في أمراض رئتيه وباقي جسمه، قال عنه محمد قطب «تعرض الأخ سيد في اعتقاله الأول لتعذيب شديد جداً. سبب إصابته بنزيف رئوي شديد، مما اضطر السلطات إلى تأجيل محاكمته شهرين كاملين، وقد ذكرت الصحف المصرية ذلك، ثم حوكم محاكمة سرية لم يحضرها أحد»^(٢).

وبعد حوالي خمس سنوات من إقامته في مستشفى سجن طرة، تضاعفت أمراضه، وساءت حالته الصحية، بل تدهورت.

(١) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨١. تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦م. صفحة: ٧٩٦.

(٢) مجلة الغرباء. السنة الرابعة عشرة. العدد الثالث. سبتمبر ١٩٧٥م. صفحة: ١١.

يقول عادل حمودة عن أمراضه في هذه المرحلة: «في نهاية سنة ١٩٦٠م، ساءت حالة سيد قطب الصحية إلى حد كبير.

لم تكن إمكانيات العلاج في مستشفى ليمان طرة تناسب أمراضه، ولم تكن قادرة على وقف تدهور صحته... فالرئة تتعرض لحالات من النزيف المفاجيء... والمعدة والأمعاء تتعرض لنوبات لا تتوقف من التقلصات... والقلب بدأ يضاعف من ضرباته إلى أن وصل لمرحلة الأزمة...

وكان أن بُذلت محاولات عديدة من خارج السجن، لنقله إلى مستشفى متخصص للعلاج... لكن كل هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح.

وكان - بعد حد من التدهور - أن قررت اللجنة الطبية العليا لمصلحة السجون، نقله إلى مستشفى «المنيل» الجامعي...

وفي هذا المستشفى، كشفت الأجهزة الطبية الحديثة، أنه يقترب من حالة «الذبحة الصدرية».

وبعد ستة أشهر قضاها في مستشفى المنيل الجامعي، عاد إلى مستشفى ليمان طرة.. وفي العام التالي تدهورت صحته من جديد، فعاد إلى مستشفى «المنيل» الجامعي مرة أخرى، لمدة ستة شهور أخرى... رجع بعدها إلى مستشفى سجن طرة...»^(١).

«وفي سنة ١٩٦٤م تعرض سيد قطب لانهايار حاد جديد في صحته، استدعى نقله مرة ثالثة إلى مستشفى «المنيل» الجامعي...

لكنه هذه المرة لم يُنقل، لأنه أفرج عنه إفراجاً صحياً...»^(٢).

خرج سيد من سجنه بعفو صحي، بعد إصابته بالذبحة الصدرية، مع قائمة من الأمراض الأخرى في الكلى والمعدة والأمعاء.

(١) سيد قطب، لحمودة: ١٥٩.

(٢) المرجع السابق: ٦٠، ولماذا أعدموني: ٨٤ - ٨٥.

وقد أشار سيّد في تقريره إلى شيء من ذلك، حيث قال: «وكنْتُ قد خرجتُ بعفوٍ صحي، بعد سوءِ حالةِ الذبحة الصدرية التي أُصِبْتُ بها في السجن، مع بقيةِ أمراضِي الأخرى...»^(١).

عولجَ سيّد - بعد الإفراج عنه - من أمراضِه عندَ أطباء مختصين، ولكنه لم يشفَ منها.

وسيقَ إلى التعذيبِ الرهيب، بعد شهرٍ من الإفراج عنه، وتضاعفتُ أمراضُه، بمضاعفةِ تعذيبه وقسوته وشِدَّتِه، واستغلَّ المجرمون الجلّادون أمراضَه لزيادةِ تعذيبه وإيلامه!

يروى جابر رزق عن جرائمهم اللاإنسانية معه:

«كان قد بلغَ السَّتين من عمره... ومصابٌ بالذبحة الصدرية... بالإضافة إلى مرضِ الكلى... وأمراضِ المعدة...»

ولكن لم تشفعْ له سنُّه... ولم يشفعْ له مرضُه... بل استغلّوا هذه الأمراضَ جميعاً في نوعِ التعذيبِ الذي تعرّضَ له...

لقد ربطوه في كرسي لمدةِ أربعةِ أيام، حرّموا فيها من الطعام والشراب، وحرّموا حتّى من الماء... وكانوا يَسْكُبون الماءَ أمامَه... ومعروفٌ أن مريضَ الكلى يحتاجُ إلى كمّياتٍ كبيرةٍ من الماء... ولقد وصلَ الأمرُ بالشهيدِ سيّد قطب أنه أوشك أن يفقدَ بصره...»^(٢).

ونظراً لتدهورِ حالتهِ الصحية، فإنهم وضعوه - في الاعتقال الثاني - في زنزانيةٍ غيرِ مغلقةِ باب، ليصلَ إليه الهواء... ولكنهم وضعوا على الباب «بطانية» لئلا يرى أحداً، أو يراه أحد.

ورغمَ إصابتهِ بالذبحة الصدرية الخطيرة، إلّا أنّهم كانوا يأمرُونَه بالجري في عنايِرِ السجن، والسيّاطُ تهوي منهم على ظهره...

(١) لماذا أعدموني: ٣٧.

(٢) مذابح الإخوان المسلمون في سجون ناصر، لجابر رزق: ١١٤.

تروي زينب الغزالي عن هذا فتقول: «كان طبيبُ السجن - لخطورة مرض الشهيد سيّد - قد نبّه على الحرّاس، أنه إذا طُلبَ إلى المكاتب للتحقيق، فيتركوه يمشي على راحته لمرضه.. ولكنّ الجلادَين صفوت الروبي وحمزة البسيوني، أمرا الحرّاس أن يحضروا سيّد قطب بالخطوة السريعة!! ودفعَ الحرّاسُ الشهيدَ أمامهم، وأخذوا يضربونه بالكرباج على الأرض، حتى يضطروه للإسراع.. فجاءته أزمةٌ قلبية، استدعى بسببها الطبيب، الذي ساءلَ الحرّاس، فأخبروه بأن صفوت الروبي وحمزة البسيوني أمراهم بذلك.. حدّث ذلك وأنا في زنزانتني أسمعُ الحوار..»^(١).

ولم تمنع أمراضُ سيّد الكثيرة جلّاديه من الحكمِ عليه بالإعدام، ومن تنفيذ ذلك الحكمِ به!.

والأمرُ العجيبُ حقاً هو أن عمرَ سيّد المتقدّم، وجسمه المريض، وصحته المتدهورة، لم تمنعه من العملِ والحركة والدعوة والجهاد، فقادَ تنظيمَ الإخوان المسلمين وخطّطَ له، وأشرفَ عليه!

كما أن صحةَ سيّد المتدهورة لم تكن أداةً ضغطٍ عليه من قبلِ الطغاةِ الجلّادين، حيث واجهَهُم بصبرٍ وصلابةٍ وشجاعةٍ، فثبتَ على دعوته، واستعلى على آلامه وأمراضه، وآثرَ ما عند ربه، وثبتَ ثباتَ الرجال، وماتَ ميتةَ الأبطال! وصدقَ فيه قولُ الشاعر:

وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَاراً تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَادُ

شخصية سيّد في سجنه

وهبَ اللهُ سيّد قطب شخصيةً قويةً مؤثرةً، حيث كان يفرضُ احترامه وتقديره على الآخرين، لما يجدونه عنده من صفاتٍ وسمات.

وقد كان سيّد في سجنه موضعَ احترامِ المسجونين - من الإخوان وغيرهم - حتى إنّ المسجونين العاديين كانوا يقدّرونه ويستشيرونه، ويَقْبَلُون رأيه وحكمه!

(١) المرجع السابق: ١١٦.

وإذا وقعت مشكلة في السجن بين المسجونين العاديين، كانوا يقبلون الاحتكام إلى سيّد، ويرضون حكمه.

كذلك كان السّجّانون يحترمون سيّد ويقدّرونه، ولذلك كانوا يتسامحون معه أحياناً، ولا يطبّقون عليه تعليمات ولوائح السجن بدقة وشدة.

وقد كان مدير السجن وطيبه يحبّان سيّد، ولهذا عاملاه معاملةً حسنة، ووفّرا له ما يمكنهما من أسباب الراحة.

وكان حوله إخوان يخدمونه، ويعملون على راحته.

كان سيّد يعامل مَنْ معه في السجن – ولو كانوا سّجّانين – بأخلاق إسلامية عظيمة، فملك قلوبهم، ولجأوا إليه كثيراً.

لقد أطلقوا على سيّد لقب «قاضي السجن» بل لقد قال «الحلواني» – مدير السجن –: «إن المدير الفعليّ للسجن هو سيّد قطب!»^(١).

يقرر هذه الحقيقة الأخ عبد الحليم خفاجي، ويقول: إنه لما تقرر ترحيل الإخوان المسجونين من سجن طرة إلى سجن الواحات عام ١٩٥٥م: «جاء سيّد قطب ليتعرف علينا، وليودّعنا بقامته الفارعة، وهامته الشامخة، وملامحه الجادة الراضية، ونظراته الودودة النافذة.

وظني أن حضوره إلينا هو الاستثناء الوحيد من قاعدة «التّسليك» – أي الدفع للسّجّانين – لما يحظى به من احترام وحبّ جميع المسجونين والسّجّانية على السواء»^(٢).

عامل سيّد إخوانه المسجونين بكرم بالغ، فعندما كان أهله يزورونه، كانوا يكرمونه بدجاجة أو «وزة» مشوية محمّرة، ملفوفة بالأوراق، فكان يتناولها بيده كما هي، لم يفتحها ولم يذق طعمها، ويقف على شرفة الدور، وينادي إخوانه في الطابق الأسفل، ويعطيهم تلك الهدية ليتقاسموها فيما بينهم!

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) عندما غابت الشمس، لخفاجي: ٢١٠.

وعندما أُدخل سيّد الزنزانة عام ١٩٥٤م، كان شريكه فيها الأخ «مصطفى العالم» وقد أصيب مصطفى العالم في الزنزانة بانفصالٍ غضرومي، والوسيلة الوحيدة لعلاجها هي أن يبقى مستلقياً على ظهره مدّة لا تقلّ عن ستة أشهر. وفي هذه الفترة كان سيّد قطب يقوم على خدمة أخيه، ويُطَيّبُ خاطره لئلا يتضايق - كما يروي مصطفى العالم نفسه - (١).

وشمل كرمه في سجنه الحيوانات، ويروون أنه كان عنده في السجن قطّ عجوز، وكان سيّد يطعمه ويعتني به، ولما سئل عن سرّ اهتمامه به - وهو عجوز ذو منظرٍ منفّر - قال: لا يليقُ بنا أن نأخذَ شبابه ثم لا نرحمه في شيخوخته!!

سيّد يؤلف الكتب في سجنه

كان سيّد في سجنه ظاهرةً عجيبةً حقاً، فهو لم ينزوَ على نفسه، ولم تشغله همومه ومتاعبه وأمراضه وآلامه، ولم يجلس وحده قلقاً بائساً معدّياً! لقد استعلى على كلّ ما يواجهه بإيمانه، وصبرَ على ذلك البلاء، ورضي بذلك القضاء!

لقد جمع في سجنه بين التأمل والتدبّر، والبحث والتفكير والعمل والدعوة. صار في سجنه يكتبُ الكتب، ويُعدُّ الأبحاث الجادة، وقد أصدرَ من سجنه أهمّ كتبه، وأكثرها جدّيّة وحركيّة والتزاماً ومنهجية، بها صار رائد الفكر الإسلامي المعاصر. أصدرَ من سجنه الكتب التالية: أكمل تفسيره «في ظلال القرآن»، ثم أعاده في طبعته المنقّحة، حيثُ وصلَ في تنقيحه إلى الجزء الثالث عشر. وكتاب هذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، والإسلام ومشكلات الحضارة، وخصائص التصور الإسلامي، ومقومات التصور الإسلامي، ومعالم في الطريق.

لقد قدّر الله لفكر سيّد أن ينتشر، فيسرّ له أسباب ذلك الانتشار، وذللّ لذلك العقبات، وهياً له الطرق.

ومن هذه الوسائل التي هيأها الله سبحانه: أن سيّد كان - قبل سجنه - قد تعاقد

(١) مجلة الشهاب. السنة السادسة. العدد التاسع. أيلول ١٩٧٢م. صفحة: ٨.

مع «دار إحياء الكتب العربية» على نشر الظلال، بحيث يُقدَّم لها كل شهرين جزءاً من الظلال. فلما سُجن سيّد عجزَ عن ذلك، وكان قد أصدرَ ثمانية عشر جزءاً من الظلال.

رفعت الدارُ الناشرةُ دعوى على الحكومة تطالبُها بدفعِ تعويضٍ لها بقيمة عشرة آلاف جنيه، لأنها تضررتُ من ذلك. وآثرت الحكومةُ السماحَ لسيّد بإكمال الظلال في السجن، وعيّنت الشيخَ محمد الغزالي رقيباً دينياً على الظلال، يقرأه قبل طباعته!.

واستغلَّت الحكومةُ سماحَها لسيّد بالكتابة والنشر، لنفي ما كان ينشره الإخوان المسلمون – في الداخل والخارج – عن التعذيبِ الرهيبِ الذي يواجهه الإخوان المسجونون!.

وقد ذكرَ لي الأستاذُ محمد قطب واقعةً عجيبةً عن ذلك. قال: زارَ عبدُ الناصر باكستانَ في الخمسينيات – وسيّد نزيلُ سجن طرة – وجاءه علماءُ باكستان يلومونه على سجن المفكر الإسلامي سيّد قطب، ويطالبونه برفعِ التعذيب عنه، وإطلاق سراحه! فأنكرَ عبدُ الناصرَ تعذيبَ سيّد، ونفى أن يكونَ في السجن، وأخبرهم أن سيّد في بيته، يتمتعُ بكامل حريته! بدليل أنه يطبعُ كتبه الإسلامية في القاهرة، وتصلُّهم في باكستان!! فلا يُعقلُ أن ينشرَ كتباً لو كان سجيناً!!!.

وصدَّق بعضهم افتراءات عبد الناصر، لكنَّ أحدهم أرادَ أن يستوثق من صحة كلام الرئيس عبد الناصر، فبعثَ برقيةً إلى شقيقه محمد قطب يسأل عن سيّد، وهل هو في السجن أو في بيته؟! وكان محمد عاجزاً عن الردِّ عليها – كما أخبرني –!!!.

وأوصت الحكومةُ دبلوماسيَّها في الخارج باتِّباعِ طريقةِ الرئيس عبد الناصر، عندما يُسألون عن سيّد!!!

كان عنده في السجن بعضُ الكتب القديمة والحديثة كمراجع، بعضها من مكتبة السجن الرسمية، وبعضها يُحضرها له أهله عندما يزورونه، وكان يوصي الإخوان المساجين بقراءة بعض هذه الكتب «أفتحُ له نافذةً للتفكير من جديد، والقراءة في الكتب التي تساعد على هذا التصرُّور، والتي كنتُ أسمي له عدداً منها، وبعضها كان عندي في الليمان، ومن مكتبته...»^(١).

(١) لماذا أعدموني: ٣٣.

إشارات لسيد في الظلال عن حياته في السجن

حياة السجن قاسية صعبة بلا شك، وبخاصة لمن كان مسجوناً ظلماً، وكان يلاقي فيه الإيذاء والتعذيب!!

ولكن سيد قطب عرف كيف يستفيد من حياته في السجن، وكيف يعيشها ويتعامل معها، وكيف يجعلها وسيلة لزيادة إيمانه وعلمه.

لقد جعل من سجنه «خلوة» يخلو فيها إلى القرآن، فيتلوه ويتدبره، ويفهم معانيه، ويعيش في ظلاله.

ومن سجنه ألف تفسيره الرائد «في ظلال القرآن»، الذي عاشه بكل كيانه - كما يقول الأستاذ محمد قطب - لفظة لفظة، وجملة جملة، وفكرة فكرة..

عاش في سجنه نعمة الحياة في ظلال القرآن، وعبر عنها في مقدمة الظلال بقوله: «الحياة في ظلال القرآن نعمة. نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها.. نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه..»

والحمد لله.. لقد من الله عليّ بالحياة في ظلال القرآن، فترة من الزمان. ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي. وذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه..»^(١).

صحيح أنه كان في سجنه وحيداً، معزولاً عن الناس، ممنوعاً من الاتصال بالخارج، لكنه لم يكن وحيداً في الحقيقة، لم يكن حزيناً مع آلامه وهمومه، لم يكن مصاباً بالعقد النفسية، والأمراض العصبية - كما يريد بعضهم أن يوهم الناس، ويزعم أن نتاجه الفكري في الظلال وغيره، هو نتاج هذيان وعقد وتشنجات - لكنه كان في سجنه في قمة السعادة والأنس والطمأنينة، لأنه كان مع القرآن، يصاحب سور القرآن، ويعيش معها: «هكذا عدت أتصور سور القرآن، وهكذا عدت أحسها، وهكذا عدت أتعامل معها. بعد طول الصحبة، وطول الألفة، وطول التعامل مع كل منها، وفق طباعه واتجاهاته، وملامحه وسماته!

(١) الظلال ١ : ١١ المقدمة.

وأنا أجِدُ في سورِ القرآن - تَبَعاً لهذا - وَفَرَةً بسبب تنوُّع النماذج، وأنساً بسبب التعامل الشخصي الوثيق، ومَتاعاً بسبب اختلاف الملامح والطُّباع، والاتجاهات والمطالع!

إنَّها أصدقاء.. كلُّها صديق.. كلُّها أليف.. وكلُّها حبيب.. وكلُّها ممتع.. وكلُّها يجدُ القلبُ عنده ألواناً من الاهتمامات طريفة، وألواناً من المتاع جديدة، وألواناً من الإيقاعات، وألواناً من المؤثرات، تجعلُ لها مذاقاً خاصاً، وجوّاً متفرداً..

ومصاحبةُ السورة من أوَّلها إلى آخرها رحلة.. رحلةٌ في عوالم ومشاهد، ورؤى وحقائق، وتقريراتٍ وموحيات، وغوصٌ في أعماقِ النفوس، واستجلاء لمشاهدِ الوجود..»^(١).

أشارَ سيِّدُ في الظلال أحياناً، إلى حياته في السجن:

(أ) نعاسه في لحظة ضيق:

لما فسَّرَ قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ [سورة الأنفال: آية ١١]، تكلَّم عن كونِ «النعاس» جنديّاً من الله للمسلمين في معركة بدر، وأثره في بثِّ الأمان والطمأنينة في نفوسهم.

ثم أشارَ إلى أثرِ النعاسِ عليه في سجنه، فقال: «ولقد كنتُ أمرُّ على هذه الآيات، وأقرأ أخبارَ هذا النعاس. فأدركه كحادثٍ وقع، يعلمُ الله سرّه، ويحكي لنا خبره..»

ثم إذا بي أقعُ في شدّة، وتمرُّ عليَّ لحظاتٌ من الضيقِ المكتوم، والتوجُّسِ القلق، في ساعة غروب.. ثم تدركني سنةٌ من النوم، لا تتعدى بضْعَ دقائق.. وأصحو إنساناً جديداً غيرَ الذي كان.. ساكنَ النفس، مطمئنُ القلب.. مستغرقاً في الطمأنينة الواثقة العميقة.. كيف تمَّ هذا؟ كيف وقعَ هذا التحوُّلُ المفاجيء؟ لست أدري! ولكني بعدها أدركُ قصةَ بدرٍ وأحد..»^(٢).

(١) الظلال ٣: ١٢٤٣.

(٢) الظلال ٣: ١٤٨٤.

(ب) شعوره بقيمة الشمس بعد طول حجبها عنها:
تكلّم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة سبأ: آية ١٣]
عن نسيان كثير من الناس وغفلتهم عن نعم الله عليهم، وعدم مقابلتها بالشكر..

ثم أشار إلى حادثة جرت له ولإخوانه، عندما كانوا محرومين من أشعة الشمس في السجون: «وكنّا مرةً طويلةً محرومين من رؤية الشمس، وكان شعاعٌ منها لا يتجاوز حجمه حجم القرش، ينفذ إلينا أحياناً. وإنّ أحدنا ليقفُ أمام هذا الشعاع، يمرّره على وجهه ويديه وصدره وظهره وبطنه وقدميه ما استطاع! ثم يُخلّي مكانه لأخيه ينال من هذه النعمة ما نال!!»

ولست أنسى أول يوم بعد ذلك وجدنا فيه الشمس. لست أنسى الفرصة الغامرة، والنشوة الظاهرة، على وجه أحدنا، وفي جوارحه كلّها، وهو يقول في نعمة عميقة مديدة.. «الله! هذه هي الشمس! شمس ربنا. وما تزال تطلع!! الحمد لله!!».

«فكم نبعثُ في كلّ يومٍ من هذه الأشعة المحيية، ونحن نستحم في الضوء والدفء. ونسبح ونغرق في نعمة الله؟ وكم نشكرُ هذا الفيض الغامر المتاح، المباح من غير ثمن ولا كد ولا معاناة..؟!»^(١).

(ح) رحمة الله له تغيّر نظرتَه لما حوله:
عاش في سجنه ومحنته في ظلال رحمة الله، وتذوّق عملياً قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا، وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾.
[سورة فاطر: آية ٢].

وأخبرنا عن أثر رحمة الله عليه في تغيّر نظرتَه لما حوله: «وبقي أن أتوجّه أنا بالحمد لله، على رحمة منه خاصة، عرفتها منه في هذه الآية.

لقد واجهتني هذه اللحظة، وأنا في عُسرٍ وجُهدٍ وضيقٍ ومشقة، واجهتني في لحظة جفافٍ روحي، وشقاءٍ نفسي، وضيقٍ بضائقة، وعُسرٍ من مشقة... واجهتني في ذات اللحظة. ويسّر الله لي أن أطلع منها على حقيقتها. وأن تسكب حقيقتها في

(١) الظلال ٥ : ٢٨٩٩.

روحي ، كأنما هي رحيقُ أرشفهُ وأحسُّ سريانه ودبيبه في كياني . حقيقةً أذوقها لا معنى أدركه . فكانت رحمةً بذاتها، تقدّم نفسها لي تفسيراً واقعياً لحقيقة الآية، التي تفتّحت لي تفتُّحها هذا . وقد قرأتها من قبل كثيراً . ومررتُ بها من قبل كثيراً . ولكنها اللحظة تسكبُ رحيقها، وتحقّق معناها، وتنزلُ بحقيقتها المجردة، وتقول: هأنذا . . نموذجاً من رحمة الله حين يفتحها، فانظر كيف تكون!

إنه لم يتغيّر شيءٌ مما حولي . ولكن لقد تغيّر شيءٌ في حسي ! إنها نعمة ضخمة . .»^(١) .

الإفراج عن سيّد بوساطة عبد السلام عارف

في عام ١٩٦٤م، أصيب سيّد بذبحه صدرية حادة، وتدهورت حالته الصحية إلى درجة خطيرة، بحيث أصبحت حياته في السجن في خطر كبير، فإذا بقي فيه يُخشى أن يموت ! .

وقد أمضى عام ١٩٦٤م أكثر من تسع سنوات في السجن، وبقي من مدة الحكم حوالي ست سنوات!

ورأت الحكومة أن تفرج عنه بعفو صحي .

وفي هذا الوقت اتصل الإخوان المسلمون في العراق بالرئيس العراقي «عبد السلام عارف» - وكان مقرّباً من عبد الناصر، وكلمته غالباً مقبولة عنده - فطلبوا منه أن يقوم بعملٍ طيب، يحفظه له التاريخ، ويأجره الله عليه - كما أخبرني أحد الإخوان العراقيين - وهو أن يتوسّط لدى عبد الناصر للإفراج عن سيّد قطب، وإطلاق سراحه .

وطلب نفس الطلب من الرئيس عبد السلام عارف علماء العراق، وعلى رأسهم العلامة المجاهد «أمجد الزهاوي» .

ووافق عبد السلام عارف على القيام بالوساطة، ونجحت . وعن هذه الوساطة يقول سيّد قطب: «تحدّث فضيلة الأستاذ أمجد الزهاوي بشأني، مع سيادة الرئيس

(١) الظلال ٥ : ٢٩٢٤ .

عبد السلام عارف . ووجدَ عنده كلَّ استعدادٍ للتوسط لدى عبد الناصر، بل إنه فكَّر في ذلك من نفسه . فقد كان كتابي «في ظلال القرآن» هو أنيسُه في فترة اعتقاله أيام عبد الكريم قاسم!

وبالفعل قام بهذه الوساطة . ونجحتُ والحمد لله . .

وأُفرجَ عن سيِّد قطب بعفو صحي في مايو - أيار - ١٩٦٤ م .

وبعد الإفراج عنه كلَّفَ عبدُ السلام عارف السفيرَ العراقي في القاهرة بزيارة سيِّد قطب في بيته ، وإبلاغه تحياتِ الرئيس عارف ، وفرحه بنجاح وساطته ، وإطلاق سراح سيِّد ، واستعداده لتلبية كل ما يطلبه منه سيِّد .

شكرَ سيِّدُ الرئيسَ العراقي على مساعيه ، وقال للسفير : «إنه ليس لي طلبات ، سوى أنه إذا رأى سيادته أن يواصلَ مساعيه الحميدة لإنهاء قضية الإخوان بجملتها ، فلعلَّ الله أن يوفقه إلى ذلك!» .

وأثناء انعقادِ مؤتمرِ القمة العربي الأول في القاهرة عام ١٩٦٤ م ، قدِمَ عبدُ السلام عارف للقاهرة ، وبعثَ لسيِّد هديةً مع السفير العراقي ، فردَّ عليه سيِّد ببرقية شكر ، وجلَّدَ له كتبه كُلُّها تجليداً فاخراً ، وبعثها هدية له^(١) .

وبعد فترةٍ أصبحَ السفيرُ العراقي في القاهرة وزيراً للتربية والتعليم في العراق ، فزارَ سيِّد في القاهرة ، وعرضَ عليه وظيفةً في العراق - وهي أن يعملَ هناك خبيراً في التربية والتعليم ومناهجهما - وأخبره أنه سيكونُ في العراق محلَّ حفاوةٍ وتقديرٍ وتكريم .

ولكن سيِّد اعتذرَ عن قبول المنصب ، وبَيَّن للوزير أن مكانه الطبيعيُّ هو في مصر ، لأنه يقوم بواجبه فيها!^(٢) . .

* * *

(١) انظر رواية سيِّد ، لجهود عبد السلام عارف في «لماذا أعدموني» : ٧٢ - ٧٤ .

(٢) سيِّد قطب ، لعادل حمودة : ١٦١ .

الخامس

سيد قطب قائد التنظيم الإخواني الجديد

محاولات لتجميع الإخوان المسلمين

لم يستسلم الإخوان المسلمون لحل الجماعة عام ١٩٥٤م، ولم يعتبروها منحلة لمجرد إغلاق شعبها، واعتقال قادتها. بل اعتبروا الجماعة موجودة في عالم الواقع، وأن الحظر الرسمي عليها وعلى نشاطها، لا يلغي وجوب التقاء أفرادها وتجميعهم وتنظيمهم!!

وهذا مما يعطي الجماعة حياةً وحيوية، ويجعل لها استمراراً قوياً، ووجوداً عملياً، وحضوراً مؤثراً في الحياة. وهذا من أسباب استعصاء الجماعة على كل محاولات الإبادة والإفناء، وخروجها من كل محنة أقوى مما كانت!

لما أفرج عن بعض القياديين من الإخوان، لم يرغبوا في القيام بمحاولات لتجميع الإخوان وتنظيمهم. وكانوا يعتبرون الجماعة في حالة سكون، في ذلك الوقت. ولذلك رفضوا بعض الدعوات الموجهة من الإخوان، لتجميع وتنظيم الإخوان من جديد. وكان ممن يرى هذا الرأي، الأخوان فريد عبد الخالق ومنير دلة!

لكن بعض الإخوان لم يكونوا على هذا الرأي، بل كانوا يرون وجوب العمل والحركة والتجميع والتنظيم. فقاموا بمحاولات متفرقة لتجميع الإخوان وتنظيمهم.

لعل من أول هذه المحاولات التنظيمية، ما قام به «محمد يوسف هواش» بعد محنة ١٩٥٤م مباشرة، من تنظيم مجموعة من الشباب الإخوان، لمساعدة أسر الإخوان المسجونين وإعانتها. لكن تنظيمه الصغير كشف من قبل أجهزة الأمن، واعتقل هواش ومن معه!

ومن هذه المحاولات، ما قام به الأخ المهندس «مراد الزيات» بعد الإفراج عنه.

ومنها ما قام به الأخ «أحمد عادل كمال» الذي جمع مجموعة من الإخوان، واستمرّ تنظيمه حوالي سنتين. ثم أوقفه عام ١٩٥٩م، لما شعر بمراقبة قوات الأمن له، وتتبعها لخطواته.

ومنها تنظيم الأخ «عبد الفتاح حسين» في شبرا.
ومنها تجميع الأخ «أحمد رائف» بعض الإخوان على منهاج فكري علمي ثقافي.

والملاحظ أن كل تلك المحاولات، كانت جهوداً فردية قام بها أصحابها، باجتهاد خاص منهم، ووجدوا استجابة من بعض الإخوان معهم!

كما يلاحظ أن تلك التنظيمات الجزئية الفرعية، بقيت تأخذ ذلك الطابع الفردي الاجتهادي، وأن أي واحد منها لم يكتسب صفة «الشرعية التنظيمية» لأن أصحابها لم يأخذوا في ذلك إذناً من المرشد العام، أو مكتب الإرشاد!

ويلاحظ أن تلك التنظيمات الصغيرة، بقيت محدودة ضيقة، ولم تستمر طويلاً، إذ سرعان ما تلاشت، أو انصهرت في تنظيمات أخرى.

وقد اعتقل أفراد هذه التنظيمات في مذبحة عام ١٩٦٥م، وحوكموا بسبب ما قاموا به!^(١)

أنجحها تنظيم «عبد الفتاح إسماعيل»

كانت محاولة الشهيد عبد الفتاح إسماعيل، أنجح المحاولات الإخوانية لتجميع الإخوان وتنظيمهم، وكان تنظيم عبد الفتاح إسماعيل هو أساس التنظيم الإخواني الذي اكتشف عام ١٩٦٥م.

والأخ عبد الفتاح إسماعيل من أخلص المريدين للإمام حسن البنا، والمقربين

(١) انظر «الموتى يتكلمون»، لسامي جوهرة: ٤٩ - ٥٠.

إلى قلبه، وقد اعتُقل عام ١٩٥٤ م.

ولما أُفرج عنه عام ١٩٥٦ م صمّم على العمل على إعادة جماعة الإخوان المسلمين، إلى عالم الوجود الفعلي العملي الحيّ المؤثّر!

وقد كان - رحمه الله - أمةً في رجل، ورجلاً يمثّل جماعة، فقام بجهود ضخمة، للاتصال بالإخوان، وإعادة تنظيمهم.

لقد طاف مصر من الإسكندرية إلى جنوب الصعيد، وكان يُضربُ به المثل في الإخلاص والتجرد والعبادة والنشاط والحركة^(١).

زينب الغزالي تروي

روت المجاهدة «زينب الغزالي» في كتابها الوثيقة «أيّام من حياتي» حقائق عن تنظيم عبد الفتاح إسماعيل للإخوان:

عرّفها عليه شقيقها الشيخ محمد الغزالي، عندما كانت تهم بركوب الباخرة للحج عام ١٩٥٧ م.

والتقت به عند الكعبة، بعد ركعتي الطواف، خلف زمزم، بالقرب من مقام إبراهيم، واتفقا على وجوب تنظيم صفوف الجماعة، وإعادة نشاطها، وعلى الاتصال بالمرشد العام الهضيبي، لأخذ موافقته على العمل. لتكتسب جهودهما صفة الشرعية التنظيمية!.

واعتبرا قرار عبد الناصر بحلّ جماعة الإخوان باطلاً، لأنه يتعارض مع النصوص الصريحة في وجوب الدعوة إلى الله.

وقد التقت زينب الغزالي بالمرشد لتستأذنه بالعمل وتأخذ موافقته، وبعد لقاءات عديدة، شرحت فيها غاية التنظيم ومنهاجه التربوي، أذن لهما بالعمل والتنظيم.

وهكذا بدءا العمل^(٢).

(١) انظر طرفاً من حياة عبد الفتاح إسماعيل في «مذابح الإخوان في سجون ناصر»، لرزق: ١٢٧ - ١٣١.

(٢) انظر «أيّام من حياتي»، لزينب الغزالي: ٣٠ - ٣٣.

عبد الفتاح إسماعيل ومخالفوه أمام المرشد العام

لم يوافق كثيرٌ من الإخوان على طريقة عبد الفتاح إسماعيل في العمل، ولم يتفقوا معه على تجميع وتنظيم الإخوان من جديد، واعتبروا أن الأفضل للجماعة في هذا الظرف أن تكون في حالة «سكون»! وأن أحسن صور التنظيم في هذه المرحلة هي عدم التنظيم!

واعتبر هؤلاء جهود عبد الفتاح إسماعيل وإخوانه، سبباً في إيقاع الأذى بالإخوان، وزيادة البطش بهم، وترتيب مذبح جديدة لهم.

وكان من هؤلاء الإخوان المتخوفين «محمد فريد عبد الخالق» و«منير دلة» اللذان ذهبا إلى المرشد العام، وعرضا عليه رأيهما وخوفاً من الضرر الذي سيلحق بالجماعة، نتيجة لتنظيم عبد الفتاح، وبيننا له بطش الحكومة القوي، وأنها لن تتسامح مع خصومها. وذكر له أن تجميع الإخوان لن يفيدهم، وأن الحكومة ستكشف هذا التجميع والتنظيم، وستبطش بأفراده، وبكل من له صلة بالإخوان المسلمين!

فطمأنهما المرشد ووعدهما خيراً!

ثم التقى بالمرشد «عبد الفتاح إسماعيل» وعرض أمامه وجهة نظره بحرارة، وتكلم معه طويلاً، وبين له إفساد أخلاق الناس، نتيجة لتغييب الجماعة، وحذره من خطر وثوب الشيوعيين على الحكم، كل هذا والمرشد صامت!!

وفي آخر اللقاء قال له المرشد: اسمع يا شيخ عبد الفتاح: تصرف على ضوء قرار حل جماعة الإخوان، الذي أصدرته الحكومة في يوم ما!.

واعتبر الشيخ عبد الفتاح هذه العبارة من المرشد، إذناً له بالعمل والتجميع والتنظيم!

وكان يقول للإخوان: «عندي تفويض من المرشد العام لتجميع الإخوان»^(١).

(١) انظر تفاصيل هذا في «البوابة السوداء» لأحمد رائف: ٢٣٥ - ٢٣٩.

القيادة الخماسية للتنظيم الجديد

نشطَ عبدُ الفتاح إسماعيل لدعوته، وجمعَ الإخوان في تنظيم جديد، ورتبَ لهم أسراً ولقاءات.

والتقى عبد الفتاح مع إخوانٍ في المدن المصرية يحاولونَ تجميعَ الإخوان، فنسّقَ معهم، وجمعَ بينهم. التقى بالأخ محمد عبد الفتاح الشريف الذي كان يجمعُ الإخوان في طنطا. والأخ عبد المجيد الشاذلي في الإسكندرية. والتقى بعلي ع شماوي في القاهرة.

واجتمعَ الإخوان، واتفقوا على اختيار قيادةٍ خماسيةٍ للتنظيم، عام ١٩٦٣م، وكانت القيادةُ الخماسيةُ مكونةً من:

- ١ - عبد الفتاح إسماعيل: مسؤولٌ عن الناحية الدينية والمالية، والاتصالات الخارجية، وتنظيمات المنطقة الشرقية.
- ٢ - علي ع شماوي: مسؤولٌ عن تنظيمات القاهرة.
- ٣ - مجدي عبد العزيز متولّي: عن الإسكندرية والبحيرة.
- ٤ - صبري عرفة الكومي: عن الدقهلية والغربية.
- ٥ - أحمد عبد المجيد عبد السميع: عن الصعيد^(١).

مجلس القيادة يبحث عن قائد للتنظيم

بحكم كون مجلس القيادة الخماسية للتنظيم من الشباب غير المجربين، فقد فكّروا في رجلٍ كبيرٍ مجرّبٍ، لرأس المجلس ويقودَ التنظيم، على أن يكونَ شخصيةً كبيرة، واسماً لامعاً.

ووقعَ أولُ اختيارٍ لهم على «عبد العزيز علي» - وكانَ رجلاً صالحاً من غير الإخوان، وكانَ أحدَ أبطال ثورة ١٩١٩م، وعضواً في الحزب الوطني قبل الثورة، ووزيراً في أول حكومة بعد الثورة، ثم اختلفَ مع عبد الناصر - وقابله عبدُ الفتاح في

(١) انظر «الموتى يتكلمون»: ١٠٤ - ١٠٥.

بيت زينب الغزالي، ثم قابله مع بعض أعضاء القيادة، ولم تلتق أفكارهم معاً، ولم يجدوا عنده ما يريدون. فانصرفوا عنه، يبحثون عن قائد آخر! (١)

وفكروا في الأخ «محمد فريد عبد الخالق». واتصل به عبد الفتاح إسماعيل ليقودهم، ولكنه رفض الفكرة، واعتبرها مغامرة، واعتبر جميع الإخوان مؤدياً إلى مذبحه لهم، واعتبر أن أحسن حالات التنظيم في هذه المرحلة هي عدم التنظيم (٢).

وزاد فريد عبد الخالق على رفضه، بأن شكاهم إلى المرشد العام، ولكن عبد الفتاح قابل المرشد بعد ذلك، وأخذ منه موافقة!

وأخيراً استقر رأيهم على «سيد قطب»، الذي وافق ولبي الدعوة!!.

سيد قطب في السجن يفكر في تحليل الأحداث

لما استقرَّ المقامُ بسيد في سجن طرة، صار يستعرضُ شريطَ الأحداث الكثيرة المريرة، التي مرَّت به وبالإخوان المسلمين، وما لاقاهُ مع إخوانه من إيذاء وظلم واضطهاد وتعذيب.

وكان يرى أن للقوى العالمية المحاربة للإسلام ودعايته - من صليبية وصهيونية وإلحاد واستعمار - يداً في كل ذلك.

ويرى أن هذه القوى قد نجحت في تنفيذ مخططاتها، بحل جماعة الإخوان، وتعذيب أفرادها والحكم عليهم، بتهم مزورة ملفقة!

ويرى أن إيقاف نشاط الجماعة وتغيب أفرادها في السجون، فتح أبواب الفساد أمام الشباب.

ويرى أن الرد على كل ذلك هو في «إعادة نشاط وحياة الحركة الإسلامية، حتى ولو كانت الدولة - لسبب أو لآخر - لا تريد!»

وقد استمرَّ تفكيره بالأحداث سبع سنوات تقريباً - من ١٩٥٥م إلى ١٩٦٢م - .

(١) البوابة السوداء: ٢٤٠ - ٢٤٢.

(٢) لماذا أعدموني: ٤٦.

وخرج من تفكيره بقناعة مؤداها: «يستطيع الإنسان أن يلحظ بسهولة علاقة هذا الانحدار، بتدمير حركة الإخوان المسلمين، ومنع نشاطها، كما يستطيع أن يربط بين هذا التدمير، وبين الخطط الصهيونية والصليبية الاستعمارية، بخصوص هذه الجماعة، وبخصوص المنطقة بجملتها.

هذه هي رؤيتي للموقف، التي انطلق منها التصميم على ضرورة العمل لحركة إسلامية، امتداداً لحركة الإخوان المسلمين المصادرة الموقوفة، مع الانتفاع بالتجربة، وبالتجارب التي سبقتها.

وفيما بين عام ١٩٥٥م وعام ١٩٦٢م كان التفكير في منهج الحركة وطريقة البدء بها»^(١).

ورغم أن الحكومة منعت نشاط الإخوان وحاربتهم، وحاكمت كل من عرفت عنه محاولة تجميعهم من جديد، وإعادة العمل والتنظيم، إلا أن سيد اتخذ قراراً حازماً: «إن الحركة الإسلامية يجب أن تستمر. إن القضاء عليها في مثل تلك الأحوال، يُعدُّ عملاً فظيعاً جداً، يصل إلى حد الجريمة. إن الأخطاء يمكن أن تستبعد. ويمكن الاستفادة من التجربة في تجنبها»^(٢).

تصور سيد لمنهج عمل الحركة الإسلامية

بعد وقفة مراجعة وتفكير طويلة، دامت سبع سنوات - من ١٩٥٥م إلى ١٩٦٢م - خرج سيد بضرورة وجود حركة إسلامية كحركة الإخوان المسلمين، وعدم توقفها!

ولم يكن عنده في سجن طرة إلا اثنان من الإخوان: محمد يوسف هواش، ومحمد زهدي سلمان، وباقي الإخوان رُحلوا إلى سجن القناطر، وسجن الواحات. وكانت ثقافة الأخ محمد زهدي محدودة، لذلك تدارس سيد الأمر طويلاً مع

(١) لماذا أعدموني: ١٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٧.

محمد يوسف هواش، ودامت المدارسُ بينهما هذه المدة الطويلة - حوالي سبع سنوات - وخرجاً من ذلك بنتيجة محدّدة. قال عنها سيّد في تقريره: «وبعد مراجعةٍ ودراسةٍ طويلة لحركة الإخوان المسلمين ومقارنتها بالحركة الإسلامية الأولى للإسلام، أصبح واضحاً في تفكيري - وفي تفكيره كذلك - أن الحركة الإسلامية اليوم تواجه حالةً شبيهةً بالحالة التي كانت عليها المجتمعات البشرية يوم جاء الإسلام أول مرة، من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة الإسلامية، والبعد عن القيم والأخلاق الإسلامية - وليس فقط البعد عن النظام الإسلامي والشرعية الإسلامية - وفي الوقت نفسه، توجدُ معسكراتٌ صهيونيةٌ وصليبية استعمارية قوية، تحارب كلَّ محاولةٍ للدعوة الإسلامية، وتعملُ على تدميرها، عن طريق الأنظمة والأجهزة المحلية، بتدبير الدسائس والتوجيهات المؤدية لهذا الغرض.

ذلك بينما الحركاتُ الإسلاميةُ تشغلُ نفسها في أحيانٍ كثيرة بالاستغراق في الحركات السياسية المحدودة المحلية...

كما أنها تشغلُ نفسها بمطالبة الحكومات بتطبيق النظام الإسلامي والشرعية الإسلامية، بينما المجتمعاتُ ذاتها بجملتها قد بعدت عن فهم مدلول العقيدة... ولا بدّ إذن أن تبدأ الحركة الإسلامية من القاعدة. وهي إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول. وتربية من يقبل هذه الدعوة، وهذه المفاهيم الصحيحة، تربيةً إسلاميةً صحيحة. وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية. وعدم محاولات فرض النظام الإسلامي عن طريق الاستيلاء على الحكم، قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعات هي التي تطلب النظام الإسلامي، لأنها عرفتْ على حقيقته، وتريد أن تُحكّم به!

وفي الوقت نفسه، ومع المضي في برنامج تربوي كهذا، لا بدّ من حماية الحركة من الاعتداء عليها من الخارج... كالذي حدث للإخوان سنة ١٩٤٨م، ثم سنة ١٩٥٧م. وكالذي حدث للجماعة الإسلامية في باكستان!

هذه الحماية تتم عن طريق وجود مجموعاتٍ مدربة تدريباً فداًئياً، بعد تمام تربيتها الإسلامية، من قاعدة العقيدة ثم الخلق...

هذه المجموعات، لا تبدأ هي اعتداءً، ولا محاولةً لقلب نظام الحكم، ولا مشاركةً في الأحداث السياسية المحلية.

وطالما الحركة آمنة، ومستقرة في طريق التعليم والتفهم والتربية والتقويم، وطالما الدعوة ممكنة، بغير مصادرة لها بالقوة.. فإن هذه المجموعات لا تتدخل في الأحداث الجارية..

إن هذه المجموعات تتدخل عند الاعتداء على الحركة والدعوة والجماعة، تتدخل لردّ الاعتداء، وضرب القوة المعتدية، بالقدر الذي يسمح للحركة أن تستمر في طريقها.

إن تطبيق النظام الإسلامي ليس هدفاً عاجلاً، إنه لا يمكن تحقيقه إلا بعد نقل المجتمعات ذاتها، إلى الفهم الصحيح للإسلام، والتربية الصحيحة عليه، مهما اقتضى ذلك من الزمن الطويل، والمراحل البطيئة!

وأصبحت هذه الصورة للحركة الإسلامية واضحة في حسي تماماً - كما أصبحت واضحة في حس الأخ هواش - .

وبقيت مهمة نقلها إلى أفراد ومجموعات أخرى من الإخوان بأية وسيلة، لبدء حركة على أساسها^(١).

إن تصوّر سيّد لمنهج سير الحركة الإسلامية، يعيد اعتبار أهمية الوضوح التصوري الفكري، من خلال البدء بالعقيدة والبيان. ويعيد اعتبار أهمية العامل التربوي، الذي يقوم على المجاهدة، والأخذ بالعزائم، والالتزام بالسلوك والممارسة العملية.

وهو في تصوّره للعمل يستبعد الانشغال السياسي والنقابي والمهني، توفيراً للوقت والجهد، وهو يلغي اللجوء إلى الإرهاب والعنف، والتغلغل في الجيش والأجهزة الحكومية، حتى لا تؤخذ الجماعة بالعنف والإرهاب والتآمر على الحكم.

(١) لماذا أعدموني: ٢٦ - ٢٩ باختصار. وانظر القواعد الست لمنهجه في «لماذا أعدموني»:

وهو يوقنُ بوجوبِ نقل المجتمعاتِ إلى الفهمِ الصحيح للإسلام، والمطالبةِ الجادة بحكمِ الإسلام، ويعلمُ أن هذا طريقٌ طويل، ولكن هذا هو الطريق!!.

رسالة سيّد للأستاذ عمر الأميري

بعد إدراكنا لتصورِ سيّد لمنهجِ عمل الحركة الإسلامية، نتوقّف لحظةً، لنطلّع على وثيقةٍ من سيّد قطب أشار لها الأستاذ «عمر بهاء الدين الأميري»، عند لقاءٍ مجلة المجتمع به عام ١٩٨٦م.

إنه بعدَ مذبحة الإخوان في سجن ناصر عام ١٩٦٥م، حاولَ سيّد قطب حتى آخر لحظة أن يوقّف هذه المذبحة، وأن يُنجي شباب الإخوان – الذين قادهم في التنظيم الجديد – من الفناء، وأن يعيدهم في المجتمع، لممارسة واجبهم التربوي والتعليمي والتثقيفي.

ولذلك عرضَ على عبد الناصر – عن طريق وسطاء – بأن لا يقاومَ نظام عبد الناصر مقابل إعادة الأخير الإخوان للإصلاح والتربية في المجتمع!

يقول الأستاذ عمر الأميري: «عندما كان سيّد قطب – رحمه الله – في السجن، أرسل لنا – الإخوان في سوريا – رسالتين، واحدة لم تصلنا، أرسلها مع الدكتور حمدي مسعود زوج حميدة قطب.

والرسالة التي وصلتنا يقول فيها: نرجو أن تكونوا وسطاء، للتفاوض بيننا وبين جمال عبد الناصر، ونحنُ على استعداد، لأن نعطي عهداً، بأن لا نتصدى له، ولا نقاومه بشيء، وكل ما نُسب إلينا من هذه الاتهامات كذبٌ وباطل وملفّق!

ونطلبُ من عبد الناصر لقاء ذلك شيئاً واحداً، وهو: أن يُخلي سبيلنا، وأن لا يعوقَ أعمالنا ومساعينا، في تتبّع النشاط الشيوعي، في اختطاف شباب الجامعة وشباب البلد ومركستهم.

وكل ما عدا ذلك ليس لنا وقتٌ له، لأننا عندما ننهي مهمتنا يكون قد انتهى بطبيعة الحال، ويكون الذين يعملُ لهم قد صعدوا على كتفه، ورفسوه بأرجلهم، وانتهوا منه!

ونحن على ثقة بأنه سينتهي تلقائياً، ونحن نريد أن لا يُحالَ بيننا وبين العمل على إنقاذ شباب هذه الأمة من الشيوعية!»

بعد وصول الرسالة للأستاذ الأميري، جمع لها قادة الإخوان في سوريا، ورأوا أن أنسب زعيم عربي للوساطة عند عبد الناصر، هو «هوارى بومدين»، وكلّفوا الأميري بنقل الرسالة لبومدين، وكان ذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء عام ١٩٦٥ م.

قابل الأميري «شريف بلقاسم» - لأن بومدين كان مشغولاً في المؤتمر - وكتب له خلاصة عرض سيد قطب للتوسط لدى عبد الناصر، وأوصل بلقاسم الرسالة إلى بومدين، وقابل بومدين عبد الناصر، وعرض عليه الأمر، ورفض عبد الناصر عرض سيد.

وقال بومدين لبلقاسم: «إن عبد الناصر انتفض وتوتر، وقال: كل شيء أقبل أن يُبحث فيه، إلا قضية الإخوان المسلمين، فهذه قضية مفروغ منها، وبُتّ فيها بصفة قطعية، ولا يمكن التساهل معهم!!»^(١).

وقد شكك بعضهم في صحة كلام الأميري، وجزم بأن سيد لم يُقدّم ذلك العرض، ونسب للأميري تشويه فكر وموقف سيد قطب!

وفي الحقيقة - وبعد معرفة منهج الحركة الإسلامية كما يتصوره سيد - لا نستبعد صدور ذلك عنه، بل نرجح أنه حاول آخر محاولة لعودة شباب الإخوان للإصلاح والتربية، ومقاومة الإلحاد والفساد في المجتمع!

ولكن عبد الناصر صمّم على القضاء على الإخوان، وإزهاق روح سيد، وأراد له أسياده أعداء الإسلام محاربة الإسلام وجنوده، وفتح الأبواب أمام الإلحاد والفساد، ولذلك رفض الوساطة، وأعدم سيد!!

(١) مجلة المجتمع. السنة السادسة عشرة. عدد: ٧٥٨. تاريخ ١١ آذار ١٩٨٦ م. صفحات:

سيّد والتنظيم الإخواني في سجن القناطر

بعدما اتضحت لسيّد قطب صورة العمل للحركة الإسلامية، أراد إيصال هذه الصورة للإخوان، ليعملوا معه على تطبيق هذا المنهج في عالم الدعوة!

وقد بدأ اتصاله بالإخوان حول هذا المنهج عام ١٩٦٢م^(١).

ويمكن أن نلاحظ مرحلتين لقيادة سيّد للتنظيم الإخواني:

المرحلة الأولى: قيادته مجموعات من الإخوان المسجونين في سجن القناطر، قبلوا منهجه، ووافقوه على رأيه. وهذه المرحلة ما بين عام ١٩٦٢م وعام ١٩٦٤م، عندما أفرج عنه.

المرحلة الثانية: قيادته التنظيم الإخواني خارج السجن، الذي أنشأه عبد الفتاح إسماعيل وإخوانه، والذي كان بإذن وموافقة من المرشد العام، وكانت قيادته فكرية توجيهية في مجملها. وهذه المرحلة من مايو ١٩٦٤م إلى أغسطس ١٩٦٥م. وسنوجز الكلام على المرحلة الأولى.

كان سيّد في مستشفى سجن طرة، يلتقي بالإخوان المسجونين القادمين من السجون الأخرى للعلاج، ومعظمهم من سجن القناطر، وكانت لقاءات سريعة خاطفة حسب طبيعة السجن^(٢).

وقد بين سيّد وضعه التنظيمي في هذه المرحلة، ونظرة الإخوان المسجونين له ولأفكاره، فقال: «أنا إلى ذلك الوقت في محيط الإخوان المسلمين مجرد أخ مسلم! حقيقة إنَّ له من نفوسهم قيمته ومكانته الشخصية، بوصفه كاتباً إسلامياً مفكراً، له خبرته وتجربته في المجالات العامة.

ولكنه مع ذلك كله ليست له صفة حركية إدارية في الجماعة، تعطي له الحق الشرعي في رسم خطة حركية، ولا في توجيه الإخوان إليها. لأن هذا الحق لمكتب

(١) لماذا أعدموني: ٢٩.

(٢) المرجع السابق: ٢٩ - ٣١.

الإرشاد وحده، ولمن يكلفه بذلك. ولست من أعضاء المكتب، ولا مكلفاً منه بشيء...»^(١).

كان سيّد يوصي الإخوان القادمين من سجن القناطر بقراءة كُتب معيّنة، ومناقشة أفكار محددة.

وتكوّنت في سجن القناطر عام ١٩٦٢م أوّل أسرة إخوانية تتبنّى منهج سيّد قطب، وكانت مكونة من الإخوة: مصطفى كامل، ويوسف كمال، وسيد عيد.

وتزايد عدد الإخوان المؤيدين لسيّد في سجن القناطر، وكان هناك إخوان في نفس السجن يعارضون فهم سيّد وتأييد إخوانهم له، ويتهمونه بمخالفة الخطّ الحركي للإخوان، لا سيما وأن فكره صادر عن جهة غير شرعية.

وفي الفترة ما بين ١٩٦٢م و ١٩٦٤م كان وضع الإخوان في سجن القناطر كما يلي:

حوالي خمسة وعشرين أخاً، ساروا على منهج سيّد في الحركة الإسلامية.

حوالي ثلاثة وعشرين أخاً، يعارضون هذا المنهج بشدة.

حوالي خمسين أخاً، في طريقهم للالتزام بمنهج سيّد المذكور.

كان من المؤيدين لسيّد: مصطفى كامل، وسيد عيد، ورفعت الصياد، وفوزي نجم...

وكان من المعارضين: أمين صدقي، وعبد الرحمن البنان، ولطفي سليم، وعبد العزيز جلال^(٢).

أعضاء من مكتب الإرشاد يستوضحون ويوافقون سيّد

تطوّر الخلاف بين المؤيدين لفهم سيّد والمعارضين له في سجن القناطر، واتصل المعارضون بالإخوة أعضاء مكتب الإرشاد المسجونين في سجن الواحات، واشتكوا لهم على سيّد، وعلى مَنْ معه، وصوروا لهم أفكار سيّد على غير حقيقتها.

(١) لماذا أعدموني: ٣١.

(٢) المرجع السابق: ٣١ - ٣٦.

قال سيّد عن هذا الأمر: «وبعض هؤلاء أوصلوا إلى الأستاذ عبد العزيز عطية وغيره في الواحات صورة مشوّهة ومضخّمة، عن الانقسامات الخطيرة التي وقعت في مجموعة القناطر... وصورة كذلك مشوهة عن أصل الأفكار، والمنهج الذي يدور حوله الخلاف. مما جعلهم في الواحات ينزعجون انزعاجاً شديداً، سواءً من الفكرة ذاتها، أو من الخلاف حولها»^(١).

وقد قابل سيّد في مستشفى سجن طرة الأخ «عبد الرؤوف أبو الوفا» قادماً من قبل مكتب الإرشاد في سجن الواحات، ونقل له انزعاج أعضاء المكتب من أفكار سيّد. حيث قيل لهم إن سيّد في أفكاره الجديدة يكفر الناس.

وقد بين سيّد لأبي الوفا حقيقة أفكاره، وأنه لم يكفر أحداً من المسلمين: «وقد قلتُ له: إننا لم نكفر الناس! وهذا نقل مشوّه، إنما نحن نقول: إنهم صاروا من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة، وعدم تصوّر مدلولها الصحيح، والبعد عن الحياة الإسلامية، إلى حال تشبه حال المجتمعات في الجاهلية... وإنه من أجل هذا، لا تكون نقطة البدء في الحركة هي قضية إقامة النظام الإسلامي، ولكن تكون: إعادة زرع العقيدة والتربية الأخلاقية الإسلامية.

فالمسألة تتعلّق بمنهج الحركة الإسلامية، أكثر مما تتعلّق بالحكم على الناس!»^(٢).

ونقل أبو الوفا توضيح سيّد لأعضاء المكتب في الواحات، ولكن المعارضين له ظلّوا «يلحّون على وجوب وقف - ما أسموه - الفتنة في صفوف الجماعة».

وقبيل الإفراج عن سيّد من سجن طرة، نُقل إلى مستشفى السجن «الأستاذان عبد العزيز عطية وعمر التلمساني من أعضاء مكتب الإرشاد الباقيين في السجون، والتقى بي، وأفهمتهما حقيقة المسألة، فاستراحا لها»^(٣).

وبعد الإفراج عن سيّد، زار عضوي المكتب في مستشفى طرة، الأخوان أمين صدقي

(١) لماذا أعدموني: ٣٦.

(٢) المرجع السابق: ٣٦ - ٣٧.

(٣) المرجع السابق: ٣٧.

وعبد الرحمن البنان — قائدا المعارضين لأفكار سيّد — فحاول الأخوان عطية والتلمساني «إفهامهما أن الأمر ليس كما فهموا، ولكنهما ظلّا مصرّين على موقفهما، بعد عودتهما إلى القناطر، هما والمجموعة التي معهما»^(١).

ويهمُّنا هنا كلامُ سيّد نفسه أنه لم يكفر المسلمين، وأن الكلام يدورُ حولَ منهج الحركة الإسلامية في العمل، وليس في الحكم على الناس، وأنَّ الناسَ يجهلون معنى العقيدة الإسلامية الصحيح — وهذا لا يعني كفرهم — وأن المطلوب هو تفهيمُ وتعليمُ المسلمين هذا.

يهمُّنا هذا، لأنَّ هذه المسألة قد تطوّرت بعد استشهاد سيّد، إذ ظهرت مجموعاتٌ من الشباب المسلم تكفّرُ المسلمين الآخرين، وتدّعي نسبةَ هذا لسيّد قطب نفسه.

كما يهمُّنا موقفُ الأخوين عطية والتلمساني من أفكار سيّد ومنهجه، وموافقتُهما له على مجملِ هذه الأفكار.

المرشد التلمساني ينصف سيّد عام ١٩٨٥م

أثنى عمر التلمساني رحمه الله — المرشد الثالث للإخوان المسلمين — على سيّد قطب، وأنصفه، وبرّاه من تهمة تكفير المسلمين، وأشار إلى ما رواه سيّد — قبل قليل — عن لقائه بالتلمساني في مستشفى سجن طرة، للتوضيح والبيان، حول ما نسبته المعارضون لسيّد من اتهامات.

ومما جاء في ثنائه على سيّد قوله: «أذكرُ أنَّ الشهيد سيّد قطب له مؤلّفاتٌ عدةٌ وجيدةٌ وعلى مستوى رفيع، منها «في ظلال القرآن» و«العدالة الاجتماعية» و«معالم في الطريق».

وتمتازُ هذه المؤلّفاتُ بالنقمة على الظلم في كل مظهره، والحرص على رفع المعاناة عن كل الطبقات، وأن تسود مصر الحرية..

(١) لماذا أعدموني: ٣٧.

وليس في «معالم في الطريق» جديدٌ في فكر سيّد قطب، ولكن بما أنّ الشهيد كتبه في السجن، بعد أن ذاق ألوان العذاب على مختلف قسوتها ووحشتها، فقد بدتْ نغمته على مخالفة الشرع أوضح وأظهر.

وما أراد الشهيد الأستاذ سيّد قطب في يومٍ من الأيام أن يكفر مسلماً، لأنه من أعلم الناس، بأن رسول الله - ﷺ - قال في أكثر من حديث: إِنَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُؤْمِناً بِهَا قَلْبُهُ، لَنْ يُخَلَّدَ فِي النَّارِ. ونحن نعلم أنه لن يخلد في النار إلا الكافرون.

هذه واحدة، والثانية: إنّ كثرة ترداد «للمجتمع الجاهلي» لم يقصد بها تكفير المجتمع، ولكن تشديد النكير على الظلمة والطغاة والمستغلّين والمُشكّكين. وهو أسلوبٌ تعرفه اللغة العربية...

والذين يعرفون الشهيد سيّد قطب، ودمائة خلقه، وجمّ أدبه، وتواضعه، ورقّة مشاعره، يعرفون أنه لا يكفر أحداً.

إنه داعيةٌ إسلامي، من عيون دعاة المسلمين، ظلّمه مَنْ أخذ كلامه على غير مقاصده، ومَنْ هاجموا متجنّين، لما رأوه من عميق تأثير كلماته وكتاباته على الشباب الطاهر النظيف.

هذا موجزٌ مقتضبٌ للمبادئ التي قام عليها كتاب «معالم في الطريق» وقد كان لي شرفُ الاطلاع عليه قبل طبعه، ونحن في مستشفى ليّمان طرة.

ولما أفرج عن سيّد قطب، أرسل إليّ - وأنا في السجن - يخبرني أنّ الجمهورية العراقية طلبته ليعمل في مجالات التعليم والتربية هناك. واستشارني في الرفض والقبول. وكان رأيي أن يقبل! لتخوفي مما كنتُ أتوقعه بالنسبة له من رجال الانقلاب. ولكنه أثر البقاء في مصر، ليدافع عن رأيه، وهو قدّر الله، الذي لا ينفع معه احتياط ولا حذر!!^(١).

(١) ذكريات لا مذكرات، لعمر التلمساني: ٢٨٠ - ٢٨١

مصير الإخوان المؤيدين لسيد بعد الإفراج عنه

بعدما أُفرج عن سيد في مايو ١٩٦٤م، لم يتصل بالمجموعة المؤيدة لأفكاره داخل السجن إلا لمأماً، ولم يرتبط معهم ارتباطاً تنظيمياً.

وقد فُكر في أن يرتبطوا تنظيمياً بصفيّه الشهيد «محمد يوسف هواش»، حيث كان يرشحه في نفسه لذلك، ولكنه لم يُخبره ولم يفعل، وبقي الإخوان الخارجون من السجن، المؤيدون له، بدون ارتباط تنظيمي.

أما سيد قطب، فإنه قد اتصل فور خروجه بالتنظيم الإخواني الرسمي الجديد، الذي أنشأه عبد الفتاح إسماعيل وإخوانه.

وبين سيد أسباب عدم تنظيم هؤلاء الإخوة المؤيدين الخارجين:

١ - إن هذه المجموعة من الإخوان معتبرة كبقية الإخوان «في حالة سكون عن الحركة في الظروف الحاضرة، وليس لها وضع مستقل يربطها بي إلا نوع التفكير. ولم أكن أريد أن أدخل في أية إشكالات كالتى أثارتها المجموعة المعارضة في القناطر».

٢ - إنني خرجت من السجن بعد عشر سنوات. وإن الخارج من السجن بعد عشر سنوات يكون كالأعمى من ناحية الرؤية الاجتماعية، ولا بد أن تُترك له فرصة للتعرف على المجتمع، ولمعالجة أحواله وأوضاعه الاجتماعية. فضلاً على أن تحركاته مراقبة بشدة.

٣ - إن الجو في الخارج غيرُه في السجن. ففي السجن تكون الطاقة حبيسة ومتجمعة، ومندفعه في الاتجاه الذي دخل صاحب العقيدة من أجله السجن. أما وهو في الخارج فستستغرقه مشاغل ومشكلات واهتمامات متنوعة. . ولم يكن بد من تركهم فترة يتبين فيها من تستغرقه الحياة الدنيا، ممن تبقى فيه بقية لعقيدته ودعوته! . . .»^(١).

لم يلتق إلا ببعض هؤلاء الإخوة، وبخاصة الأخ الطوخي - عندما استدعاه من الإسماعيلية - ليتعرف على وضع الإخوان الخارجين من السجن!

(١) لماذا أعدموني: ٣٨ - ٣٩.

قادة التنظيم الجديد يتصلون بسيد في السجن

تمكّن قادة التنظيم الإخواني الجديد من الوصول إلى سيد في السجن، والاتصال به هناك.

ويروي الأخ أحمد رائف في «البوابة السوداء» أنّ الشهيد عبد الفتاح إسماعيل وصل إلى سيد في مستشفى السجن، وأنه طلب منه «أن يكون أباً روحياً لجماعة من الإخوان، خارج السجن، تريد من يصحّ مفاهيمها، ويهديها إلى الصراط المستقيم، وأنهم يتوسّمون فيه هذه القدرة».

ووافق سيد على ذلك. وصارت كتاباته تأخذ طريقها إلى هذا التنظيم، قبل طبعها أو بعده^(١).

بينما تورّد المجاهدة «زينب الغزالي» رواية أخرى عن اتصال قادة التنظيم بسيد في سجنه، بأنّ التنظيم الجديد قد استأذن من المرشد العام الهضيبي، للاتصال بسيد، لأخذ رأيه في بعض البحوث، وللاسترشاد بتوجيهاته، فأذن لهم بذلك. فطلب عبد الفتاح إسماعيل من زينب الغزالي الموضوع. فتمّ عن طريق «حميدة قطب».

وتروي زينب الغزالي أن حميدة أحضرت لهم من عند سيد «ملزمة من كتاب. وقالت: إن سيد يُعده للطبع، واسمه «معالم في الطريق». وقالت: إذا فرغتم من قراءة هذه الصفحات سأتيكم بغيرها»^(٢).

وكان هذا الاتصال عام ١٩٦٢م أي قبل سنتين من الإفراج عن سيد.

ولا تعارض بين الروايتين، فمن الممكن أن تكون البداية في الاتصال عن طريق عبد الفتاح إسماعيل، وأن يكون قد أخذ الإذن من المرشد العام، ثم كانت حلقة الوصل بين سيد وبين التنظيم، شقيقته حميدة والحاجة زينب الغزالي!

استمرّ سيد يمدّ التنظيم من سجنه بكتاباته في الظلال وفي فصول المعالم!

(١) البوابة السوداء: ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٢) أيام من حياتي: ٣٥ - ٣٦.

سيّد يقود التنظيم الجديد

التقى الإخوة الخمسة - قادة التنظيم الإخواني الجديد - بسيّد قطب بعدَ خروجه من السجن عام ١٩٦٤م. وطلبوا منه أن يقودَ التنظيم!

ويسجلُ سيّد معلوماته عن التنظيم الجديد لما طُلبَ منه قيادته: «وعلمتُ منهم بعدَ لقاءاتٍ متعددة، أنهم مُكوّنون بالفعل تنظيمًا، يرجعُ تاريخُ العملِ فيه إلى حوالي أربع سنوات أو أكثر، وأنَّ أقليةً منهم ممن سبقَ اعتقالُهم من الإخوان، والأكثرية ممن لم يسبقَ اعتقالُهم، أو ممّن لم يكونوا من الإخوان من قبل.

وأن هذا التنظيمَ تمّ، بأنَّ كلاً منهم - على انفراد - فكّر في وقت من الأوقات السابقة، في ضرورة العمل لإعادة حركة الإخوان المسلمين. وعدم الاكتفاء بالصورة القائمة لوجود الجماعة.

وأنهم في أثناء تحرّكهم - كلٌّ على حدة - لتنظيم أيّ عددٍ من الإخوان الراغبين في الحركة، أو تحريكهم، التقوا بعضهم ببعض، وبعد أن استوثق بعضهم من بعض، انضموا كلٌّ بالمجموعة التي كانت قد انضمت إليه، وكوّنوا هذا التنظيم الواحد.

وأنهم - وكلّهم من الشبان القليلي الخبرة - ظلّوا يبحثون عن قيادةٍ لهم من الكبار المجربين في الجماعة - مثل الأستاذ فريد عبد الخالق - فلم يجدوا...»^(١).

وقد أشار الإخوان الخمسة لسيّد - عندما طلبوا قيادته لهم - أنهم قبل أن يقرأوا كتاباته ويسمعوا لأحاديثه «كانوا يفكّرون على أساس أن المسألة مسألة تنظيم مجموعة فدائية، لإزالة الأوضاع والأشخاص، التي ضربت جماعة الإخوان المسلمين، وأوقفت دعوتهم، وإقامة الجماعة، وإقامة النظام الإسلامي عن هذا الطريق...»

أما الآن، فقد فهموا أن المسألة أوسع من ذلك بكثير، وأن طريق العمل طويل...»

وبيّنوا لسيّد حاجتهم «إلى قيادة تزوّدُهم بالمزيد، وترشدُهم في التحرك، ليستطيعوا هم أن يؤثروا فيمن وراءهم، ويوسّعوا إدراكهم، ويغيّروا تصوراتهم...»

(١) لماذا أعدموني: ٤٥ - ٤٦.

لما سمع سيّد كلامهم، وعرضهم عليه ليقودهم، كان بين خيارين:
«إمّا أن أرفض العمل معهم... وهم لم يتكوّنوا على النحو الذي أنا مقتنع به...
وإمّا أن أقبل العمل، على أساس تدارك ما فاتهم من المنهج الذي أتصوّره
للحركة، وعلى أساس إمكان ضبط حركاتهم، بحيث لا يقع اندفاع في غير محله
— خصوصاً وبعضهم ينوي فعلاً...»
وقررتُ اختيار الطريق الثاني، والعمل معهم، وقيادتهم...»^(١).

كانت قيادته بإذن من المرشد الهضيبي

يتصوّر بعض الإخوان — وبعض الباحثين الآخرين — أن سيّد بدأ يعمل — في
السجن وخارجه — وحده في معزلٍ عن الإخوان، وأن طريقه قد انفصلت عن طريق
الإخوان، وأن التنظيم الجديد الذي قاده عام ١٩٦٤م، لم يكن تابعاً للإخوان، بل كان
تابعاً له شخصياً، وأنه عمل على تأسيس حركة إسلامية جديدة، منفصلة عن حركة
الإخوان!!

وهذا التصوّر خاطيء يقوم على ظنون وأوهام!!

إن الإخوان الذين عملوا مع سيّد يؤكّدون أن قيادة سيّد كانت بإذن من المرشد،
وأن سيّد قد أخذ موافقة المرشد على حركته.

تروي المجاهدة زينب الغزالي — وهي صادقة في روايتها — أن المرشد قد
«اطلع على ملازم كتاب المعالم، وصرّح للشهيد سيّد قطب بطبعه!».

كما تروي أنها قابلت المرشد، وأنها سألته عن سيّد وعن المعالم، فقال لها:
«على بركة الله... إن هذا الكتاب قد حصر أمني كلّ في سيّد، ربّنا يحفظه، لقد
قرأته، وأعدت قراءته، إن سيّد قطب هو الأمل المرتجى للدعوة الآن، إن شاء الله.

وأعطاني المرشد ملازم الكتاب، فقرأتها — فقد كانت عنده لأخذ الإذن بطبعها —

(١) لماذا أعدموني: ٤٦ — ٤٧.

وقد حبستُ نفسي في حجرة بيت المرشد، حتى فرغتُ من قراءة «معالم في الطريق»^(١).

وتؤكدُ زينبُ الغزالي أنَّ سيّد قَادَ التنظيمِ الإخوانيَّ الجديد، بإذنٍ من المرشد العام الهضيبي: «فقد كان الهضيبي أوكلَ كلَّ المسؤولياتِ لسيّد قطب، وكانت اتصالاتُنا كُلُّها به حسبَ أمرِ الهضيبي، وكانَ علينا بعدَ اعتقاله أن نرجعَ إلى المرشد العام، نستأذنه فيمن يتولّى المسؤوليةَ بدلاً من سيّد»^(٢).

وقد كررتُ زينبُ الغزالي هذه الحقيقةَ في أكثر من مناسبةٍ ومكان، وبخاصةٍ عندما كانت تتحدثُ لمندوبي المجالات الإسلامية.

طبيعة قيادته للتنظيم الجديد

كانت القيادةُ العمليةُ التنفيذية للتنظيم الجديد للجنة الخماسية — علي ع شماوي وعبد الفتاح إسماعيل وأحمد عبد المجيد ومبارك عبد العظيم وصبري عرفة — وقد تركَ سيّد لهؤلاء الإخوان الخمسة تصريفَ أمور التنظيم العملية.

أما قيادةُ سيّد، فكانتُ فكريةً ثقافيةً، تعليميةً تربويةً!

لذلك قال لهم عندما طَلَبوا منه قيادتهم: «ولكنني كما تعلمون رجلٌ مريضٌ بأمراضٍ مستعصية على الطبِّ حتى الآن، وخطيرة، والأجيالُ — نعم — بيد الله، ولكنَّ قدرَ الله يتمُّ بأسبابٍ يوجدها الله..»

لذلك يجبُ أن تعتمدوا على الله، وتحاولوا أن تكونوا أنتم قيادة. ومهمّتي الحقيقية معكم هي بذلُ كلِّ ما أملكُ لتوعيتكم، وتكوينكم العقلي، لتكونوا قيادة..».

وكانت توجيهاته لهم تربويةً تعليميةً ثقافيةً سياسية عامة.!

وكانت اجتماعاته بهم «أحياناً مرةً كلَّ أسبوع، وأحياناً مرةً كلَّ أسبوعين.. وفي فتراتٍ انشغالي مرةً كلَّ ثلاثة، أو كل شهر..»^(٣).

(١) أيام من حياتي: ٣٦ — ٣٧.

(٢) المرجع السابق: ٤٠.

(٣) لماذا أعدموني: ٤٧.

كانت مدة قيادته للتنظيم «لا تزيد على ستة أشهر، ولا تحتل أكثر مما يتراوح بين عشرة واثنى عشر اجتماعاً. لا يتسنى فيها إلا القليل»^(١).

نجح سيد في صرف أعضاء التنظيم عن فكرة الأخذ بالثأر ممن ضربوا حركة الإخوان «كنا قد اتفقنا على استبعاد استخدام القوة كوسيلة لتغيير نظام الحكم، أو إقامة النظام الإسلامي»^(١).

مكمن الخطأ في منهج سيد للحركة الإسلامية في رد الاعتداء

أشرنا من قبل إلى منهج سيد في الحركة والعمل والدعوة، وبيننا أنه يقوم على نقاط ستة، نوجزها هنا، لنعرف مكمن الخطأ فيها:

١ - وجوب البدء مع الشباب المسلم - ومع الناس الآخرين - بالعبادة، وبيان معنى الإيمان والإسلام والعبودية والتحاكم إلى الله.

٢ - تربية الشباب المسلم الفاهم لدينه على الأساس السابق، على الأخلاق الإسلامية، وتوعيتهم بما يجري حولهم في المعسكرات المحلية والخارجية المعادية.

٣ - عدم البدء بتنظيم الأفراد، إلا بعد وصولهم إلى درجة عالية من فهم العبادة، ومن الخلق والسلوك، ومن الوعي بكل ما يجري ويحدث.

٤ - نقطة البدء في الحركة الإسلامية ليست في المطالبة بإقامة النظام الإسلامي، وإنما بنقل المجتمعات - أو قطاعات مؤثرة فيها - إلى الإسلام - وفق النقاط السابقة - لتطالب هي بتطبيق الإسلام.

٥ - لا يكون الوصول إلى إقامة النظام الإسلامي، عن طريق انقلاب في الحكم، يجيء من أعلى، ولكن عن طريق تغيير تصورات المجتمع - أو قطاعات مؤثرة فيه - وقيمه وأخلاقه والتزامه بالإسلام، بحيث يعلم أفرادُه أن تطبيق الإسلام فريضة لا بد منها.

(١) لماذا أعدموني: ٤٨.

٦ - في الوقت ذاته، تجب حماية الحركة الإسلامية، وهي سائرة في خطواتها السابقة، بحيث إذا اعتدي عليها وعلى أفرادها تردُّ الاعتداء. وما دامت هي لا تريد أن تعتدي على غيرها، ولا تريد أن تفرض نظام الله بالقوة من أعلى، فيجب أن تترك لتؤدي واجبها، وألا يُعتدى عليها وعلى أهلها، فإذا وقع الاعتداء عليها كان الردُّ عليه من جانبها، بضرب القوة المعتدية، بالقدر الذي يسمح للحركة أن تستمر في طريقها»^(١).

ونرى أن النقاط الخمسة لا كلام عليها، وأنها صحيحة ومقبولة.
لكننا نرى الخطأ في النقطة السادسة، وهي ردُّ الحركة الإسلامية لأيَّ اعتداءٍ عليها.

هل يتركون الحركة الإسلامية مع منهاجها التربوي؟
الخطأ - أولاً - في تصوُّره إمكانية ترك الأعداء الجاهليين للحركة الإسلامية، لتطبيق منهاجها التربويِّ التعليميِّ السابق، طالما أنها لا تريد تغيير نظام الحكم من أعلى بالقوة.

إن الجاهليين لا يطبقون رؤية الإسلاميين دعاء الحق، وإنهم يعتبرون مجرد وجود الإسلاميين خطراً مباشراً عليهم، ولو لم يتدخلوا بهم، ولو انصرفوا عنهم إلى التربية، وإيجاد أجيال للتغيير في المستقبل، ولهذا يتحرش الجاهليون بهم، ويعتدون عليهم! وقد ركز سيد نفسه على هذا المعنى في أكثر من موضع من الظلال.

أكتفي بذكر تعليقه في الظلال على قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنَتْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا، أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [سورة الأعراف: الآيتان ٨٧ - ٨٨].

قال سيد: «لقد دعاهم إلى أعدل خطة، ولقد وقف عند آخر نقطة، لا يملك أن

(١) لماذا أعدموني: ٤٢ - ٤٥.

يتراجع وراءها خطوة. نقطة الانتظار والتريث والتعاشير بغير أذى، وترك كل وما اعتنق من دين، حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين.

ولكن الطواغيت لا يُرضيهم أن يكون للإيمان في الأرض وجود، ممثلاً في جماعة من الناس لا تدين للطاغوت..

إن وجود جماعة مسلمة في الأرض، لا تدين إلا الله، ولا تعترف بسلطان إلا سلطانه، ولا تحكم في حياتها شرعاً إلا شرعه، ولا تتبع في حياتها منهجاً إلا منهجه.. إن وجود جماعة مسلمة كهذه يهدد سلطان الطواغيت، حتى لو انعزلت هذه الجماعة في نفسها، وتركت الطواغيت لحكم الله حين يأتي موعده.

إن الطاغوت يفرض المعركة فرضاً على الجماعة المسلمة - حتى لو آثرت هي أن لا تخوض المعركة معه -!

إن وجود الحق في ذاته يزعج الباطل. وهذا الوجود ذاته هو الذي يفرض عليه المعركة مع الباطل.. إنها سنة الله لا بد أن تجري...»^(١).

هذه هي طبيعة الصراع بين الحركة الإسلامية وبين أعدائها، وهذا هو الحق في هذه المسألة، فكيف يتصور سيد - في النقطة السادسة السابقة - إمكان أن يترك أهل الباطل الحركة الإسلامية لتؤدي واجبها التربوي التعليمي، وإمكان أن لا يعتدوا عليها؟!!

الخطأ في إقرار مبدأ رد الاعتداء

إن تصور سيد إمكانية ترك حركته الإسلامية مع مهاجمها التربوي التعليمي، جعله يستبعد وقوع الاعتداء عليها من قبل النظام!

ومع ذلك فقد خصص نقطة من نقاطه المنهجية الستة، لإقرار مبدأ رد الاعتداء عليها، إن وقع الاعتداء من قبل النظام!

ونعتقد أن هذا هو مكنم الخطأ في منهجه السابق.

(١) الظلال ٣ : ١٣١٨.

وقد اعتمد هذا المبدأ مع القيادة الخماسية للتنظيم.

وبين تصوّره لمبررات اعتماد هذا المبدأ، وكيفية تطبيقه:

١ - هو حقّ قرره الله للمسلمين ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾. [سورة البقرة: ١٩٤].

٢ - الاعتداء الغاشم الذي أوقعته الحكومة على الإخوان المسلمين في سنة ١٩٤٥م، وفي سنة ١٩٥٧م، بالاعتقال والتعذيب، وإهدار كل كرامة آدمية أثناء التعذيب، ثم بالقتل، وتخريب البيوت، وتشريد الأطفال والنساء.

٣ - ترك التفكير في الاعتداء السابق من الحكومة على الإخوان، وترك أخذ الثأر فيه، وإنما التخطيط لردّ الاعتداء الذي سيقع.

٤ - عدم ردّ الاعتداء بالمثل تماماً، لتوجيهات وتعليمات الإسلام الأخلاقية، «لأن الإسلام ذاته لا يبيح لمسلم أن يعذب أحداً، ولا أن يهدر كرامته الآدمية، ولا أن يترك أطفاله ونساءه بالجوع».

٥ - الالتزام بالوسائل التي يبيحها الإسلام، عند ردّ اعتداء المعتدين. وهي قتال المعتدين فقط وقتلهم.

٦ - الهدف من ردّ الاعتداء، يبدو في جانبين:

(أ) حتى لا يصبح الاعتداء على الحركة الإسلامية وأهلها سهلاً، يزاوله المعتدون في كل وقت.

(ب) لمحاولة إنقاذ وإفلات أكبر عدد ممكن من الشباب المسلم النظيف..»^(١).

ونرى أن اعتماد هذا المبدأ خطأ، لأن ردّ الاعتداء سيقود إلى اعتداء أكبر وأخطر، بل سيقود إلى مذبحه مدمرة!! وهذا ما حصل عام ١٩٦٥م و١٩٦٦م، حيث استغلت الحكومة اعتماد هذا المبدأ للتنظيم، والتفكير في كيفية تطبيقه، لتبطش بالتنظيم بطشة رهيبة، لا نكاد نجد لها مثيلاً في التاريخ البشري!

(١) لماذا أعدموني: ٥٣ - ٥٤.

ولقد أقرت مجموعة من الإخوان المسلمين في سوريا في السبعينيات اعتماد هذا المبدأ، في مواجهة حكم النصيريين للبلاد، واضطرت قيادة الإخوان وقتها إلى اعتماده وإقراره، وحدثت مواجهة رهيبه حادة، بين الإخوان وبين السلطة، وأبلى الإخوان فيها بلاءً كبيراً، لكنها انتهت إلى سيطرة السلطة على الموقف، وإيقاعها مذبحة رهيبه بالإخوان وبالشعب المسكين، سقط فيها مئات الشهداء، وآلاف الجرحى والمعتقلين. وتركت هذه التجربة جرحاً غائراً لم يندمل في العمل الإسلامي، وأثرت

لسنوات قادمة على مسيرة الدعوة الإسلامية في سوريا وفي غيرها!! إن مواجهة الحركة الإسلامية للنظام، مواجهة مسلحة، بأفراد أقوياء مدربين، مغامرة محكوم عليها بالفشل، حتى لو كان الأفراد مثاب أو أوفاء، لأن النظام الحاكم يملك جيشاً نظامياً مدرباً مسلحاً، قادراً على سحق أولئك الأفراد، وإن رموز النظام لا يرعون عن سحق أية قوة أمامهم، وعن إبادة الشعب المسكين!

إن الأوفق والأفضل للحركة الإسلامية، أن تسير في مسيرتها التربوية - كما أبرزها سيد قطب في نقاطها الخمسة - أما إذا قاومتها النظام واعتدى عليها - وهو وارد، بل لازم الوقوع - فعليها أن تواجه المحنة بصبر وجلد، وبثبات وشجاعة، وباحتساب لله، ولا مانع أن تدخل الزنازين والسجون، ولا مانع أن يُصب عليها من العذاب مما يعجز عنه الناس، ولا مانع أن تفقد الشهداء، وأن تسيل منها الدماء!! لكن عليها أن تصبر وأن تحتسب، وأن تنتظر الفرج والخلاص من الله، وأن تطلب منه أن يفتح بينها وبين أعدائها بالحق، وهو خير الفاتحين، وأن يحكم بينها وبينهم بالحق، وهو خير الحاكمين!!^(١).

ثم إن من مظاهر الخطأ في اعتماد سيد لمبدأ رد الاعتداء، هو فتح الباب أمام عملاء السلطة، ليندسوا في التنظيم، ويسوغوا له مواجهة السلطة. ويورطوه بالبحث عن السلاح وشرائه وتخزينه، ويرسموا المؤامرة الدقيقة في ذلك، ثم تواجه السلطة هذا التنظيم، وتقاومه، وتأخذه بتهمة العنف والتخريب والقتل والاغتيال، وتشوه صورته أمام الناس!

(١) انظر الرسالة القيمة «مذهب ابن آدم الأول: أو العنف في العمل الإسلامي» للأستاذ جودت

وهذا ما نرجح أنه حصل للتنظيم الإخواني عام ١٩٦٤م.

علي عشاوي يورط التنظيم في موضوع السلاح

علي عشاوي عضو في القيادة الخماسية، ومسؤول عن تنظيم إخوان القاهرة. وقد لاحظ علي عشاوي اعتماد سيد وإخوانه في القيادة مبدأ رد الاعتداء المتوقع على التنظيم، وبحثهم «في موضوع تدريب المجموعات. التي تقوم برد الاعتداء، وحماية التنظيم منه، وموضوع الأسلحة اللازمة لهذا الغرض، وموضوع المال اللازم كذلك»^(١).

فعمل علي عشاوي على توريط التنظيم بموضوع السلاح، والبحث عن مصادره، وكيفية تأمينه للتنظيم، وادعى قدرته على ذلك، وتطوع لخدمة التنظيم في ذلك، وأسمع لجنة القيادة أخباراً وقصصاً عنه!!

وكان لحكاية علي عشاوي مع السلاح، أثر مباشر في بطش الحكومة المبكر بالتنظيم، قبل أن يستكمل رسالته التربوية الحركية كما رآها سيد، بل قبل أن يتوصل إلى السلاح، ويحاول رد اعتداء الحكومة عليه!!

من هو علي عشاوي؟ ومن كان وراءه؟

يرى كثير من الإخوان أن «علي عشاوي» لغز محير، وأن هناك أسئلة كثيرة محيرة مقلقة، بشأنه، وبشأن صلاته مع الإخوان، وبشأن اتصاله بسيد قطب، وبشأن قصته مع السلاح، وبشأن اعترافه أمام المحققين، وغير ذلك!

أروي في ذلك هذه الفقرة من كتاب «الموتى يتكلمون»: «لم تكن الحكومة تعلم شيئاً عن التنظيم حتى عام ١٩٦٥م، عندما كشف عنه أحد قادته، وهو «علي أحمد عبده عشاوي».. وكان يعمل كاتب حسابات بالشركة المصرية العامة للأساسات..

وقد تضاربت الأقوال في حقيقة علي عشاوي:

(١) لماذا أعدموني: ٤٩.

البعض يؤكد أنه كان من المخلصين لفكرة إحياء جماعة الإخوان المسلمين، وظلّ كذلك، حتى تمّ القبض عليه، وحوكم، وصدر ضده حكم بالإعدام، ثم خفف للمؤبد.

والبعض يؤكد أنه كان «عميلاً لجهاز المباحث الجنائية العسكرية»، وعندما استشعر أن هناك نية للإطاحة بالإخوان المسلمين، سارع إلى تقديم خدماته لرجال المباحث الجنائية العسكرية، وحرّر إقراراً مكوّناً من تسع صفحات، يتضمن كل المعلومات التي يعرفها عن التنظيم...

ويؤكد الذين يردّدون ذلك، أن علي عشاوي لم يمكث في السجن طويلاً، ثم أفرج عنه، وهاجر إلى أمريكا، حيث يقيم بها حالياً^(١).

إننا لا نجزم بحقيقة علي عشاوي، ولا بهويته أو هدفه، ولكننا نميل إلى الرأي الثاني، ونرجح أنه كان عميلاً - أو صنيعةً للمباحث - وأنه عمل على توريط التنظيم بموضوع السلاح! - والله أعلم - .

ومما يرجح هذا الرأي أن «فؤاد الدجوي» لما حاكم سيّد عام ٦٥م، واجهه بأقوال علي عشاوي عنه، وأن سيد كذب عشاوي في أكثر من موضوع، وأن سيد دعا الدجوي إلى عدم قبول روايات عشاوي عن سيّد، إلا إذا ذكر حضور الإخوة القياديين الأربعة معه^(٢).

ومما يرجح هذا الرأي في عشاوي، ما روثه «زينب الغزالي» عن إدخال الجلادين لعشاوي عليها، وهي تعذب في التحقيق: «وجاء علي عشاوي... كان يلبس «بيجامة» من الحرير المتهفّف، نظيفة، أنيقة. شعره ممشّط، لا يبدو عليه أي أثر للتعذيب. فلما رأيته، واستعرضت في ذهني حالة الآخرين، وحالتي، علمت - بل تيقنت - أن هذا المخلوق خان أمانة الله، وشهد على إخوانه زوراً...»^(٣).

وفي موطن آخر من مواطن التحقيق مع زينب الغزالي وتعذيبها، تروي كيف أن

(١) الموتى يتكلمون: ٥٠.

(٢) انظر المرجع السابق: ١٨٠ - ١٨٢.

(٣) انظر «أيام من حياتي»: ١١٨.

الجلادين أحضروا لها علي عشاوي — بحالته السابقة المنعمة — ليشهد عليها أمام شمس بدران، وأنها قالت لهم ما ذهبوا لإحضاره: «علي عشاوي كذاب أشير، وسأبصق في وجهه لأنه كذاب مأجور...».

وتروي أن شمس بدران خاطب علي عشاوي بمنتهى الرقة، وأن علي عشاوي شهد عليها وعلى الهضيبي، فصرخت فيه قائلة: «أنت كذاب أشير، وهيئتك تفضحك، الإخوان على الأعواد، تقطعُ السياط أجسادهم، وتنهشهم الكلاب، ويتقلبون في ألوان من العذاب، وأنت على هذه الهيئة. أنت مأجور رخيص!!»^(١).

علي عشاوي يخبر سيّد وحده بالسلاح

ومما يؤكّد الظنون في علي عشاوي ويقوّيها، ويرجح أنه كان صنيعة من صنائع المخابرات، للإيقاع بالتنظيم الإخواني الجديد، أن موضوع «السلاح» كان عنده هو! لم يكن أحد من أعضاء القيادة الآخرين له علم بالسلاح، ولا طلبه، ولا رتب عملية شرائه ولا إحضاره!

وأن الأعضاء الآخرين فوجئوا بكلام علي عشاوي عنه، كما فوجيء سيّد قطب نفسه!

وأن علي عشاوي جاء إلى سيّد — على غير ميعاد — وفاجأه بموضوع السلاح، وأخبره به وحده، في معزل عن الإخوان الآخرين!!

لنستمع إلى رواية سيّد بهذا الخصوص: «إن علي عشاوي زارني على غير ميعاد، وأخبرني أنه كان منذ حوالي سنتين — قبل التقائنا — قد طلب من أخ في دولة عربية، قطعاً من الأسلحة، حدّدها له في كشف. ثم ترك الموضوع من وقتها. والآن جاءه خبر منه أن هذه الأسلحة سترسل — وهي كميات كبيرة، حوالي عربية نقل — وأنها سترسل عن طريق السودان، مع توقع وصولها خلال شهرين... وكان هذا قبل الاعتقال بمدة، ولم يكن في الجو ما يُنذر بخطر قريب.

ولما كان الخبر مفاجئاً، فلم يكن ممكناً البت في شأنه، حتى نبحثه مع الباقيين، فاتفقنا على موعد لبحثه معهم.

(١) انظر المرجع السابق: ١٤٩ — ١٥٠.

وفي اليوم التالي - على ما أتذكر - وقبل الموعد، جاءني الشيخ عبد الفتاح إسماعيل، وحدثني في هذا الأمر، وفهمت أنه عرفه طبعاً من علي، وكان يبدو متخوفاً منه، وغير موافقٍ عليه!!^(١).

ولدى نظرنا في رواية سيّد، فسراها تُثيرُ حولَ علي عشاوي أسئلةً خطيرةً حائرة:

لماذا لم يَعْلَم بالأسلحة ولم يُرتَّبْ طلبها إلا علي عشاوي؟ ولماذا فوجيءُ عبد الفتاح إسماعيل بالخبر؟ ولو كان مصدرُ الأسلحة إخوانياً وترتيبها إخوانياً، ألا يكون عند عبد الفتاح إسماعيل علمٌ بها - وهو «مهندس» التنظيم الإخواني الجديد ومؤسسه! - ولماذا تخوّف أعضاء القيادة من السلاح؟

ثم لماذا طالبُ السلاح هو علي عشاوي وحده - قبل سنتين -؟ ومن هو مصدرُ السلاح؟ وهل يكفي التعريفُ عليه بأنه «أخ في دولة عربية»؟ وكيف سيدفعُ ثمنَ هذا السلاح؟ ومن أين؟ ولماذا هذه الكمية الكبيرة التي لم يطلبها علي عشاوي نفسه - عربية نقل -؟

إن هذه التساؤلات الخطيرة الحائرة حول موضوع سلاح علي عشاوي، لتثيرُ الظنون فيه، وتجعلنا نميلُ إلى اتِّهامِ علي عشاوي به، وإلى أن السلاح ليس عن طريق الإخوان - لا في داخل مصر ولا خارجها - بل نرى أن قصة هذا السلاح مكيدةٌ مدبرةٌ من المخابرات والمباحث المصرية للإيقاع بالتنظيم الإخواني الجديد، عن طريق ترتيب «شرك» له، لتبرير البطش به والقضاء عليه، وأن المخابرات استخدموا صنيعتهم علي عشاوي - الذي نجح في الوصول إلى مركز قيادي في التنظيم - للإيقاع بالإخوان. ونرى أن القصة كلها من ترتيب ورسم و«طبخ» المخابرات!!

قيادة التنظيم تدرس رد الاعتداء

نجح علي عشاوي في توصيل خبر السلاح للجنة القيادة، ونجح في إشغالها به، وبكيفية تمويله وترتيب وصوله، وتأمين التدريب عليه، والتخطيط لرد الاعتداء

(١) لماذا أعدموني: ٤٩ - ٥٠.

المتوقع على الإخوان، وضرب رؤوس النظام المعتدي!

وقد أخذت هذه الأمور وقتاً طويلاً من لجنة قيادة التنظيم، وكان علي عشماوي حاضراً تلك المناقشات والخطط، ولا نستبعد أنه كان يُطلع المباحث عليها أولاً بأول!

وانطلت الحيلة على القيادة الإخوانية، ووقعوا في «فخ» علي عشماوي!!

ولكن الإخوان – والحق يُقال – كانوا كارهين لموضوع السلاح، ومتخوفين منه، وراغبين في إلغائه – مع أنهم لم يطلبوه! – وكلّما أوشكوا في إقرار إلغائه، يثير أمامهم علي عشماوي إشكالات وقضايا حوله، وينجح في اعتمادهم له، ورسم خطط استخدامه، والتدريب عليه، وضرب الحكومة به!.

يروى سيد قطب أن إخوانه في القيادة، لما فوجئوا – جميعاً – بقصة السلاح، ودرسوا الأمر، أرادوا إلغاء الصفقة، وصرفوا النظر عنها، وسلكوا طريقاً لذلك الإلغاء: «وفي موعد آخر كان الخمسة عندي، وتقرر تكليف علي بوقف إرسال الأسلحة من هناك، حتى يتم الاستعلام من مصدرها، وعن مصدر النقود التي اشترت بها... وطريق شرائها... وطريقة إرسالها... وبعد ذلك يُقال للأخ المرسل ألا يرسلها حتى يُخطر بإرسالها!!»

وكلف الإخوان علي عشماوي نفسه بالسؤال والاستعلام والتأكد!! – وهم لم يكونوا شاكين فيه، وفي صلاته المشبوهة بالمباحث –.

وبعد أكثر من شهر جاء علي عشماوي لإخوان القيادة، بإجابات على تساؤلاتهم حول السلاح – نرى أن أسياده ربّوها له لتتم خطة ضرب الإخوان – فطمأنهم أنها اشترت «بأموال إخوانية من خاصة مالهم، وأنهم دفعوا فيها ما هم في حاجة إليه لحياتهم».

وقطع علي عشماوي الطريق أمام القيادة في محاولة إيقاف الأسلحة أو إلغائها، أو حتى تأخيرها، حيث أخبرهم أن الأخ – المجهول!! – أخبرهم «أن الشحنة أُرسِلت فعلاً، ولا يمكن وقف وصولها!!»^(١).

(١) انظر لماذا أعدموني: ٥٠ – ٥٢.

وبهذا وضع علي عثماوي الإخوان أمام الأمر الواقع، واضطروهم إلى بحث أمر لم يُخطّطوا له ولم يُريدوه، وبحثه وهم له كارهون، ومنه متخوِّفون!

وصار الإخوان يبحثون كيفية ردّ الاعتداء المتوقع عليهم، اعتماداً على السلاح الذي لم يستلموه، والذي طمأنهم علي عثماوي به!

واقترحوا أن يكون «ردّ الاعتداء عند وقوعه بضربة رادعة، توقف الاعتداء، وتكفل سلامة أكبر عددٍ من الشباب المسلم»^(١)، ولذلك اقترحوا أن تكون أعمالهم «هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم، بإزالة رؤوس، في مقدّماتها رئيس الجمهورية. ورئيس الوزارة، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس الحربي...»^(٢).

وبما أنهم لا يملكون الإمكانيات اللازمة، فقد اتفقوا «على الإسراع في التدريب»!

ووافقهم سيّد على ذلك الرأي مكرهاً: «بعدما كنت من قبل أرى تأجيله، ولا أتحمّس له، باعتباره الخطوة الأخيرة في الحركة، وليس الخطوة الأولى»^(٣).

وأمام كثرة الإشاعات في البلاد بقرب ضرب الحكومة للإخوان، وأمام تحذير بعض قادة الإخوان لسيّد، من عمل التنظيم الإخواني الجديد – وبخاصة الإخوان منير دلة وفريد عبد الخالق – وأمام خطورة الوضع، وتسخين الجو، فقد اتخذت لجنة القيادة قراراً بالإسراع في التدريب، مع عدم توفير الإمكانيات. وكان هذا هو آخر قرار اتخذته، حيث لم تجتمع اجتماعاً منظماً بكامل أفرادها بعد ذلك:

«المهم أن هذه كلّها كانت تنذرُ بقرب ضربة، واعتداء يقع على الإخوان – وعلى هذا التنظيم بشكل خاص – فقرّرنا الإسراع في التدريب بقدر الإمكان، وانصرفنا على أنه ليس لدينا الإمكانيات الآن!!

واتذكّر أن هذا كان آخر اجتماع للمجموعة، فلم ألتق بعد ذلك إلا بالشيخ

(١) لماذا أعدموني: ٥٤.

(٢) المرجع السابق: ٥٥.

عبد الفتاح وبعلي ع شماوي في رأس البر. .»^(١).

سيّد يوصي بإلغاء خطة رد الاعتداء

بعدا بدأت اعتقالات الإخوان في صيف عام ١٩٦٥م، وقبل أن تصل الأسلحة للإخوان، وقبل أن يبدأوا التدريب الحقيقي لردّ الاعتداء... أوصى سيّد قادة التنظيم بإلغاء ما أوصوا به من قبل واتفقوا عليه، وأوصل ذلك لعلي ع شماوي، وكلّفه أن يبلغ إخوانه به. .

ولكن علي ع شماوي بدل أن يبلغ ذلك لإخوانه، عاد واستوضح من سيّد، هل هذا نهائي أم قابل للتغيير؟ مما جعل سيّد يستدرّك في وصيته!!..

يقول سيّد حول هذه النقطة: «أرسلت إليهم - عن طريق الحاجة زينب - في تعبيرات ملفوفة غير صريحة، أن يوقفوا نهائياً عملية السودان (أي الخاصة بالأسلحة) بأي شكل، وأن يلغوا كلّ عملية أخرى (أي الخاصة برد الاعتداء).

فجاءني استفهام من الأخ علي - عن طريق الحاجة زينب كذلك - عمّا إذا كانت هذه تعليمات نهائية، حتى لو وقع التنظيم؟ فأجبتُه بأنه في هذه الحالة - فقط - وعند التأكد من إمكان أن تكون الضربة رادعة وشاملة، يتخذ إجراء. وإلاّ فصرف النظر عن كل شيء!!..

وكنْتُ أعلم أن ليس لديهم إمكانيات بالفعل، وأنه لذلك لن يقع شيء!!»^(٢).

إن سيّد يعلم أن إخوانه لن يفعلوا شيئاً، مما فكّروا فيه نظرياً، ومما أشاروا به في السابق، لأن أسلحة علي ع شماوي لم تصلهم، ولأنّ التدريبات الفعلية لم تبدأ، ولذلك أبلغهم بإيقاف كلّ شيء... .

وإنّ استدراكه لعلي ع شماوي، استدراك نظريّ، وهو يعلم أنه لن يتحقق، لأنهم لم يملكوا شيئاً!

(١) لماذا أعدموني: ٥٥.

(٢) المرجع السابق: ٥٩.

وفعلاً لم تقع حوادث :
أين أسلحة علي عشاوي؟

وتسارعت الأحداثُ بعد ذلك، وازدادتُ اعتقالاتُ الإخوان، واعتُقلَ قادةُ التنظيم الجديد، واعتُقلَ سيّد قطب، ولم تقع حوادث، ولم يَقمَ التنظيمُ برَدِّ الاعتدادِ الواقعِ من الدولة على أفرادِهِ!

ولم تصلِ الأسلحةُ التي أخبرَهم علي عشاوي بأنها في الطريق، ولم تُعلنِ الحكومةُ - بعد إلقاء القبض على الإخوان - اكتشافَ شيءٍ من تلك الأسلحة، أو مصادرتها!

إن هذه لثغرةٌ كبيرةٌ في موضوع الأسلحة، وفي حقيقة علي عشاوي، وصلته بالمخابرات!!

لقد أخبرَ عشاوي الإخوان أن الأسلحة قد سُحنتُ فعلاً من السودان، وأنهم توجَّهوا بها إلى قرية «دراو» عند أسوان، وكان هذا قبلَ فترةٍ طويلة من بدء الاعتقالات، تتجاوزُ عدةَ أشهر! ولو كان كلامُ علي عشاوي صحيحاً لوصلت الأسلحةُ فعلاً، ولو وصلت الأسلحةُ لاستلمها الإخوان، وحاولوا فعلَ شيءٍ بها! وهذا لم يحصل! ولو وصلت ووقعت في أيدي الحكومة وصادرتها، لأعلنت الحكومة ذلك، وشهَّرت بالإخوان، وأوردت صورَ الأسلحة في كل وسائل الإعلام! وذلك لم يحصل! إذن ماذا جرى لأسلحة علي عشاوي؟

إن هذا يدلُّ على أن حكاية الأسلحة، فخٌّ أو شركٌ أو مضيَّدة، رتَّبَتها المخابرات، عن طريقِ علي عشاوي، للإيقاع بالإخوان، ولما تمَّ لها ما أرادت، واعتقلتُ الإخوان، سكتت عن مصيرِ تلك الأسلحة.

لقد فاتَ مُعدُّ مسرحية «أسلحة علي عشاوي» أن يكملَ مسرحيته برسمِ مصير تلك الأسلحة، لتكونَ المسرحيةُ كاملة، وفقَّ الأساليب والأصول الفنية، ولتَكمَلَ خطواتُ اللعبة!!.

سيدُ يُنهي رواية قصة التنظيم

انتهت قصة التنظيم الإخواني الجديد بإلقاء القبض على أفرادهِ في صيف عام ١٩٦٥م، وبتقديم علي عشاوي - وكان أول المعتقلين - كل المعلومات عن التنظيم وأسره وأفرادهِ.

وبدأت مذبحة الإخوان الجديدة عام ١٩٦٥م، وبدأ سيد قطب يعيش محنة جديدة رهيبة قاسية، انتهت باستشهاده!

وقد أنهى سيدُ رواية قصته مع هذا التنظيم بقوله عن خطة رد الاعتداء، التي فكروا فيها ثم عدلوا عنها:

«ولكن الأمر في هذا كله - سواء في القضاء على أشخاص أو منشآت - لم يتعد التفكير النظري... ذلك أنه إلى آخر لحظة قبل اعتقالنا، لم تكن لديهم إمكانيات فعلية للعمل - كما أخبروني من قبل - وكانت تعليماتي لهم ألا يقبلوا على أي شيء، إلا إذا كانت لديهم الإمكانيات الواسعة...»

وكانت هذه هي صورة الموقف إلى يوم اعتقالي، ولا أعلم بطبيعة الحال، ماذا حدث بعد ذلك، إلا أنه واضح أنه لم يقع شيء أصلاً...

وقد كانت لديهم فرصة ثلاثة أسابيع على الأقل، لو كانوا يريدون القيام بأي عمل...»^(١).

وهذا استنتاج سليم من سيد، مما يدل على أن التنظيم لم يفكر جدياً في رد الاعتداء، وفي القضاء على رؤوس الحكومة في مصر، فلو كانوا يريدون هذا عملياً وجدياً، لحاولوا، فأمامهم ثلاثة أسابيع على الأقل، ولو حاولوا فقد ينجحون!

إن عدم محاولتهم الفعلية القضاء على المسؤولين، دليل على أن الأمر لا يعدو أن يكون تفكيراً نظرياً، ردّ به الإخوة في لجنة القيادة على عروض علي عشاوي لهم، أو قل استجابة منهم لاستدراج المخابرات المتمثل في عروض علي عشاوي لهم!!!.

(١) لماذا أعدموني: ٦٠.

ومع ذلك عاملتهم الحكومة، وكأنهم انتقلوا من التفكير النظري السريع غير الجاد، إلى الخطوة العملية التنفيذية، وكأنهم قاوموا فعلاً، وقتلوا المسؤولين فعلاً!!!.

زيارات لسيد خارج نطاق التنظيم

نبقى مع هذه الحلقة من حياة سيد قطب خارج السجن لحظة، لتعرف على زائريه، في البيت وفي «رأس البر» على شاطئ البحر، وعلى من كان يزورهم هو. لقد كان سيد، في الشهور القليلة التي عاشها بعد الإفراج الصحي عنه، ملء سمع الشباب الإسلامي وبصرهم، كانوا يحبونه من كل قلوبهم، ويتلقفون ما يصدر عنه من كتب، ويؤيدون ما يصدر عنه من آراء، وكان القادرون منهم على الوصول إليه، يحرصون على زيارته، والجلوس معه، وتبادل الأفكار والآراء بينهم وبينه، والانتفاع بتجربته!.

وكان بيته «مزاراً» لهؤلاء، لا يكاد يخلو منهم.

لقد جعل سيد في كل يوم جمعة، ندوة أسبوعية مفتوحة في بيته: «لكثرة عدد الزائرين في يوم الجمعة المفتوح للزيارة، كندوة عامة، كان يعلق بذهني صورهم أكثر من أسمائهم...»^(١).

زاره أفراد من الإخوان المسلمين من خارج مصر، إما بصفة رسمية إخوانية، أو بصفة شخصية، وزاره إسلاميون من غير الإخوان من خارج مصر، وزاره إسلاميون من غير الإخوان من داخل مصر..

زاره أخ مندوب عن الإخوان المسلمين في العراق - اسمه حازم أو عاصم - وتناقش معه في قضايا تنظيمية، ويُنَّ له أن الإخوان في العراق يوافقونه على منهجه في الحركة والدعوة^(٢).

زاره أخ مندوب عن الإخوان المسلمين في الأردن - اسمه الدكتور

(١) الموتى يتكلمون: ١٤١.

(٢) لماذا أعدموني: ٦١ - ٦٢.

عبد الرحمن - واستشاره في مسألة علاقة الإخوان في الأردن بمنظمة التحرير الفلسطينية وبأحمد الشقيري، وأبدى سيد مأخذه على إخوان الأردن: «لأنني أعرف منذ سنة ١٩٥٣م، عندما كنت في الأردن، أن إخوان الأردن، منغمسون في الحركات السياسية المحليّة، فلا يمكن أن أنصح لهم بالانسحاب منها، وهم لا يستجيبون لهذا، بحسب ظروفهم وتاريخهم في الحركة»^(١).

وزاره مندوب عن الإخوان المسلمين في السودان، ونصحه بالاعتماد على القاعدة الصلبة، وعدم عقد الآمال على الانتخابات والجماهير!^(٢).

وزاره مندوب عن الإخوان المسلمين في ليبيا^(٣).

وزاره مندوب عن الإخوان المسلمين في سوريا. وأبدى له سيد اعتراضه على شدة انغماس الإخوان في سوريا في السياسة، وقلة التفاتهم للتربية^(٤).

أما زائروه من غير الإخوان من الخارج، فقد ذكر منهم بنت أخي الشيخ العراقي أمجد الزهاوي. والسفير العراقي في القاهرة، موفداً من الرئيس العراقي عبد السلام عارف. والسيد «ضياء شيت خطاب» المستشار بمحكمة التمييز العراقية، وشقيق الكاتب محمود شيت خطاب.

ولما عُقد في القاهرة مؤتمر لعلماء المسلمين في مجمع البحوث الإسلامية، زاره بعض العلماء المسلمين، واستنصحوه في بعض المسائل.

زاره مندوب العلماء المسلمين في الجزائر للمؤتمر.

وزاره الشيخ «محمد علي الجوزو» مفتي جبل لبنان.

وأرسلت له «ندوة العلماء» في الهند - التي يرأسها أبو الحسن الندوي - رسالة تهنئة رقيقة بمناسبة الإفراج عنه.

(١) لماذا أعدموني: ٦٤ - ٦٦.

(٢) المرجع نفسه: ٦٦ - ٦٧.

(٣) المرجع نفسه: ٦٧ - ٦٨.

(٤) المرجع نفسه: ٦٩ - ٧٠.

كما أرسلت له الجماعة الإسلامية في باكستان رسالة تهنئة مماثلة^(١)!

أما عن زيارة الإسلاميين في الداخل له، وزيارته لهم:

فقد زاره «محمد عبد العزيز عطية» وتدارس معه ما يجري في معسكرات الشباب في الاتحاد الاشتراكي من إفسادٍ شيوعي لعقول الشباب.

كما زاره أحدُ المعلمين المدرسين في معهد المعلمين في أسبوط، لهذا الموضوع.

وبين سيد صلته بالحاج حسين صدقي، وتبادلَ الزيارات بينهما وبين عائلتيهما.

ثم بين بدايةَ تعرّفه على زينب الغزالي، في بيت الحاج حسين صدقي.

وأشار إلى زيارته للشيخ المجاهد «محمد الأودن» مرةً مع حسين صدقي وأهل بيته، ومعهم محمد قطب وزينب الغزالي، ومرات زاره بمفرده، وسمع من الشيخ الأودن تحسّره على ضياع الشباب المسلم في مصر، ولكن سيد طمأنه بوجود شبابٍ صالح^(٢).

وقد حصلت زياراتٌ متبادلة بينه وبين المرشد العام حسن الهضبي^(٣).

ومن هذه الزيارات الكثيرة، نطلع على صورةٍ من همّة سيد الكبيرة، وطاقته الضخمة، وحركته الدائبة، وجهده المتواصل. حيث لم يقعدُ به مرضه المستعصي، وعمره المتقدم، عن العمل لله، وفي سبيل الله!

* * *

(١) انظر لماذا أعدموني: ٧١ - ٧٩.

(٢) المرجع السابق: ٨٠ - ٩٠.

(٣) الموتى يتكلمون: ١٢٤.

السادس

محنة سيّد قطب الثانية

اعتقاله والتحقيق معه

أعدت القوى المعادية للإخوان المسلمين وللإسلام، مذبحةً رهيبة عام ١٩٦٥م، كانت من أعنف وأقسى وأخطر ما وُوجه به الإخوان في مصر، بل كان التعذيب فيها من أبشع وأقسى صور التعذيب في التاريخ!

وقد سجّل بعضُ المعذّبين من الإخوان في هذه المذبحة كثيراً مما جرى لهم فيها من أهوالٍ وأخطار.

ومن أهمّ هذه الكتب: البوابة السوداء، لأحمد رائف. وسرايب الشيطان، لأحمد رائف أيضاً. وأيام من حياتي، لزينب الغزالي. ويوميات سجين في السجن الحربي، لكمال فرماوي. ومذابح الإخوان في سجون ناصر، لجابر رزق.

وبالنسبة لسيّد قطب، فقد أُوذِيَ - هو وعائلته - في هذه المحنة إيذاءً رهيباً، حيثُ اعتُقل وحُقق معه تحقيقاً مطوّلاً، وعُذّب تعذيباً رهيباً، وحُكِمَ محاكمة ظالمة، ثم حُكِمَ عليه بالإعدام، ونُفذ فيه الحكم!

الجو العام قبيل المذبحة: التسلط الشيوعي

كان للشيوعيين دورٌ مباشر في مذبحة الإخوان عام ١٩٦٥م. فقد تغلغل الشيوعيون في مختلف الوزارات والمؤسسات، وسيطروا على الاتحاد الاشتراكي العربي ومنظماته، وعلى وسائل الإعلام، من صحفٍ ومجلات وإذاعة وتلفاز!

كانت السلطة بيد الشيوعي «علي صبري» رئيس الوزراء. وكان الاتحاد الاشتراكي العربي بيد الشيوعي «كمال رفعت»!

وقبيل المذبحة - في ٢٥ أبريل ١٩٦٥م - نشرت الصحف المصرية بياناً مفاجئاً للحزب الشيوعي المصري، أعلن فيه إعجابه بتجربة حكم عبد الناصر، وبدور الاتحاد الاشتراكي العربي، كما أعلن فيه أنه حلّ جهازه وتنظيمه، وأنه انخرط بأفراده ضمن جهاز الاتحاد الاشتراكي العربي، ليسارع في عملية التحول الاشتراكي في مصر. وبهذا سيطر الشيوعيون على «التنظيم الطليعي» للاتحاد الاشتراكي العربي! (١)

الصراع بين مراكز القوى في الدولة

يضاف إلى تسلط الشيوعي على أجهزة الدولة، الصراع المريع بين مراكز القوى التي تحكم البلاد، فكل مركز منها يريد أن يثبت نفسه وقوته على حساب المراكز الأخرى، بل ويمكّر المركز بالمراكز الأخرى، ويتقرب إلى عبد الناصر بالاختلاق والكذب والتزوير!!

وقد اشتدّ الصراع وازداد قبيل المذبحة بين المباحث العامة والمخابرات العامة، حيث مكّرت المباحث العسكرية بالمخابرات العامة المدنية، وأوهمت عبد الناصر بأن جهاز المخابرات العامة لا يقوم بواجبه، وقدمت له التقارير المزوّرة الكاذبة، عن مؤامرات يدبرها الإخوان ضدّ أمن الدولة، وطالبت منه إطلاق يدها ضد الإخوان والإسلاميين، حفاظاً على الأمن والنظام، وأعطاه عبد الناصر ما أرادت!

وكسبت المباحث الجنائية العسكرية الجولة، وصبّت عذابها على الإخوان.

وقد روى وزير الداخلية عام ١٩٦٥م السيد «عبد العظيم فهمي» طرفاً من ذلك الصراع، وبين كيف مكّر به جهاز المباحث الجنائية العسكرية وأعضاء مكتب المشير عبد الحكيم عامر، بل كيف مكّر به عبد الحكيم عامر نفسه.

فقد كان عبد العظيم فهمي مع الوزراء في الإسكندرية، في أغسطس ١٩٦٥م، لوداع عبد الناصر الذي كان سيسافر في اليوم التالي إلى جدة، للاجتماع بالملك فيصل.

(١) الموتى يتكلمون: ٣٠.

وروى عبدُ العظيم فهمي كلامَ عبد الحكيم عامر له: «ماذا تفعل في الإسكندرية، وقد كادت القاهرةُ تقعُ في يد انقلابٍ ينظمه الإخوان المسلمون؟» وأمره بالذهاب فوراً إلى القاهرة لتصفية المؤامرة!

ولما نفى فهمي وجودَ مؤامرةٍ إخوانية، وأرادَ البقاءَ في الإسكندرية ليحافظَ على أَمْنِ عبد الناصر، أمره عبدُ الحكيم عامر بالسفر إلى القاهرة فوراً. ولما نفذَ الأمر وسافر، قال عبدُ الحكيم لعبد الناصر: إن وزيرَ داخليتك تركَ الإسكندرية تزخر بخلايا الإخوان المسلمين المتربِّصين لاغتيالكَ، وسافر للقاهرة!!^(١)

أوحى المباحثُ العسكرية لعبد الناصر بأنها أنقذته من مؤامرةٍ خطيرة من الإخوان لاغتياله، وبذلك تقرَّبَتْ منه، وأفهمته عدم استغنائهِ عنها. وفتحتُ سجونُ المباحث العامة أمامَ الإخوان، ولاقى الإخوان فيها الأهوال، ومن أشهر هذه السجون: السجنُ الحربي الرهيب، وسجنُ القلعة، وسجن أبي زعبل.

ومن أشهر الضبَّاط المجرمين الجلَّادين، الذين أشرفوا على مذبحة الإخوان عام ١٩٦٥م في السجن الحربي وسجن القلعة وغيرهما: شمس بدران: مدير مكتب عبد الحكيم عامر. وسعد زغلول عبد الكريم: مدير المباحث العسكرية. وحمزة البسيوني: مدير السجن الحربي. وضباط التعذيب في السجن الحربي وعلى رأسهم: صفوت الروبي، ومختار صالح، وجلال الديب، ورياض إبراهيم، وحسن كفاي، وحسن خليل...^(٢)

إشاعات ومنشورات ضد الإخوان

سبقَ أحداثُ مذبحة عام ١٩٦٥م إشاعاتٌ مغرضة، أطلقها الشيوعيون والنصارى والقوى المعادية الأخرى.

(١) انظر «مذابح الإخوان في سجون ناصر»: ٢٩ - ٣١. نقلاً عن كلام فهمي، لضياء الدين بيبرس.

(٢) انظر أسماء هؤلاء الجلَّادين عند جابر رزق «مذابح الإخوان في سجون ناصر»: ٢٧٧ - ٢٧٨.

وقد أشار سيّد في تقريره إلى بعض هذه الإشاعات بقوله: «أخذ الشيوعيون ينشرون الإشاعات في كل مكان، بأنّ الإخوان المسلمين يعيدون تنظيم أنفسهم، واختيار قيادة جديدة لهم. وبلغتنا إشاعة أن الشيوعيين وضعوا منشورات في نقابة الصحفيين، يبدو فيها طابع الإخوان للتحريض عليهم. ولم يكن هذا غريباً، فقد سمعنا من قبل أنه ضُبِطَتْ منشورات معدّة للتوزيع في حقيقتي رجلين من رجال الدين المسيحي ماتا في حادث منذ سنوات، وعليها توقيع الإخوان المسلمين، بقصد الإيقاع بهم!»^(١).

ووضع الشيوعيون مواد ناسفة متفجرة، في طريق الرئيس الصيني «شو إن لاي»، أثناء عودته من الإسكندرية إلى القاهرة في ٢٨ يونيو ١٩٦٥ م. ثم أبلغ هؤلاء الشيوعيون المباحث عنها قبل مرور الرئيس الصيني، ونسبوها طبعاً للإخوان، واتهموهم بوضعها، للإيقاع بهم!^(٢)

محمد قطب يروي بدء محنة الإخوان

لم تكن محنة الإخوان عام ١٩٦٥ م من صنع محلي مصري، بل كانت ثمرةً لتخطيط أجنبي عالمي مكر، نُفذَ بأيدي مصرية محلية، وقد شارك في هذا التخطيط الشيوعية العالمية، والصليبية العالمية ممثلة في أمريكا ومخابراتها، والصهيونية العالمية أيضاً.

وقد روى الأستاذ محمد قطب طرفاً من هذه المؤامرة العالمية، مما يُعتبر نقطة البدء في محنة الإخوان.

قال للأخ جابر رزق - أثناء طوابير التعذيب الجماعي للإخوان في السجن الحربي - : «إنّ أول إشارة للبدء في محنة الإخوان المسلمين، كانت ما نشرته إحدى المجلات الأمريكية عن كتاب «جاهلية القرن العشرين» لمحمد قطب، وكتاب «معالم في الطريق» لسيّد قطب. وقد كتبت المجلة الأمريكية تحذّر من الكتابين، ومن الكاتبين، ووصفتها بالتعصب!»^(٣)

(١) لماذا أعدموني: ٥٥.

(٢) الموتى يتكلمون: ٣١.

(٣) مذابح الإخوان في سجون: ٢٦.

سيد يتوقع الإعدام : حكاية الثعبان الأحمر

كان كل ما في الجوَّ يندُرُ بمحنةٍ جديدةٍ للإخوان المسلمين، ويوحى بأنَّ صيف ١٩٦٥م سيكونُ صيفاً حاراً جداً بالنسبة لهم!

وكان الإخوان المسلمون يتوقعون أحداثاً خطيرة لهم، وينتظرون محنةً رهيبَةً قادمة، وعاشت لجنة القيادة الخماسية تلك الأيام بحذرٍ وترقب، وذهب سيد قطب إلى مصيف «رأس البر» في الإسكندرية للعلاج، وأمضى هناك أياماً، قبل بدء الاعتقالات. وقد كان سيد يتوقعُ المحنة القادمة، ويتوقعُ أن يكون نصيبه منها كبيراً، يتوقعُ السجنَ والتعذيبَ، بل يتوقعُ الموت!

فقد روى الصحفي «محمود الركابي» حواراً عجيباً بينه وبين سيد، في منزل سيد قبيل اعتقاله.

قال الركابي: «قلت له: الحمدُ لله على السلامة. ما شاء الله. صحتك جيدة، ولم يبقَ إلاَّ العروسة!

فضحك سيد جداً، ثم قال: أية عروسةٍ تقصد؟

قلت: لكليهما خُلُقنا!

وتحدثنا قليلاً. ثم سألتني فجأة: هل لك في تأويل الأحلام؟ لقد رأيتُ البارحة كأن ثعباناً أحمر يلفُ نفسه حولي، ثم يقترب. فاستيقظتُ من ساعتها ولم أنم!

قلت: اسمع يا سيدي. هذه هديةٌ سيقدمُها لك أحدُ المؤمنين، وهي ملفوفةٌ لفاتٍ بخيطٍ أحمر. وإن شئتَ أحضرتها لك الآن: فخذها، واستأنف النوم!

قال: ولماذا لا يكون تفسيرُها أن أكون أنا الهدية المقدَّمة للمؤمنين؟!

قلت: أليس بقاء الصالحين أنفعٌ للدعوة الإسلامية؟

قال: ليس دائماً. بل ربَّما كان ذهابُهم أنفع! وأنا لا اتعمدُ التهلكة، ولكن يجبُ أن نتعمدَ الثبات، مع علمنا أن في الثبات التهلكة!!

قلت: يا رجل لا تتشاءم هكذا. فالذي هم يسيرون نحو الاعتدال!

قال : ستعلم !!»^(١).

اعتقال محمد قطب واحتجاج سيّد

بدأت الأحداث الفعلية لمحنة الإخوان باعتقال الأستاذ محمد قطب، حيث كان اعتقاله في ٢٩ - أو ٣٠ - يوليو ١٩٦٥ م.

وقدّم سيّد قطب رسالة احتجاج للضابط «أحمد راسخ» بالمباحث العامة، حملها ابنُ أخته «رفعت بكر» رحمه الله للمباحث، احتجّ فيها سيّد على طريقة اعتقال محمد، وكون أهله لا يعرفون مكان اعتقاله.

وقارن سيّد في رسالة الاحتجاج بين اعتقال الحكومة لمحمد قطب، وبين اعتقال الحكومة البريطانية للفيلسوف الإنجليزي «برتراند رسل» لما عارض سياستها، حيث كان أهله يعرفون مكانه^(٢).

ولم يكن محمد قطب عضواً في التنظيم الإخواني الجديد - كما قرّر سيّد في التحقيق^(٣).

وبدء الاعتقالات بمحمد قطب غير المنتظم رسمياً، يوحى بأمرين :

الأول : أن أجهزة أمن الدولة، لم تكن تعلم شيئاً عن التنظيم الإخواني حتى ذلك التاريخ، ولم تكن قد اكتشفت أسره وخلاياه، ولهذا بدأت برجل غير منتم له انتماءً فعلياً.

الثاني : أن محمد قطب اعتُقل لأفكاره الإسلامية التي أوردها في كتبه ومؤلفاته، فهو لم يلتق مع التنظيم الإخواني، ولم يخطط معه، ولم يفكر في القيام بأعمال ضدّ النظام. ومع ذلك اعتُقل وعُذب، ولم يقدّم للمحاكمة. وهذا يدلُّ على الأسباب الفكرية لمحنة الإخوان عام ١٩٦٥ م، وأنها أُعدّت للقضاء على أفكار الإخوان، ومفكريهم، بل الفكر الإسلامي بعامة. وهذا يشير إلى الأيدي الخفية - الشيوعية والصليبية والصهيونية - وراء المحنة !.

(١) الشهيد سيّد قطب: ٦٤ - ٦٥. نقلاً عن ملحق جريدة النهار البيروتية. الأحد ١٨/٩/٦٦.

(٢) الموتى يتكلمون: ١٢٠ - ١٢١. (٣) المرجع السابق: ١٤٤.

اعتقال سيّد قطب في ٩/٨/١٩٦٥م

أوقف سيّد لقاءاته التنظيمية مع لجنة القيادة الخماسية في مايو ١٩٦٥م.

وفي ٥ يونيو سافر إلى مصيف «رأس البر» على شاطئ الإسكندرية واستأجر «عشة» هناك، للإقامة فيها، هرباً من الحر وحرارة الهواء في القاهرة، التي كانت تضاعف الذبحة الصدرية عنده.

وفي ١٠ يونيو سافر مع عائلته إلى رأس البر.

وفي يوليو جاءه «علي عشاوي» وأقام عنده ثلاثة أيام، لأنه كان يقضي «شهر العسل»! كما زاره عبد الفتاح إسماعيل، والتقى ثلاثتهم في البيت!.

ولما اعتقل محمد قطب في ٢٩ يوليو، فتشت المباحث منزل سيّد في حلوان، وبيته في رأس البر تفتيشاً دقيقاً، واحتجّ سيّد على الطريقة.

وبعد التفتيش بيومين زاره في رأس البر عبد الفتاح إسماعيل، فنصحّه سيّد بالانصراف خشية اعتقاله.

وفي ٢ أغسطس قدّم سيّد للقاهرة، وقدّم احتجاجاً للمخابرات على اعتقال محمد. وبقي في القاهرة حتى ٥ أغسطس.

في ٤ أغسطس بعث سيّد تعليماته الأخيرة، للجنة القيادة الخماسية يطلب منهم إيقاف عملية إحضار الأسلحة، وإلغاء تفكيرهم في خطة ردّ الاعتداء وضرب رؤوس النظام. وحملت رسالته الشفوية شقيقته حميدة، وأوصلتها لزينب الغزالي، التي أبلغتها لعلّي عشاوي، ولا ندري ماذا فعل علي عشاوي مع إخوانه بعدها!

في ٦ أغسطس سافر سيّد إلى رأس البر مرة ثانية.

وفي ليلة الاثنين ٩/٨/١٩٦٥م داهمت المباحث منزل سيّد في رأس البر قبل الفجر، وألقت القبض عليه، وساقته إلى السجن الحربي، حيث بقي فيه في التعذيب والتحقيق والمحاكمة، إلى أن تمّ إعدامه بعد سنة من هذا الاعتقال!!^(١).

(١) الموتى يتكلمون: ١٢٠ - ١٢١.

وحتى تاريخ اعتقال سيّد في ٨/٩ لم تكتشف الحكومة التنظيم الإخواني ، ولم تعتقل أحداً من أفرادهِ!

الحكومة تكتشف التنظيم قدراً!

كان اكتشاف الحكومة للتنظيم الإخواني قدراً – ولا نقول مصادفة، لأنه لا مصادفة في أحداث هذه الدنيا، فكلُّ حدثٍ منها يحدثُ بقَدَر الله – !!

كانت الأجهزة الأمنية قبل محنة الإخوان مشغولةً بقضية «حسين توفيق» ومجموعته، واعتقلت المهندس «سامي عبد القادر». واعترف بزيارته للسيد «يوسف القرش»، في قرية «سنفا» – وهو من الإخوان المسلمين القدامى – ولم يجدوه في القرية، بل وجدوه عند الأخ «حبيب عثمان» في القاهرة، فاعتقل يوسف القرش وحبيب عثمان معاً!

وباعتقال حبيب عثمان تكون الأجهزة الأمنية قد وضعت يدها على أول خيط يوصل للإخوان، لأن حبيب عثمان كان عضواً في أسرة إخوانية تابعة للتنظيم الجديد. واعترف «حبيب عثمان» – تحت وطأة التعذيب – على أعضاء أسرته الإخوانية، واعتقل أفراد الأسرة، واعترف بعضهم على آخرين، وازدادت الاعتقالات. كلُّ هذا ولم يُعتقل أحدٌ من لجنة القيادة حتى يوم الجمعة ٢٠/٨/١٩٦٥ م.

وكان من بين المعتقلين الأخ محمود فخري، الذي اعترف على الأخ «مرسي مصطفى مرسي» فداهمت المباحث شقة الأخ مرسي في أمبابة، واتخذتها فحاً لاصطياد الإخوان.

وفي ليلة الجمعة ٢٠/٨/١٩٦٥ م، كان الضابط «رياض إبراهيم» – من أعتى وأشرس ضباط الشرطة العسكرية – مع رجاله في الشقة. وفي منتصف الليل طرّق باب الشقة ثلاثة من أعضاء اللجنة الخماسية: عبد الفتاح إسماعيل، وعلي ع شماوي، ومبارك عبد العظيم. . . .

وساقهم الضابط «رياض إبراهيم» إلى السجن الحربي، مزهواً بصيده الثمين. وفي صباح الجمعة ٢٠/٨/١٩٦٥ م، حدثت مفاجأتان في السجن الحربي:

الأولى : سقوط أول شهيد من شهداء الإخوان عام ١٩٦٥م من شدة التعذيب، وهو الشهيد الشاعر «محمد عواد» الذي أشرف شمس بدران على تعذيبه شخصياً، والذي حطّم الجلاّد صفوت الروبي رأسه أمام بدران، وآثر محمد عواد أن يموت على أن يكشف سرّ التنظيم!

الثانية : اعتراف عضو اللجنة الخماسية «علي عشناوي» بأسرار وخفايا التنظيم، وتقديمها للمباحث!!

وشتان شتان بين الموقفين : موقف الشهيد محمد عواد . وموقف علي عشناوي! (١).

علي عشناوي يكشف أوراق التنظيم

كتب علي عشناوي إقراره الشامل صبيحة يوم الجمعة ٢٠/٨/١٩٦٥م، وكشف فيه كل أوراق التنظيم الإخواني الجديد، تكلم عن نشأته، وعن دور سيد قطب فيه، وعن موضوع السلاح وتفصيلاته، كما تكلم عن خيوط التنظيم وخفائيه، وقدم قوائم كاملة بأسماء المناطق والمجموعات والأسر، بنقائنها وأفرادها. . .

«وكان علي عشناوي هو أهم شخص يعرف خبايا التنظيم على مستوى الجمهورية. . . وكان ذا ذاكرة حديدية، قال أكثر مما يستطيع شخص آخر أن يقوله. وكانت تلك الليلة عيداً لضباط الشرطة العسكرية. . .» (٢)

وكان إقرار علي عشناوي مطوّلاً، أكثر من ثماني صفحات (٣).

وأخذت الشرطة العسكرية الأسماء من علي عشناوي، وألقت القبض على كل الأفراد في فترة وجيزة!!

وامتلأ السجن الحربي بالآلاف من الإخوان المسلمين، وصبّ عليهم العذاب صباً!!

(١) انظر هذه القصة في «مذابح الإخوان في سجون ناصر»: ٣١ - ٣٩.

(٢) انظر «مذابح الإخوان»: ٣٦ - ٣٧.

(٣) انظر النص الكامل لتقرير علي عشناوي في «الموتى يتكلمون»: ٥٠ - ٥٩.

عبد الناصر يعلن من موسكو

سافر عبدُ الناصر إلى روسيا في ٢٧ أغسطس ١٩٦٥م، وفي يوم ٢٩/٨/١٩٦٥م اجتمع في موسكو بالطلبة العرب الدارسين هناك.

وأعلنَ أمامهم عن اكتشاف مؤامرة، دبرها الإخوان المسلمون في مصر، لقلبِ نظام الحكم، وتخریبِ مؤسساته! (١).

واختيارُ عبدِ الناصر موسكو – عاصمةَ الإلحاد – ليعلنَ منها عن اكتشافِ مؤامرة الإخوان، يُعطي دلالةً هامةً على التخطيطِ والمكر الشيوعي ضدَّ الإخوان، وضد الإسلام، ويشيرُ إلى الأيدي الشيوعية الخفية – داخل مصر وخارجها – التي وراء هذه المؤامرة المزعومة.

كما أن اختيارَ عبدِ الناصر لموسكو وسيلةً منه للتقربِ إلى السوفييت، وكسبِ الكثير من مساعداتهم، وإفهامهم بأنه معهم، ومع شيوعيتهم في مصر، فهذا هو يحاربُ الإسلام الذي يعادونه، ويحاربُ الإخوان الذين يحاربونهم!

ومما يدلُّ على اليدِ الشيوعية في المسألة، أن الشيوعيين المصريين نظَّموا مظاهراتٍ تأييدٍ لعبدِ الناصر – من خلال التنظيم الطليعي للاتحاد الاشتراكي العربي الذي تحكَّموا فيه – واصطفَّوا على جانبي الطريق من المطارِ إلى منزلِ عبدِ الناصر. ولما سارَ عبدُ الناصر في الطريق، هتَفوا له بهتافين: «ذبح. ذبح. يا جمال.. لا رجعية ولا إخوان» و«شقق. شقق. يا جمال.. لا رجعية ولا إسلام!» (٢).

كان أولُ إعلان عن مؤامرة الإخوان المزعومة في الصحف المصرية، يوم الثلاثاء ٧/٩/١٩٦٥م، أي بعد شهرٍ من اعتقال سيد قطب!

وكان العنوان الرئيسي لصحيفة «الأهرام» الثلاثاء ٧/٩:

– أولُ التفاصيل عن مؤامرة الإخوان المسلمين الأخيرة...

(١) انظر كلام عبد الناصر في «الموتى يتكلمون»: ٣٩.

(٢) المرجع السابق: ٤٠.

وتابعت الصحف في الأيام التالية الكلام عن تفاصيل هذه المؤامرة، ونشر الاتهامات والإشاعات حولها^(١).

تقرير اللجنة القانونية لمجلس الأمة

أصدر عبد الناصر قانوناً استثنائياً لمحاكمة الإخوان المسلمين، سمي «قانون فرعون» لما فيه من ظلم وبطش وعدوان. وذلك في ٩/١١/١٩٦٥م، حيث فوّض فيه المحاكم العسكرية بالتحقيق في القضية، ومحاكمة المتهمين، وإصدار الأحكام عليهم، واعتبر قراراتهم وأحكامهم قطعية، غير قابلة للطعن فيها!^(٢).

وبهذا أطلق يد المباحث العسكرية بالإخوان المسلمين، وتفنن الجلادون في تعذيب الإخوان، وعلى رأسهم شمس بدران وحمزة البسيوني وصفوت الروبي وغيرهم.

ومن باب التمثيل والخداع، أراد عبد الناصر إضفاء الثوب الديمقراطي على قانونه وإجراءاته، وذبح الإخوان باسم الديمقراطية وممثلي الأمة، فتمت إحالة قضية الإخوان إلى «اللجنة القانونية» لمجلس الأمة، بتاريخ ١٤/١٢/١٩٦٥م، وكتبت اللجنة تقريرها بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٦٥م، وملأت تقريرها بالافتراءات والأكاذيب، وأصدرت إدانتها للإخوان المسلمين، ونسبت لهم كل ما ردّدته الأجهزة الأمنية^(٣).

وقد نسب تقرير اللجنة إلى سيد قطب ادعاء النبوة!!.

«ادّعى قطب هذه الجماعة النبوة! وقبلت الجماعة ادعاءه!!».

«على أساس النبوة المزعومة، وضعت هذه الجماعة نفسها، في موضع الوساطة بين الربّ والعبد!!».

«وعلى أساس ادّعاء النبوة، دبّرت هذه الجماعة لإحداث فتنة دموية مدمرة مخربة عمياء بين المسلمين!!».

(١) المرجع السابق: ٧٣ - ٧٧.

(٢) انظر نص القانون في «الموتى يتكلمون»: ٨٢ - ٨٣.

(٣) انظر نص تقرير اللجنة في «الموتى يتكلمون»: ٨٤ - ٩٤.

«وعلى أساس ادعاء النبوة، والقدرة على التلقي عن الله مباشرة، رفضت هذه الجماعة أن توضح أهدافها من الانقلاب...»!!^(١).

وهل أبقت اللجنة القانونية شيئاً من الاتهامات، بعدما نسبت لسيّد قطب أنه ادعى النبوة؟؟.

١٣ بلاغاً من المباحث العسكرية للنيابة العامة

بعد تعذيب رهيب للإخوان، في السجن الحربي وسجن القلعة وغيرهما، وبعد شهر ونصف من اعتقالهم، بدأت المباحث العامة العسكرية، إرسال البلاغات المتوالية، إلى النيابة العامة، وذكرت في هذه البلاغات تفاصيل عن أسير وخلايا التنظيم الإخواني، وعن مؤامرتهم المزعومة لقلب نظام الحكم. وهذه البلاغات للنيابة العامة لتحقيق مع المتهمين.

وكانت البلاغات بتوقيع مدير المباحث الجنائية العسكرية «سعد زغلول عبد الكريم»

وكان أهمّ بلاغ فيها هو البلاغ الأول، الذي كان حجمه عشر أوراق، ورقمه ٧٤/٧/٢٥ بتاريخ ١٩٦٥/١٠/٣ م. وفي هذا البلاغ أسماء أفراد الأسير الإخوانية، وأسماء النقباء، والمسؤولين عن المجموعات في المناطق، ومهام اللجنة الخماسية للقيادة^(٢).

وهذا البلاغ كتب بناءً على تقرير «علي ع شماوي»، الذي اعترف فيه بكل شيء — كما سبق أن قلنا —.

وقد نسب البلاغ لسيّد قطب رئاسة التنظيم الإخواني، وجعل محمد يوسف هواش نائباً للرئيس، ثم ذكر أعضاء القيادة الخمسة! وتتابع بلاغات المباحث العسكرية للنيابة العامة.

(١) انظر هذه العبارات في المرجع السابق: ٩٣.

(٢) انظر نص البلاغ الأول في «الموتى يتكلمون»: ١٠٣ — ١٠٧.

وكان آخرُ بلاغٍ منها - وهو الثالث عشر - قد كُتِبَ بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٦٥م^(١).

تقريران لسيد

كتبَ سيدُ تقريرَين، عن صلته بالإخوان عموماً، وعن صلته بالتنظيم الإخواني الجديد خصوصاً، وذلك بناءً على طلبِ المباحث العسكرية في السجن الحربي، وهذا قبلَ بدءِ التحقيق معه.

* التقرير الأول: كتبه بعد اعتقاله، وكان مختصراً ومجماً وموجزاً، والسبب في إجماله واختصاره، هو حرصه على حماية الإخوان من التعذيب، لأنه ظنَّ أنهم لم يُعتقلوا!.

* التقرير الثاني: وكان مفصلاً ومطوَّلاً وموسَّعاً، وقد كتبه بعدما علم باعتقال الإخوان، واعترافهم بكل شيء، فقال فيه «كلمته الأخيرة» للمحققين وللتاريخ!.

وقد أنهى سيدُ كتابةَ إقراره في السجن الحربي في ٢٢/١٠/١٩٦٥م.

تكلمَ في تقريره عن بدءِ صلته بالإخوان المسلمين، بعد قيام الثورة، وعن سجنه، وشهوده لمذبحة طرة، وعن تصوُّره لمنهج عمل الحركة الإسلامية، وبدئها من القاعدة في العقيدة والتربية والأخلاق. وعن صلته بالتنظيم الإخواني الجديد، ولجنته الخماسية، وعن قصة علي ع شماوي والسلاح، وعن خطة ردِّ الاعتداء على الحركة الإسلامية، وعن إلغائها قبيلَ المحنة. كما تكلمَ فيه عن زيارة الإخوان من غير المصريين له، وعن صلاته بإسلاميين من غير الإخوان.

وقد رجَّعنا إلى هذا التقرير، وأخذنا منه ما احتجنا إليه، في المباحث السابقة.

وقد نُشرَ هذا التقريرُ، المطوَّلُ في حلقات متتابعة في مجلة «المسلمون» الدولية، ثم نُشره ناشرو المجلة في كتابٍ خاص، جعلوا عنوانه «لماذا أعدموني».

ورغم نشرهم لذلك التقرير، إلَّا أنهم أكَّدوا أنَّ ما وصلهم إنما هو بخط يد

(١) خلاصة تلك البلاغات في «الموتى يتكلمون»: ١٠٨ - ١٠٩.

سيّد قطب، كما أنهم أكّدوا أنّ التقرير ناقص، لأنّ أعوان النظام أخفوا منه أوراقاً كثيرة، كتبها سيّد عن التعذيب الرهيب الذي صُبَّ عليه، فيما بين اعتقاله وكتابة التقرير - من أغسطس إلى أكتوبر ١٩٦٥م -^(١).

فما نُشرَ في رسالة «لماذا أعدموني» كلّ بخط سيّد، لكنه ليس كلّ ما كتب سيّد للمحققين!!

مقدمة تقريره الثاني

تحمل سيّد مسؤولية أحداث ١٩٦٥م كاملة، وهو يعلمُ أنه بذلك يدفعُ رأسه وحياته ثمن ذلك التنظيم الإخواني، ويبيّن هدفه من كتابة التقرير الأول الموجز! ويطيّب لي ذكرُ تلك المقدمة، لما فيها من أضواء كاشفة:

«لقد كتبتُ بياناً مجملاً قبل هذا، تنقّصه تفصيلات كثيرة، كما تنقّصه وقائع وبيانات كثيرة!

ولقد أسيء فهمُ موقفِي، وتقديرُ دوافعي في كتابة ذلك البيان، على ذلك النحو، وأرجو أن يكونَ في هذا التقرير الجديد المفصّل ما يفي بالمطلوب، وما يجعلُ موقفِي مفهوماً على حقيقته.

واللهُ يعلمُ أنني لم أكن حريصاً على نفسي، ولا قصدتُ تخليصَ شخصي بذلك الإجمال!

ولكنني - ويجبُ أن أعترفُ بذلك - كنتُ أحاولُ أولاً وقبل كل شيء، حماية مجموعة من الشباب الذي عملَ معي في هذه الحركة، بقدر ما أملك، لاعتقادي أنّ هذا الشباب من خيرة مَنْ تحملُ الأرض، في هذا الجيل كلّ، وأنه ذخيرةٌ للإسلام وللإنسانية، حرامٌ أن تبدّد وتُهدر!! وأني مطالبٌ - أمام الله - أن أبذل ما أملك لنجاتهم، وأن ذلك البيان المجمل، الذي لا يحتوي كلّ التفاصيل الدقيقة، هو كلّ ما أملكه في الظرف الحاضر للتخفيف عنهم. وقد يشملني هذا التخفيفُ ضمناً، ولكن الله يعلمُ أن شخصي لم يكن في حسابي!!

(١) انظر مقدمة الناشرين لرسالة «لماذا أعدموني»: ٣ - ٤.

وقد احتملتُ المسؤوليةَ كاملةً، منذُ أولِ كلمة، وقلت:

إنه آن أن يقدمَ إنسانٌ مسلمٌ رأسه، ثمناً لإعلان وجود حركةٍ إسلامية، وتنظيمٍ غير مصرَّح به، قام أصلاً على أساسٍ أنه قاعدةٌ لإقامة النظام الإسلامي، أياً كانت الوسائلُ التي سيستخدمها لذلك. وهذا في عُرف القوانين الأرضية جريمةٌ تستحقُّ الإعدام!!

ويجبُ أن أبين في هذه المقدمة القصيرة، أن تقديمي ذلك البيان الأول المجمل بهذا القصد، هو واجبي كمسلم. فالأسير المسلم لا ينبغي له أن يدلَّ على ما وراءه من جند الإسلام، ولا يكشف مقاتل المسلمين وعوراتهم ما أمكنه!!

وقد كنتُ أؤدِّي واجبي بمفهومي الإسلامي، متعاملاً فيه مع الله، بغضِّ النظر عن نظرة القوانين والهيئات البشرية!!

ولكني الآن، وقد بينتُ أن هذا الشاب قد قرَّر كلَّ تفاصيل أدواره الخاصة والعامة، وأني أنا لا أدلُّ عليهم بشيء، فقد ارتفع الحرج عن صدري، في ذكر كلِّ التفاصيل، مع محاولة ترتيبها ترتيباً زمنياً بقدر الإمكان!!...»^(١).

كلمته الختامية لتقريره الثاني

ختمَ سيّد تقريره بكلمةٍ ختامية، لخص فيها تصوّره للعلاقة بين الحكومة وبين الإخوان المسلمين في نقاطٍ محدّدة مختصرة:

«١ - إن العنف الذي عومل به الإخوان سنة ١٩٥٤م وحدهم، بناءً على حادث المنشية المدبّر لهم، حيثُ تضمّن ذلك العنف القتل والتشريد وتخريب البيوت... هذا العنف هو الذي أنشأ فكرة الردّ على الاعتداء إذا تكرر بالقوة... ولو كنّا نعلم أن الاعتقال مجرد اعتقال ينتهي بمحاكمة عادلة، وعقوبات قانونية - حتى على أساس القوانين الوضعية المعمول بها - لما فكّر أحدٌ في ردّ «الاعتداء بالقوة».

وأنا أعرفُ أنه ليست هناك قيمةٌ عملية الآن لتقرير هذه الحقيقة، ولكنها حقيقةٌ يجبُ أن أسجلها في كلماتي الأخيرة!!

(١) لماذا أعدموني: ٧ - ٨.

٢ - إنه مما لا شك فيه أن تدمير حركة الإخوان المسلمين - والحركات الإسلامية المماثلة - في المنطقة، هدفٌ صهيونيٌ وصليبي استعماري. وهو وسيلةٌ من وسائل تدمير العقائد والأخلاق في المنطقة. وأنه تُبذلُ جهودٌ ومؤامراتٌ مستمرة، لتحقيق هذا الهدف.

وأنه لو استُخدمَ في معاملة حركة الإخوان أسلوبٌ آخر، غير ما حدث - سواء في سنة ١٩٥٤م أو في هذه المرة - لأمكن تدمير المخططات الصهيونية والصليبية الاستعمارية في المنطقة، بدلاً من تدمير الحركة الإسلامية...

٣ - إنه أعقبَ ضرب الإخوان في سنة ١٩٥٤م موجةٌ من الانحلال الأخلاقي والاتجاه الإلحادي. وستعقبُ ضربهم الآن موجةٌ أشد، لا يعلم إلا الله مداها. فلحساب مَنْ هذا الانهيار؟ إنه قطعاً ليس لحساب هذا البلد، ولا حتى لحساب النظام القائم...

ومهما كانت الأذان الآن غير مستعدةٍ لسماع هذا الكلام، فإن من واجبي إبلاغه، وتبرئة ذمتي بقوله!!.

٤ - لقد سمعتُ عدة مرات: وهل أنتم وحدكم المسلمون؟ أولاً يكفيكم المؤتمر الإسلامي، وبرنامج «نور على نور»، والمساجد تقام فيها الصلاة، والناس يذهبون إلى الحج؟؟.

ويجب أن أقرر أن الإسلام شيءٌ أكبر من هذا كله... إنه نظام حياة كاملة، وأنه لا يقوم إلا بتربية وتكوين للشباب، إلا بتحكيم شريعة الله...

وإن حركة الإخوان المسلمين، كانت هي أنجح تجربة للتربية والإعداد، وإنَّ أيَّ خطأ في الطريق لا يبرر تدميرها، وخصوصاً إذا كان الخطأ منها، ناتجاً عن خطأ في معاملتها!!.

ولقد أردتُ في سنة ١٩٥٢م القيام بتجربةٍ مثلها، في هيئة شباب التحرير، وكان الاتجاهُ معي في أول الأمر، ولكن في النهاية تغلبَ توجيهُ جمعية الفلاح الأمريكية، وأشتات المنتفعين، الذين أرادوا هيئة التحرير بالصورة المهلهلة التي وجدتُ بها، والتي تخالف كل ما كنا اتفقنا عليه بشأنها.

وبقيت حركة الإخوان، هي وحدها القائمة بهذا الواجب!
إن الإسلام لا يقوم ولا يوجد في بلد ليس فيه حركة تربية، ثم قيام نظام
إسلامي، يحكم بشريعة الله في النهاية!
هذه في النهاية كلمات رجل، يستقبل وجه الله، يخلص بها ضميره، ويبلغ بها
دعوته إلى آخر لحظة!

والسلام على من اتبع الهدى!
السجن الحربي في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٥م»^(١).

صلاح نصار يحقق مع سيد
كان رئيس نيابة أمن الدولة، في تلك الفترة الحالكة المظلمة من تاريخ مصر،
هو «صلاح نصار».

«وبمجرد وصول أول بلاغ للنائب العام في يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٥م، نقل صلاح
نصار رئيس نيابة أمن الدولة مكتبه من مبنى سراي النيابة في محكمة «باب الخلق» إلى
داخل السجن الحربي... رغم مخالفة ذلك لقانون الإجراءات الجنائية... إلا أن
صلاح نصار كان يحتمي وراء نصوص فرعون!»^(٢).

وقد تولّى رئيس النيابة صلاح نصار، التحقيق مع الشخصيات القيادية الهامة،
في التنظيم الإخواني، بينما أوكل لمعاونيه من وكلاء النيابة التحقيق مع الإخوان
الآخرين.

وكان من الطبيعي أن يتولّى التحقيق مع قائد التنظيم سيد قطب.
وقد كان سيد حبيس زنزانية انفرادية في السجن الحربي، منذ اعتقاله في
١٩٦٥/٨/٩م، مُنع من الخروج منها طيلة مائة وثلاثين يوماً!
بدأ صلاح نصار تحقيقه مع سيد مساء يوم الأحد ١٩٦٥/١٢/٩م.

(١) لماذا أعدموني: ٩١ - ٩٤ باختصار.

(٢) الموتى يتكلمون: ١١٠.

وقد استمرَّ التحقيقُ مع سيّد ثلاثة أيام متواليات :

الأحد ١٩/١٢/١٩٦٥م، من الساعة السادسة والنصف مساءً إلى العاشرة والنصف^(١).

الاثنين ٢٠/١٢/١٩٦٥م، من الساعة الثالثة مساءً إلى الحادية عشرة مساءً^(٢).

الثلاثاء ٢١/١٢/١٩٦٥م، من الساعة الواحدة مساءً^(٣).

لقطات من «محضر التحقيق»

كان سيّد قطب في التحقيق صريحاً صادقاً جريئاً شجاعاً، يجيبُ على أسئلة صلاح نصار بمنتهى الصدق والصراحة والجرأة والشجاعة، بدون خوفٍ أو جُبْنٍ أو تزويرٍ أو كذب، كعادته في مواقفه مع أحبائه ومع أعدائه، طيلة حياته - رحمه الله - .

وسنقدّم بعض اللقطات من محضر التحقيق، الذي نشره سامي جوهر رحمه الله في كتابه «الموتى يتكلمون» :

فُتِحَ المحضرُ يوم الأحد ١٩/١٢/١٩٦٥م، من الساعة السادسة والنصف مساءً بالسجن الحربي .

نحن : صلاح نصار - رئيس النيابة .

مصطفى العسال - سكرتير التحقيق .

حيثُ دعونا سيّد قطب بالآتي وقال :

اسمي سيّد قطب إبراهيم . سني ٦٠ سنة . كاتب . مولود بحوشة مركز أسيوط . ومقيمٌ بحلوان : ٤٤ شارع حيدر .

كان السؤالُ الأول : ما قولك فيما هو منسوبٌ إليك؟

(١) انظر محضر ذلك اليوم في «الموتى يتكلمون» : ١١٢ - ١١٩ .

(٢) انظر محضر التحقيق في اليوم الثاني : ١٢٠ - ١٣١ .

(٣) انظر محضر التحقيق في اليوم الثالث في «الموتى يتكلمون» : ١٣١ - ١٤٦ .

فأجاب سيّد عليه إجابةً طويلة، استغرقت أكثر من عشر صفحات، تكلم فيها عن قصته بالتفصيل مع التنظيم الإخواني الجديد.

وسأله : هل كنت تحررُ رسائلك داخل السجن؟

فأجاب : نعم. حررتُ بعض الرسائل التي فيها شرحُ لبعض وجهات النظر الإسلامية. والفكرةُ الأساسيةُ فيها كانت أصولُ العقيدة، بما فيها: إن الحاكمية من الاعتقاد، وليس فقط من التنظيم... «وأقدر أقول»: إن ذات الأفكار التي في الرسائل وُسِّعتُ وصارت أفكارَ كتاب «معالم في الطريق»!

سؤال : هل اطلعَ حسن الهضيبي على رسائلك قبل خروجك من السجن؟

جواب : أظنه اطلعَ عليها عن طريقِ بيته!

سؤال : هل تقابلتَ مع حسن الهضيبي بعدَ خروجك من السجن؟

جواب : نعم. ثلاثَ مرات. في بيتي. ولم يحضرها أحدٌ غير أنا وهو!

سؤال : قرّرَ بعضُ المتّهمين أنهم يرون أن حسن الهضيبي ما زال مرشداً. فما رأيك أنت في هذا الموضوع؟

جواب : حقيقةُ الواقع في جماعة الإخوان المسلمين، أنهم يحسّون إحساساً عاماً – سواء صرّحوا به أو لم يصرّحوا – أن الأوضاع التي كانت قائمةً قبل حلّ الجماعة لا تزال قائمة، وإن لم تأخذ أي صورة تنفيذية أو حركية، ومتجمدة على ما هي عليه قبل الحل، انتظاراً لأي ظرفٍ يسمحُ بعودة الجماعة للوجود العلني... وهذا شعورٌ نفسيٌّ داخلي موجود في نفوسهم، وفي نفسي أيضاً شخصياً، فيما يختصُّ منه بإمكان عودة الجماعة للوجود العلني، ولكن مع منهجي الخاص في إعادة التكوين الفردي التربوي والثقافي...

وأنا شخصياً أرى بالنسبة لحسن الهضيبي، أنه ما زال له وضعه

كمُرشد للجماعة!

سؤال : إن تمويلَ هذا التنظيم من الخارج؟ – يعني من الإخوان في السعودية وغيرها – ؟

جواب : نعم من الخارج! ولكن في إحساسنا اعتباراً عام، أن أيّ أخ في أيّ بلد هو مرتبطٌ بنا على أساس العقيدة والفكرة، لا على الأساس الإقليمي. وعندما تُذكر «إخوان» لا نسأل عن جنسياتهم من الناحية الإقليمية!!

سؤال : وهل الارتباط الذي تقرّر وجوده بين الإخوان المسلمين بمختلف جنسياتهم، يتفق مع الوطنية؟

جواب : أنا أعتبر أن صلة العقيدة أكبر وأثبت من صلة المواطنة الإقليمية. وأن هذه التفرقة بين المسلمين على أساس إقليمي أثّر من آثار الاستعمار الصليبي والصهيوني، يجب أن يزول!!.

سؤال : ولكن قررت أن الصلة التي ترفعها عن مستوى الوطنية هي الانتماء لجماعة الإخوان المسلمين، دون الإسلام؟

جواب : الصفة الظاهرة في الإخوان، هي صفة الإسلام في اعتقادي!

سؤال : هل ترى أن هناك فرقاً بين المسلم المنتمي لجماعة الإخوان، وغير المنتمي لتلك الجماعة؟

جواب : الذي يميّز الإخوان : أن لهم برنامجاً محدّداً في تحقيق الإسلام. فيكونون مقدّمين في نظري على مَنْ ليس لهم برنامج محدّد!.

سؤال : وهل تعتقد أن كلّ مَنْ هو منتمٍ لجماعة الإخوان، إنما يعمل في سبيل الله، دون مآرب أخرى؟

جواب : أنا أعتبر أن العبرة في الجماعة، بخطة الجماعة وأهدافها وبرامجها، ولو وُجدَ فيها أفراد ليسوا على مستوى الجماعة، ولهم أخطاء!!

سؤال : فلم التمييز إذن بين أفراد هذه الجماعة وبين المسلمين قاطبةً، وهم جميعاً أصحاب عقيدة وأهداف وبرنامج؟

جواب : التمييز في رأيي، ليس تمييز شخص على شخص، ولكن فقط باعتبار أن الجماعة ذات برنامج، وأن كل فرد فيها مرتبط بهذا البرنامج!

سؤال : هل ترى أن سعيد رمضان وكامل الشريف وفتحي هلال وأسامة علام وعشماوي سليمان – وهم من جماعة الإخوان الهاربين – يمدّون أفراد هذا

التنظيم بالمال والسلاح، لنصرة الإسلام؟

جواب : أرجو إعفائي من الإجابة على هذا السؤال!

سؤال : كيف السبيل للوصول للهدف النهائي؟ وما هو هذا الهدف فيما ترون؟

جواب : الهدف النهائي الذي اتفقنا عليه، هو أن يقوم نظام إسلامي، يحكم بشريعة الله، لا بالقوانين الوضعية، والسبيل التربية الإسلامية الطويلة المدى على نطاق واسع!

سؤال : هل كان التنظيم سرّياً أم علنياً؟

جواب : كان سرّياً.

سؤال : وما الغرض من جعله سرّياً إذا كان الهدف تربية دينية أخلاقية؟

جواب : عندنا اعتقاد، استقيناه من كل التجارب الماضية، ومن معرفتنا بالخطط الصليبية والصهيونية والشيوعية في المنطقة، لمحاربة ومنع أي تربية إسلامية حركية، تهدف لتحقيق مثل هذا الهدف، وإقامة حكم إسلامي!

سؤال : هل كنتم ترون أن وجود الأمة المسلمة قد انقطع منذ مدة طويلة، ولا بد من إعادتها للوجود؟

جواب : لا بد من تفسير مدلول كلمة الأمة المسلمة التي أعنيها، فالأمة المسلمة هي التي تحكم كل جانب من جوانب حياتها الفردية والعامة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية - شريعة الله، ومنهجه.

وهي بهذا الوصف، غير قائمة الآن في مصر، ولا في أي مكان في الأرض! وإن كان هذا لا يمنع من وجود الأفراد المسلمين. لأنه فيما يتعلق بالفرد، الاحتكام إلى عقيدته وخلقه، وفيما يتعلق بالأمة، الاحتكام إلى نظام حياتها كله!

سؤال : وهل ترى أن نظام الحكم القائم في البلاد نظام جاهلي؟

جواب : أرى أنه نظام غير إسلامي!

سؤال : هل ترى أن هناك مجتمعات جاهلية، ومجتمعات غير إسلامية؟

جواب : لا. أنا لا أرى أن هناك مجتمعات غير إسلامية. وإنما المجتمع إما جاهلي وإما إسلامي!

سؤال : وما رأيك في نظام الحكم القائم، على هذا الضوء؟

جواب : أنا أراه نظاماً جاهلياً!

سؤال : معنى ذلك أنك ترى ضرورة تغيير نظام الحكم القائم؟

جواب : أرى أن يتغير، عندما تُوفَّر أسس قيام النظام الإسلامي!

سؤال : ما معنى الطاغوت، فيما ذهبت إليه؟

جواب : الطاغوت في رأيي : هو كل شريعة غير شريعة الله!

سؤال : وما رأيك في الوطنية؟ وهل تعترف بها أو تنكرها؟

جواب : رأيي أن الوطنية، يجب أن تكون هي العقيدة لا الأرض. وأنه يجب تغيير

المفهوم الحالي – وهو الإقليمية – إلى هذا المفهوم الواسع!

سؤال : وما رأيك في القومية؟

جواب : رأيي فيها أنها راية فات أوانها التاريخي العالمي، وأن العالم الآن يتجه

إلى تكوينات مذهبية، تقوم على أساس فكرة وعقيدة. وأن الاتجاه إلى

القومية الإسلامية يتفق مع طبيعة العصر الذي نعيش فيه، وطريقة تفكيره،

أكثر من فكرة القومية!

سؤال : وما مدلول عبارة «الحاكمية لله» في رأيك؟

جواب : أن تكون شريعة الله هي قاعدة التشريع!

سؤال : ومتى نودي بهذه العبارة فيما تعرف؟

جواب : هذا تعبير استقيته أنا من دراستي للإسلام!

سؤال : ألا تعرف أن هذه كلمة قالها الخوارج قديماً، وقد قال عنها الإمام علي :

«كلمة حق أريد بها باطل!»؟

جواب : أنا لا أتذكر موضعها من هذا التاريخ. ولم أكن أعنيه عندما استعملتها.

وإنما كنت أعني : أن تكون شريعة الله هي قاعدة التشريع، وبما أن الله

سبحانه وتعالى لا ينزلُ بذاته للتحكيم، وإنما أنزلَ شريعته ليحكمَ بها، فحاكميته سبحانه وتعالى تتحققُ عن طريقِ تحكيمِ شريعته، كما تقولُ النصوصُ القرآنية بالفاظها! .

سؤال : ألم تنقلُ هذه الأفكارَ من مؤلفاتِ أبي الأعلى المودودي؟

جواب : أنا انتفعتُ بكتبه وغيرها من الكتب، أثناء دراستي للإسلام!

سؤال : وما الفرقُ بين ما تنادي به وما ينادي به المودودي؟

جواب : لا فرق!

سؤال : وما الغرضُ من تسليحِ التنظيم، وتدريبِ أفرادِه على الأمور العسكرية؟

جواب : ردُّ الاعتداء إذا وَقَعَ عليه!

سؤال : وما هو الاعتداءُ المقصود؟ وممن سيقع؟

جواب : صورةُ الاعتداء في تصوُّري هي : الاعتقالُ للتعذيبِ والقتل، وإحداثُ العاهات المختلفة، قبلَ المحاكمة والحكم، كما وَقَعَ بالفعل سنة ١٩٥٤م .

سؤال : هل أفهم من ذلك أنكم قرَّرتُم مقاومةَ السلطات عند كشفِ تنظيمكم؟

جواب : السلطاتُ التي لا تتقيَّدُ بأيِّ قانون، ليستُ سلطاتٍ رسمية، ولا تُعدُّ مقاومتُها مقاومةً لسلطةٍ رسمية!!

سؤال : ألا تعرفُ أن في قيامِ هذا التنظيم، مخالفةً للقانون؟ ويعرِّضُك وجماعتك لسلاحه؟

جواب : أعرفُ أنه مخالفٌ للقانون، ولكني كنتُ مضطراً إليه، باعتباره الوسيلةَ الناجحة للتربية الإسلامية، وإنْ مَنَعها القانون!

سؤال : وكيف تكونُ مخالفةُ القانون وارتكابُ جرائم، وسيلةً للتربية؟ وهل ترضى الشريعة الإسلامية بذلك؟ ودينُ الدولة الرسمي هو الإسلام؟

جواب : إذا كان القانونُ يمنع قيامَ المسلم بواجبه الديني في إرشادِ الآخرين، فإنَّ العيبَ يكونُ عيبَ القانون ذاته، لمخالفته لأصلٍ ديني!!

سؤال : وهل ترى في القوانين القائمة ما يمنع المسلم من القيام بواجباته الدينية وإرشاد الآخرين؟

جواب : أنا أرى أن في القرار الخاص بمنع النشاط العلني لجماعة الإخوان المسلمين، وهي تؤدي واجباتها الدينية، مخالفةً لأمر من أوامر الدين؟

سؤال : وما سبب حل جماعة الإخوان المسلمين؟ وهل كان بسبب قيامها بنشاط ديني؟

جواب : أنا أرجح هذا.

سؤال : وما الظروف التاريخية التي تعرفها عن حل الجماعة؟

جواب : أنا أعرف أن الجماعة انحلت بقرار حكومي، لا أعرف الجهة التي أصدرته، ولا نصه، ولا القانون المنطبق عليه! وأنا أعتقد أنها حُلَّت بسبب نشاطها الديني، وبسبب أنها حركة إسلامية، والقوى المعادية للإسلام ذات ثقل في تقدير الظروف المختلفة، وقد تمكنت بدسائسها من إحداث التصادم بين الثورة وجماعة الإخوان!

سؤال : ولكن حُلَّت جماعة الإخوان بسبب تنظيمها السري الإرهابي؟

جواب : الذي أعرفه أن جماعة الإخوان المسلمين كان لها تنظيم سري. وعلى ما أعرف ليس هو السبب المباشر في حل الجماعة، إنما السبب هو الدسائس الأجنبية التي تأمرت، وأدى ذلك لحل الجماعة!

سؤال : هل ترى أنه كان من الممكن أن تسمح الثورة بقيام جماعة ذات تنظيم سري مسلح داخل الدولة؟

جواب : طبعاً لا ترضى الدولة، ولكن كان ممكناً حل هذا التنظيم السري بالتراضي، وإبقاء جماعة الإخوان كحركة علنية!

سؤال : وهل ترى أن جماعة الإخوان وحدها هي القائمة على أمور الدين الإسلامي قاطبة، بحيث إذا منعت الدولة نشاطها تكون قد منعت المسلم من القيام بواجباته الدينية؟

جواب : أنا أرى أن حركة الإخوان المسلمين كانت هي أنجح تجربة في خلال القرون الأربعة الأخيرة، في كل البلاد الإسلامية، فإهدارها - بسبب أخطاء جانبية، أنا أعرف أنها أخطاء - هو بدون شك، إهدارٌ لأكبر محاولة في إقامة هذا الدين. ومن أجل هذا كنت أرى أنه من الممكن فصل حركتها الإسلامية عن مسألة التنظيم السري!

سؤال : قرر قادة أعضاء التنظيم أنك أفهمتهم أنهم هم الأمة المؤمنة، وسط مجتمع جاهلي، وأنه لا يربطهم بالدولة ولا بالمجتمع ولا بنظام الحكم القائم فيه أي رابط، وأنهم كأمة مسلمة عليهم أن يعتبروا أنفسهم في حالة حرب مع الدولة، وكنت تسمي لهم البلاد بأنها دار حرب، طبقاً للاصطلاح الإسلامي، وتبني على ذلك أن أي عمليات قتل وتخريب، لا ضير منها ولا عقاب عليها، بل بالعكس فيها مثوبة؟

جواب : في هذا الفهم أخطاء كثيرة:

فهم - أولاً - مجرد نواة، تُربى وتكون، لتكون في مستوى الطليعة المؤمنة. وهذا ما كان مفهوماً بيني وبينهم بوضوح.

وثانياً: إن علاقة الأمة المؤمنة بدار الحرب ودار الإسلام، كان الحديث فيها كأحكام نظرية، لبيان الأحكام في ذاتها، لا لأنها منطبقة على أحد في الوقت الحاضر، لأنه سبق تقرير أن وجود الأمة المسلمة أمر من أمور المستقبل، التي يقع النشاط وتقع الحركة لتحقيقها.

وهذه هي المفهومات التي كنت أريد أن يفهموها!

ولكن - مع الأسف - فهموا عني خطأ كما أرى الآن!!!.

سؤال : وكيف يكونون قد أخطأوا في الفهم، خاصة وقد قرّر أحدهم - وهو علي عثماوي - أنه عند الحديث عن القتل، ناقشك في قتل المسلم مع قوله لا إله إلا الله، وعن الحديث في ذلك، ونفيت أن كل من قال لا إله إلا الله حرم قتله، فقد أجزت لهم قتل المسلم؟

جواب : أنا لا أتذكر هذه المناقشة! وإذا كانت حصلت، فلا بد أنها كانت في معرض الدفاع عن النفس. وفي هذه الحالة يكون المعتدي هو الذي عليه الوزر، لا من يرد!!

سؤال : وما الشروط التي يجب أن تتوفر للدفاع عن المسلم شرعاً، حتى يباح للمسلم قتل أخيه المسلم؟

جواب : أن يعتدي عليّ - أو يحاول الاعتداء - بينما أنا أقوم بعمل غير مضر، أو بنشاطي العادي!

سؤال : وهل ترى أن في استعمال الحاكم لمقرراته الشرعية والقانونية - اعتداء، يستباح معه القتل والتخريب؟

جواب : بهذه القيود - قيود استعماله لمقرراته الشرعية والقانونية - لا يجوز. ولكن في اعتدائه خارج كل القوانين، لا يكون في حدود مقرراته الشرعية والقانونية!!

سؤال : ألا ترى أن في قيام تنظيم سرّي مسلح بين المسلمين، ما يؤدي إلى فتنة، يأبأها الدين الإسلامي وينهى عنها؟

جواب : قد يؤدي إلى فتنة، ولكن الذي يكون عليه وزرها، هو الذي يمنع النشاط العلني، فيضطر الآخرون للنشاط السري، ويمكن إنقاذها بإباحة النشاط العلني!.

سؤال : ألا يوجب عليك دينك الإسلامي أن تمنع أي فتنة قبل وقوعها، وتتجنب مقومات وقوعها؟

جواب : ضرورة القيام بالواجب الديني هو المفروض. والفتنة افتراض. فعليّ أن أقوم بواجبي الديني، وإذا وقع الافتراض - أي الفتنة - فإن وزره على الذي اضطرني للسرية، وليس عليّ أنا!!

سؤال : وما التناقضات الموجودة بين نظام الحكم القائم، وبين النظام الذي تراه وتسعى من أجله؟

جواب : شريعة الله ليست هي قاعدة التشريع في الأوضاع القائمة. والمطلوب هو أن تكون شريعة الله هي قاعدة التشريع وهذا هو التناقض الأساسي في رأيي، الذي تنشأ عنه كل التناقضات الفرعية!.

سؤال : قرّر علي عشاوي أن الهدف فيما كنت تراه من القيام بهذه العمليات، هو قلب نظام الحكم القائم بالقوة، وانهيار النظام القائم في البلاد؟

جواب : أنا آسف أن أقول: إن هذا غير اتجاهي تماماً، وغير ما كنت أشرحه له!!.

سؤال : ولم لم تبلغ السلطات بأمر هذا التنظيم فور اعتقالك؟

جواب : الاعتبار الأول: في حسي كان دائماً عدم تعريض هذا الشباب لعمليات التعذيب القاتلة. وتوقعي أنهم لا يملكون التنفيذ، كان عاملاً من عوامل عدم التبليغ، اعتقاداً مني بأنهم مستورون فلا يقع عليهم اعتداء، ولا يردّون هم الاعتداء!

سؤال : هل يعرف محمد قطب تنظيمك السري؟

جواب : لا.

سؤال : ولم لم تبلغه به وهو يساير أفكارك في كتاباته؟

جواب : أنا أعرف من طبيعة محمد، عدم الميل إلى الاختلاط بأيّة تجمعات! ومن ناحية أخرى: كنت حريصاً دائماً على ألا يعرف أحد بأمر هذا التنظيم، ولو كان أقرب الناس إليّ، لتضيّق دائرة من يعرفون بذلك!«^(١).

* * *

بهذا أنهي هذه اللقطات التي التقطناها من محضر التحقيق حيث لم نورد كل أسئلة صلاح نصّار وإجابة سيّد عليها، وإنما انتقينا من تلك الأسئلة والإجابات، ما يدلّ على شخصية سيّد في التحقيق، وما اتّصف به من صدقٍ وصراحةٍ وجرأةٍ وشجاعةٍ ووضوح، حيث قدّم للمحقق نصّار المعلومات التي يعرفها، والأفكار التي يراها

(١) الموتى يتكلمون: ١١١ - ١٤٦. بانتقاء واختصار.

ويعتقدها، ولو خالفت فهم المسؤولين في الحكومة.

وقد أوردنا الأسئلة والإجابات، بدون تعليق منا عليها، حيث تركنا التعليق للقارئ.

لكننا ننصح القارئ، بالوقوف طويلاً عند إجابات سيد، لأن في بعضها تحديداً لموقف سيد من مسائل شائكة، وبياناً لرأيه في قضايا خطيرة، في منهج الحركة الإسلامية، وفي نظريته لحركة الإخوان المسلمين، وفي تصوّره لموضوعات الحاكمية والجاهلية والتكفير، وهي موضوعات أشغلت الحركة الإسلامية بعد استشهاد سيد قطب، لظهور شبابٍ بأفهام خاطئة، ادّعى نسبتها لسيد، مع أن إجابات سيد السابقة تناقضها!!.

* * *

السابع

محاكمة سيّد قطب واستشهاده

بين التحقيق مع سيّد ومحاكمته

انتهى التحقيق مع سيّد يوم الثلاثاء ٢٠/١٢/٦٥. وشكّلت المحاكم لمحاكمته مع إخوانه، وبدأت المحكمة عملها في ٩/٤/١٩٦٦م.

أيّ أن هناك أكثر من أربعة أشهر بين التحقيق مع سيّد وبين محاكمته. وقد جرت قبل محاكمته أحداث، نشير إلى بعضها في ما يلي:

شمس بدران يقتل رفعت بكر أمام خاله سيّد

رفعت بكر شافع، هو ابن أخت سيّد: «نفيضة قطب»، وكان في مقدّمة المعتقلين - مع شقيقه عزمي بكر - في قضية الإخوان عام ١٩٦٥م. وقد كان سيّد يحب رفعت محبة كبيرة، فكان أحبّ أولاد أخته إلى قلبه.

وقد استشهد رفعت بكر في السجن الحربي، من شدة التعذيب، ولم يعترف على خاله سيّد بما يريد الزبانية من زور وبهتان.

ونأخذ رواية استشهاد رفعت، كما رواها أحد حضورها شخصياً، وهو المهندس «مصطفى راغب» - وكان متّهماً في قضية «حسين توفيق»:

قال مصطفى راغب: «لقد استدعيت لمواجهة الشهيد سيّد قطب. . وبعد أن عذبوني أحضروا الشهيد سيّد قطب. . وأدخلوه الحجرة، ودخل بعده شاب، وبدأت عملية التعذيب للشاب، وبدأ صوته يرتفع ويعلو. . ثم بدأ يخفت شيئاً فشيئاً. . وخفت. . ولا أدري ما الذي حدث. . واستدعوني. . واستقبلني شمس بدران على

باب الحجرة، في حالة فزع شديد، ولونه مخطوف... ولأول مرة - على غير عادته -
أجلسني على «الكنبة» ورأيت آثار دماء في أرضية الحجرة، وسجادة ملفوفة بما فيها!

قال لي شمس بدران: ما حكم هذا القتل الذي قُتل في التعذيب؟

قلت: قالوا لك عني أنني مفتي؟!!

قال: هو يُعتبر إيه؟!!

قلت: هو لقي ربه... وربنا مطلع على قلبه، ولا يعرف القلوب إلا الله...

وعلمت أن هذا الشاب هو ابن أخت الشهيد سيد قطب، الذي استشهد من
التعذيب أمام خاله^(١).

زينب الغزالي تروي أربعة أخبار عن سيد في السجن

* الأول: لما ذهبت زينب إلى دورة المياه في السجن، مرّت من أمام الزنزانة
التي فيها سيد قطب. وكانت غير مغلقة بباب، لخطورة حالة سيد الصحية، ولذلك
وضَعُوا على بابها بطانية، حتى لا يرى أحداً، ولا يراه أحد!.

فلما مرّت زينب، رفع الهواء طرف البطانية، فظنّ الجلادون أن سيد هو الذي
رفع البطانية ليُعلم زينب بوجوده، فصاروا يسبّونه ويلعنونه. ثم جاء صفوت الروبي
وأوقف سيد، وصار يوجّه له السباب والشتائم، ثم جاء حمزة البسيوني كذلك.
ولما عادت زينب من دورة المياه سمعت أصوات السياط تنهال على جسم سيد.
وسمعت صوت سيد وهو يشرح للجلادين الحقيقة!

* الثاني: نظراً لخطورة مرض سيد في السجن، فقد أوصى طبيب السجن
الحربي - الدكتور ماجد حمادة - الحراس أن يتركوا سيد يمشي على راحته عند
استدعائه لمكاتب التحقيق!

ولكن حمزة البسيوني وصفوت الروبي أمرا بإحضار سيد بالخطوة السريعة!

(١) مذابح الإخوان، لرزق: ١١٤ - ١١٥.

ودفعَ الحراسُ سيّدَ أمّهم، وأخذوا يضربونه بالكراييج ليسرع، فجاءته أزمةٌ قلبية، واستدعى طبيبُ السجن، الذي استنكرَ ذلك، وكنتُ في زنزاني أسمعُ الحوارَ بين الطبيب وبين الحراس! .

* الثالث: كان الشهيد سيّد قطب ذا قلب كبير. . يحبُّ الإخوان ويشفقُ عليهم. . ويحنو عليهم حنو الأب. . حدثَ أثناء خروجنا للمحاكمة في أول يوم. . أن أوقفونا نحن أفراد القضية الثانية أمام مكاتب التحقيق، ننتظرُ العربات، التي ستُقلُّنا إلى المحكمة، وأحضروا الشهيد سيّد قطب، وأجلسوه في حجرة المكتب، ورأيتُ الشهيد سيّد قطب يتفرّسُ في وجوهنا. . وتعرّف علينا. . ابتسمنا جميعاً للشهيد سيّد قطب، وأظهرنا له من الثبات والصبر والجلد ما تقرُّ به نفسه. . فما كان من الشهيد سيّد إلا أن بكى، ورفعَ يديه إلى السماء. . وأخذَ يدعو لنا.

* الرابع: عندما قُدِّمت القضية الأولى إلى المحكمة، كان الشهيد سيّد قطب قد أخذَ على عاتقه أن يتكلّم عن التعذيب الذي تعرّضَ له الإخوان، وهو يعلمُ ماذا يمكن أن يحدثَ له بعد ذلك. . حتى لا يُعرّضَ الإخوان – إذا تكلموا عن التعذيب – لمزيدٍ من التعذيب»! (١).

قرارات الاتهام بالجملة

بعد انتهاء التحقيقات مع الإخوان، عقد وزيرُ العدل المصريّ مؤتمراً صحفياً يوم ٣ فبراير ١٩٦٦ م.

وأعلن «صلاح نصار» رئيسُ نيابة أمن الدولة في المؤتمر قرارَ اتهامِ المجموعة الأولى من الإخوان، وهم القادة والمؤثرون في التنظيم الإخواني الجديد. وكان القرارُ يشملُ ثلاثة وأربعين متّهماً، ثمانية وثلاثون معتقلون، وثلاثة هاربون في الخارج، وامرأتان هما: زينب الغزالي وحميدة قطب! .

وقد أوردَ في القرار الأسماء الكاملة للإخوان المتهمين، وأعمارهم وأعمالهم.

(١) مذابح الإخوان، لرزق: ١١٥ – ١١٧.

وكان سيّد قطب هو المتهّم الأول^(١).

ثم توالى قرارات الاتهام للمجموعات الأخرى بعد ذلك.

فؤاد الدجوي رئيس المحكمة

أصدر عبد الناصر قرارات بتشكيل محاكم عسكرية، لمحاكمة الإخوان، قضاتها من ضباط الجيش الظالمين.

واختصت المحكمة الأولى بمحاكمة المتهمين في القضية الأولى، وهم قادة التنظيم الإخواني.

وكانت المحكمة برئاسة الفريق أول «فؤاد الدجوي»!

ومن هو «فؤاد الدجوي»؟

إنه ضابطٌ جائرٌ غاشم، وسفيهٌ وبذيء، لم يتصف بخلق ولا أدب ولا شجاعة، وحياته الشخصية انحراف وفجور!

وهو جبانٌ في المعارك أمام الأعداء، فقد كان في قطاع غزة أثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م، ولما دخل اليهود القطاع أخذوا فؤاد الدجوي معهم، وتكلّم من إذاعتهم، وشتّم مصر وعبد الناصر^(٢).

فؤاد الدجوي هذا بطلٌ شجاعٌ مغوار في محاكمة الإخوان، وقاضٍ عادلٌ نزيهٌ في إصدار الأحكام عليهم!!

لقد كان الفريق الدجوي في المحكمة متّصفاً بالجهل والغباء، والسفه والبذاءة، يسخر من المتهمين، ويدمّهم، ويشتمهم!

وكمثالٍ على سفهه وبذائته، ما جرى في محاكمته للشهيد محمد يوسف هواش.

(١) الموتى يتكلمون: ١٥١ - ١٥٤.

(٢) البوابة السوداء، لأحمد رائف: ٢٢٣.

فقد قال المحامي «طلعت عبد العظيم» في مرافعته عن هواش: «إن هواش كان يرى في سيّد قطب أستاذاً لا يفارق كتابُ الله عينيه، وقد سيطرَ عليه سيّد قطب دينياً.. وكان سيّد قطب محلّ احترام الجميع في السجن!».

فزمجرَ القاضي الأوحُدُ الدجوي وصاح بالمحامي: «وايه عرفك يا أستاذ.. احترام إيه.. ده مجرم مرتكب جريمة.. يحترموه ازاي في السجن؟».

فإرد المحامي: «لمظاهر التقوى».

فيقاطعه الدجوي: «مين قال لك إنه كان محترماً في السجن؟».

فيتراجع المحامي: «معلش.. بلاش دي. نرجع لهواش»^(١).

وقد جرى في محكمة «الدجوي» الكثيرُ من المهازل السخيفة!!

الدجوي يحاكم سيّد

بدأ القاضي النزيه فؤاد الدجوي محاكمة الإخوان المتهمين في القضية الأولى، يوم السبت ١٩٦٦/٤/٩ م.

وقد ألقى كلمة الادعاء، رئيس نيابة أمن الدولة «صلاح نصار»، واتهم أعضاء التنظيم الإخواني بالاتهامات المعروفة.

وكانت المحاكمة الأولى لسيّد قطب، حيث بدأت مناقشته يوم الثلاثاء ١٩٦٦/٤/١٢ م.

ومن الملهيّات المبكيّات في المحاكمة، أنّ رئيس نيابة أمن الدولة «صلاح نصار» ومعه وكلاء النيابة «لم يفتنوا يلقبون سيّد قطب بألقاب السخرية والاستهزاء مثل «القطب الأغر»، و «القطب اللامع»، و «زعيم الإجرام».

ومن الملهيّات المبكيّات كذلك، أنّ صلاح نصار لما كان يُلقى المرافعة ضد سيّد قطب - قبل البدء بمناقشة سيّد ومحاكمته - وكان هذا يوم الأحد ١٩٦٦/٤/١٠ م، قال فيها:

(١) الموتى يتكلمون: ١٥٩.

«لقد سألنا المتهم عن رأيه في سعيد رمضان. فقال: «اعفوني من الإجابة على السؤال ده». وهذا حقّه قانوناً، ولكن كنا عايزين نعرف رأيه في سعيد رمضان، فقال إنه لا يستطيع أن يتكلّم عنه، لأن له فيه رأياً معيّناً، وسألناه عن رأيه في محيي الدين هلال، رفض.. خاف.. لأنه جبان!!».

وتابعت جريدة «الأهرام» بتاريخ ١١/٤/١٩٦٦م روايتها للحادثة، فقالت: «وهنا لاحظ رئيس المحكمة أن سيّد قطب يتمم في قفص الاتهام، ويهمس بشيء إلى المتهم يوسف هواش الجالس بجواره. فالتفت إليه الفريق أول الدجوي - رئيس المحكمة - وقال:

«إيه.. فيه حاجة.. ما هي علنية؟ الجلسة علنية!».

وانتبه الحاضرون الذين لم يكونوا رأوا سيّد قطب. واستطردّ رئيس المحكمة موجّهاً كلامه لسيّد:

«ما هو أنا شايفك، بتكلّم اللي جنبك، ومن حركات فمك بتقول إنه ما حصلش..! إسمعني دلوقت.. علشان الجلسة علنية، وخايف الكلام ده يوصل لسعيد رمضان، واللي في الخارج.. علشان الصحافة بتكتب.. تبقى أنت يعني، زي ما قال رئيس النيابة: خايف..».

ثم تابع صلاح نصار اتهام سيّد بقوله «سيّد قطب يخشى أن يدلي برأيه.. وإذا كان مش جبان، يتكلّم دلوقت في الجلسة.. يقول رأيه في سعيد رمضان!!»^(١).

وقد عينت المحكمة المحامي «أحمد مختار قطب»، للدفاع عن سيّد قطب، وقد يظنّ بعضهم أن المحامي قريب لسيّد قطب، وما هو بقريب له، بل هو عميل قديم من عملاء المخابرات^(٢).

(١) لماذا أعدم سيد قطب وإخوانه: ١٠ - ١٢ نقلاً عن الأهرام يوم ١١/٤/٦٦.

(٢) المرجع السابق: ٢٨.

سيد قطب يخيف الدجوي بنظراته

كان سيد قطب شجاعاً جريئاً في المحكمة، وكان الدجوي يخشاه، ويحذر أن تلتقي عينه بعينه!

يروى الأخ ممدوح الديري - الذي كان مع سيد في قفص الاتهام - «إنه كان هناك كثير من النظرات المتبادلة بين الشهيد سيد قطب وبين الدجوي قاضي المحكمة، وكانت نظرات الشهيد سيد قطب تثير غيظ الدجوي، وتترفعه. وكان أي تصرف يحدث في المحكمة من الدجوي، يكفي للرد عليه نظرة من الشهيد سيد قطب للدجوي.

كان الشهيد سيد قطب، ينظر للدجوي باحتقار واستهانة!

وكان الدجوي يضع يده على رقبته، كأنه يقول لسيد قطب: «إننا سنعدمك!»^(١).

تكلم سيد أمام الدجوي: «رغم سنه ومرضه، إلا أنه قال للدجوي ما يعتقد... .
تكلم عن التعذيب الوحشي الذي تعرض له المتهمون... . وكان سيد يعرف مصيره... .
ويعرف أنهم سيقتلونه... .»^(٢).

منظمة العفو الدولية تدين المحاكمات المزيّفة

لما بدأت محاكمة سيد قطب وإخوانه أمام المحاكم، كان المراقبون يعلمون ما في هذه المحاكم من تجاوزات وانحرافات!

وقد أزعج ذلك الأمر محامين عرباً، فتطوعوا للقدوم إلى مصر، والدفاع عن سيد قطب وإخوانه، ولكن الحكومة منعتهم: «لقد منعت السلطات الظالمة يومذاك عدداً من المحامين العرب، الذين تطوعوا من السودان والمغرب والأردن وغيرها، للدفاع عن المتهمين!»^(٣).

وقد حاولت «منظمة العفو الدولية» إرسال أحد أعضائها المحامين لحضور المحاكمات، بصفة مراقب، لكن الحكومة المصرية لم توافق.

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر: ١١٧.

(٢) البوابة السوداء، لأحمد رائف: ٢٢٢.

(٣) الشهيد سيد قطب، ليوسف العظم: ٥٩.

وقد أذاعت المنظمة بياناً للصحف والرأي العام العالمي، بتاريخ ١٥/٤/١٩٦٦م، أدانت فيه المحاكمات المصرية.

ومما جاء في بيانها: إن المستر «بيتر آرشر» عضو البرلمان البريطاني، وعضو المجلس التنفيذي البريطاني للهيئة العالمية لرعاية المسجونين السياسيين، قد عاد من القاهرة، حيث قام بمهمة استطلاعية بشأن محاكمة ثلاثة وأربعين عضواً من جماعة الإخوان المسلمين.

وقد قام المستر «آرشر» بمهمته بصفته رقيباً غير رسمي للهيئة العالمية لرعاية المسجونين السياسيين. وذلك لأن الهيئة سبقت أن قدمت طلباً رسمياً للحصول على تأشيرة للأستاذ المحامي «نيكولاس جاكوب»، ولكن هذا الطلب لم يصل عنه جواب للآن.

وقد قدّم المستر «آرشر» تقريراً أبرز فيه النقاط التالية:

- ١ - إن محاكمات الإخوان المسلمين فرض عليها قانون استثنائي، صدر بعد وقوع الاعتقالات بأثر رجعي.
- ٢ - المحاكم التي حاکمت المعتقلين من الإخوان المسلمين أخذت صفة محاكم عسكرية ليس لسلطتها أي حدود.
- ٣ - إن المحاكم العسكرية رفضت سماع أقوال المتهمين عن التعذيب الذي وقع عليهم. كما رفضت استماع أدلة أو شهود، لإثبات وقوع التعذيب.
- ٤ - الأستاذ سيد قطب وزملاؤه من الإخوان المسلمين، حُرموا من حقهم الشرعي والطبيعي، في اختيار محامين للدفاع عنهم.
- ٥ - إن السلطات المصرية طردت المحامين السودانيين الذين ذهبوا للقاهرة، بقصد الدفاع عن الإخوان المسلمين، وأبعدتهم عن مصر بدون مبرر.
- ٦ - إن السلطات المصرية خالفت قرارات مؤتمر المحامين العرب، الذي شاركت فيه نقابة المحامين في مصر، ووافقت على قراره بإعطاء المحامين العرب الحق في المرافعة عن المتهمين السياسيين أمام القضاء المصري.

٧ - إن السلطات المصرية منعت الجمهور والصحافة من حضور الجلسات، وفرضت الرقابة على أنباء المحاكمات والجلسات.

٨ - المنظمة نبهت السلطات المصرية إلى ضرورة إقامة محاكمات عادلة، حرصاً على سمعة القضاء المصري!!.

وحول النقطة الثالثة من النقاط السابقة، أوردت المنظمة في بيانها ما يلي: «تمسك المتهمون بوقوع تعذيب عليهم، لانتزاع الاعترافات منهم. وقد وُجّه هذا الاتهام إلى سلطات التحقيق، من جانب السيد قطب - وهو المتهم الرئيس في القضية الحالية - ولكن رئيس المحكمة بادر فوراً إلى إسكات المتهم، رافضاً أن يسمع منه الأدلة على هذه المسألة، معلناً بأن المتهمين يكذبون»^(١).

سيد قطب: عملاق في محكمة الأقرام: لقطات من المحكمة!

كان سيد قطب عملاقاً في محكمة الأقرام! كان عملاقاً وهو في قفص الاتهام، بينما كان الفريق أول الدجوي ومن معه أقزاماً. كان سيد قطباً وهو مجرد من كل مظاهر القوى المادية، ولكنه كان قوياً بالله، مستعلياً بإيمانه. بينما كان الدجوي ممكناً من القوى المادية، يملك الجاه والحكم والسلطان، ولكنه كان قزماً أمام سيد، لأنه فقد اتصاله بالله، مالك الملك، وواهب القوى.

وكما كان سيد أمام صلاح نصار في التحقيق، كان أمام الدجوي في المحاكمة. كان صادقاً صريحاً جريئاً، شجاعاً أبيضاً كريماً!

ونقدّم فيما يلي لقطات من محاكمة سيد، حيث توجّه له الدجوي بالأسئلة، وأجاب هو عليها.

بدأت محاكمة سيد يوم الثلاثاء ١٢/٤/١٩٦٦م «ومن كان يعرف سيد قطب.. ثم رآه في قفص الاتهام، يجزم أن عمره زاد عشر سنوات على الأقل، نتيجة لما تحمّله من تعذيب!!

(١) انظر نص بيان منظمة العفو الدولية في كتاب «لماذا أعدم سيد قطب وإخوانه»: ٣٥ - ٤١.

وبمجرد عقد الجلسة، نادى القاضي الأوحْدُ «الدجوي» بصوته الجهوري:
سيّد قطب إبراهيم!

ووقف سيّد في القفصِ وشطّ إخوانه المتّهمين.. ثم خرج من القفص، وسارَ
أمام المنصة.

الدجوي: قُلْ لَنَا معلوماَتُكَ تفصيلاً عن التنظيم، وصلّتكَ به...

سيّد : أنا...

الدجوي: «زَعَق شويّة».. علشان أنا بيني وبينك متر ونصف ومش سامع صوتك.. أنا
عايز الكل يسمعك.. يا سيّد.. يا قطب.

سيّد : سأجتهّد بقدر ما أستطيع.. صلتِي الحقيقية بالتنظيم، ترجع إلى ما بعد
خروجي من السجن، و...

الدجوي: لا.. وقف بقه.. أنت بتقول صلتك الحقيقية.. يعني في صلة غير
حقيقية... قرر يوسف هواش وكيلك ونائبك وخليفتك أن أختك حميدة
أبلغتك وأنت في السجن عن التنظيم!...

سيّد : يُسأل يوسف هواش في هذا!!..

الدجوي: ما يسألش ولا حاجة.. أنا باقول كل كلامه!..

سيّد : أنا عرفتُ أن هناك شباباً يقرأ لي...

الدجوي: صلتك كانت إيه بالشباب ده؟.. رد بأه يا اخويا؟

سيّد : حميدة أبلغتني أن الحاجة زينب الغزالي تقول: إن هناك شباباً يقرأ لك،
ويحب أن يستزيد، فهل هناك مانع من أن يقرأ هذا الشباب كتابَ معالم في
الطريق قبل طباعته؟

الدجوي: مين اللي كان ياخذ مسودات الكتاب؟ حميدة!

سيّد : لا أدري.

الدجوي: (بسخرية) هل حميدة بلغت درجة الأستاذية؟ وتقدر تاخذ من الكتب؟

- سيّد : (بحزم) هي تفهمها أحسن من كثير من المتعلمين!
- الدجوي: ده وأنت في السجن سنة ٦٣م؟
- سيّد : هذه كانت كل الصلة بيني وبين هؤلاء الشبان، وأنا في السجن!
- الدجوي: التنظيم يعني؟
- سيّد : أنا قلت الشبان!
- الدجوي: شبان.. شبان.. ما فيش حاجة حاتنفعلك!! ألم تعلم وأنت في السجن أن الشباب اللي عايز يقرأ لك مسلح؟
- سيّد : لم أعلم إلا أنه شباب مسلم!
- الدجوي: عبد الفتاح إسماعيل استأذن مين علشان يزورك؟
- سيّد : استأذن محمد قطب.. وقال له إنه يريد أن يتزود..
- الدجوي: (متظاهراً بخفة الدم) يتجوز مين؟
- سيّد : (بحسم) يتزود علم.. مش يتجوز!
- الدجوي: آه.. وبعدين..
- سيّد : محمد قطب طلب مني أن أسمح بمقابلة الحاج عبد الفتاح.. وزينب الغزالي أيدت كلامه..
- الدجوي: يعني بيقابلوك بالواسطة.. الواسطة من محمد والتزكية من زينب!
- سيّد : أنا واضح جداً في تعبيرى!!
- الدجوي: (بتحفُّز) يعني إيه؟ هو أنت شايف أني متعثر في الفهم؟
- سيّد : لأ.. أبداً..
- الدجوي: وعبد الفتاح وعشماوي قابلوك فين؟
- سيّد : مش فاكرك..

الدجوي: مش مهم تفتكر أو ما تفتكرش. . إحنا يهمننا مقابلة الخمسة الذين هم أعضاء!

سيّد : أعضاء إيه؟

الدجوي: القيادة يا أخي. . .

سيّد : كما تسميهم!! . . .

ودار حوار بين سيّد والدجوي عن التنظيم الإخواني ، وكيف أن سيّد لما خرج اجتمع بهم ، ووجدهم يريدون الانتقام لشهداء الإخوان عام ١٩٤٥م ، وأن سيّد بين لهم أن أخطار هذا أكثر من فوائده ، وأنه صرفهم عنه إلى المنهج التربوي .

سيّد : وبدأت أفهم الجميع أن الانتقام هدف صغير؟

الدجوي: والهدف الكبير إيه؟

سيّد : الهدف الكبير هو: إنشاء جيل من الشباب المسلم الفاهم لدينه. . الواعي لأمر المجتمع ، ليكون نواة إقامة مجتمع مسلم. . .

الدجوي: والحكم؟

سيّد : الحكم في رأيي كما أفهمتهم وما هو في اعتقادي. . أن التغيير يأتي من القاعدة ، وليس من القمة. . والقاعدة تكوين أجيال صاعدة. .

الدجوي: (بلغة الكمسارية) رأيك أنه يبدأ من القاعدة ليصل إلى إيه. . إلى القمة ، أو لنصف السكة. . أنت قلت محطة القيام ، ولسه محطة الوصول. .

سيّد : إن هؤلاء يتكوّن منهم حكم إسلامي .

الدجوي: يعني يتولون الحكم!

سيّد : أنا أقرر رأياً يسجل للتاريخ!! .

الدجوي: رأيك مالوش موضوع عندنا. . أنا عايز أعرف أنت قلت لهم إيه. . أنا بقالي ٢٥ دقيقة في ٤ سطور ، ومستعد أقعد معك أربعة أيام .

. . بس يعني الإعداد يبدأ من القاعدة ليصل إلى الحكم .

سيّد : هذا تعبير سيادتك!

الدجوي: طيب، وبتعبيرك أنت إيه؟

سيّد : (بإصرار) تكوينُ جيل مسلم، ينشأُ عنه طبيعياً حكمٌ إسلامي!

الدجوي: بس ماتنساش إنك رحت لقيت المولود... اللي هو التنظيم... موجود وفدائي للانتقام.

سيّد : قالوا إنهم أصبحوا مقتنعين بهذا التصوّر الجديد عليهم... ولكن وراءهم مجموعات أخرى، لا تزال على التصور القديم، ومحتاجين للتصور الجديد، حتى تتغير عقليتهم!

الدجوي: (وقد أحس أن سيّد قطب سيكسب منه الجولة) إنت عايز تخرجنا من نطاق الدعوى!!!...

... محدش من أفراد قيادة التنظيم كان يتصل بك وحده؟

سيّد : علي ع شماوي!!

الدجوي: وقال لك إيه؟

سيّد : عن أسلحة ستأتي من السعودية عن طريق السودان، وأن هذه الأسلحة كان قد طلبها هو (ع شماوي) منذ سنوات، ثم نسي الموضوع، حتى جاءته رسالة أن الأسلحة شحنت بالفعل وستصل!!.

الدجوي: جايه ليه الأسلحة؟

سيّد : سيادتك تطلب مني أن أقول ما قاله لي!

الدجوي: هو طلب الأسلحة ليه من السعودية؟

سيّد : على أساس أغراض التنظيم السابقة!

الدجوي: يعني قبل أن تتولى أنت قيادة التنظيم؟

سيّد : أنا يهمني ألفاظه!

الدجوي: (وقد بدأ عليه الضيق، لأنه لا يستطيع الوصول إلى هدفه) مش ده اللي حصل . . عايز تاكلني وآكلك في الكلام!

سيّد : (بسخرية) مافيش داعي !!! .

الدجوي: أنت قلت أنك ستقول اللي حصل بالنص . . وبعدين أخفيت الحتة دي . . أو كنت ناسيها . . ولسه فيه حتة كمان عن التسليح وعلمك به ! .

سيّد : يمكن لو سيادتك تركتني أكمل تستغني عن سؤالي !!! .

وابتلع الدجويّ اللمسة الذكية من سيّد قطب، لمقاطعته المستمرة له ! .

وبعد حوارٍ بين سيّد والدجوي حول السلاح الذي قال علي ع شماوي إنه قادم من السودان، قال الدجوي: طبعاً يا سيّد . . يا قطب . . يعني أنت مخطط، وواضع الرأي في تأمين التنظيم، وورود الأسلحة من دراو . . و . .

سيّد : بس . . .

الدجوي: متقاطعينش . . . لما قلت لع شماوي استلم السلاح . . كان ليه . . .

سيّد : كان لحساب تأمين التنظيم؟

الدجوي: (بسعادة) خالصين يا عمّ سيّد!

سيّد : تسمح لي أكمل جوابي!

الدجوي: جوابك إيه؟

سيّد : سيادتك تقول خالصين . . أنا كان يهمني قيام التنظيم بدون أسلحة!

الدجوي: أنا مش عاوز أسبق الحوادث . . هي الاغتيالات ستكون بالسلاح، أو بالطوب، والخنق بالبوتاجاز!

سيّد : أجاب!

الدجوي: أيوه جاب . . أمال إيه . . قول يا سيّد، يا قطب . . الاغتيال بسلاح أو من غير سلاح قول؟

سيّد : لما يكون هناك اغتياالات، يكون بسلاح. ولكن التفكير فيها لم يكن جدياً!!.

... ووصل الحوار بين سيّد والدجوي، إلى عَرَض الإخوان القيادة على عبد العزيز علي وفريد عبد الخالق، قبل سيّد.

فسأله الدجوي عن عدد الإخوان وقتها: عدد إيه؟

سيّد : عدد من معهم.

الدجوي: يعني عدد أفراد التنظيم... مش مَنْ معهم!

سيّد : متفرقش!

الدجوي: (ثائراً) قل لنفسك يا سيّد متفرقش... مش لي أنا!

سيّد : (لا يلتفت له ويكمل كلامه) و... كان الخمسة مجتمعين...

الدجوي: إيه الخمسة دول... صفتهم إيه؟

سيّد : يقودون التنظيم..

الدجوي: يعني مع قادة التنظيم، أو القيادة الفعلية كما قلت في التحقيق. ريحنا يا أخي..

سيّد : متفرقش عندي.

ولما تكلمنا عن مالية التنظيم لاحظ سيّد أن هناك إضافاتٍ أضافتها النيابة على أقواله!

الدجوي: أنت قلت في صفحة (١٢٥) إنك بعد قيادتك التنظيم أصبحت المبالغُ المرصودة لحماية التنظيم.

سيّد : (متسائلاً باستنكار) أصبحت إيه؟

الدجوي: تصرف في أغراض التنظيم.. أما تصرف على ملابس من شيكورييل (أرقى محلات الأزياء في القاهرة)!

سيّد : كلُّ هذه معلوماتٌ جديدة!

ثم تكلمنا عن اقتراحاتٍ باغتيال بعض رؤوس النظام قُدمت للجنة القيادة الخماسية :

سيّد : قلتُ لهم كفاية . . (الأسماء المعروضة) هذا يعتبر نجاح .

الدجوي: ونحن نقول: لغاية كده يبقى كفاية!

سيّد : لأ. ده يبقى زي «لا تقربوا الصلاة»!! . وأنا سألتهم عن الإمكانيات، فقالوا: مافيش! وأصبح الاقتراح مجرد كلام، ليس وراءه تنفيذ!

الدجوي: ولما سئل ع شماوي، قال: إنك أضفت أسماء مدير مكتب المشير، ومدير البوليس الحربي!

سيّد : أنا أقرُّ الحقيقة!

الدجوي: و شماوي هل يقرُّ الكذب؟! .

سيّد : كانت مجرد اقتراحات، لم تأخذ دوراً تنفيذياً، والذي يقترح يقترح!!

الدجوي: عدد أفراد التنظيم كام؟

سيّد : قالوا: الصف الأول حوالي ٧٠، فيكون العدد ٢٠٠ أو ٣٠٠ . وذلك بالاستنتاج!

الدجوي: مضبوط يا سيّد . . بس إزاي الاستنتاج؟

سيّد : إذا كان لهم ٥ سنوات في الشغل وتربية الأعضاء، فإن مجموعة سبعين شخصاً، تنتج حوالي ٣٠٠ في ٥ سنوات .

الدجوي: إزاي الحساب ده؟

سيّد : أنا كنت مراقب بحوثٍ فنيّة في وزارة التربية، وعندنا أن البشر فيهم خمس متفوق، وخمس تحت المستوى . . (ونطقها سيّد بالإنجليزية)!!

الدجوي: (هازئاً) أنت رايح تتكلم إنجليزي . . يا سيّد إحنا ناس مسلمين . . وكلّمني عربي يا سيّد!

سيّد : الإحصاءات على أساس أن ٤٠ ٪ أقل من المتوسط، و ٢٠ ٪ متفوق، و ٢٠ ٪ تحت المستوى!

الدجوي: وليه تتعب نفسك . . ليه ما سألتش سؤال صريح عن عدد الأعضاء؟
. . وعلي ع شماوي قال: إنه أخبرك أن الصف الأول ٧٠ والتنظيم ٢٠٠ .
وأنت قلت إنهم أحسوا بقيادتك منذ اللقاء الأول.

سيّد : (باستنكار) أنا قلت كده؟

وتكلّمنا عن تدريب التنظيم الإخواني على الرياضة وعلى السلاح!

الدجوي: والهدف إيه من التدريب على السلاح؟
سيّد : (وقد لاحظ أن الدجويّ يُلقي أسئلته بتهكم!) أرجو أن تستمع المحكمة بشيء من الصبر لبعض التفاصيل . . ولا يضيق صدركم . .

الدجوي: صدري لا يضيق، ومستعد أسمع للصباح!

سيّد : نحن اتفقنا على تحويل التنظيم إلى تنظيم إسلامي تربوي، وفي نظرنا . . .
الدجوي (مقاطعاً): نظرنا . . مين يعني؟

سيّد : أنا والخمسة أعضاء القيادة، قررنا أن التنظيم يجب أن يبقى لتخريج أكبر عدد من الشباب المثقف . . ولكن نشاط الجماعة ممنوع . ولا بد أن يبقى سراً، حتى لا يأتي خطر على وجوده . . ولما شعرنا بالخطر على التنظيم من أن ينكشف، ويُعذّب أعضاؤه في السجن الحربي والقلعة، كما حدث سنة ١٩٥٤م وسنة ١٩٦٥م، ولم نظن أن النيابة ستشتق . . .

الدجوي: (وقد فقد كل أعصابه مقاطعاً) أنت كذاب فيما تقوله . . إن هذه هي السموم التي تنفثها فيمن حولك . .

سيّد : (بدون تأثر) التنظيم يتدرب على السلاح للدفاع عن نفسه!

الدجوي: أنت نغمتك في كلامك كله كده . . .

سيّد : نحن . . .

الدجوي: (بعصبية) ما تتكلمش إلا لما أنهي كلامي . . أنا مش قاعد معاك في قهوة! . . أنت تقول إن التدريب على السلاح للدفاع عن التنظيم .

سيّد : (معتاباً) أنت وعدتني بسعة الصدر!

الدجوي: بس لا تتكلم خارج الموضوع! . .

وانتقلا للكلام عن علم المرشد العام الهضيبي بالتنظيم الإخواني الجديد، وصار الدجوي يسأل سيّد قطب أسئلة عجيبه، فهم سيّد منها أن الدجوي – لكثرة غبائه – لا يناقشه بأقواله هو في التحقيق، بل بأقوال متهمٍ آخر! .

الدجوي: أنت قلت إن المرشد وافق . . والتنظيم كان يحس بقيادتك من أول لقاء!

سيّد : (بحزم) أخشى أن تكون هذه أقوال شخص آخر! .

الدجوي: (بتحدٍ) نعم يا أخويا؟؟؟ لا . . أنا باقول بالنمرة يا سيّد يا قطب . . ومحاميك موجود، وإذا قال الكلام ده مالوش أصل نستبعده . . إنت زعلان ليه؟ .

ويتفحصُ الدجوي الأوراق التي أمامه . . ويكتشف صدق ملاحظة سيّد قطب، وأنه كان يناقشه من أقوال متهم آخر!! . . .

الدجوي: عندك تفاصيل أكثر عن التنظيم يا سيّد؟

سيّد : (بقرف) ليس عندي تفاصيل!

الدجوي: إنت أمرت بتدريب مجموعات فدائية؟

سيّد : مجموعات رياضية!

الدجوي: قلت إيه يا سيّد قطب عن المجتمع الحاضر . . بس اوعى تقول لي «معالم في الطريق» كله!

سيّد : أين هو «معالم في الطريق»؟ لا معي . . ولا مع الناس!! .
الدجوي: إنت تعبت . . يعني أخليك تستريح . والأ تقدر تستحملنا ربع ساعة كمان .
سيّد : أستريح أحسن!

ورفع الدجويّ الجلسة للاستراحة، ثم أعادها بعد نصف ساعة! .
الدجوي: قرر علي ع شماوي أنه بعد استعراض موضوع الاغتيالات بالأسماء، وافق سيّد قطب عليها، وأضاف أنه يريد ضرب مدير البوليس الحربي ومدير مكتب المشير!

سيّد : علي ع شماوي واحد من خمسة!

الدجوي: حصل ده؟

سيّد : لا . لم يحصل!

الدجوي: أمال اللي حصل إنك وافقت على الاغتيالات ولم تضيف أسماء!

سيّد : الأمر انتهى على أنه لا إمكانيات لتنفيذ هذه الاقتراحات!

الدجوي: وقرر علي ع شماوي أن الجماعة قالت لسيّد قطب أن التنظيم حوالي ٢٠٠ والفلوس حوالي ٤٠٠٠ جنيه، والسلاح رشاشات ومسدسات!!

سيّد : هل قال لي بمفردي أو أمام غيري؟

الدجوي: يستوي . . إذا قال لك بمفردك يكون كذاباً . وإن قال أمام المجموعة يكون صحيحاً وتقرّه؟ .

سيّد : نعم!! .

الدجوي: قرر ع شماوي أنك قلت لهم: ينبغي أن تكون خططنا هجومية . ولا نلجأ للدفاع، لأننا لو لجأنا للدفاع نكون فشلنا . إذن خطتك هي الهجوم . . ولو أن هذا لا يغير من الدعوى، سواء إذا كنت دفاعي أو هجومي . . ويعزز هذا ما قاله ع شماوي من أنك قلت لهم: ينبغي أن نرتب ثلاث موجات . . إذا

فشلت الثانية تليها الثالثة . . والموجات لا تكون إلا في الهجوم ، واسمها
تحضيرات الخطة وتنسيق الهجوم . حصل يا سيّد يا قطب؟

سيّد : هذا الكلام لم يحصل بهذا الشكل؟

الدجوي: يعني حصل بشكل آخر؟

سيّد : لم يكن الكلام . . .

الدجوي: (صائحاً) جاب على السؤال؟

سيّد : لم يحصل!!

الدجوي: لازم ع شماوي ميفهمش خالص . . لأنه برضه قال إنك يا سيّد يا قطب قلت
لهم: يجب أن ننشط لتنفيذ أهدافنا بالقوة، ونصطدم مع الحكومة في أي
وقت في ساعة الصفر . . أخوك علي ع شماوي اللي قال كده . . وقال إن
لكم أهداف . . وإنت لغاية الآن ماقلتهاش .

سيّد : الدفاع عن النفس!

الدجوي: وكل الكلام عن الهجوم وترتيب الموجات والتنفيذ عندما تحدد أنت عنصر
المبادأة؟

سيّد : فيه أربعة غير ع شماوي!

الدجوي: كمان حميدة قطب قالت: إن أهداف التنظيم هي إسقاط الحكم الحاضر . .
وأظن حميدة قطب دي ثقة . . .

إتفضل محلّك!

سيّد : تسمح لي بكلمة!

الدجوي: إن كان فيه حاجة قولها للأستاذ المحامي . . . (١)

وهكذا أنهى الدجوي محاكمة سيّد، بأنّ منعه من قول كلمته، لأنه كان سيكذب

(١) الموتى يتكلمون: ١٦٠ — ١٨٢ باختصار وانتقاء!

علي عشاوي في أقواله . وسيقرر التعذيب الرهيب الذي صُبَّ على الإخوان، وأنهم قالوا كلامهم نتيجة التعذيب!

واستمرَّ الدجوي يناقش المتهمين من الإخوان حوالي شهر، وفي يوم ١٨/٥/١٩٦٦م أعلن عن حجز القضية للحكم . .

وقد وافق ذلك يومَ سفر رئيس وزراء روسيا «الكسي كوسيجين» من القاهرة . . . (١)

سيد قطب ينتظر الحكم عليه

مضت أربعة أشهر بعد انتهاء محاكمة سيد، كان فيها ينتظرُ الحكم عليه .

وفي الحقيقة كان سيد يعرفُ بماذا سيحكمون عليه، ويعرفُ أنه سيكون الإعدام . فقد كان ينتظرُ الإعدام!

يروى الأستاذ «إبراهيم المصري» في مجلة «الشهاب» اللبنانية قائلاً: «وهنا لا بدَّ من كشفِ النقاب عن حديثٍ استكتمه سيد - رحمه الله ورضي عنه - أحدَ إخوانه، قبلَ اعتقاله بأسابيع . . كان الحديثُ يدور حول اليهودية العالمية، وخطرِها على العالم أجمع، والمسلمين خاصة . .

يقول سيد: لقد وقفتُ على مدى تغلغل الأصابع اليهودية وخطرِها، بعد بحثٍ وطولِ عناء، واليهود إذا علموا أنني أحيطُ بذلك فلا بد أن أُقتلَ!» (٢) .

أحمد رائف يروي عن سيد

بعد الانتهاء من محاكمة سيد، وقبل الحكم عليه، قابل أحمد رائف سيد في السجن، وروى تلك المقابلة قائلاً:

«في مرةٍ من المرات، أخذوني مع بعض الزملاء لنحضرَ الطعامَ من المطبخ . . وفي الطريق سنحتُ فرصةً للتحدث مع سيد قطب . .

(١) المرجع السابق: ١٩٣ .

(٢) مجلة الشهاب . السنة الخامسة . العدد الحادي عشر . أيلول ١٩٧١م . صفحة: ٣ .

قلتُ له - فيما قلت - : ماذا تنتظر؟ .

فقال الرجل لي بابتسامةٍ واثقة، نابعةٍ من صدر هادئٍ مطمئنٍ : «أنتظرُ الوفودَ على ربِّي» !

هذا كل ما كان ينتظره، أما ما قاله في المحكمة، فكان يريدُ به ذكرَ شيءٍ للتاريخ . . . »^(١)

لقد كان سيّد ينتظرُ القدومَ على ربه، لأنه يشعرُ بأنه أدّى الواجبَ الذي عليه، وأنه لم يخُن الأمانة، ولم يتخلَّ عن الدين والدعوة . . بل بلغَ دعوته إلى آخر لحظة . . .

وعلم سيّد أن القومَ يريدون رأسه هذه المرة . وقد نُقل عنه قوله : «لقد عرفتُ أن الحكومةَ تريد رأسي هذه المرة . فلستُ نادماً لذلك، ولا متأسِّفاً لوفاتي . وإنما أنا سعيدٌ للموت في سبيل دعوتي . وسيقرُّ المؤرخون في المستقبل مَنْ كان على الحق، الإخوان أم نظام الحكم!»^(٢) .

يعلم هذا، لأنه هو الذي يقول في تقريره : «إنه آن أن يقدمَ إنسانٌ مسلم رأسه، ثمناً لإعلان وجودِ حركةٍ إسلامية . . »^(٣) .

ويصُدّق في سيّد قول الشاعر:

لَعَمْرُكَ إِنِّي أَرَى مَضْرَعِي وَلَكِنْ أَغْدُ إِلَيْهِ الْخُطَا
لَعَمْرُكَ هَذَا مَمَاتُ الرِّجَالِ فَمَنْ رَامَ مَوْتاً شَرِيفاً فَذَا

كمال الدين حسين ينتصر لسيّد

أثارت محاكماتُ الدجوي الظالمة، وتعذيبُ الجلادين الرهيب، المراقبين للأحداث، ومعظمُهم لاذ بالصمت، إثارةً للسلامة .

(١) البوابة السوداء : ٢٢٣ .

(٢) الشهيد سيد قطب : ٥٦ .

(٣) لماذا أعدموني : ٧ .

وكان ممن أثارتهم المحاكماتُ، السيد «كمال الدين حسين»، وكان عضواً في مجلس قيادة الثورة، ووزيراً سابقاً للتربية والتعليم، ونائباً سابقاً لرئيس الجمهورية! وقد بعث رسالةً للرئيس عبد الناصر، وبعث صورة منها لعبد الحكيم عامر، بصفته مسؤولاً عن جهاز المباحث الجنائية العسكرية التي تقوم بالاعتقال والتعذيب. وكان نصُّ رسالة كمال الدين حسين لعبد الناصر:

«بسم الله الرحمن الرحيم
السيد جمال عبد الناصر - رئيس الجمهورية
من كمال الدين حسين . .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد . . .
لا خيرَ فيَّ إذا لم أقلها لك . . اتَّقِ الله . . .
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ .
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ .
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْراً﴾ .
اتَّقِ الله . . .

قالها الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تُطِعِ
الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ .

اتَّقِ الله . . ولا تكن ممن قال فيهم الله، سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ
أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ .
اتَّقِ الله . . .

أمر الله بها الرسول والمؤمنين . . . وأمر بها الرسول أصحابه المؤمنين . . وقالها
الخلفاء والأئمة لبعضهم ولولااتهم وللمسلمين . . وقالها المسلمون للخلفاء والأئمة
والولاة . . ول بعضهم بعضاً .
اتَّقِ الله . . .

قالتُها تلك الأمة التي أعزّها الله بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾.

وسلامي على من اتبع الهدى...»^(١).

ووصلتُ الرسالة لعبد الناصر – ولعبد الحكيم – ولم يتّقي عبد الناصر الله، بل فقد أعصابه، واعتقل نائبه السابق كمال الدين حسين!!
ولم يتّقي عبد الناصر ربه، بل أمر بإعدام سيّد قطب!!..

رسالتان إيمانيتان عظيمتان لسيّد

في هذه الفترة التي كان فيها سيّد ينتظرُ حكمَ الإعدام، كان يعيشُ حالةً إيمانيةً عظيمة، كان في قمة السعادة والطمأنينة، والثقة والرضا... رغم قسوة الحياة المادية التي تُحيط به، حيثُ جوّ السجن الحربي والتعذيب والزنازين!..

وتجلّت حالته الإيمانية العظيمة الراضية، في رسالتين إيمانيّتين عظيمتين. بعثهما سيّد في فترة انتظاره لحكم الإعدام، إلى صديقه الأديب السعودي الأستاذ «أحمد عبد الغفور عطار».

قال الأستاذ «عطار» عن كيفية وصول رسالتي سيّد له: «بلغ الأمرُ إلى أن تأثّر سيّد قطب امتدّ إلى حراسه الأشدّاء في محاكمته الأخيرة!..

فتلقيتُ منه رسالتين في شهر صفر ١٣٨٦ هـ يونيو ١٩٦٦ م، وصلتا إليّ بوساطة ضابطٍ في مخابرات عبد الناصر، على صلةٍ بأولئك الحراس...»^(٢).

وقد نشر الأستاذ نصّ الرسالتين «بالزنكوغراف» بخطّ يد سيّد قطب، في العدد الثاني من مجلة «كلمة الحق» التي أصدرها في مكة. ثم أعاد نشرهما في العدد الرابع – والأخير – من المجلة.

(١) الموتى يتكلمون: ١٩٦ – ١٩٧.

(٢) مجلة «كلمة الحق». السنة الأولى. العدد الثاني. مايو ١٩٦٧. صفحة: ٤٠.

وقد «شطب» الأستاذ «عطار» الأخبار الشخصية في الرسالتين، التي تتعلق بأشخاص قريبين لسيد، أوصى صديقه عطار بهم خيراً.

وفيما يلي نصُّ الرسالتين:

الرسالة الأولى:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أخي أحمد:

سلامُ الله عليك ورحمته وبركاته. وبعد:

فقد أنستُ برسالتك بعد هذا المدى الطويل. . . وإن كنتُ قد تألمتُ لما أصابك هنا وهناك. لولا أنني أعلمُ أنك رجلٌ عصاميٌّ، وأنتك تستطيعُ أن تنشئَ نفسك - بعون الله - كما أنشأتها مرةً ومرة، وأنَّ هذه العوارضَ الطارئةَ لن تفتَّ في عضدك، ولن تحرمك طمأنينةَ قلبك، وثباتَ خطواتك. . .

وأحبُّ أن أزيدك. . .

أما أنا، فأجدني خيراً من أيِّ وقتٍ مضى، في عقيدتي وإيماني، وفي وضوحِ هذه العقيدة وهذا الإيمان في نفسي. . . وفي وضوحِ إدراكي وتصوُّري لهذا الأمرِ ومقتضياته. . . ووضوحِ الهدفِ والوسيلةِ والطريقِ والغاية. . .

وكلُّ هذا خيرٌ جزيلٌ جميل، يرجحُ كلَّ ما أدَيْتهُ ثمناً له، من راحتي وصحتي. . . والحمد لله. . .

وإنِّي لأرجو أن أظللَّ على اتصالٍ بك، عن هذا الطريق، الذي فتحه الله لنا بعد الغيبةِ الطويلة. . .».

أما الرسالة الثانية، فهي أعجبُ وأعظمُ وأهمُّ من الرسالة الأولى:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أخي أحمد:

السلامُ عليك ورحمة الله. . . وبعد. . .

فقد أبلغني ابني . . . أنه كتب إليكم باسمي كما أوصيته، وأنتك رددت عليه، بما أعهدُ فيك من أريحية نفس . . . فهل أشكرُك؟
أهمُّ من أن أشكرَك - فيما أعتقد - أن أطمئنك عليّ، وأنا في وضعي الذي تعلمه . . .

لقد وجدتُ الله، كما لم أجدهُ من قبلُ قط . . . لقد عرفتُ منهجه وطريقه، كما لم أعرفه من قبلُ قط . . . ولقد اطمأنتُ إلى رعايته، ووثقتُ بوعده للمؤمنين، كما لم أطمئن من قبلُ قط . . .

وأنا بعد ذلك - على ما عهدتني - مرفوعُ الرأس، لا أحنيه إلا لله . . . والله يفعلُ ما يشاء . . . والله غالبٌ على أمره، ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون . . .»^(١).

ونؤثر أن نترك الرسائلين للقارئ، تقدِّمان له - وبخاصة الثانية منهما - ما يتلقاه عنهما من دلالات وإيحاءاتٍ وعبرٍ وعظات، وترجمانٍ عن الحالة الإيمانية العظيمة لسيد، وتصوِّره لعظمة الله ومعيته وعنايته ورعايته . . .

حقاً إن الإسلام يصنعُ الأعاجيب مع الرجال العظماء!!.

الدجوي ينطق بأحكام عبد الناصر

بعد أربعة أشهر من محاكمة سيد قطب وإخوانه، وفي يوم الأحد ٢١/٨/١٩٦٦م أصدرَ الفريقُ أول «فؤاد الدجوي» الأحكامَ في قضية التنظيم الإخواني، على المتهمين الثلاثة والأربعين . . .

بل نقولُ نطقَ الدجويُّ بالأحكام التي أصدرها عبدُ الناصر على سيد قطب وإخوانه!

وإذا أردنا دقةً أكثر نقول: نطقَ الدجويُّ بالأحكام التي أصدرها أعداءُ الإسلام - من صليبيين وصهيونيين وملحدين - على سيد قطب وإخوانه!

وكانت الأحكامُ قاسيةً جائرةً عنيفة، حيث لم يُبرأ منهم أحد!

(١) مجلة كلمة الحق . السنة الأولى . العدد الثاني . مايو ١٩٦٧ . صفحة : ٤٠ .

حكّم على سبعةٍ منهم بالإعدام، وعلى خمسةٍ وعشرين بالسجن المؤبد. وعلى أحد عشرٍ بالسجن من خمس عشرة إلى عشر سنوات.

والذين حكّم عليهم بالإعدام هم قادة التنظيم:

سيّد قطب، ومحمد يوسف هواش، وعبد الفتاح إسماعيل، وصبري عرفة، وأحمد عبد المجيد، ومجدي عبد العزيز، وعلي ع شماوي . . (١).

أما «علي ع شماوي» - الشخصية المشبوهة الغربية - فقد أفرجت عنه الحكومة بعد وقت قصير، وسهّلت له السفر إلى أمريكا، حيث يعيش هناك!

وأما أحمد ومجدي وصبري، فقد خُفّف الحكمُ فيهم إلى المؤبد. وأما سيّد وعبد الفتاح وهواش، فقد نُفِّذَ فيهم الحكم، وأُعدموا.

الديري يروي إسماع سيّد للحكم بإعدامه

عندما أرادت المحكمةُ النطقَ بالأحكام على الإخوان، وضعتهم جميعاً في قفص الاتهام، وكلُّ مَنْ أرادوا إسماعه الحكم الخاصَّ به، كانوا يخرجونه من القفص، إلى «حجرة» خاصة بجانب القفص، فيسمعُ الحكم، ثم يُعاد إلى إخوانه . .

ويروي الأخ «مدوح الديري» - الذي كان ضمنَ المحكومين - إسماع سيّد للحكم بإعدامه، فيقول:

أخذونا يوم النطقِ بالأحكام في سياراتِ الدفاع المدني، وأدخلونا جميعاً «القفص»، وكان هناك في نفس الحجرة مهندس، يقومُ بعملية تسجيلِ الأحكام في الحجرة التي كانت بجوارِ الحجرة التي فيها القفص . .

نادَوْا على الأستاذ سيّد . . وأخذوه إلى الحجرة المجاورة، حيث نطقوا بالحكم عليه . . فرأينا المهندس الذي يسجل الأحكام يبكي . . فعرفنا أنَّ الحكم هو الإعدام!

ويضيفُ مدوح: لقد سمعتُ أن الشهيد عندما سمع الحكم، قال:

الحمد لله . . (٢).

(١) الموتى يتكلمون: ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) مذابح الإخوان: ١١٨.

زينب الغزالي تروي زيارة سيّد الأخيرة لأخته حميدة

تروي «زينب الغزالي» - وكانت في زنزانية واحدة مع حميدة قطب - خبر الزيارة الأخيرة التي قام بها سيّد قطب لأخته السجينة حميدة في زنزانتها:

«بعد الحكم بخمسة أيام، طُرق باب الزنزانية، وُفتح، ودخل علينا الأخ سيّد قطب، ومعه الضابط أركان حرب السجن ويدعى إبراهيم وصفوت الروبي... وانصرف الضابط وبقي صفوت والأخ سيّد قطب..»

قلت: مرحباً يا أخ سيّد. هذه مفاجأة سارة، وغالية علينا جداً. إنها لحظات من رضوان الله أن تجلس إلينا!

وجلس يتحدث إلينا عن الآجال ومواعيدها، وأنها بيد الله، ولا أحد يتحكم فيها إلا الله... وأمرنا بالرضا والتسليم. وكان الحديث عن الرضاء بقضاء الله... وأسرّ إلى حميدة ببعض الكلمات، كما أسرّ إليّ ببعض كلمات أيضاً. وهنا غضب صفوت الروبي وزمجر وأنهى المقابلة..

ونظر إلينا الإمام الشهيد وقال: ما علّينا، فلنوطن أنفسنا على الصبر... وانصرف...»^(١).

الملك فيصل يتوسط لعدم إعدام سيّد

أثار الحكم على سيّد قطب وأخويه - محمد يوسف هوش وعبد الفتاح إسماعيل - الكثير من الاحتجاجات والمظاهرات، وحملات الاستنكار والاستهجان، في كثير من البلاد العربية والإسلامية!

واتصل أناس من الإخوان المسلمين ببعض المسؤولين في البلاد العربية، ليتوسطوا لدى عبد الناصر، حتى يخفف عن سيّد حكم الإعدام.

وكان ممن توسّط لدى عبد الناصر، الملك فيصل بن عبد العزيز.

وقد روى قصة الملك فيصل مع عبد الناصر الأستاذ «أحمد رائف»، في كتابه

(١) أيام من حياتي: ١٨٢.

القيّم الذي طُبِعَ مؤخراً «سرايب الشيطان»، نقلاً عن أحد الوزراء عند عبد الناصر:

قال أحمد رائف تحت عنوان: «فيصل يتشفّع في سيّد قطب»:

وتذكّرتُ قصّةً حكاها لي مؤخراً، أحدُ الوزراء في عهد عبد الناصر، والقصّةُ عشيةَ إعدام الشهيد سيّد قطب.

كان هذا الوزيرُ يجلسُ مع عبد الناصر لمناقشة بعض الأمور الاقتصادية.

كان يحضرُ الجلسةُ أنور السادات وحسين الشافعي.

ودخلَ سامي شرف، وفي يده ورقة، وحاولَ أن يهمسَ في أُذن عبد الناصر، الذي رفعَ صوتهَ محتدّاً:

— إيه؟ .. فيه إيه؟

وتمتمَ سامي شرف:

— يا أفندم، هذه برقيةٌ من الملك فيصل، يلحُ في الرجاء في عدمِ إعدام سيّد قطب.

وبدا الغيظُ والضيّقُ على وجهِ عبدِ الناصر، وقال:

— أنا مش عارف، أولاد.. دول مهتمين ليه بسيّد زفت ده؟

ووقف سامي شرف مرتبكاً، وصرخَ فيه عبد الناصر..

— انصراف!

وأسرع سامي شرف يغادرُ المكان.

واستوقفه عبدُ الناصر ثانية، وقال له:

— إسمع...

— أفندم...

وفكّر عبد الناصر قليلاً وقدر، فقتلَ كيفَ قدّر، ثم قُتلَ كيفَ قدّر، ثم أدبر واستكبر، وقال:

— إعداموه في الفجر بكرة. واعرض عليّ البرقية بتاعة سي فيصل بعد الإعدام!
ثم أرسل برقية اعتذار له.. و «ينكتب» في الأهرام «تم الإعدام» في سطرين..
والتفت إلى «الفردتَيْن» — نائبيه — وقال ضاحكاً مازحاً:

مش كده، والّا إيه؟

وشاركاه في الضحك، وانصرف سامي شرف.

وأعدم سيّد قطب مع الصبح... وأقيمت المآتم في البلاد الإسلامية...

ويتابع «أحمد رائف» روايته:

وجفّ حلقي، وأنا أسأل الوزير:

— وأنت ماذا قلت؟

وقال:

— أنت لا تعرف عبد الناصر.. ليس هناك مَنْ يستطيع مناقشته.. فما بالك
بالاعتراض على حكمه...
وسألته واجماً:

— وبعد تنفيذ حكم الإعدام، ألم يُظهر واحد من الوزراء الألم أو الاحتجاج؟
— وقال الرجل:

بعد تنفيذ حكم الإعدام في الشهيد سيّد قطب، كان كل وزيرٍ يحرص على أن
يُنقل عنه للرئيس كلمة تدل على الفرح والابتهاج!!

ويروي «أحمد رائف» أثر خبر الإعدام على الملك فيصل..

«وتذكرتُ الحاج «صالح أوزجان» عندما قال لي:

— دخلتُ على الملك فيصل رحمه الله، عندما أعدم سيّد قطب، ولم أعرف
بالخبر بعد، ووجدته حزيناّ دامع العينين.

وتعجبت، ودُهشت، وسألته، فقال لي:

— عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكَ فِي الشَّهِيدِ سَيِّدِ قُطْبٍ، فَقَدْ لَقِيَ رَبَّهُ الْيَوْمَ!

وتمت:

— إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال الملك فيصل:

— أرسلتُ إليه، وتوسَّلتُ أن يطلقه حيًّا، ويطلبَ فيه ما يشاء! ولكنها إرادةُ الله، ولكلِّ أجلٍ كتاب، ولا بد لهذه الأمة من شهداء!.

وما زلنا مع «أحمد رائف» في روايته، حيث يقدم لنا أثر علم المسجونين بإعدام سيِّد قطب:

«وعدتُ بالذكرى إلى اليوم الذي جاءنا فيه خبرُ إعدامِ الشهيد، وكنا أيامها، بمعتقلِ «أبي زعبل» السياسي. وكان الكلامُ حراماً وممنوعاً، والرعبُ يخيمُ على العنابر والزنازين.

وكانت رغم هذا أولُ صلاةٍ جماعة في فناء المعتقل... وكانت صلاةُ المغرب... وقرأ الإمام قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا، فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخِرِ. قَالَ: لَأَقْتُلَنَّكَ! قَالَ: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. [سورة المائدة: الآية ٢٧].

وضجَّ المعتقل بالبكاء!...»^(١).

حميدة قطب تروي مساومات ليلة التنفيذ!

سووم سيِّد قطب مساوماتٍ كثيرة، ليتخلَّى عن دعوته، ويعتذر عن عمله مع الله، ويتبرأ من التنظيم الإخواني الجديد، وطلبَ منه أن يكتبَ سطراً أو جملةً للرئيس عبد الناصر، يسترحمه ويعتذر له، وسوف يخرج من سجنه، ويلغى حكمُ الإعدام فيه، وتفتحُ له الدنيا، فيأخذ منها ما شاء من المناصب والمراكز والوظائف والأموال...

واستمرت هذه المساوماتُ، حتى الليلة الأخيرة من حياته، واستخدم الطغاةُ

(١) سراديب الشيطان: ١٤٩ - ١٥٢.

أخته المجاهدة «حميدة» لتضغط عليه، ليستجيب لهم.
ونستمعُ إلى حميدة تروي لنا مساومات ليلة التنفيذ:
«استدعاني حمزة البسيوني – مدير السجن الحربي – إلى مكتبه. وأراني حكم
الإعدام، والتصديق عليه.

ثم قال لي: إن الحكومة مستعدة أن تخففَ هذا الحكم، إذا كان شقيقي
يجيبهم إلى ما يطلبون!

وقال لي: إن شقيقك خسارة لمصر كلها، وليس لك وحدك. إنني غير متصورٍ
أن نفقدَ هذا الشخص بعد ساعات. إننا نريدُ أن نُنقذه من الإعدام بأي شكل وبأي
وسيلة.

إن بضع كلمات يقولها، ستخلصه من حكم الإعدام، ولا أحد يستطيع أو يؤثر
عليه إلا أنت. أنت وحدك مكلفة بأن تقولي له هذا. أنا مكلفٌ أن أبلغه هذا، ولكن
لا أحد أفضل منك في تبليغه هذا الأمر. بضع كلمات يقولها، وينتهي كل شيء!

نريد أن يقول: إن هذه الحركة كانت على صلةٍ بجهةٍ ما. وبعد ذلك تنتهي
القضية بالنسبة لك. أما هو فيفرجُ عنه بعفوٍ صحي!

قلتُ له: ولكنك تعلم – كما يعلمُ عبد الناصر – أن هذه الحركة ليست على
صلةٍ بأي جهةٍ من الجهات!

قال حمزة البسيوني: أنا عارف. وكلنا عارفون أنكم الجهة الوحيدة في مصر
التي تعمل من أجل العقيدة. نحن عارفون أنكم أحسنُ ناس في البلد، ولكننا نريدُ أن
نخلصَ سيد قطب من الإعدام!

ونظر إلى صفوت الروبي، وقال: خذها يا صفوت إلى أخيها..

وذهبتُ إلى شقيقي، وسلمتُ عليه، وبلغته ما يريدون منه.

فنظر إليّ، ليرى أثرَ ذلك على وجهي، وكأنه يقول لي: أنتِ تطلبين ذلك
أم هم؟ واستطعتُ أن أفهمه بالإشارة أنهم هم.

وهنا نظر إليّ، وقال:

واللّٰهُ لو كان هذا الكلام صحيحاً لقلته، ولما استطاعت قوة على وجه الأرض أن تمنعني من قوله! ولكنه لم يحدث. وأنا لا أقولُ كذباً أبداً!!

وسأله صفوت: «يعني ده رأيك؟».

أجابَه سيّد: نعم!

فتركنا صفوت. وقال: على العموم تقدروا تقعدوا مع بعض شوية!». .

وأفهمتُ أخي الحكاية من أولها. وقلتُ له: إن حمزة استدعاني. وأراني الإعدام. وطلبَ مني أن أطلبَ منك هذا الطلب!

سألني: وأنتِ ترضين بذلك؟

قلت: لا.

قال: إنهم لا يستطيعون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً. إن الأعمار بيد الله. وهم لا يستطيعون التحكم في حياتي، ولا يستطيعون إطالة الأعمار، ولا تقصيرها. كلُّ ذلك بيد الله. . واللّٰهُ من ورائهم محيط!«^(١).

وكان هذا هو اللقاء الأخير، بين المجاهدة «حميدة» وبين شقيقها الشهيد!!.

كلمات لسيّد في استعلائه على الضغوط

رويتُ عباراتُ نسبتُ لسيّد قطب، وأنه أطلقها في هذا الجو – جو المساومات والضغوط والإغراءات – ، وأنه ردّ بها على كل المحاولات التي بُذلت معه لزعزحته عن موقفه، وتخلّيه عن دعوته!

سأله أحدُ إخوانه: لماذا كنتَ صريحاً كلَّ الصراحة في المحكمة التي تملكُ رقبَتك؟ قال: لأنَّ التورية لا تجوز في العقيدة، وليس للقائد أن يأخذ بالرُّخص!

ولما سمعَ الحكم عليه بالإعدام. قال: الحمد لله. لقد عملتُ خمسة عشر عاماً لنيل الشهادة.

(١) أيام من حياتي: ١٨٣ – ١٨٤.

وفي لقائه مع أخته حميدة قال لها: إن رأيتِ الوالدَ المرشدَ - حسن الهضيبي - فبلغه عني السلام. وقولي له: لقد تحمّل سيّد أقصى ما يحتمله بشر، حتى لا تُمسّ بأدنى سوء».

وعندما طُلبَ منه الاعتذار، مقابل إطلاقِ سراحه قال: لن أعتذر عن العمل مع الله!

وعندما طُلبَ منه كتابة كلماتٍ يسترحمُ عبدَ الناصر قال: إن أُصِبعَ السبابة الذي يشهدُ لله بالوحدانية في الصلاة، ليرفضُ أن يكتبَ حرفاً يقرُّ به حكمَ طاغية.

وقال ردّاً على ذلك الطلب: لماذا أسترحم؟ إن سجنْتُ بحقِّ فأنا أقبلُ حكمَ الحقِّ! وإن سجنْتُ بباطل فأنا أكبرُ من أن أسترحمَ الباطل!!!^(١).

من هذه العبارات، يبدو لنا تثبيتُ الله لسيّد على الحق، حتى آخر لحظةٍ من حياته، بحيث ينطبقُ عليه قولُ الله سبحانه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ. وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

[سورة الأحزاب: ٢٣].

كما ينطبقُ على استعلائه على المساومات قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ. وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا. وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُزُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا. إِذَا لَا أَذُقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ. ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾. [سورة الإسراء: ٧٣ - ٧٥].

وينطبقُ على استعلائه على المساومات، وثباته على الحق، قولُ الشاعر المجاهد جمال فوزي رحمه الله في ديوانه «الصبر والثبات» عن شهيد الحق:

بَاعَ الْحَيَاةَ رَخِيصَةً	لِلَّهِ يَرْجُو أَجْرَهَا
حَتَّى طَوَّتَهُ سَجُونُهُمْ	دَهْرًا وَفِي ظُلُمَاتِهَا
كَمْ سَاوَمُوهُ لَكِيَّيْحِدَ	عَنِ الْعَهْدِ بِأَسْرِهَا

(١) انظر «لماذا أعدم سيّد قطب وإخوانه»: ٢.

ولكي يَخُونَ كَتَائِباً باعوا النفوسَ لربها
ولكي يُشَوِّهَ ما أَضَاءَ الكونُ من صفحاتها
ولكي يَكُونُ صَنِيعَةً الشيطانِ بَيْنَ صفوفها
وأبى الكريمُ مَبَاهِجَ الدنيا وطلَّقَ أمرها
ورأى السجونَ معاقِلَ الأحرارِ رَغَمَ قيودها
وأصرَّ أنْ يُعَلِّيَ نداءً الحقُّ في جنباتِها
فَقَضَى السَّنِينَ العَشْرَ عَمَلًا كَشُمَّ جبالها
وطَوَّهَ جدرانَ السجونِ لكي يَرى أهوالها
كم مَزَّقَتْهُ سيَاطُهُم وتلقَّفَتْهُ كلابها
حتى ارتقَتْهُ شَهادَةٌ ليكونَ من أبرارها
وهناكَ يَلْقَى رَبَّهُ ويُطلُّ من عليائها^(١)

عبد المتعال الجبري يروي عن ليلة الإعدام

يروى الأخ الأستاذ عبد المتعال الجبري عن إسراع الحكومة في إعدام سيد قطب وأخويه: «إنَّ مَنْ يَزِيدُ سُنَّهُ عن ستينَ سنة، يَخَفُّ عنه حكمُ الإعدامِ إلى المؤبد. لكن المسألة ليست مسألة قوانين . . .

. . . كنا نائمين في السجن في ليلة من الليالي، واستجابةً لغريزة حب الاستطلاع، كان بعضُ إخواننا ينظرون من ثقبِ الزنازين . . فرأوا بعضَ السَّجَّانين مُدَجِّجين بالسلاح، وقد أحضروا الشهيدين «محمد هواش وعبد الفتاح إسماعيل» من السجن الصغير الذي كانا معزولين فيه، بعد النطقِ بالحكم عليهما، ليأخذوا ملبسَهما من زنانتيهما اللتين كانا بها في السجن الحربي الكبير . . .

وفوجئنا بتنفيذ الإعدام بدون الإجراءات المعتادة، وحتى بدون حبالٍ جديدة، وبدون أيِّ شيء من الإجراءات التقليدية . .

فمثلاً: من لوائح السجون، قانونٌ يقضي بوزن المحكوم عليه بالإعدام،

(١) ديوان «الصبر والثبات»، لجمال فوزي رحمه الله: ٣٤ - ٣٦.

وقياسِ نبْضِهِ وضَغْطِهِ، وإِخْطَارِ أَهْلِهِ، وإِتَاحَةِ الْفُرْصَةِ لَهُ، لِكِتَابَةِ وَصِيَّتِهِ، وَتَحْقِيقِ شَهَوَاتِهِ مِنَ الدُّنْيَا . .

كُلُّ هَذِهِ الْإِجْرَاءَاتِ لَمْ تَتِمَّ، لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ عَمَلِيَّةً عَصَابَةً، تَرِيدُ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ رِجَالٍ!!»^(١).

ابْتِسَامَةُ سَيِّدٍ لِفَرْحِهِ بِالشَّهَادَةِ

فِي لَيْلَةٍ تَنْفِيزِ أَحْكَامِ الْإِعْدَامِ فِي سَيِّدِ قُطْبٍ وَأَخُوَيْهِ، تَمَّ نَقْلُ الْإِخْوَانِ الثَّلَاثَةِ مِنَ السَّجْنِ الْحَرْبِيِّ، إِلَى سَجْنِ «الاسْتِثْنَاءِ» لِتَمِّمِ الْإِعْدَامَ.

وَقَدْ نَشَرَ التِّلْفِزِيُّونَ فِي نَشْرَتِهِ الْإِخْبَارِيَّةِ الْمَسَائِيَّةِ مَسَاءَ يَوْمِ الْأَحَدِ ٢٨/٨/١٩٦٦م صُورَةً لِسَيِّدِ قُطْبٍ وَأَخُوَيْهِ، لِحِظَةِ خُرُوجِهِمْ مِنَ السَّجْنِ الْحَرْبِيِّ، لِيُسْتَقْلَلُوا السَّيَّارَةَ إِلَى سَجْنِ الْاسْتِثْنَاءِ.

وَرَأَيْنَا سَيِّدَ قُطْبٍ - وَكُنَّا نَتَابَعُ النُّشْرَةَ التِّلْفِزِيَّةَ - وَهُوَ خَارِجٌ مُنْتَصِبٌ الْقَامَةَ، رَافِعَ الرَّأْسَ، مُشْرِقَ الْوَجْهِ، مُنْبَسِطَ الْأَسَارِيرِ. . وَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ لِكُلِّ جُنْدِيٍّ وَحَارِسٍ أَمَامَ السَّجْنِ الْحَرْبِيِّ، وَيَسْلُمُ عَلَيْهِ مَصَافِحًا، وَيُودِّعُهُ بِابْتِسَامَةٍ مُشْرِقَةٍ!!

ثُمَّ رَأَيْنَا سَيِّدَ قُطْبٍ وَقَدْ رَكَبَ سَيَّارَةَ الْجَيْشِ، وَالْإِبْتِسَامَةُ الْمَشْرِقَةُ مَا زَالَتْ تَمْلَأُ وَجْهَهُ، وَيَدُهُ تَرْتَفِعُ لَوْدَاعِ الْوَاقِفِينَ مِنَ الْجُنُودِ وَالْحَرَّاسِ، وَتُحِيَّيْهِمْ.

وَلَمَّا هَمَّتْ السَّيَّارَةُ بِالسَّيْرِ، نَظَرَ سَيِّدُ قُطْبٍ إِلَى الْوَاقِفِينَ بِجَانِبِ شَبَاكِ السَّيَّارَةِ، وَالْإِبْتِسَامَةُ الْمَشْرِقَةُ كَمَا هِيَ.

وَالْتَّقَطْتُ صُورَةً هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةِ، وَنُشِرَتْ فِي الصَّحْفِ، وَصَارَتْ تُنَشَرُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّهِيدِ. وَفِي الْمَجَلَّاتِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ عَنْهُ بِمُنَاسَبَةِ اسْتِشْهَادِهِ. . .

إِنَّ هَذِهِ الْإِبْتِسَامَةَ السَّاحِرَةَ تَعْنِي الْكَثِيرَ، وَتُوحِي بِالْكَثِيرِ، وَتَدُلُّ عَلَى الْكَثِيرِ، وَقَدْ قَالَ سَيِّدُ قُطْبٍ مِنْ خِلَالِهَا الْكَثِيرَ، وَحَمَلَهَا كُلُّ مَا يَرِيدُ قَوْلَهُ لِلْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ!

(١) لِمَاذَا اغْتِيلَ الشَّهِيدُ حَسَنُ الْبَنَّا، لِعَبْدِ الْمُتَعَالِ الْجَبْرِيِّ: ١٠٩ - ١١٠.

إنها ابتسامةُ الفرح والرضا، ابتسامةُ السعادة والراحة، ابتسامةُ الطمأنينة واليقين، ابتسامةُ الظفر والفوز. .

وكأنَّ سيِّد لم يكنْ ذاهباً للموت، بل ذاهبٌ للعرس، وهو في الحقيقة ذاهبٌ للعرس، في جناتِ الفردوس – إن شاء الله – .

وصدقَ الشاعرُ في كلامه عن هذه الابتسامة:

يا شهيداً رفعَ اللهُ به جبهةَ الحق على طولِ المدى
سوفَ تبقى في الحنايا علماً حادياً للركبِ رمزاً للفدى
ما نسينا أنَّتَ قد علَّمتنا بسمَةِ المؤمنِ في وجهِ الردى^(١)

سامي جوهر يروي لحظات الإعدام

نتركُ للصحفي سامي جوهر رحمه الله روايةَ اللحظاتِ الأخيرة من حياة الشهيد سيِّد قطب، حيث كانَ حاضراً لها، شاهداً عليها. .

قال: «... تلقى جميعُ رؤساءِ التحرير في الصحف، مكالمَةً تلفونية من مكتب سامي شرف – سكرتير الرئيس عبد الناصر للمعلومات... وأُملى سامي شرف خبراً لنشره في الصفحة الأولى بالصحف التي تصدرُ صباحَ الاثنين ٢٩ أغسطس – أي اليوم التالي – وبدون عناوين بارزة، وعلى عمودٍ واحد... وكان نصُّ الخبر...»

«تمَّ صباحُ اليوم تنفيذ حكمِ الإعدام في كلِّ من: سيِّد قطب، وعبد الفتاح إسماعيل، ومحمد يوسف هواش... قادة التنظيم الإرهابي للإخوان المسلمين!

وقد أصدرَ الرئيس جمال عبد الناصر قراراً بتخفيف عقوبة الإعدام، بالنسبة للأربعة الآخرين، مراعاةً لصغر سنِّهم، واستبدالها بالأشغال الشاقة المؤبدة!»

وكان إملاءُ الخبر على الصحف في منتصفِ الليل... ولم تستطع جريدةُ «الأخبار» أن تنشره في طبعتها الأولى، وكذلك جريدةُ «الجمهورية»... ولكنَّ «الأهرام» تمكنت من نشره!

(١) لماذا أعدم سيِّد قطب وإخوانه: ٣.

ومن المعلوم أن الصحف تكون في أيدي غالبية القراء ابتداءً من الخامسة صباحاً. . ومعنى نشر الخبر هو أن الإعدام تمّ فعلاً قبل الخامسة صباحاً. .

وأجريت اتصالات لأعرف موعد تنفيذ الحكم لأحضره، فدائماً أحكام الإعدام يسمح بحضورها للصحفيين والمصورين، ولم يكن لدى أجهزة الأمن أي فكرة عن الموعد.

باستثناء «شرطة النجدة». . فقد تلقت تكليفاً بأن تتوجّه سيارتنا نجدة في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل إلى مبنى فرق الأمن «بالدراسة» لمهمة سرية.

وتوجّهت إلى منزل «عشماوي» الذي سينفذ حكم الإعدام، ومنازل مساعديه. . وكانت الإجابة التي واجهتني في كل من المنازل الثلاثة، أن سيارة حضرت عند منتصف الليل تماماً، واصطحبته في مهمة. . .

وأيقنت أن الإعدام سيتمّ تنفيذه قبل الصباح. . في الفجر. . رغم أن العادة جرت أن يتمّ الإعدام في الثامنة صباحاً!!.

وتوجّهت إلى مبنى سجن «الاستئناف» - في باب الخلق - حيث تتم دائماً عمليات الإعدام. .

وفوجئت بفرقة من الصاعقة تحيط بمبنى السجن، والأنوار الكاشفة مسلطة عليه. بينما كان ميدان «باب الخلق» في الظلام.

وطرقت باب السجن. . وكان معي الزميل المصور «عبد خلیل». . وفتح حارس البوابة «الكوة» الضيقة، وطلبت منه إبلاغ ممثل النيابة رغبتني في حضور التنفيذ. . وترك الحارس «الكوة» الضيقة مفتوحة. . .

ومن خلالها رأيت مجموعة من جنود الصاعقة مصطفين في الفناء، يحملون الرشاشات!!.

وعاد الحارس بعد دقائق، وأغلق «الكوة» ولم يُجِبنني على طلبي. . وساد صمت رهيب!!

وفي تمام الساعة الرابعة والثلاث صباحاً. . فتح باب السجن. . وخرجت سيارة

سوداء، مخصّصة لنقلِ الموتى إلى المشرحة.. واندفعت في طريق المقابر «بالإمام الشافعي» يتبعها ويسبقها مجموعة من سيارات الاسلكي، وراكبي الموتوسيكلات.. وقبل أن يُغلق الباب، خرج شاب طويلاً القامة. وسأل عني.. وتقدمتُ إليه.. وقال بكل رقة:

— حضرتك كنت عايز تحضر الإعدام.. يا خسارة، لم يبلغوني برغبتك إلا الآن فقط.. خلاص كل حاجة تمت.. والعربية خدت الجثث لدفنهم..

وسألته:

— أين؟

— فأجاب — بنفس الهدوء: في المقابر طبعاً!

وأحسست أنه لا يريد أن يفصح عن شيء آخر!..»^(١).

سيد قطب الشهيد الحي : مات ليعيش!

في فجر ذلك اليوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩/٨/١٩٦٦ م تقدّم سيد قطب وأخواه — عبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش — إلى حبل المشنقة، بخطأً وثيدة ثابتة!..

وتنفس الصبح على منظر الأبطال الشهداء الثلاثة، وقد علقت أجسادهم بحبل المشنقة، بينما خلقت أرواحهم في سماء العلياء.. ونزلت ملائكة السماء، لاصطحاب هذه الأرواح الطاهرة، في رحلتها إلى عالم الخلود.. واصطف المؤمنون والشهداء لتحية هذا الموكب الكريم.. وترينّت الحور العين لاستقبال أزواجهن.. وأزلفت الجنة للوافدين الجدد!

وأسدل الستار على آخر صفحة من حياة الرائد الشهيد في هذه الدنيا الفانية.. ليبدأ عند الله حياته الحقيقية في جنات الخلود — إن شاء الله —.

(١) الموتى يتكلمون: ١٩٧ — ١٩٩.

وبهذه الخاتمة العظيمة لحياة الشهيد سيّد قطب، نعرف فضل الله عليه، بأنّ مَنْ عليه بنعمة الشهادة — إن شاء الله — .

إنّ الناس يعيشون ويموتون. لكنّ الشهداء يعيشون ويعيشون! إنّ الناس يعيشون ليموتوا. ولكنّ الشهداء يموتون ليعيشوا.

لقد مات سيّد قطب شهيداً، ليعيش حياة الشهداء — إن شاء الله — .

وبهذا الاعتبار يصحُّ أن نطلق عليه اسم «الشهيد الحيّ»!

إنه شهيدٌ حيّ، بالمعنى الكبير للشهادة والحياة!!

إنّ المعنى القريب للشهيد، هو الذي يموتُ في سبيل الله..

ولكن المعنى الحقيقي للشهيد، أشمل وأكبر من هذا.

إنّ الشهيد يتخذه الله، ويختاره، ويستشهدُه، فيقدّم الشهادة لله سبحانه.

قال الشهيد سيّد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾.

[آل عمران: ١٤٠].

«وهو تعبيرٌ عجيبٌ عن معنى عميق. إنّ الشهداء لمختارون. يختارهم الله من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه — سبحانه — .

فما هي رِزِيَّةُ إِذن ولا خسارة، أن يُسْتَشْهَدَ في سبيل الله من يُسْتَشْهَدُ.. إنما هو اختيارٌ وانتقاء. وتكريمٌ واختصاص.. إن هؤلاء هم الذين اختصهم الله ورزقهم الشهادة، ليستخلصهم لنفسه — سبحانه — ويخصهم بقربه.

ثم هم شهداء يتخذهم الله، ويستشهدهم على هذا الحق الذي بَعَثَ به للناس. يستشهدهم فيؤدّون الشهادة. يؤدّونها أداءً لا شبهة فيه. ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله. يؤدّونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق، وتقريره في دنيا الناس...»^(١).

(١) الظلال ١ : ٤٨١ .

وما أجمل تفسير سيد قطب لمعنى «شهيد» جواباً على سؤال الضابط له!!
يروى الأخ «ممدوح الديري» . . أنه أثناء محاكمة سيد قطب - وكان ممدوح
هو وإخوانه معه في القفص - اقترب أحد الضباط منه، وسأله عن معنى «شهيد». فردَّ
عليه سيد قائلاً:

«شهيد: يعني أنه شهد أن شريعة الله أعلى عليه من حياته!!»^(١).

أما حياة الشهيد، التي يخبرنا عنها القرآن: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتٌ. بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾. [البقرة: ١٥٤].

فيقول عنها سيد قطب «الشهيد الحي»:

«إنَّ هناك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق . . شهداء في سبيل الله . قتلى
أعزاء أحبباء . . قتلى كراماً أذكىاء . .

وهؤلاء الذين يُقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتاً. إنهم أحياء. فلا يجوز أن يُقال
عنهم: أموات. لا يجوز أن يُعتبروا أمواتاً في الحس ولا في الشعور، ولا أن يُقال عنهم
أموات بالشفة واللسان. إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه . . فهم لا بد أحياء . .
إنهم قُتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين . .

ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة، لا تقرُّهما هذه النظرة السطحية الظاهرة . .
إن سمة الحياة الأولى هي: الفاعلية والنمو والامتداد. وسمة الموت الأولى
هي: السلبية والخمود والانقطاع . .

وهؤلاء الذين يُقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نصرة الحق، الذي قُتلوا من
أجله، فاعلية مؤثرة. والفكرة التي من أجلها قُتلوا ترتوي بدمائهم وتمتدُّ، وتأثرُ الباقيين
وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتدُّ . . فهم ما يزالون عنصراً فعالاً دافعاً مؤثراً، في
تكييف الحياة وتوجيهها . .

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر: ١١٨.

وهذه هي صفة الحياة الأولى . . فهم أحياء بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس!«^(١)

هذا عن حياة الشهيد في دنيا الناس . . أمّا عن حياة الشهيد عند الله في الجنة – ونرجو أن يكون سيّد قطب يحياها هناك – فنعتمدُ فيها على حديث صحيحٍ عن رسول الله ﷺ .

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال عن الشهداء: «أرواحُهم في جوف طيرٍ خضر. لها قناديلٌ معلقةٌ بالعرش. تسرحُ من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل.

فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ إِطْلَاعَةً. فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أيُّ شيءٍ نشتهي؟ ونحنُ نسرحُ من الجنة حيث شئنا. ففعلَ ذلك بهم ثلاث مرات.

فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا. قالوا: يا ربّ، نريدُ أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتلَ في سبيلك مرةً أخرى.

فلما رأى أن ليس لهم حاجة، تركوا»^(٢).

وباستشهاده عاشت أفكاره

لقد كسبَ سيّد قطب باستشهادِهِ الحياةَ الحقيقيّة، فهو «الشهيد الحي» عند الله – إن شاء الله – !

كذلك باستشهادِهِ عاشت أفكارُهُ، فأصبحتُ حية، وتمثّلها مؤمنون دعاءً في واقعهم وحياتهم وجهادهم.

قال رحمه الله عن «قوة الكلمة» وحياتها وحيويّتها:

(١) الظلال ١ : ١٤٣ .

(٢) صحيح مسلم . بعناية محمد فؤاد عبد الباقي . (٣٣) كتاب الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة . رقم الحديث : (١٨٨٧) .

«إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين، فتحركها وتجمعها وتدفعها..
إنها الكلمات التي تقطر دماء، لأنها تقتات قلب إنسان حي..»

كل كلمة عاشت، قد اقتات قلب إنسان!

إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيراً، ولكن بشرط واحد.. أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم. أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ويقدموا دماءهم فداءً لكلمة الحق!

إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثاً هامدة، حتى إذا متنا في سبيلها وغدناها بالدماء، انتفضت حية، وعاشت بين الأحياء..»^(١).

رحم الله الإمام الشهيد، والمفكر الرائد، والداعية المجاهد «سيد قطب»، وتقبل الله جهده وجهاده.

وإنه لينطبق عليه قول الله - إن شاء الله - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. [آل عمران: ١٦٩].

وقول الشاعر:

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ لَحَقَّ تِلْكَ إِحْدَى الْمَكْرُمَاتِ

(١) دراسات إسلامية: ١٣٩.

القِسْمُ الثَّالِثُ

صِّفَاتُ سَيِّدِ قُطْبٍ وَتَرَاثِهِ

(١)

ملاحظه وصفاته وخصائصه

طبيعة نفسه

نتركُ لسيد قطب الأمر، ليحدثنا عن طبيعة نفسه، ويقدم لها هذه الصورة التحليلية، فأدري الناس بالنفس هو صاحبها..

«نفسى خيرة محبة، يغمر الحنان جوانبها.. تريد - لو استطاعت - أن تبسم لكل شيء، وأن يبسم لها كل شيء.. وهي تعشق الرضا والهدوء، وتلمسهما في كل ناحية، وفي كل مظهر من مظاهر الحياة.. وتود لو كانت الحياة منبسطة هادئة، لا عوج فيها ولا نتوء!

تصطدم هذه الطبيعة بالواقع، فتحار وتألّم وتشكو، وقد تغضب وقد تنفعل، وقد تسخر وتهدد بالانتقام..

ولكنها مع ذلك تحتفظ بخيرها وحنانها، في أشدّ ساعات الغضب والانفعال والسخرية..

وهي تودّ ألا تغضب، وألا تنفعل، في يوم من الأيام.. حتى إذا انتهى ذلك الموقف، عاد إليها حنانها، وعادت تبحث عن مظاهر الودّ والمحبة، بحث اللاهث المستزید!

... هذه هي فلسفة شاعرنا في الصميم - يعني نفسه - وإن بدا للكثيرين كثير الشكوى، دائم السخط، مدمناً للغضب، فذلك أثر التفاعل بين الحياة بقسوتها وتلونها، وبين هذه النفس، التي تُفجع في هدوئها، وتُنكب في آمالها، فتكون الشكوى.

... هذا الحب الذي يخفق به قلبُ شاعرنا، ليس مقصوداً على حب المرأة، ولا حب الأصدقاء، وما أردت ذلك فقط حين قلت: إنَّ نفسه محبة.. وإنما قصدتُ إلى معنى أشمل: هو معنى الحب العام، الذي يعمرُ النفوس، فلا يدعُ فيها مكاناً للبغضاء أو الحقد.. يجعلُها نزاعةً أبداً إلى الاجتماع والعطف، وتلقّي كلِّ مظهرٍ من مظاهر الحياة، بنوعٍ من القبول والرفق..

فهو يودُّ لو يشملُ الكونَ جميعه بالحنان، وأن يشملهُ كلُّ شيء في الكون بالحنان كذلك، يكونُ بينهما تعاطفٌ وتراحم وتوادّ..».

وهذا التحليلُ النفسيُّ من سيّد لنفسه، يكملُه بهذه الأبيات:

هُوَ قَلْبٌ مَا دَرَى كَيْفَ الشُّرُورُ لَا وَلَا كَيْفَ يُرَائِي أَوْ يَخُونُ
يَحْفَظُ الْوُدَّ وَحَاشَا أَنْ يَجُورُ وَلَكُمْ يَبْكِي لِمَرَأَى الْبَائِسِينَ

وهذه الأبيات:

عَجِبْتُ لِنَفْسِي لَا تُرَاعُ مِنَ الْأَذَى وَيَقْتُلُهَا خَطْبٌ يُنِيخُ عَلَى غَيْرِي
وَيَا رَبِّمَا أَبْكِي لِمَنْ خِلْتُ بَائِساً عَلَى حِينٍ يَقْضِي لَيْلَهُ بِاسِمِ الثُّغْرِ^(١)

أهم ملامحه وصفاته وخصائصه

وقفَ الكاتبون الذين كتبوا عن سيّد قطب، مبينين لأهم ملامح شخصيته، ذاكرين أمثلة وشواهد ونماذج لتلك الملامح، من حياة سيّد، ومن نتاجه الأدبي والفكري.

ونذكرُ فيما يلي أهم هذه الملامح التي ذكروها:

أهم ملامح شخصيته كما سجّلها «محمد علي قطب» في كتابه عن الشهيد أربعة:

١ - العمق.

٢ - الحيوية.

(١) مجلة الأسبوع. المجلد الثالث. العدد السابع والثلاثون. تاريخ ٨/٨/١٩٣٤م. صفحة: ١١.

٣ - الشمول .

٤ - الثورية^(١) .

أما الأستاذ «زين العابدين الركابي»، فقد جمع مجموعة مقالاتٍ لسيّد في المجالات المختلفة في مطلع الخمسينيّات، سمّاها «معركتنا مع اليهود» وقَدّم لها بمقدّمة، ذكر فيها أهمّ ملامح سيّد وخصائص فكره . وما ذكره منها ثلاثة :

١ - الطهارة .

٢ - العزة .

٣ - وضوح الرؤية^(٢) .

وأما الأستاذ عبد الباقي محمد حسين، فقد استخلص أربع سماتٍ لفكر

سيّد قطب، وهي :

١ - الشمول .

٢ - العمق .

٣ - الوضوح .

٤ - الصدق^(٣) .

وإذا توجّهنا لسماتٍ أسلوبٍ سيّد في الكتابة، فستوقفُ مع الدكتور «عبد الله خباص» في سماته التي جعلها لأسلوب سيّد قطب في كتابة «المقالة»، وهي سماتٌ فنية عامة لأسلوب سيّد في الكتابة، بحيثُ ظهرتُ في مختلف ألوانٍ نتاجه الأدبي والفكري :

والسماتُ التي سجّلها الدكتور عبد الله الخباص هي :

١ - الدقة والوضوح .

٢ - الإطالة والتكرار .

(١) انظر سيد قطب، لمحمد علي قطب: ٢٣ - ٧٦ .

(٢) انظر تقديم الركابي في «معركتنا مع اليهود»: ٥ - ١٧ .

(٣) انظر «سيد قطب حياته وأدبه»، لعبد الباقي محمد حسين: ٣١٧ - ٣٣٣ .

٣ - الانفعال .

٤ - التعليل .

٥ - العنف والجرأة .

٦ - السخرية^(١) .

ونتوقفُ أخيراً مع الأستاذ يوسف العظم، لنسجلَ من كتابه خصائصَ العطاء الفكري ومميزاته عند سيّد قطب، كما استخلصها الأستاذ العظم .

لقد سجلَ يوسف العظم عشرين خصيصةً بارزة لعطاء سيّد الفكري . وهي :

١ - الغزارة .

٢ - الشمول .

٣ - الإيمان بالفكرة، والصدق في التعبير عنها .

٤ - العمق .

٥ - الخلود والمستقبلية .

٦ - الإسلام هو الحضارة .

٧ - التفريق بين الإسلام والكهنوت .

٨ - الدعوة إلى استئناف الحياة الإسلامية .

٩ - العرض الإيجابي في غير دفاع ولا اتهام .

١٠ - كشف زيف الحضارة المادية .

١١ - تميز الإسلام وتفردّه .

١٢ - الإشراق والعدوبة .

١٣ - القوة والتحدي .

١٤ - بلوغ القلوب والأفهام لدى الخاصة والعامة .

١٥ - طموح الأمة وآمال المستضعفين .

١٦ - صاحب مدرسة متفردة فكراً وأسلوباً .

١٧ - رائد حركة وداعية تنظيم .

(١) انظر «سيد قطب الأديب الناقد» للدكتور عبد الله الخباص: ٢٢٢ - ٢٢٤ .

١٨ - الإقبال على عطائه بظماً ورغبة وشوق.

١٩ - نقل عطائه وترجمته إلى لغات كثيرة وأمم شتى .

٢٠ - سعة الأفق وبعد النظر^(١).

ولا ننسى ما سجله الدكتور طه حسين من صفتين لسيد قطب، وأعلنهما في حفل تكريم سيد في نادي الضباط، وهما:

١ - المثالية المثالية.

٢ - العناد.

وقد اكتفينا بذكر ما سجله الباحثون من سمات لفكر سيد وملامح لشخصيته، ونُحِيلُ على شرحهم لتلك الملامح، وبيانهم لتلك السمات.

وما أجمل ما وصف به الأستاذ محمد قطب، أسلوب شقيقه الشهيد من حيث الإشراف والسيولة والتأثير!

أورد ذلك، وهو يقدم لكتاب الشهيد «مقومات التصور الإسلامي» الذي طبع لأول مرة عام ١٩٨٦م؛ بعد عشرين سنة من استشهاد سيد!

إن محمد قطب يصف أسلوب شقيقه سيد في التعبير عن الموضوعات العقيدية بقوله:

«ولست أبلغ مستوى الشقيق، وخاصةً في هذا الكتاب بالذات، الذي أودعه عُصارة تجربته الإيمانية، كما بلغ فيه قمته التعبيرية، التي تعبر عن قضايا غاية في العمق، في سيولة متدفقة، كأنها «نشيد» يُشَد، لا «فكرة» تُصاغ!

إن هذه القضايا حين تناولها الفلسفة، تحيلها تجريدات ذهنية باردة، تنطلق في الذهن، أو تتعثر بداخله، ولكنها تظل في برودها هناك - في داخل الذهن - لا تنبض بالحياة الحقيقية، التي تحولها إلى تجربة نفسية متكاملة، يعيشها الإنسان بكيانه كله، لا بذهنه فحسب..

(١) انظر «رائد الفكر الإسلامي المعاصر»، ليوسف العظم: ١٩٣ - ٢٠١.

وحيث يتناولها الوجدان، يحيلها رفرفاتٍ روحيةٍ طائفة، تأنسُ الروحُ لها لحظة، ولكنها تذهبُ مع إشراقِ الروح الموقوتة ولا يتبقى منها شيءٌ يمسكُ الإنسانُ بفكره، ليعودَ إليه فيتدبره ويتملاه، فكأنما هي تجربةٌ لحظةٍ عابرة، ليس لها استمرارٌ محسوسٌ في داخل النفس.

أما تناولُ هذه القضايا في صورة، يمكنُ أن يمسكها الفكر ليتدبرها ويتملاها حين يريد، في ذاتِ اللحظة التي تنطلق بها الروحُ في رفرقتها الشفيفة، فتلك قمةٌ نفسيةٌ وقمةٌ تعبيرية في ذات الوقت، لا يقدرُ عليها إلا مَنْ فتحَ الله عليه بنورٍ من عنده، فبلغَ غايةَ إشراقه الذهني، وإشراقه الروحي في آنٍ واحد... .

وهو فضلُ الله، يؤتيه مَنْ يشاء، في الوقتِ الذي يشاء، وبالقدر الذي يشاء!
وقد أفاضَ اللهُ منه على الشَّقيق، بالقدر الذي يلُمسه مَنْ يقرأ هذا الكتاب! ^(١)
وقد سجلتُ أنا في كتابي «سيد قطب الشهيد الحي»، ملامحه وسماته التالية:

- ١ - الصدق.
- ٢ - الجدية.
- ٣ - الحركة.
- ٤ - العصامية.
- ٥ - العزة.
- ٦ - الشجاعة.
- ٧ - الكرم.
- ٨ - التواضع.
- ٩ - النزاهة.
- ١٠ - الاستعلاء بالإيمان ^(٢).

(١) مقومات التصور الإسلامي، لسيد قطب. بتقديم محمد قطب: ٧ - ٨.

(٢) سيد قطب الشهيد الحي: ١٧٦ - ١٨٩.

قبضة أخبار تدل على صفاته

مجموع صفاته، وملامح شخصيته، وخصائص فكره، التي أوردناها من كلام الباحثين، والكاتبين، لا تحتاج منا إلى إيراد الشواهد لها من حياته، ولا إلى ذكر الأمثلة عليها من سيرته، لكثرة هذه الشواهد والأمثلة في حياته.

وكلُّ مَنْ قرأ في كتابنا هذا، وأطلع على ما سجّلناه فيه من مشاهد حياته الأدبية والإسلامية، والوظيفية والعادية، العامة والخاصة، في المجتمع وداخل السجن، سيجد فيها الكثير على كل صفة من صفاته وسماته من سماته، فلا داعي لذكرها هنا، وقد تفرّقت في صفحات الكتاب!

ولكنني أقدم فيما يلي، هذه القبضة من الأخبار المتعلقة بسيد - والتي لم أوردّها في الصفحات السابقة من هذا الكتاب - وهي ذات دلالات واضحة، على صفات سيد وملامحه وسماته.

(أ) تبرعه بأثاث منزله لصديقه العروس!

روى لي الأستاذ «أحمد عبد الغفور عطار» - عندما قابلته في بيته في مكة المكرمة عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - هذه الحادثة، عن كرم وسخاء وجود سيد قطب عليه رحمة الله.

كان «عطار» يزور سيد في منزله في حلوان كثيراً - وهذا في الأربعينيات - وكان أثاث غرفة الاستقبال متواضعاً، لأن حالة سيد المادية لم تكن تسمح بتحسينه..

وزاره عطار ذات يوم فوجد عنده أثاثاً جميلاً جديداً، فسُرّ بذلك!

ثم زاره مرة أخرى بعد أيام، فوجد الأثاث القديم، فاستغرب مما رأى، وألح على سيد في معرفة مصير الأثاث الجديد.

وأمام إلحاحه أخبره سيد أنه باع الأثاث الجديد، وقدم ثمنه مساعدة لأحد إخوانه، ليتّم مصروفات زواجه!!

(ب) تبرعه ببذله الجديدة لطالب الجامعة!

يروى الأستاذ «علي عبد العزيز حسين» في مقاله «شاهد وشهيد» الذي نشره في

مجلة المجتمع، عن صهره الذي كان طالباً في كلية دار العلوم، وكان سيّد قطب محاضراً غير متفرغٍ فيها - ولعلّ هذا كان بعد عودته من أمريكا عام ١٩٥٠م - .
«حدثني صهري يوماً، عندما كان طالباً في دار العلوم، وكان شهيداً أستاذ الأدب العربي فيها. .

فقد لاحظ عليه الأستاذ حضوره في بداية العام الدراسي ببدلته القديمة - على غير المعهود من أترابه الطلبة - فإنّ الكل يتبارى في إظهار الزي الجديد في هذا اليوم. .

وفوجيء صهري باستدعاء الأستاذ سيّد له إلى مكتبه. وعندما دخل فوجيء أكثر بخلع الأستاذ بدلته الجديدة، وطلبه منه أن يرتديها! ويأخذ هو بدلته القديمة. . . وبدون كثير حوار تمّ ما أراد!! وعاد صهري إلى البيت، على غير الصورة التي خرج بها منه، لتكون المفاجأة الأكثر للأسرة، بالزي الجديد!«^(١).

(ح) استعلاؤه على الأموال رغم حاجته إليها

حدثني الأستاذ «أحمد عبد الغفور عطار» هذه الحادثة التي رآها من سيّد بعينه، وعاشها بكيانه، وهي أغرب من الخيال.

قال: اتّصل بي سيّد قطب تلفونياً ذات يوم، وطلب مني أن آتي إلى منزله سريعاً. وطلب مني - باستحياء - أن أحضر معي بضعة عشر جنيهاً قرضاً، ليشتري بها دواء، وهو مريض ولا يملك ثمن الدواء!!

فذهبتُ إلى المنزل سريعاً، ومعني المبلغ المطلوب. .

ولما دخلتُ غرفة الاستقبال، رأيتُ مشهداً عجيباً، أقسم لقد دهشتُ مما رأيت! كان يجلس في الغرفة، موظف دبلوماسي في سفارة دولة عربية بترولية، وأمامه حقيبة مليئة بالأوراق المالية من مختلف الأرقام والفئات، تبلغ في مجموعها عدة آلاف من الجنيهات!!

(١) مجلة المجتمع. عدد: ٨٣٢. تاريخ ١/٩/١٩٨٧م.

وهو يرجو سيّد قطب بالحاحِ ورجاءٍ وحرارةٍ أن يأخذ الحقيقة، بما فيها من الأموال، فهي هديةٌ من دولته له، لأنها تعرف منزلته ومسؤولياته، وتريدُ منه أن يستعين بها على أعباء حياته، وتمويل مشروعاته الأدبية والفكرية، وكان سيّد وقتها بصدده إصدار مجلة أدبية وفكرية إصلاحية - لعلها العالم العربي أو الفكر الجديد -.

فنظرتُ إلى سيّد قطب الذي كان جالساً مريضاً، فإذا به حزين.. .
ثم ردّ هدية الرجل بحزم، وبدا عليه الغضب والحدة، وهو يخاطبه قائلاً: إنني لا أبيع نفسي وفكري بأموال الدنيا، فأعدّ أموالك إلى حقيبتك!!!
ثم التفت سيّد إليّ، وقال لي: هل أحضرت ما طلبته منك؟ فقلت له: نعم، وناولته المبلغ، وأنا في غاية الدهشة والاستغراب والانفعال!!
ولما عرف الدبلوماسي قصة هذا المبلغ، وأن سيّد يومها معدّم فقير لا يملك ثمن الدواء، ومع ذلك استعلى على آلاف الجنيهات، ورفضها، وردّها مع حاجته الماسة إلى بعضها.. . خرج محتاراً متعجباً!!».

هذه الحادثة أثبتتها، وأسوقها بدون تعليق.. . وأقدمها هدية لمن يتناولون حياة سيّد قطب وفكره وآراءه الحركية ومواقفه الجهادية، بالتخطئة والنقد والانتهاز والتجهيل.. . وهم يعيشون في ترفٍ ظاهر، ويلهثون وراء المال، ويرتبطون الارتباطات المشبوهة، ويتصلون الاتصالات المريبة، ويمدّون أيديهم لهذا وهناك!! وأقول لهم: قليلاً يا هؤلاء! ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه فوقف عندها!! وأين أنتم من هذا الإمام الزاهد المتجرد الشهيد؟!!!

(د) الندوي والعظم يرويان عن «سيّد المحاضر»:
كان سيّد قطب موهوباً في فنّ «المحاضرة» والتأثير في المستمعين، سواء في محاضراته الأدبية والنقدية، التي كان يُلقيها في الجامعات والمنتديات الأدبية، أو في محاضراته الإصلاحية التي كان يُلقيها بعد توجّهه الإصلاحي والإسلامي.

وقد حضر الأستاذ أبو الحسن الندوي - لما زار القاهرة عام ١٩٥١م - محاضرةً لسيّد قطب، تكلم فيها عن فرنسا، وجرائمها في بلاد المغرب العربي، وعملائها في مصر والعالم العربي.

وروى النّدوي طرفاً من تأثيرها، فقال: «وقد قرأ سيّد قطب كلمةً بمناسبةِ الحفلة (استنكار اعتداء فرنسا على المغرب العربي عام ١٩٥١م)، كانت موجّهةً إلى عبيد فرنسا. . وكانت كلمةً أدبيةً تهكّم فيها بهؤلاء العبيد الذين يسبّحون بحمدِ فرنسا بُكرة وأصيلاً.

وكانت كلمةٌ سيّد تقاطع بهتافاتٍ صارخة، وتصفيقاتٍ حارة. .»^(١).

ويروي الأستاذ يوسف العظم طريقةً ولهجةً سيّد قطب في محاضراته — وطالما سمعَ منه محاضراتٍ عديدة في القاهرة —: «وحديثُ الشهيد — يرحمه الله — حين يقابل جمهوره، كان يبدأ هادئاً، ولكن في ثقة، بسيطاً ولكن في عمق، سلسَ العبارة ولكن في غير سوقية ولا تبذّل، وقد يهاجمُ الأستاذُ خصومَه، ويُبكّتُ المنحرفين عن الحق، ولكن في أدبٍ وعفةٍ مقال.

ومن أروعِ ما عُرفَ عن أستاذنا، وما لَمَسناه منه، قدرتهُ الفائقة، على مهاجمة الحاكم الظالم، وكشفِ مخازيه، بصورةٍ تثيرُ الجمهور، وتحركُ فيه كوامنَ السخط والغضبِ على الطغيان. . دون أن يؤخّذَ على المتحدث مآخذَ من سبابٍ أو شتيمة، أو خروجٍ على حدود اللياقة والذوق.

والذين استمعوا لأستاذنا سيّد قطب عليه الرحمة، وهو يتحدثُ على مدرج الجامعة، أو دارِ العلوم، أو في المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة، أو في اللقاءات والمؤتمرات يُجمعونَ على أن لدى الرجل حجةً قوية، وأسلوباً منطقيّاً، ونبرةً صوته مؤثرةً معبرة، تأخذُ بالألباب، وتسيطرُ على السامع!«^(٢).

وقد وصفتُ مجلة «الدعوة» ندوةً لسيّد قطب، عُقدتُ في قاعة المحاضرات في «الجامعة الشعبية»، في القاهرة في ١١/٤/١٩٥٣ م، وكانت حول «الصحافة والرأي العام، أيُّهما يوجّه الآخر؟» وقد اشتركَ معه فيها «فكري أباطة» مدافعاً عن الصحافة، و«حافظ محمود» منتقداً انتقاداً لئناً، و«توفيق دياب» الذي وقفَ بين بين.

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي، للندوي: ١٢١.

(٢) سيد قطب ليوسف العظم: ٢٣٣ — ٢٣٤.

أما سيّد فقد هاجم الصحافة هجوماً عنيفاً، لأنها يجب أن تضحّي، ولا تتعامل بحساب الربح والخسارة. وأشار إلى أنّها دائماً مع العهد القائم، وأنها تقوم بتضليل الرأي العام لا توجيهه، وانتقد الانحدار الأخلاقي في المقالات والتحقيقات الصحفية. وعزا السبب في هذا كله إلى أنّ دخل الصحافة من الإعلانات أولاً، ومن المصروفات غير المنظورة من أصحاب الملايين، هو الذي يوقعها في هذا المأزق.. فهي تُعطي أهل الملايين بمقدار ملائمتهم، وأهل الملايين بمقدار ملائمتهم!!

ثم أجاب سيّد قطب بعد ذلك على أسئلة الحاضرين، بنفس الصراحة التي انتقد فيها الصحافة.. (١).

(هـ) تحليلات سياسية رفيعة لسيّد قطب!

لسيّد قطب تحليلات سياسية رفيعة وصادقة، وهي ناتجة عن فطنة ووعي وذكاء، وفراصة إيمانية، وميزان قرآني، وتوفيق رباني!

من تحليلاته عن أمريكا مثلاً، وبيانه ما لها وما عليها، قوله - في رسالته لعباس خضر - «أمريكا تصلح أن تكون «ورشة العالم»، فتؤدي وظيفتها على خير ما يكون، أما أن يكون العالم كله أمريكا، فتلك هي كارثة الإنسانية بكل تأكيد..».

ومنها قوله عن أمريكا - في رسالته لزميله الأستاذ محمد جبر - : «إنّ أمريكا هي أكبر أكلوبة عرفها العالم!

نستطيع أن نفيد من أمريكا في البعثات العلمية البحتة: الميكانيكا والكهرباء والكيمياء وما إليها.. فأما حين نحاول أن نستفيد من أمريكا في الدراسات النظرية - ومنها طرق التدريس - فأحسب أننا نخطئ أشد الخطأ، ونساق مع الطريقة الأمريكية في الإعلان!

... أما أولئك الذين يتحدثون عن أمريكا كما يتحدثون عن الأعاجيب السبع، فهم يحاولون أن يستمدوا لهم قيمة جديدة لأنفسهم، من وراء هذا التهويل!«.

(١) مجلة الدعوة. عدد: ١١٢. تاريخ ١٦/٤/١٩٥٣م. صفحة: ٣.

ويسجلُ سيّد ملاحظةً سياسية إيمانية عظيمة، صدّقَتْها الأحداث السياسية اللاحقة، إنّ أمريكا الآن هي أقوى دولة في العالم، وإن البشرية في هذه الأيام قد آلت قيادتها إلى الهيمنة الأمريكية.. فماذا نتج عن قيادة أمريكا للعالم؟

الجوابُ يعرفهُ كلُّ مطّلع على الأحداث السياسية المحليّة والعالميّة، التي تخطّطُ لها أمريكا، أو يكونُ لها دورٌ مباشرٌ لها!!

ونستصحبُ هذا المعنى، ونحن نقرأ هذه الفراسة الصائبة لسيّد: «كنتُ دائمَ الشعور «باستِخْصارٍ» هذا الشعب، الذي يصنّع المعجزات، في عالم الصناعة والعلم والبحث، ألا يكونُ له رصيدٌ من القيم الإنسانية الأخرى!!

وأنا شديدُ الإشفاقِ على الإنسانية أنْ تَوَلَّ قيادتها إلى هذا الشعب، وهو فقيرٌ من تلك القيم الإنسانية جميعاً!!!».

أما عن دور أمريكا في العالم العربي، وترتيب الأحداث فيه وفق مصالحها، وصنّعها لقادته وزعمائه، فيقولُ للأخ «حافظ الشيخ» رئيس اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، والعضو في «جبهة الميثاق الإسلامي»، وهو الآن من قيادي «الجبهة الوطنية الإسلامية» التي يرأسها الدكتور «حسن الترابي».

جاء «حافظ الشيخ» إلى سيّد قطب، وزاره في منزله بحلوان مهتئاً له بالإفراج عنه. وكان من جملة ما قاله له: «إنَّ الشيوعية لا يمكن أن تنتصرَ من الطريق الديمقراطي، لأنه ليستُ لها جذورٌ في السودان، ولكنَّ الخطرَ أنْ يلجأ الشيوعيون إلى نظام حكمٍ شيوعي بالقوة، فالخطر في الجيش!

ولكن حتّى إذا أفلحَ الجيشُ في القيام بانقلاب، ووصلَ الشيوعيون إلى الحكم، وأقاموا نظامهم، فإنه لن يستمرَّ طويلاً!

لأن الأمريكيان حريصون ألا يقومَ في الشرق العربي نظامٌ شيوعي.. وهم أصحابُ النفوذ في هذه المنطقة.

ثم ضربَ مثلاً بسوريا، فقال: إنّ سوريا كادت أن تصبحَ شيوعية، فدبّروا لها الوحدة، مع أنها تتنافى مع المخطّط الصهيوني في المنطقة العربية!! فتّمت الوحدة

بين مصر وسوريا لغرضٍ معين، وهو القضاء على الشيوعية، وانتهت بمجرد أدائها الغرض... .

ثم قال: إن الخطر الحقيقي، هو خطر الصهيونية والأمريكان، وهم الذين يسيطون نفوذهم على منطقة الشرق»^(١).

ومن أعمق تحليلات سيد قطب السياسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية، ما رواه لأحد الإخوان الفلسطينيين، عندما ووفق على إنشاء «منظمة التحرير الفلسطينية» وتعيين «أحمد الشقيري» رئيساً لها.

لقد روى ذلك الأخ الفلسطيني لمجلة «الغرباء» التي تصدر في لندن أن سيد قال له: «إن منظمة التحرير الفلسطينية، هي المسمار الأخير في نعش القضية الفلسطينية!!!».

وإن العرب أنشأوا المنظمة، ليس لأجل تحرير فلسطين من اليهود - كما يبدو في الظاهر - ولكن لمفاوضة اليهود ومهادنتهم، وإجراء الحل السلمي معهم، والتوقيع على وثيقة الصلح مع اليهود، والتنازل لهم عن معظم الأراضي الفلسطينية!!!

وإن المتابع لأحداث القضية الفلسطينية في هذه الأيام، ولدور منظمة التحرير الفلسطينية في الحل السلمي مع اليهود، ليرى صدق هذا التحليل السياسي العميق من سيد قطب، حيث جاءت الأحداث بعد ربع قرنٍ منه تصدقه وتشهد له!!!

إن السر في صحة وصدق تحليلات سيد قطب السياسية، هو نظره في أحداث العالم العامة، وأحداث المنطقة المحلية، على ضوء حقائق القرآن، ووزنها بالميزان القرآني الدقيق، والتعامل مع ما حوله على أساس السنن الربانية التي بينها القرآن!.

* * *

(١) الشهيد سيد قطب: ٩١ - ٩٢. نقلاً عن حديث حافظ الشيخ لمجلة الميثاق الإسلامي في

السودان. عدد: ٣٢٤. تاريخ ١٦/٩/١٩٦٦م.

(٢)

تراثه الأدبي والفكري

تنوع ألوان نتاجه

كان سيد قطب منهموماً نهماً عجباً للبحث والدراسة والمطالعة، منذ طفولته إلى شبابه إلى شيخوخته.

لقد ملأت المطالعة والدراسة والبحث عليه وقته، واستوعبت ساعاته وهواياته. كان توجهه في أول الأمر للألوان الأدبية والنقدية، في عالم الأدب والنقد والشعر، عن طريق المقالة والقصيدة والقصة والندوة والمحاضرة. فكان نتاجه في هذه المرحلة نتاجاً أدبياً نقدياً - كما بينا في القسم الأول من هذه الدراسة -.

ثم توجه للدراسة الإسلامية، فبحث وطالع في المجالات الإسلامية، وجاء نتاجه إسلامياً في هذه المرحلة - كما بينا في القسم الثاني من هذه الدراسة -.

وقد كان نتاجه المتنوع الألوان كثيراً غزيراً.

لقد امتد نتاجه الأدبي الغزير، حوالي عشرين عاماً - من ١٩٢٥م إلى ١٩٤٥م - وكان معظمه على صورة مقالات في الصحف والمجلات.

أما نتاجه الإسلامي فقد امتد حوالي عشرين عاماً - من ١٩٤٥م إلى ١٩٦٥م - منه ما هو مقالات في المجلات، كما بدا في مقالاته الإسلامية في مجلات الرسالة والدعوة والاشتراكية والمسلمون وغيرها. ومنه ما هو كتب وأبحاث ودراسات.

يقول سيد عن قراءاته: «إنه إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة. كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع في مختلف حقول المعرفة الإنسانية. ما هو من تخصصه، وما هو من هواياته.. ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره، فإذا هو يجد كل ما قرأه

ضئلاً، إلى جانب ذلك الرصيد الضخم.. وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره.. فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها، وعلى انحرافها، وعلى ضآلتها، وعلى قزائمها، وعلى جعجعتها وانتفاشها، وعلى غرورها وادعائها كذلك..»^(١).

كان يمضي عدة ساعات يومياً، في البحث والاطلاع «ولقد بلغ مجموع ساعات مطالعته في اليوم، عشر ساعات، كحد أدنى للبحث والاطلاع»^(٢).

تأنيه في البحث

كان سيد باحثاً بحق، وكان متأنياً في أبحاثه ودراساته، لم يتعجل إتمامها، ولم يسلقها سلقاً، وإنما كان يضعها على «نار هادئة» لتنضج عليها!! — كما يقولون —.

عندما نشر بحثه «المرأة لغز بسيط» على ست حلقات في مجلة الأسبوع عام ١٩٣٤م قال: «ولقد عنيت منذ عشر سنوات تقريباً، في أن أدرس هذا الموضوع، بمقدار ما تهىء الظروف لشاب، وحاولت أن أجد اللغز فيمن عرفتُهن، أو عرفهنَّ أصدقائي، وفيمن قرأت عنهن، أو قرأت لهن، فكان بحثي عن اللغز هو اللغز نفسه!»^(٣).

وعندما أعد بحثه عن «الصور والظلال في الشعر العربي» قال: «رجعت فيه إلى كل ما يملك فرد أن يرجع إليه من مصادر الشعر العربي»^(٤).

ويخبرنا عن بعض جهوده واطلاعاته ومراجعته لكتابة بعض مقالاته النقدية فيقول عن الناقد: «وإنه لينفق من الجهد — ليقول شيئاً ذا قيمة — أكثر مما ينفقه في أي فن آخر من الفنون الأدبية. فكتابة مقال توجب عليه على الأقل قراءة كتاب، أو عشرة كتب، أو عشرين في بعض الأحيان!..»

(١) معالم في الطريق: ١٧٥ — ١٧٦.

(٢) الشهيد سيد قطب: ٢٧.

(٣) مجلة «الأسبوع»، المجلد الثاني. عدد: ٤٥. تاريخ ١٩٣٤/١٠/٣. صفحة: ٩.

(٤) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٧٠٤. تاريخ ١٩٤٦/١٢/٣٠. صفحة: ١٤٥٧.

لقد صنعْتُها حينما كتبتُ في الرسالة منذ عام أربعةَ فصول عن: الدكتور طه حسين ومدرسةِ الأسلوب التصويري . والأستاذ توفيق الحكيم ومدرسةِ التنسيق الفني . والأستاذ المازني وطريقةِ الحركة الحيوية . والأستاذ العقاد ومدرسةِ المنطق الحيوي . .

ولقد كلفْتَنِي كُلُّ مقالة، قراءةَ كُلِّ كتابٍ لهؤلاء الأربعة، ومعظم ما كتبوه من مقالات! . ولم أكنُ لأزيد على هذا الجهد شيئاً لو اعتزمتُ أن أُؤلفَ عنهم كتاباً. .»^(١).

وعندما أعدُّ بحثه عن «المدارس الأدبية المعاصرة» اعتذَرَ عن الوقتِ الطويل الذي استغرقه هذا البحث، فقال: «ومنذُ عامين لديَّ كتابٌ عن «المدارس الأدبية المعاصرة» وما يؤخّرني عن كتابته إلا استيفاءُ بعضِ الدراسات الشخصية عن أبطاله، وقد استطعتُ أن أجمعَ عن كثبٍ، معظمَ ما أريدُ جمعه عن العقاد وتوفيق الحكيم، وشيئاً مما أريدُ جمعه عن طه حسين والمازني، وقليلًا عن المنفلوطي والزيات، ومتفرقاتٍ عن تيمور وحقي ولاشين وآخرين. .

وبعدما أستوفي هذه الدراسات — لا قبله — سأخذُ في الحديثِ عن المدارس الأدبية المعاصرة، ولو صرفْتُ عامين آخرين. فأنا أقدّرُ قيمةَ هذا العمل، وأعرفُ ما هو مطلوبٌ مني إزاءه. .»^(٢).

ومن مظاهر تأنيهِ في البحث، واهتمامه بأبحاثه ودراساته، لجوؤه إلى وسيلةٍ عجيبة، ما أظنُّ باحثاً لجأ إليها!

فعندما أعدُّ بحثين عن «الشعر المعاصر» و«القصة الحديثة» استوفى البحث في نتاج الأدباء المصريين، ولكن كيف يطلعُ على نتاج الأدباء العرب في باقي البلاد العربية؟

(١) مجلة الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٥. تاريخ ٢٧/١١/١٩٤٤م. صفحة: ١٠٤٥.

(٢) مجلة الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٥٩٧. تاريخ ١١/١٢/١٩٤٤م. صفحة: ١٠٨٨.

لقد نشر إعلاناً فريداً في مجلة الرسالة، موجّهاً إلى الأدباء العرب، قال لهم فيه :

«إلى أدباء البلاد العربية . . . لم تبق إلا هذه الوسيلة!

إنّ لديّ بحثين معطلين عن «شعر الشباب»، وعن «القصة الحديثة»، لأنني لا أستطيع الحصول على أعمال المعاصرين من الشعراء والقصاص، في البلاد العربية . . . ولا أحبُّ أن أقصّر بحثي على أعمال الأدباء المصريين . . .

فرجائي إلى كلّ شاعر وكلّ قاص في البلاد العربية، أن يتفضّل فيرسل إليّ بأعماله في هذين البابين، محوّلًا بثمانهما على البريد!»^(١).
ماذا كانت نتيجة هذا الإعلان؟

يقول عنها سيّد: «حدث أن تفضّل بعض الشعراء والأدباء في فلسطين والعراق والحجاز، بإهداء بعض دواوينهم وقصصهم إليّ. ولكنّ البقية لم تصلني. كما أن سوريا ولبنان لم يسمعا النداء!!»^(٢).

وبسبب تأنيه في البحث، وحرصه على أن يقدّم للقراء الجديد المفيد، تأخّر في نشر الكتب: «... ثمّ جاء دوري . . . جاء دوري في أن أنشر كُتُباً، بعد أن كنت أنشر بحوثاً ومقالات وقصائد.

لقد جاء دوري في نشر الكتب متأخراً كثيراً، لأنني آثرتُ ألا أطلّع المئذنة من غير سلّم، وأن أتريث في نشر كتب مسجّلة، حتى أحسّ شيئاً من النضج الحقيقي، يسمح لي أن أظهر في أسواق الناشرين . . .»^(٣)

ولما توجّه إلى البحوث والدراسات القرآنية والإسلامية، بقي على طريقته المتأنيّة الواعية في البحث والاطلاع . . .

(١) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٧٧. تاريخ ١٩٤٦/٦/٢٤ م. صفحة: ١٧٠٥.

(٢) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٩٨. تاريخ ١٩٤٦/١١/١٨ م. صفحة: ١٢٧٩.

(٣) مجلة الثقافة. السنة الثالثة عشرة. عدد: ٦٦٣. تاريخ ١٩٥١/١٢/١٠ م. صفحة: ٨.

عاش مع القرآن حوالي ربع قرن - من ١٩٤٠م إلى ١٩٦٥م - متأملاً متدبراً باحثاً مطلعاً، وقال: «إن الذي يكتب هذه الكلمات، قضى - والله الحمد والمنة - في الصحبة الواعية الدراسة لهذا الكتاب، خمسة وعشرين عاماً.. . يجول في جنبات الحقائق الموضوعية لهذا الكتاب، في شتى حقول المعرفة الإنسانية - ما طرّقه معارف البشر وما لم تطرّقه - ويقرأ في الوقت ذاته ما يحاوله البشر من بعض هذه الجوانب.. . ويرى.. . يرى ذلك الفيض الغامر المنفسح الواسع في هذا القرآن، وإلى جانبه تلك البحيرات المنعزلة، وتلك النقر الصغيرة.. .»^(١).

وكدليل على تأنيه في بحوثه ودراساته الإسلامية، الفترة الطويلة التي أمضاها، وهو يبحث لإعداد بحثه «خصائص التصور الإسلامي». حيث أمضى أكثر من عشر سنوات في البحث.. . إذ بدأ البحث فيه في مطلع الخمسينيات، ولم يُصدره إلا عام ١٩٦٢م.

أما كتاب «نحو مجتمع إسلامي» فقد بدأ إعداده في مطلع الخمسينيات، واستشهد عام ١٩٦٦م ولم يتمه!!.

رائد في الأبحاث الأدبية والنقدية

بدأ سيد أبحاثه في الموضوعات الأدبية والنقدية، فكتب مقالات وكتباً في الأدب والنقد، في النثر والشعر والقصة والتحليل.. . وله في هذه الفنون نتاج غزير، تمثل في مقالاته العديدة في الصحف والمجلات المختلفة.

استمر سيد يرتقي في الأبحاث الأدبية حتى وصل إلى القمة والريادة، فكان أديباً وشاعراً وكاتباً ومحللاً وناقداً، في طليعة الأدباء والنقاد.

كانت بدايته الأدبية والنقدية في مدرسة العقاد الأدبية، نصيراً للمعاني على الألفاظ، وخصماً للفظيين أتباع مصطفى الرافعي.

ولكنه لم يستمر في مدرسة العقاد، بل بدأ يخرج منها وعليها تدريجياً، وما أن انتصفت الأربعينيات حتى رأيته خارجاً على مدرسة العقاد الأدبية والنقدية، واستقل بفهم جديد في الأدب والنقد.

(١) الضلال ٣: ١٤٢٢.

انتهى به المطافُ الأدبيُّ والنقديُّ إلى الريادة، صاحبَ مدرسة مستقلة، يمكنُ أن نسميها مدرسة «الصور والظلال» الأدبية، فلا هوَ مع اللفظيين الأسلوبيين، أنصارِ الألفاظ في معركتها مع المعاني – مثل الرافعي وأحمد شوقي –، ولا هو مع المعنويين أنصارِ المعاني في المعركة – مثل العقاد وأتباعه – ولكنه أخذَ حَسَنَاتِ الفريقين، وتلافى أخطاءهم ومبالغاتهم!!

في مدرسة «الصور والظلال» اعتبرَ البلاغة: للألفاظ، وللمعاني، وللأسلوب، وللصور، وللظلال، وللموسيقى والإيقاع!.

ولو تابعَ سيّد عملَه في مدرسته الأدبية الرائدة «الصور والظلال» لَأَتَى فيها بالجديدِ الفريدِ الممتع!

ولكنه تركَ الدراساتِ الأدبية – بعدَ وصوله للريادة فيها – لبدأً جولةً جديدة، ومجالاً جديداً، حيثُ بدأ من جديد، ومن الصفر، وما زال يَرتقي فيه حتى وصل إلى عالمِ الريادة، حيث كان رائداً في البحوث الإسلامية...

وقاعدةُ مدرسته الأدبية والنقدية – مدرسة الصور والظلال – في كتابين: الأول «التصوير الفني في القرآن». والثاني «النقد الأدبي: أصوله ومناهجه».

ورائد في البحوث الإسلامية

بدأ سيّد سيره في البحوث الإسلامية من خلال دراسته الفنية الجمالية للقرآن، التي ترتبطُ بمدرسته الأدبية «الصور والظلال». ثم ارتقى في هذه الدراسات، للجانبِ الفكري الإسلامي العام. ثم تابعَ ارتقاءه حتى وصل للدراسات الحركية الإسلامية، وارتقى فيها إلى الريادة!

إنَّ سيّد قطب رائدٌ في الدراساتِ الفنية الجمالية البيانية القرآنية، من خلال كتابه: «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن».

ورائدٌ في الدراساتِ الإسلامية الفكرية العامة، من خلال «العدالة الاجتماعية في الإسلام» و«السلام العالمي والإسلام».

ورائدٌ في الدراساتِ الإسلامية الحركية، من خلال «الظلال» و«هذا الدين» و«المستقبل لهذا الدين» و«معالم في الطريق».

ويصدق عليه في هذه الريادة المتقدمة قول الشاعر:

عَجَباً بِأَنَّكَ سَالِمٌ مِنْ وَحْشَةٍ فِي غَايَةِ مَا زِلْتَ فِيهَا مُفْرِداً

أهمية نشر نتاجه كله

لسيد قطب نتاج غزير في مسيرته العلمية والأدبية، التي زادت على أربعين عاماً..

وكثير من هذا النتاج الأدبي والفكري كان مقالات، وهذه المقالات نشرت في صحف ومجلات مختلفة، لفترة استمرت أكثر من خمسة وعشرين عاماً.

وإننا نرى ضرورة وأهمية إخراج هذا التراث الأدبي والفكري، من بين أوراق تلك الصحف والمجلات، المحفوظة في دور الكتب ومكتبات الجامعات.. إننا نرى وجوب نشر هذا التراث، خدمة للأدب والأدباء، وتعريفاً بأفكار وآراء سيد الأدبية والاجتماعية المختلفة.

وإذا كان أدباء كبار – مثل العقاد وطه حسين – قد وجدوا من تلاميذهم من يدرس نتاجهم الأدبي، ويجمع مقالاتهم المختلفة، من بطون المجلات القديمة، فإنني أعتقد أن سيد قطب – وهو يوازي هؤلاء الرواد – بحاجة إلى من يخدم تراثه هذه الخدمة، ويقوم بهذه المهمة.

لا يوجد في حياة سيد قطب ما يُخجل، كما لا يوجد في تراثه الأدبي والفكري ما يُستحيا من نشره، حتى ولو كان فيه اتجاهات جاهلية، غريبة عن التصور الإسلامي، لأننا بهذا نعرف التطور في أفكار الرجل، وفضل الله عليه، في هدايته للطريق الصحيح الذي لقي الله عليه!!.

رفض دعوى إلغاء تراثه الأدبي السابق

ظهرت دعوى غريبة – بحسن نية – من بعض الإسلاميين، يدعون فيها إلى إلغاء كل تراث سيد قطب الأدبي، الذي سبق اتجاهه الإسلامي المحدد!

ويعللون لهذه الدعوة، بأن اهتمامات سيد في تلك المرحلة، كانت اهتمامات

أدبيةً، وكأنَّها – بالقياس إلى اهتماماته الإسلامية الجادة – لهوٌ وتسلية، ولا يجوزُ أن يُضيَّعَ الوقتُ فيها!

وهذه الدعوى نرفضُها – رغم احترامنا لأصحابها، وتقديرنا لحسن نيتهم فيها – ونطالبُ بنشرِ كلِّ تراثه الأدبيِّ السابق..

إنَّ هذا التراثَ الأدبيَّ – الذي يدعو الداعون إلى إهماله – قد أخذَ من وقتِ سيِّد قطب الكثير، واستغرقَ من عمره سنواتٌ عديدةٌ مديدة! زادت على خمسٍ وعشرين سنة.

وإذا أسقطنا ما قدمه في هذه السنوات، واكتفينا بما وصل إليه من فكر إسلامي ناضج، فإن سنوات عديدة ستطوى وتُمحى من سجلِّ حياته، عاشها سيِّد، وتفاعل معها، ولا بدَّ أن نتعرفَ عليه فيها..

غيرُ مقبولٍ أن نقفَ مع سيِّد على القمة الفكرية التي وصل إليها، دون أن نتعرفَ على الرحلة التي قطعها حتى وصل للقمة، ولا عقبات الطريق التي سلكها إليها!! وفي تراثه الأدبيِّ السابق وصفٌ لطريق السير.

صحيحٌ أن في بعض هذا التراث الأدبي اتجاهاتٌ جاهلية، مخالفةٌ للتصور الإسلامي، ولكنَّ هذا لا يعني أخذه واعتماده، بل التعرفُ على سير سيِّد قطب حتى وصل لقمة الريادة الإسلامية الحركية!

إن المؤرِّخين المسلمين السابقين لم يكتفوا بذكرِ سير الصحابة الإسلامية، ولم يهملوا حياتهم الجاهلية الأولى، حفاظاً على صورتهم الوضيئة المشرقة عند المسلمين، بل ذكروا كلَّ ما وصل إليهم من صور حياتهم الجاهلية، واعتبروا ذكرها ضرورياً لبيان فضل الإسلام الذي نقلهم هذه النقلة البعيدة!

أفلا نفتدي بهؤلاء المؤرِّخين الباحثين، في دراسة حياة سيِّد قطب الأولى وما خلَّف فيها من تراثٍ أدبي غزير؟!

ولا تعني دعوتنا إلى نشرِ تراثه الأدبي كُله، أننا نعتقدُ أن كلَّ فقرةٍ منه تصلحُ زاداً للدُّعاة العاملين، ولكنه زادٌ للأدباء والباحثين، وكشفٌ لجوانب خفيةٍ من مواهب سيِّد وحياته وأفكاره.

ويجب أن نبين أوجه المخالفة بين بعض ذلك التراث الأدبي، وبين التصور الإسلامي، ونرفض تلك الجوانب المخالفة، لكن بعد معرفتنا بها وإطلاعنا عليها!!

ثم إن معرفة حياته الأدبية الأولى، والاطلاع على تراثه الأدبي الضخم، ضروريان لمعرفة خلفيته الأدبية والفكرية، ولكشف مواهبه.. وهذا تمهيد ضروري لمعرفة نتاجه الفكري الإسلامي: «فلولا تكوين سيد الأدبي في سابق حياته، وتحليله بقوة عارضة، ورصانة لغة، وفكر مفتوح على آفاق المعرفة، وتعمق في الفهم... لما وصل سيد إلى قوة هذا العطاء، وإلى هذا الفكر الناضج..

إن تكوينه السابق لدخوله إلى ميدان الدعوة الإسلامية، كان فاتحة عمل عظيم.. وقدرة معطاءة..»^(١).

هل تخلّى سيد عن كتبه السابقة؟

قلنا إن المرحلة الأخيرة الناضجة، في العطاء الفكري الإسلامي لسيد، هي العطاء الحركي الإسلامي.. وهذه المرحلة بدأت عنده منذ محنة السجن عام ١٩٥٤م، وتعمقت عنده بعد مذبحة ليمان طرة عام ١٩٥٧م ونضجت في آخر الخمسينيات..

والكتب الإسلامية الحركية الناضجة التي تمثل هذه المرحلة، هي آخر نتاجه الإسلامي: الظلال - في طبعته المنقحة - وهذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، وخصائص التصور الإسلامي، والإسلام ومشكلات الحضارة، ومعالم في الطريق.. وأخيراً مقومات التصور الإسلامي..

وهناك مقولة يردّها بعض الإسلاميين - وينسبونها للأستاذ محمد قطب - مفادها أن سيد قطب في آخر أيامه، تخلّى عن نتاجه الأدبي كلّ، شعراً أو قصة أو مقالة أو كتاباً، كما تخلّى عن كتبه الإسلامية الفكرية العامة، مثل التصوير الفني، ومشاهد القيامة، والعدالة الاجتماعية، والسلام العالمي، ومعركة الإسلام والرأسمالية، ودراسات إسلامية..

(١) مجلة المجتمع. عدد: ١٦٦. تاريخ ١٩٧٣/٩/٤. صفحة: ٢٨.

وتُزَهَّدُ هذه المقولة في هذه الكتب، وتدعو الإسلاميين إلى عدم قراءتها، وعدم إضاعة الوقت فيها. وتدعوهم إلى الاكتفاء بكتبه الإسلامية الحركية!

فالأستاذ عبد الله العقيل يقول: «إن سيِّداً قد بعث لإخوانه في مصر والعالم العربي، أنه لا يعتمد سوى ستة مؤلفات له. وهي: هذا الدين. والمستقبل لهذا الدين. والإسلام ومشكلات الحضارة. وخصائص التصور الإسلامي. وفي ظلال القرآن. ومعالم في الطريق...»^(١)

والناشر اللبناني للظلال، قال عن كتب سيِّد المعتمدة لديه: «نكتفي في القائمة التالية بالكتب المتداولة، دون الكتب التي نفذت، وليس في النية إعادة طبعها، للشعور بأنها قد أدَّت دورها في حينها، ولم يُعدَّ لها إلا الاعتبار التاريخي... وبعضها مما يحتوي آراء أو اتجاهات للمؤلف، تبين له خطؤها، فعُدل عنها...»

والكتب المعتمدة التي أوردها ستة عشر كتاباً... عشرة منها إسلامية، وستة منها أدبية. وأتبعها بثمانية أبحاث كان سيِّد يُعدها ولم يكملها...^(٢)

ولا ندري دليل الناشر على كلامه هذا، والمصدر الذي استند إليه، في اعتماد سيِّد لتلك القائمة، ونرجح - مع الدكتور عبد الله الخصاص - : «أنه - إن صحَّت نسبة هذا التخلي لسيِّد قطب - لا بد من مؤثر معيَّن، أو حالة نفسية، أمَلَّت على سيِّد أن يصرِّح أو يعلن ذلك الإعلان، الذي يرفض أن يُعتبر مؤلفاته الأدبية تمثل وجهة نظر صاحبها. ولعلَّ ذاك المؤثر أو تلك الحالة النفسية، كانت نتيجة السجن الذي تعرض له سيِّد...»

ولكننا نخالف مخالفة جذرية، مَنْ يقول تخلى سيِّد عن بعض كتبه، ككتاب التصوير الفني ومشاهد القيامة، أو بعض كتبه الفكرية الأخرى. لأن سيِّداً يحيل القارئ في كثير من مواضع كتبه التي تمثله، إلى تلك الكتب، ليعود القارئ إليها... فهل يعقل أن يطلب من القارئ أن يعود إليها، وهو لا يؤمن بها؟!!

(١) المجتمع. العدد: ١١٢. تاريخ ١٩٧٢/٨/٨ م. صفحة: ٢٢.

(٢) الظلال - الطبعة السابعة - دار إحياء التراث العربي - بيروت. نهاية المجلد الثامن.

وسواءٌ صَحَّتْ هذه القضيةُ في نسبتِها لسيِّدٍ - أم لم تصحَّ - فلسنا مع دعايتها، المروَّجين لها، بل ننكرُ عليهم صنيعَهم هذا...»^(١).

إننا ندعو إلى نشرِ كلِّ كتبِ سيِّدِ الأدبية والإسلامية العامة، ولا ندعو إلى إلغائها - أو إعدامِ - واحدٍ منها، وإن كان في بعضها اتجاهاتٌ سابقة لسيِّد، مخالفةٌ للتصور الإسلامي... .

وحتى لا يقعَ القراءُ في إشكال، في ترتيبِ أفكارِ سيِّد حسب صدورِ كتبه، وحتى لا تلبسَ عليهم المراحلُ المتطورةُ التي مرَّ بها سيِّد، إلى أن استقرَّ رائداً للفكرِ الحركي الإسلامي، فإننا نعتدُّ هذه الملاحظةَ الجيدةَ التي أبدتها الأستاذُ يوسف العظم: «وأرى في هذا المقام أن يقومَ المنصفون من الكتاب أو الناشرين أو المحققين، حين يطبعون للشهيد كتاباً، أن يُشيروا إلى تاريخِ نشرِ كلِّ كتابٍ من كتبه، وإلى تاريخِ الطبعةِ الأولى من الكتاب، وإيرادِ ملاحظةٍ في أولى صفحاتِ الكتاب، تُبيِّنُ المرحلةَ التاريخيةَ التي قدَّم فيها الشهيد عطاءه... ذلك ليعرفَ القارئُ ماذا يقرأ للشهيد...»^(٢).

محاربة الطغاة لكتبه وفكره

بعدَ محنةِ سيِّد قطب الثانية، التي أدَّتْ إلى استشهاده، أرادَ الطغاة في مصر محوَ اسمِ سيِّد قطب من عالمِ البحث والدراسة والفكر، وإعدامِ كلِّ كتبه ومؤلفاته، والقضاء على كلِّ تراثه الأدبي والفكري...

وقد أشارَ إلى هذه الحربِ «الفكرية» التي شنها الطغاة على مؤلفاتِ وفكرِ سيِّد، الأستاذُ «عبد الباقي محمد حسين» بمناسبةِ اشتغاله بتراثه في رسالة الماجستير. وجاءتْ إشارتهُ تلك في مقابلةٍ مندوبِ مجلة «المسلمون» معه عام ١٩٨٢ م.

قال الأستاذ عبد الباقي: «صدرَ الأمرُ بمنعِ كتبِ سيِّد، صدرَ بتاريخ

(١) سيد قطب الأديب الناقد، للدكتور الخباص: ١٢٤.

(٢) سيد قطب، ليوسف العظم: ٣١٨ - ٣١٩.

١٩٦٥/١٠/٢م، في الخطاب السري رقم ٢٠٢^(١)، حيث منع كل مؤلفات سيّد، وعُمم على المكتبات ودور الطباعة والنشر، بإعدام كل ما لديها من كتب ومؤلفات سيّد، وكل من يحتفظ بواحد منها يُعتبر مروجاً لأفكارٍ ضدّ الدولة. فاقْتناء أيّ واحدٍ منها جريمةٌ تعرّض صاحبها للإدانة...».

وقد جمعتُ كتبُ سيّد - بموجب هذا الخطاب السريّ - من المكتبات العامة وأُتلفت، كما جُمعت هذه الكتب من المكتبات العلمية التابعة للجامعات، ووُضعت في صناديق، وحُفظت في سجن القلعة.

وأشارَ عبدُ الباقي إلى طرفٍ من معاناته، وهو يبحثُ عن تراث سيّد لإعداد رسالته... «فعندما سأل عن كتب سيّد في دار الكتب المصرية، قالوا إنها قد جُمعت، ووُضعت في صندوقٍ كبير، ثم أرسلتُ إلى سجن القلعة، حيث النيابة العسكرية...».

وقد تردّد عبد الباقي كثيراً على سجن القلعة للاطلاع على تلك المؤلفات دون جدوى... وفي المرة الأخيرة، أخبروه أنّهم عثروا على ذلك الصندوق، ولم يجدوا فيه من مؤلفات سيّد إلا القليل الممزّق، وهو ما تبقى من عبث المخابرات...»^(٢).

والعجيبُ أن الباحث عبد الباقي لم يجد مؤلفات سيّد قطب إلا في مكتبة «الجامعة الأمريكية بالقاهرة»، ابتداءً من ديوانه المفقود «الشاطئ المجهول» وانتهاءً بكتابه الأخير «معالم في الطريق»^(٣). ويبدو أنّ مكتبة «الجامعة الأمريكية» كانت مستثناةً من التعميم في الخطاب السريّ، لأنها تابعةٌ للجامعة الأمريكية، وليست تابعةً لمصر!!.

ومما يدلُّ على محاربة الطغاة لكتب سيّد، خبرُ رواه الأستاذ محمد قطب، وأوردته في مقدمة كتابي «مدخل إلى ظلال القرآن» أوردته هنا لمناسبته له:

(١) الخطاب السري محفوظ في السجل رقم (٦) بمكتبة كلية دار العلوم بالقاهرة. انظر سيد قطب لعبد الباقي: ١١٤.

(٢) مجلة المسلمون. عدد: ١١. تاريخ ٨ / ٢ / ١٩٨٢م. صفحة: ١٢.

(٣) سيد قطب لعبد الباقي: ١١٦.

«كان السيد عبد الحميد جودة السحار مشتركاً مع سيّد قطب، في كتابة سلسلة قصصية للأطفال، هي «القصص الديني». وقد نفذت هذه السلسلة من الأسواق، ودعت الحاجة إلى إعادة طبعها. فذهب السحار إلى «شمس بدران» - مدير مكتب المشير عامر، والحاكم الفعلي لمصر وقتها - ليأخذ منه إذناً بإعادة الطبع - في الوقت الذي اشتدت فيه المحنة على سيّد قطب في السجن عام ١٩٦٥م - فوافق بدران على السماح بإعادة الطبع على شرط: أن يُسقط من كتب السلسلة اسم سيّد قطب، شريك السحار في التأليف!!.

فاستغرب السحار من هذا الشرط، وقال لبدران: كأنكم حريصون على محو اسم سيّد قطب وفكره؟!

فما كان من بدران إلا أن قال: نعم! نحن حريصون على ذلك وجادون في تحقيقه!!»^(١).

وحاول الطغاة القضاء على مؤلفات سيّد قطب، وبذلوا كلّ ما يقدرّون عليه من أساليب ووسائل!

ولكن، ماذا كانت النتيجة، بعد أكثر من ثلاثين عاماً من كلام شمس بدران السابق؟ هل نجح هؤلاء في مسعاهم؟ وهل أعدموا كتب سيّد ومؤلّفاته وفكره، كما أعدموا جثته؟

إنّ أيّ مطّلعٍ أو مراقب، ليرى فضل الله على سيّد، حيث رزقه الشهادة، وحيث كتب لفكره وكتبه النبول والتأثير. . . فبينما ذهب الطغاة من أمثال عبد الناصر وشمس بدران، مشيعين باللعنة والذم، ويجرون أذيال الهزيمة، فقد انتشرت كتب سيّد الإسلامية الرائدة في بلاد المسلمين، ووصلت إلى بيوت هؤلاء المسلمين، وملأت أسواق المسلمين!

* * *

(١) مدخل إلى ظلال القرآن: ٧ - ٨.

(٣)

نتاجه ثلاثة أقسام

- يمكن أن نقسم تراث سيد قطب الأدبي والفكري أقساماً ثلاثة:
- الأول: مقالاته العديدة في الصحف والمجلات.
- الثاني: كتبه ومؤلفاته المطبوعة.
- الثالث: بحوث له لم تنشر.

القسم الأول

مقالاته في الصحف والمجلات

مقالات سيد في الصحف والمجلات كثيرة ومنوعة. «ولم يُنتج سيد قطب في فنٍّ أدبيٍّ، أكثر مما أنتج في فنِّ المقالة»^(١).

استغرقت مقالاته في الصحف حوالي ثلاثين سنة - من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٤م - . وكتب في مجلات عديدة، حزبية وإسلامية وأدبية وسياسية واجتماعية. وقد أشرنا إلى بعض المجلات التي كتب فيها، أثناء حديثنا عن كتابته في الصحف والمجلات في القسم الأول من هذا الكتاب.

وكانت مقالاته في تلك الصحف والمجلات متنوعة، منها المقالات الأدبية والنقدية، والمقالات الاجتماعية، والفنية، والإصلاحية، والسياسية، والإسلامية. . . وغير ذلك.

وهذه المقالات تحتاج إلى مَنْ يجمعها، ويصنّفها على أساس موضوعاتها، وينسّق بينها، وينشرها على الأدباء والمثقفين، لأنه لا يقدر كلُّ مثقفٍ على العثور على تلك المجلات القديمة، والاطلاع على مقالات سيد فيها!

وقد جمع سيد قطب بعض مقالاته ونشرها في كتب:

جمع بعض مقالاته النقدية في كتابه «كتب وشخصيات»، وكان ينوي إصدار حلقة ثانية من هذا الكتاب.

وجمع بعض خواطره في كتاب «الأطياف الأربعة» بالاشتراك مع إخوته.

وجمع بعض مقالاته الإسلامية في كتاب «دراسات إسلامية» وكأنه بهذا يفتح الطريق أمام الباحثين، ويدعوهم إلى جمع مقالاته وإخراجها. . .

(١) سيد قطب، لعبد الباقي : ٢٦٤ .

قائمة الدكتور الخباص لمقالات وقصائد سيّد

وقد اطلع أساتذة باحثون على بعض مقالات سيّد المختلفة وأعدّوا لها قوائم «ببليوغرافيا» فنية .

من هؤلاء الدكتور عبد الله الخباص، الذي جعل قائمة مقالاته ملحقاتاً لكتابه «سيّد قطب الأديب الناقد» - الذي نال به الماجستير في الأدب من كلية الآداب بالجامعة الأردنية عام ١٩٨٢م - .

وكانت قائمة الدكتور الخباص جيدةً وقيمةً، ونافعةً وكبيرةً، وزادت عن ثمانين صفحة، بحيث تستحق أن تُفرد في رسالة خاصة .

وجعل الدكتور الخباص قائمته قسمين :

القسم الأول : وهو الذي يهمنّا هنا، وقد خصّصه لتراث سيّد قطب، ونتاجه الأدبي والفكري .

ويشمل هذا القسم مؤلفات سيّد المطبوعة، وبحوثه التي لم ينشرها، والرسائل التي ظهرت بعد استشهاده، واقتطعت من كتبه أو مقالاته .

كما يشمل هذا القسم ما نشره سيّد، من قصائد ومقالات في الصحف والمجلات، والمقدمات التي كتبها لبعض المؤلفات .

القسم الثاني : خصّصه لما كتبه الكاتبون عن سيّد من مؤلفات مطبوعة، أو رسائل جامعية، أو مقالات في الحديث عنه أو عن فكره .

وقد نشر الدكتور الخباص في قائمته كلّ ما تمكّن من الوقوف عليه، وهو يعترف بأنه لم يستوعب كلّ المقالات، ولم يطلع على كلّ المجلات التي نشرت لسيّد أو كتبت عنه .

ووعّد أن ينشر في المستقبل، قصائد سيّد في كتاب، ومقالاته في كتب أخرى . . . وإنا لمنتظرون! . . .

وبلغ عدد القصائد التي فهرسها وصنّفها في قائمته «ثمانياً وثمانين» قصيدة .

(١) انظر سيّد قطب الأديب الناقد : ٣٥١ - ٤٣٧ .

بينما بلغ عدد مقالات سيّد التي فهرسها وصنّفها «ثلاثمائة وأربع عشرة» مقالة . . .

قائمة عبد الباقي محمد حسين لمقالات وقصائد سيّد

قدّم الباحث المصري «عبد الباقي محمد حسين» رسالةً للحصول على الماجستير في الآداب من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، وكانت بعنوان «سيّد قطب حياته وأدبه». وقد نال بها الماجستير عام ١٩٨٢م.

وقد أعدّ السيد عبد الباقي قائمةً «ببليوغرافيا» لمقالات وقصائد سيّد المختلفة، التي نشرها في حياته الأدبية والإسلامية.

وكان مجموع القصائد والمقالات التي فهرسها وصنّفها، أربعمائة وخمسة وخمسين قصيدة ومقالة. أي أكثر من قائمة الدكتور الخباص السابقة بأكثر من خمسين مقالة وقصيدة. والسرّ في هذه الزيادة، هو أنّ السيد عبد الباقي قد اطلع على مجلات أكثر مما اطلع عليه الخباص، بحكم وجوده في القاهرة، وتردّده على دور الكتب فيها . . .

وقد رتب السيد عبد الباقي قائمته ترتيباً تاريخياً، حسب صدور الصحف والمجلات.

ولم يستقصِ السيد عبد الباقي جميع الصحف والمجلات، ولم يطلع عليها كلّها، لأنه لم يجدّها كلّها، ولذلك لم يصنّف كلّ مقالات وقصائد سيّد قطب^(١).

وقد وعد السيد عبد الباقي جمع مقالات سيّد، والتنسيق بينها، وإصدارها في دراسة قادمة، كما وعد بذلك ناشر كتابه - «دار الوفاء» - وأنا لمنتظرون^(٢) . . .

ونحبّ أن نشير إلى أنه بعد استشهاد سيّد قطب، صارت المجلات الأدبية والإسلامية، تنشر بعض تلك المقالات، بمناسبة مرور ذكرى استشهاده.

وقد قمتُ بجمع مقالات سيّد التي كتبها عن أمريكا، ونسّقتُ لها، ومهّدتُ لها بدراسة، ونشرتها في كتاب «أمريكا من الداخل بمنظار سيّد قطب» - والحمد لله!

* * *

(٢) المرجع السابق: ٢٦٩.

(١) سيد قطب، لعبد الباقي: ٤٠١ - ٤٤٤.

القِسمُ الثَّانِي

كُتُبُهُ المَطْبُوعَةُ

سنقومُ فيما يلي بترتيبِ كُتبِ سيّد قطب المطبوعة، حسبَ صدورها في طبعاتها الأولى.

إننا نرى أنه على كل مَنْ أرادَ أن يتعرّف على تطوُّرِ فكرِ سيّد، ومظاهرِ هذا التطور، أن يرتّب كُتُبَهُ المطبوعة على أساسِ تاريخِ صدورها.

فالكلُّ يعرفُ أن سيّد كان يراجعُ فكره ورأيه، ويعيدُ تشكيلَ مقرراته على أساسِ معلوماته الجديدة، التي حصَّلها من بحثه العلمي الدؤوب. فإذا لم نعرف ترتيبَ كتبه، وإذا لم نصنّفها على أساسِ صدورها، فقد ننسب له رأياً رآه ثم تخلّى عنه، وبذلك نظلمه، قد يرى سيّد رأياً ما، ويسجله في كتابٍ له، ثمّ يظهرُ له خطأ هذا الرأي، فيتخلّى عنه في كتابٍ لاحق، ولذلك لا بدّ أن نعرف الكتابَ السابق والكتابَ اللاحق! وسبقَ أن أوصينا — مع الأستاذ يوسف العظم — كلَّ ناشر يريدُ نشرَ كُتبِ سيّد، أن يذكرَ الطبعةَ الأولى للكتاب الذي ينشره، وهي الطبعةُ الصادرة في حياةِ سيّد، ثم يذكرُ سنةَ طبعته هو!

وعلى الباحثين الذين يوردون أسماءَ كُتبِ سيّد المطبوعة، أن يُسلسِلوها على أساسِ تاريخِ صدورها.

تأخّر سيّد في نشر الكتب

تأخّر سيّد في تأليفِ الكتب ونشرها، حيثُ أمضى حوالي عشرين سنة من حياته الأدبية، يكتبُ المقالات والقصائد. وبعد أن آنسَ من فكره نضجاً صار ينشرُ الكتب.

قال للدكتور أحمد أمين: «لقد كنتُ مريداً — بكلِّ معنى كلمة المريد — لرجلٍ

من جيلكم، تعرفونه عن يقين [يعني العقاد] ولقد كنتُ صديقاً أو ودوداً مع الآخرين من جيلكم كذلك.

لقد كتبتُ عنكم جميعاً بلا استثناء، شرحتُ آراءكم، وعرضتُ كتبكم، وحللتُ أعمالكم بقدر ما كنتُ أستطيع . . .

ثم جاء دوري . . . جاء دوري في أن أنشرَ كتباً، بعد أن كنتُ أنشرُ بحوثاً ومقالاتٍ وقصائد. لقد جاء دوري في نشر الكتب متأخراً جداً، لأنني أثرتُ ألا أطلع المئذنة من غير سلم، وأن أثريث في نشر كتبٍ مسجلة حتى أحس شيئاً من النضج الحقيقي، يسمح لي أن أظهر في أسواق الناشرين»^(١).

قرّر سيّد أن يبدأ تأليف الكتب عام ١٩٤٥م، وقد قارب الأربعين من عمره — سنّ النضج والرشد — والكتب التي أصدرها قبل تلك السنة ليست كتباً في الأصل. فكتاب «مهمة الشاعر في الحياة» محاضرة نقدية أساساً. و«الشاطئ المجهول» قصائد شعرية سبق له نشرها في المجلات. و«نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر» مقالة نقدية مطوّلة نشرها في مجلة دار العلوم.

وهكذا نرى أن سيّد قرّر دخولَ عالم التأليف والنشر عام ١٩٤٥م، وهو في سنّ الأربعين . . .

وخلال خمس سنوات — من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٠م — أصدر ثلاثة عشر كتاباً ورسالة، وهذا يدلُّ على غزارة نتاجه، وسيولة قلمه . . .

ويبدو أن كبار الأدباء «نفسوا» على سيّد مؤلفاته، وحسدوه على نتاجه الغزير، فلم يُقرّظوه ولم يُثنوا عليه، بل تجاهلوا هذا النتاج الأدبي والفكري . . .

وقد ترك هذا الموقف من كبار الأدباء ألماً وحسرة في نفس سيّد. وفي ذلك يقول للدكتور أحمد أمين: «فماذا كان موقفُ أستاذي [العقاد] وماذا كان موقفُ جيلكم كلّهُ؟ ماذا كان موقفُ جيلِ الشيوخ، لا من هذا الكتاب وحده [التصوير الفني في القرآن] ولكن من الكتب العشرة التي نشرتها حتى الآن؟»^(١).

(١) مجلة الثقافة. السنة الثالثة عشرة. عدد: ٦٦٣. تاريخ ١٠/١٢/١٩٥١م. صفحة: ٨.

كتبه ستة وعشرون كتاباً فقط

الكتب التي أعدها سيّد ونشرها، ستة وعشرون كتاباً، خمسة وعشرون منها طُبعت في حياته. والسادس والعشرون بعد استشهاده بعشرين سنة - وهو مقومات التصور الإسلامي - وفي قمة كتبه موسوعته التفسيرية «في ظلال القرآن» الذي أصدره في ثلاثين جزءاً، كلُّ جزءٍ في كتابٍ خاص - وكأنَّ الظلال ليس كتاباً واحداً، بل ثلاثين كتاباً! - .

وكتبه المطبوعة قسمان:

* الأول: كتب أدبية. وهي ثلاثة عشر كتاباً.

* الثاني: كتب إسلامية. وهي ثلاثة عشر كتاباً أيضاً! .

وفيما يلي نقدّم قائمة بكتبه المطبوعة حسب صدور طبعاتها الأولى:

١ - مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر

أعدّه في الأصل محاضرة نقدية، ألقاها في مدرج كلية العلوم، عندما كان طالباً في السنة الثالثة فيها.

وقدّمه إلى الحضور أستاذه «محمد مهدي علام» كما قدّم الكتاب نفسه عندما دفعه سيّد إلى المطبعة.

وقد أثنى أستاذه «علام» عليه، وبَيَّنَ اعتزازه بأن يكون أستاذاً له، وقرَّرَ بأنه لو لم يكن له تلميذٌ إلا سيّد لكفاه ذلك سروراً. كما بيّن أستاذه في التقديم إعجابه بجرأة سيّد الرشيدة، واستقلاله بالرأي، وعصبية البصيرة، واعتبره مفخرة من مفاخر كلية دار العلوم^(١)!

وقال سيّد في تقديمه للكتاب: «هذا مجهود ضئيل الحجم، أُعدَّ ليكون محاضرةً فحسب، فلا يحتاج إلى مقدّمة تبين أغراضه، وتوضّح اتجاهه، فهو ذاته يصح أن يكون مقدّمة لمبحثٍ كامل في موضوعه هذا «مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر»، وسيكون»^(٢).

(١) انظر تقديم محمد مهدي علام للكتاب: ٩ - ١٠. (٢) مهمة الشاعر في الحياة: ٨.

وهو أول مؤلفاته، وهو كتاب نقدي، وكون أول مؤلفاته كتاباً في النقد الأدبي، له دلالة خاصة على تفتح مواهبه النقدية مبكراً.

وقد طُبِعَ الكتاب عام ١٩٣٣م كما يبدو من تاريخ مقدمته^(١).

٢ - الشاطيء المجهول

وهو أول ديوان شعري مطبوع لسيد، كما أنه الأخير! إذ لم يُطبع غيره من دواوينه التي أعلن أنها تحت الطبع!!

وقد طُبِعَ في ١/١/١٩٣٥م.

وقد طُبِعَ سيّد من هذا الديوان ألفاً وخمسمائة نسخة، وبلغ عدد صفحاته مائتين وثمانين صفحات.

وسماه «الشاطيء المجهول» باسم قصيدة من قصائده، نظمها وهو في رحلة الضياع التي تحدثنا عنها فيما سبق. . وهو يعني بالشاطيء المجهول شاطيء الحياة، الذي وقّف عليه، وحاول معرفة سرّ الحياة المجهول، ولكنه لم يهتد إليه.

وقد أهدى ديوانه إلى شقيقه «محمد» الذي كان وقتها في السادسة عشرة من عمره، واعتبره امتداداً له.

وهو الكتاب الوحيد لسيّد الذي لم يُطبع إلا طبعة واحدة، حيث لم تُعدّ طباعته لا في حياة سيّد ولا بعد استشهاده، ولهذا أصبح الحصول على نسخة منه أمراً عزيز المنال!

ولعلّ سبب عدم إعادة طبع سيّد لديوانه ما في بعض قصائده من تصورات تخالف التصور الإسلامي، حيث صاغها أثناء رحلة ضياعه.

وقد كتب سيّد نفسه مقدمة لديوانه، انتقد بعض قصائده، وأخذ عليها بعض المآخذ، وأثنى على قصائد أخرى^(١).

(١) سيد قطب للخصائص: ٢٣٢ - ٢٣٤.

(٢) المرجع السابق: ١٣٠ - ١٣٥.

وجميلٌ أن ينقدَ سيّد قطب الناقد سيّد قطب الشاعر!

ولا توجدُ نسخٌ من هذا الديوانِ الآنَ إلّا في بعضِ مكتباتِ الجامعات؛ فالسيد عبد الباقي محمد حسين، وجدَ بعدَ بحثٍ دائبٍ وجهِدٍ مضنٍ نسخةً من الديوان في مكتبة الجامعة الأمريكية في القاهرة.

والدكتور عبد الله الخباص لم يجدَ إلّا نسخةً من الديوان في مكتبة جامعة «لندن»! فصوّرَ عنها نسخةً له، كما صوّرَ عنها نسخة لي، جزاه الله خيراً.

٣ — نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر

أصدرَ الدكتور طه حسين عام ١٩٣٨م كتابه «مستقبل الثقافة في مصر». وقد قامتْ حول الكتاب ضجةٌ كبيرة. . لأن طه حسين دعا في كتابه إلى أن تكون مصرُ جزءاً من العالم الغربيّ، كما دعا إلى الأخذ بالحضارة الغربية، والثقافة الغربية، بحلوها ومرّها، وخيرها وشرّها.

وقد قام الأدباء والمفكرون بنقدِ هذا الكتاب، فمنهم من قبله وتبنّاه، ومنهم من رفضه وأظهرَ زيفه.

وكان سيّد قطب في طليعة الأدباء الذين نقدوا الكتاب.

ولم يكن سيّد مع طه حسين دائماً، كما أنه لم يكن ضده دائماً، بل كان يوافقه على بعض آرائه، ويخالفه في بعض آرائه: «وفي هذا الكتاب ما نوافق الدكتور فيه أشدّ الموافقة، وفيه ما نخالفه فيه أشدّ المخالفة، وفيه ما يحتملُ الأخذ والردّ والزيادة والنقصان...»^(١).

وكان نقد سيّد لكتاب طه حسين من منطلقٍ أدبيّ ونقدي وثقافي وتعليمي، ولذلك قبل بعض آرائه، ورفض بعضها الآخر. ولم يكن نقده له من منطلقٍ إسلامي، لأنه لم يكن لسيّد في ذلك الوقت (عام ١٩٣٨م) اتجاهٌ إسلاميٌّ محدّد. ولو نقده من منطلق إسلامي فلربما لم يوافقه في رأي واحد!

(١) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٨.

وقد ظنَّ بعضُ الباحثين خطأً - وأنا منهم في كتابي «سيد قطب الشهيد الحي» - أنَّ سيدَ نشر نقدَه لكتاب مستقبل الثقافة في مصر، في حلقاتٍ متسلسلة في صحيفة «دار العلوم»^(١). وسببُ وقوعنا في هذا الخطأ، هو صنيعُ ناشرِ الكتاب عام ١٩٦٩م - وهو الدارُ السعودية للنشر والتوزيع - حيث قال في هامش الصفحة الخامسة من الكتاب «نُشرَ البحثُ تباعاً في صحيفة دار العلوم بُعيدَ صدور كتاب طه حسين...»^(٢).

وقد لفتَ نظري إلى وقوعي في هذا الخطأ، أخي الدكتور عبد الله الخباص - جزاه الله خيراً - وأخبرني أنَّ سيدَ قطب نشرَ نقده في عددٍ واحدٍ من أعداد صحيفة دار العلوم. وهو العدد الرابع، من السنة الخامسة، الصادر عام ١٩٣٩م، ونُشرَ نقدُ سيد في الصفحات من ٢٨ إلى ٧٩^(٣).

لكنَّ الدكتور الخباص يصرُّ في أكثر من موضعٍ من كتابه^(٤) على أنَّ سيدَ قطب لم يطبع هذا النقد في كتابٍ مستقل طيلة حياته. وإنما ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٦٩م، حيث استلَّته «الدار السعودية للنشر والتوزيع» من صحيفة دار العلوم!

ولا أدري ما سببُ إصرار الدكتور الخباص على ذلك!

إنَّ الثابت أنَّ الكتابَ طُبِعَ في نفسِ السنة التي نُشرَ فيها في العدد الرابع من صحيفة دار العلوم. أي ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٣٩م.

لو ألقينا نظرةً على أيِّ كتابٍ لسيد قطب صدرَ في الأربعينيات أو الخمسينيات، وقرأنا قائمةَ كتبِ المؤلف في آخره، لوجدنا ضمنَ هذه القائمة «نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر». وأحيلُ الدكتور الخباص على تلك القائمة في كتاب «التصوير الفني في القرآن»، أو «كتب وشخصيات»، أو «النقد الأدبي»، الصادرة في الأربعينيات.

(١) سيد قطب الشهيد الحي: ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٥ هامش.

(٣) سيد قطب، للخباص: ٢٣٤.

(٤) المرجع السابق: ٢٣٤ - ٣٦٦.

وبين يديّ كتاب «في ظلال القرآن» - الطبعة الأولى، التي صدرت عن «دار إحياء الكتب العربية» بمصر عام ١٩٥٤...

ففي القائمة التي في آخر الجزء الأول بأسماء كتب المؤلف، كتاب «نقد كتاب مستقبل الثقافة»، وقد أخذ رقم (١٦) ضمن القائمة، وبجانبه موضوعه، وأنه كتاب «نقد»، ثم ملاحظة أنه «نقد»^(١).

٤ - التصوير الفني في القرآن

وهو أول كتاب إسلامي له، حيث أصدره في شهر «أبريل» - نيسان - ١٩٤٥م^(٢). عن دار المعارف بمصر.

وكان أصل الكتاب مقالتين نشرهما سيّد في مجلة «المقتطف» عن «التصوير الفني في القرآن الكريم» عام ١٩٣٩م.

واعتبر سيّد كتابه هذا أساساً لمشروع علمي أدبي، أسماء «مكتبة القرآن الجديدة» أراد منه تقديم دراسة أدبية بيانية للقرآن الكريم.

واعتبر المحققون من العلماء والباحثين هذا الكتاب كشفاً لا تأليفاً، كما اعتبروه «مفتاحاً» أدخره الله لسيّد، فتح به كنوز القرآن الجمالية المذخورة فيه.

هذا المفتاح الجمالي القرآني، يقوم على تقرير القاعدة العامة المطردة للتعبير القرآني، وهي قاعدة «التصوير الفني».

وهذا الكتاب يقوم على تفصيل وبيان هذه الحقيقة، التي لاحظها سيّد في التعبير القرآني المعجز: إن التصوير الفني هو القاعدة العامة للتعبير القرآني، حيث يستخدم القرآن طريقة التصوير في مختلف موضوعاته وأغراضه، وثلاثة أرباع آيات القرآن معروضة بطريقة التصوير!

وقد أثر هذا الكتاب «التصوير الفني» في الدراسات البيانية الجمالية للقرآن، التي ظهرت بعده.

(١) الظلال - الطبعة الأولى. نهاية الجزء الأول.

(٢) سيد قطب، للخصائص: ٣٦١.

وقد خصَّصنا لهذا الكتاب دراسةً خاصةً هي «نظريةُ التصوير الفني عند سيّد قطب». فنكتفي هنا بهذا التعريف.

٥ - الأطياف الأربعة

صدرَ هذا الكتاب عن «لجنة النشر للجامعيين» وطبعته مكتبةُ مصر عام ١٩٤٥م^(١).

وقد اشترك في تحرير الكتاب، مع إخوته الثلاثة: حميدة ومحمد وأمينه. ابتدأت الكتاب حميدة - الطيف الأول - بمجموعةٍ من خواطرها وتأمّلاتها. وتبعها أمينه، ثم محمد، كلٌّ منهما بتأمّلاتٍ نفسية، وخواطرٍ شاعرية. وختم الكتاب سيّد - الطيف الرابع - ببعضِ تأمّلاته ومقالاته ذات السمة النفسية والشعورية.

والحق - كما يقولُ الأستاذ «وديع فلسطين» في تعريفه بالكتاب - «أنَّ كتابَ الأطياف الأربعة ممتع، يلتذُّ القارئ بقراءته حتى ليكاد يستعيد بعضَ فصوله مرات ومرات، فإنَّ الصورَ الخاطفة التي ساقها مؤلفوه، والمشاعرَ السامية التي أودعوها صفحاته، دلّت على قدرةٍ مشاعةٍ بين إخوة أربعة، وفطنةٍ مشتركةٍ بينهم، ولباقةٍ أدبيةٍ يميّزون بها...»^(٢).

٦ - طفل من القرية

صدر الكتاب عن لجنة النشر للجامعيين عام ١٩٤٦م^(٣).

وأهدى سيّد كتابه إلى الدكتور طه حسين، حيث كان معجباً بكتابه «الأيام» وبكتابِ توفيق الحكيم «يوميات نائب في الأرياف»!

(١) سيّد قطب للخصائص: ٣٦١.

(٢) مجلة الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٦١٨. تاريخ ١٩٤٥/٥/٧م. صفحة: ٤٩٠.

(٣) مجلة الكتاب. السنة الأولى. المجلد الثاني. عدد: ٩. تاريخ يوليو ١٩٤٦م. صفحة: ٤٦٥.

وفي كتابه صورٌ ريفية وعاما، وحفظها خياله وعقله وهو طفل صغير في قريته «موشى»، قال عنها في المقدمة: «هذه صورٌ من حياة القرية، عاصرت طفولتي منذ ربع قرن من الزمان، لم أنمُق فيها شيئاً، ولم أصنع أكثر من نقلها من صفحة الذاكرة إلى صفحة القرطاس»^(١).

وفي الكتاب تسجيلٌ لحياته في القرية، من حيث أسرته ووضعها الاجتماعي والاقتصادي، والروابط والصّلات بين أفرادها، ومن حيث دراسته في القرية، واهتماماته الدراسية والثقافية منذ طفولته، ومن حيث مشاركاته الاجتماعية والثقافية والسياسية فيها..

وهو في الكلام عن حياته في القرية، لم يرتّب الحوادث ترتيباً تاريخياً، وإنما اتّبع الطريقة التصويرية، فكان فيها أقرب إلى الرسّام المصور منه إلى الكاتب المؤرخ. ولا يستغني عن هذا الكتاب أيُّ باحثٍ يريد أن يتعرف على نشأة سيّد وطفولته في قريته.

وقد وقف بنا عند مغادرته القرية إلى القاهرة للدراسة فيها، كما بدا في فصل «الرحيل» آخر فصول الكتاب.

وأكثرُ الفصول تسجيلاً لحياته في القرية هي: «المدرسة المقدسة»، و«العفاريات»، و«حركة ثقافية»، و«أحزان الريف».

٧ — المدينة المسحورة

هي قصةٌ خياليةٌ أسطورية، استوحاها من قصص ألف ليلة وليلة. وقد أصدرتها دارُ المعارف ضمن سلسلة «إقرأ» سنة ١٩٤٦م^(٢).

حدّثنا سيّد في بداية مدينته المسحورة عن أرقِ الملك «شهریار» في الليلة المائة بعد الألف، بعد أن ضاق بأحاديث زوجته «شهرزاد» التي أحسّت منه ذلك، فاستأذنته،

(١) طفل من القرية: ٥.

(٢) انظر «سيد قطب»، للخباص: ٢٨١ — ٢٨٦.

وانقطعت عنه تسعاً وتسعين ليلة، فأرق شهریار، وذهب إلى مخدع شهرزاد، وطلب منها مواصلة حديثها عن قصصها.

فبدأت عليه قصة «المدينة المسحورة»، وقد استمرت عشر ليالٍ في قصصها عليه، ابتدأتها في الليلة الواحدة بعد المائة.

تدور القصة الأسطورية الخيالية، عن ملك شاب «تاسو»، رفض الزواج من ابنة عمه النبيلة الشريفة «تيتي»، ووقع في حب فتاة ريفية راعية غنم «ساسو». . . وتنتقم الأميرة «تيتي»، وتذهب للساحرة، فتسحر المدينة، وتتابع الأحداث في تلك المدينة المسحورة. .

وبهذا أقام سيد قصته على الحب والانتقام والسحر والكهانة. . (١).

وقد تأثر سيد في مدينته المسحورة بينابيع ثلاثة:

١ - كتاب ألف ليلة وليلة.

٢ - القصص الفرعوني، الذي يركز على السحر والكهانة والبخور والمغارات.

٣ - قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف، الذين بقوا أحياء نياماً في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنوات. وسيد أبقى أهل مدينته مسحورين ألف سنة، ثم صورهم وقد دبَّت فيهم الحياة بعد ذلك (٢).

وكانت شخوص القصة تتحرك وتكلم، وكان سيد يختفي خلف المسرح، وبيده الخيط الدقيق، يحرك به هذه الشخوص، ويهمس لها، بما يريد تلقينها من معان وأفكار وآراء، لتتلق بها أمام الجمهور.

ولكن سيد كان يظهر أحياناً، وكأنه واقف أمام النظارة، لسمعهم بعض آرائه وأفكاره!

وذلك مثل قوله: «كم يفقد الإنسان حينما يفقد الأحلام! إن هذا العالم ضيق ضيق،

(١) سيد قطب، للخصائص: ٢٨٧ - ٢٩٢.

(٢) سيد قطب، للعظم: ٩٨.

تافه تافه، حقير حقير. . إنَّ ما تبلَّغه الحواسُّ لهو أمدٌ قصير، وإنَّ ما يبلغه الوعي لهو أفقٌ قريب. . وإنَّ الخيالَ والأحلامَ ليبلغان بهذا المخلوقَ الإنسانيَّ المحدود، أبعدَ الآماد وأوسعَ الحدود! . . ألا ما أشقى الإنسانَ الذي لا يملك من هذا العالم إلا ما تبصره عيناه!»^(١).

٨ - كتب وشخصيات

هو ثالثُ كتابٍ أصدره عام ١٩٤٦م، إذ سبقه كتابان، هما «طفل من القرية»، و«المدينة المسحورة».

والكتاب مقالاتٌ نقديةٌ نشرها سيّد في المجلات، نقدَ فيها كتباً لأدباء وباحثين.

حيث كان يكتبُ بعضَ مقالاته النقدية، تحت عنوان: «كتب وشخصيات»، منذ عام ١٩٤٢م، حين نشر ثلاثَ مقالاتٍ تحت هذا العنوان، في مجلة الرسالة، ثم توقّف عن النشر فيها فترة، بعد أن وعدَ بالحديث عن توفيق الحكيم في عدد قادم، مما جعلَ أحدَ قراء مجلة «الثقافة» يتساءلُ عن سبب التوقّف، مطالباً إياه بالوفاء بوعدِهِ، فردَّ عليه سيّد بأنَّ السببَ هو الجفوة التي وقعت بين الحكيم وبين الرسالة!

ثم عادَ سيّد ينشرُ مقالاتٍ نقدية، تحت نفس العنوان، على صفحات «الرسالة» و«المقتطف» و«الكتاب» و«الكاتب المصري».

فالكتابُ إذن بعضُ المقالات النقدية، التي نشرها بين عامي ١٩٤٢م - ١٩٤٦م.

وقد أهدى سيّد كتابه إلى «هذا الملاء من الأدباء والشعراء والقصاص والباحثين، الذين أوحوا إليَّ بهذه الفصول، نقداً لأعمالهم الأدبية» وبينَ لهم أن كتابه هذا «مرآة» يرفعها أمامهم ليرى كلُّ منهم صفحتي وجهه. .

وعلَّلَ سببَ التسمية بقوله: «لأنني حاولتُ أن أصوِّرَ شخصية كلِّ أديب، تناولتُ أحدَ كتبه بالنقد، فالكتابُ وصاحبه في هذا الكتاب موصوفان مميّزان. .

(١) المدينة المسحورة: ٧.

وقد تحدّث في بداية كتابه عن «أصول النقد»، من خلال كلامه عن «النقد والفن»، و «طريقه الأداء في الفن»، و «الصور والظلال في الفن».

ثم قسّم كتابه خمسة أقسام: الأول: في عالم الشعر. والثاني: في عالم القصة والرواية. والثالث: في النفس والعالم. والرابع: في البحوث والدراسات. والخامس: في التراجم والتاريخ^(١).

ونشر على الغلاف الأخير للكتاب قائمة بالكتب التي أصدرها، وأخرى بالبحوث التي قيد الإعداد. وثالثة بالبحوث التي قيد التحرير... وبلغت تلك الكتب والبحوث ثلاثة وعشرين.

٩ - أشواك:

هي قصة حبّ حقيقية، عاشها سيّد نفسه مع خطيبته، التي تكلمنا عنها أثناء كلامنا عن «المرأة في حياته» في القسم الأول من هذه الدراسة.

وقد أهداها لخطيبته - التي أسماها في القصة سميرة، وأسمى نفسه سامي - وقال في الإهداء: «إلى التي خاضتُ معي في الأشواك، فدُميتُ ودُميتُ، وشقيتُ وشقيتُ». ثم سارت في طريق، وسرت في طريق: جريحين بعد المعركة. لا نفسها إلى قرار، ولا نفسي إلى استقرار^(١).

إنّ أساس القصة واقعي حقيقي، ولكنه أضاف إليها ما أوحاهُ إليه به خياله، بأسلوب أدبي تصويري رفيع.

وقد بيّن الأستاذ «وديع فلسطين» التشابه بين قصة أشواك وبين قصة «سارة» للعقاد: «فالقصّتان على ما يتضح من سياقهما مستمدّتان من حياة كاتبيهما، وموضوع كلّ منهما يكاد يكون واحداً. محوره أنّ شاباً يحب فتاة، فتبدي له الفتاة من التدلّه والصدّ ما يقطع الصلة بين العاشقين».

ثم ختم كلامه بقوله: «ولا أريد أن يؤخّذ كلامي على أنّ الأستاذ قطب نقل من

(١) انظر «سيد قطب» للخباص: ٢٣٦ - ٢٣٨.

(٢) أشواك: ٥.

الأستاذ العقاد، فلكل منهما طريقته الخاصة في الكتابة، وفي معالجة تجربة الحياة التي عرضت له»^(١).

وقد أصدر سيد قصته «أشواك» في شهر مايو - أيار - عام ١٩٤٧م، عن دار سعد مصر بالقاهرة^(٢).

١٠ - مشاهد القيامة في القرآن

أصدر سيد كتابه هذا في أبريل «نيسان» ١٩٤٧م عن دار سعد مصر بالقاهرة^(٣). وهو الكتاب الثاني من «مكتبة القرآن الجديدة»، التي كان ينوي إصدارها. والكتاب متمم ومكمل لكتابه القرآني الأول «التصوير الفني في القرآن»، إذ هو شرح وبيان للتصوير في أفق من آفاق التعبير القرآني، وهو «مشاهد القيامة». فعندما أصدر كتابه «التصوير الفني» عام ١٩٤٥م، تحدث فيه عن آفاق ومجالات هذا التصوير في التعبير القرآني، ومن ضمنها التصوير في مشاهد القيامة. ولما تحدث عنها في ذلك الكتاب، قال: «ومشاهد القيامة هي أكثر المشاهد تنوعاً في القرآن، حتى هممت أن أفرد لها فصلاً خاصاً، لولا تضخم الكتاب»^(٤). ثم أفرد لها هذا الكتاب بعد سنتين من كتابه الأول.

ومشاهد القيامة التي عرضها، هي التي تتفق مع تعريفه للمشهد «وهو الذي تتوافر فيه الصورة والحركة والإيقاع. أما المواضع التي ورد فيها ذكر اليوم الآخر مجرداً، أو ذكر الجنة تجري من تحتها الأنهار، أو ذكر العذاب الأليم، أو المهين، فلم أتعرض لها، وهي كثيرة جداً، فلا تكاد سورة واحدة من سور القرآن تخلو من ذكر إشارة أو تلميح. . . وكذلك أغفلت القليل من المشاهد القصيرة»^(٥).

(١) مجلة المقتطف. المجلد: ١١٠. الجزء: ٥. سنة ١٩٤٧م.

(٢) انظر «سيد قطب»، للخباص: ٢٩٢ - ٣٠١.

(٣) مجلة الكتاب ٥: ١٦٨.

(٤) التصوير الفني في القرآن: ١١١.

(٥) مشاهد القيامة في القرآن: ٨.

والمشاهدُ التي عَرَضَها مائةٌ وخمسون مشهداً، موزعةً في ثمانين سورة^(١).
ومَهَّدَ لتلك المشاهدِ بالحديث عن «العالم الآخر في الضمير البشري» عند
الجاهليّاتِ والأمم القديمة. ثم «العالم الآخر في القرآن».
وكانت طريقته في استعراضِ المشاهد «الطريقَ الاستعراضيَّ، مراعيًا الترتيبَ
التاريخيَّ - على قَدَرِ الإمكان - لورودها، فعرضُها بترتيبِ السور التي وردت فيها.
وربَّتْ هذه السور حسبَ نزولها. وذلك عملٌ تقريبي لا جزمَ فيه...»^(٢). وقد عدلَ عن
هذه الطريقة في تفسير «الظلال».

١١ - روضة الطفل

روضةُ الطفل عبارةٌ عن سلسلةٍ قصصيةٍ للأطفال، أصدرها بالاشتراك مع «أمانة
السعيد» و«يوسف مراد».

وقد أصدرُوا من هذه الروضة حلقتين فقط:

الأولى: «أرنبو والكنز».

والثانية: «كتكت المدهش»

وصدرت الحلقتان عن دار المعارف بمصر، عام ١٩٤٧م.

والحلقتان من القصص المسلّية للأطفال.

وذكرت مجلة «الكاتب المصري»، أن الحلقتين قد نالتا إعجابَ الأطفال.
والحلقتان مفقودتان الآن. ولهذا لم أتمكنُ من العثورِ على نسخةٍ منهما، رغمَ
ما بذلتُ من جهد. وكذلك الباحثون الآخرون لم يعثروا على نسخةٍ منهما^(٣).

١٢ - القصص الديني للأطفال

أصدرَ عام ١٩٤٧م مع السيد عبد الحميد جودة السحار الحلقة الأولى من
سلسلة «القصص الديني للأطفال» وصدرت عن مكتبة سعد مصر بالقاهرة.

(١) مشاهد القيامة في القرآن: ٨.

(٢) المرجع السابق: ٩.

(٣) سيد قطب، للخصائص: ٢٧٩.

وقد جعلنا عنوان الحلقة الأولى : «قصص الأنبياء».

وضمّت هذه الحلقة ثماني عشرة قصة، وهي : آدم، سفينة نوح، إرم ذات العماد، ناقة صالح، إبراهيم يبحث عن الله، فداء إسماعيل، حلم يوسف، يوسف الصديق، مدين وشعيب، موسى والعصا، موسى والألواح، موسى والرجل الصالح، داوود، سليمان وبلقيس، عيسى بن مريم، أهل الكهف، قدرة الله.

وتتكوّن كل قصة من هذه القصص من ست عشرة إلى عشرين صفحة. وكل قصةٍ ظهرت مستقلةً في رسالةٍ خاصة.

ولا أدري هل شارك سيّد الأستاذ السحار في كتابة قصص الأنبياء الثماني عشرة، أم أنه شاركه في تأليف القصص الأولى منها!

المهم أن السحار استقلّ بإصدار ثلاث حلقات بعد ذلك : الثانية «قصص السيرة». والثالثة : «قصص الخلفاء الراشدين». والرابعة : «العرب في أوروبا»^(١).

وقد أشرنا من قبل إلى الموقف العظيم لعبد الحميد السحار أمام شمس بدران، عندما ساومه بدران على طمس وإلغاء اسم سيّد قطب عن حلقات «القصص الديني»، مقابل إعطائه إذناً بإعادة طباعتها، ورفض السحار لذلك!

وبين المؤلفان منهجهما في كتابة هذه القصص، وهدفهما منها. بقولهما في المقدمة : إنهما راغيا اعتبارين اثنين في كتابة الحلقة :

«الأول : أن تكون النصوص القرآنية هي المصدر الأول لما نكتب، إذ أننا نعتقد أن للقرآن في هذه الناحية فكرةً تهذيبيةً معينة.

الثاني : أن نحقق السرد الفني للقصص، بما يربّي في الطفل الشعور الديني، ويقوّي الحاسة الفنية، وينمّي الذوق الأدبي»^(٢).

(١) سيد قطب للخصائص : ٢٧٩.

(٢) المرجع السابق : ٢٧٩ - ٢٨٠.

١٣ - الجديد في اللغة العربية

١٤ - الجديد في المحفوظات

هما كتابان منهجيان لطلبة مدارس وزارة المعارف. ألفهما مع آخرين من رجال المناهج في الوزارة.

الأول: احتوى على فقراتٍ منهاج مادة اللغة العربية.

والثاني: احتوى على فقراتٍ منهاج مادة المحفوظات.

وقد أصدرت الكتابين دارُ المعارف بمصر^(١).

وكان هذان الكتابان مقرَّرين على مدارس الوزارة، حتى بعدَ محنة سيّد الأولى عام ١٩٥٤م، ومحاكمته والحكم عليه.

ولم يُلغ هذان الكتابان إلّا عند محنة سيّد الثانية عام ١٩٦٥م.

يقول السيّد عادل حمودة: «في ذلك الوقت - أي بعد الثورة - كانت كتاباتُ سيّد ومؤلفاته توزَّع على المدارس التابعة للوزارة. . كما أن أناشيده الوطنية كانت تُدرَّس للتلاميذ في دروس المطالعة. .

ولذلك قال عبد الحكيم عامر، عام ١٩٦٥م لكمال الدين حسين - عندما لامه عبد الناصر بسبب محنة سيّد - : «أريدُ سيّد قطب الذي كنتَ توزِّعُ كتبه، أن يصنعَ من نفسه نبياً، ينزلُ عليه الوحي؟!». .

وقد ظلَّت مؤلفاتُ وأناشييدُ سيّد قطب في المدارس الحكومية، حتى بعد القبض عليه سنة ١٩٥٤م. . ولم يبدأ التخلصُ منها إلّا بعدَ عشر سنوات، بعد أحداث ١٩٦٥م.

وقد قامت «دارُ المعارف» - التي كانت تنشرُ كتبَ سيّد - بجمع ما في مخازنها

(١) المرجع السابق: ٣٦١. وانظر «في ظلال القرآن» قائمة كتب سيد في آخر المجلد الثامن من الطبعات اللبنانية.

ومكتباتها من نسخٍ لمؤلفات سيّد.. وأحرقتها.. وكان تصرفها هذا شاذاً وغريباً..»^(١).

١٥ - النقد الأدبي : أصوله ومناهجه

أصدر سيّد كتابه «النقد الأدبي أصوله ومناهجه» في شهر يونيو - حزيران - عام ١٩٤٨م^(٢).

وهو الكتابُ النقديُّ الرابع والأخير له.

وقد أهدى سيّد كتابه إلى روح الإمام عبد القاهر الجرجاني : «روح الإمام عبد القاهر، أول ناقدٍ عربيّ، أقام النقدَ الأدبيّ على أسسٍ علميّة نظريّة. ولم يطمسْ بذلك روحه الأدبيّة الفنيّة»^(٣).

وقد بشرَ في كتابه هذا بنظريةٍ جديدة في النقد الأدبي، هي «نظرية الصور والظلال» في العمل الأدبي. وقد كان هو صاحبَ النظرية ورائدَها، وكان متوقّفاً أن يدعمها بالمزيد من دراساته ونظراته وتحليلاته، لولا أنه انصرف إلى الفكر الإسلامي.

قسّم سيّد كتابه إلى قسمين :

القسم الأول : خصّصه للحديث عن أصول النقد الأدبي، حيث بيّن فيه صلة العمل الأدبي بالحياة. ثم تحدث فيه عن القيم الشعورية والقيم التعبيرية في العمل الأدبي، وبيّن أنه لا انفصالَ بينهما، وأنهما مرحلتان متعاقبتان :

القيم الشعورية تحدثُ أولاً في النفس، وتنتجُ عن تجربةٍ شعورية، ومعاناةٍ حقيقية.

ثم تليها القيمُ التعبيرية، حيث يعبرُ الأديبُ وهو في حالة شعورية متوهّجة، عمّا عاناه وأحسّ به، فتكون هذه التعابيرُ صادقةً في الدلالة على شعور صاحبها.

(١) سيّد قطب لعادل حمودة: ١١١ بتصرف واختصار.

(٢) مجلة الكتاب ٦ : ٢٨٨.

(٣) النقد الأدبي : ٣.

وقد تحدّث في القيم التعبيرية عن الألفاظ، وكيفية دلالتها على المعاني الذهنية أولاً. ثم على الصور والظلال المصاحبة لها..

وبين كيف يستخدم الأديب - الناجح الصادق - الألفاظ للدلالة على تجاربه الشعورية.

وقد استفاد سيّد في كلامه عن القيم الشعورية والقيم التعبيرية، من طريقة القرآن في التعبير، وهي التصوير الفني.

ثم تحدّث عن فنون العمل الأدبي، وهي: الشعر والقصة، والأقصوصة، والتمثيلية، والترجمة، والسيرة، والخاطرة، والمقالة، والبحث.

والقسم الثاني من الكتاب، خصّصه للحديث عن مناهج النقد الأدبي. والمناهج التي عرضها أربعة هي: المنهج الفني، والمنهج التاريخي، والمنهج النفسي، والمنهج المتكامل.

وهو - وإن كان يميل إلى المنهج الفني - إلا أنه دعا إلى الأخذ بالمنهج المتكامل، لأنه يجمع بين المناهج كلّها، ويتلافى المآخذ التي عليها. (١).

١٦ - العدالة الاجتماعية في الإسلام

أنهى سيّد تأليف كتابه قبل سفره إلى أمريكا عام ١٩٤٨م. وعهد إلى شقيقه محمد بطبعه. وظهر في أبريل - نيسان - عام ١٩٤٩م (٢).

وهو أول مؤلفاته في الفكر الإسلامي.

فقد سبق أن أصدر كتابين في الدراسة البيانية للقرآن - التصوير الفني ومشاهد القيامة - وكان ينوي الاستمرار في الدراسة البيانية للقرآن، وإصدار كتب تبينها وتفصلها.

(١) انظر «سيد قطب»، للخصائص: ٢٣٨ - ٢٤١.

(٢) مجلة الكتاب ٧: ٧٥٦.

ولكنه فوجيء بوجود قواعد ومناهج في هذا القرآن، تصلح أساساً لإنشاء مجتمعات، فنظر فيها، ودَرسها، وقَدَّمها للناس.

وقد اختار ميدان الإصلاح الاجتماعي ليكتب فيه، ويُبين منهج القرآن في إقرار العدالة الاجتماعية، لأنَّ مصرَ كانت تعيش ظروفًا اجتماعية واقتصادية حرجة، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وظهرت الفوارق بين فئات المجتمع وطبقاته بصورة حادة بارزة، وبرز أغنياء الحرب المستغلون والمتفعون، بينما ازدادت غالبية الشعب المصري فقرًا وجوعاً وحرماناً.

وفي هذه الظروف الحرجة نشط الشيوعيون في الدعاية لمذهبهم الشيوعي، فانتشروا في أوساط المحرومين والمُعْدَمين.

وكان سيّد يعيش هذه المأساة، ويزعجه ما يراه من مظاهرها الشائثة. فحاول القيام بالإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، فأنشأ مجلة «الفكر الجديد» لهذا الإصلاح، وهي لم تدم طويلاً. ونشر الكثير من المقالات الإصلاحية..

أمعن النظر في القرآن، وفي آياته التي تدعو إلى الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والسياسي. وسجّل ما تلقاه عنها من إحياءات.

وهو أوّل مَنْ أطلق هذا المصطلح «العدالة الاجتماعية» حيث صار يستعمله الباحثون والكتابون بعد ذلك بدل مصطلح «الاشتراكية».

بدأ سيّد كتابه ببيان الفرق بين نظرة المسيحية ونظرة الإسلام، لكلٍ من الدين والمجتمع. وركّز على البعد الاجتماعي للإسلام.

ثم تحدّث عن طبيعة العدالة الاجتماعية في الإسلام، وأنها تقوم على أسس ثلاثة:

١ - التحرُّر الوجداني المطلق.

٢ - المساواة الإنسانية الكاملة.

٣ - التكافل الاجتماعي الوثيق.

وتحدّث عن وسائل الإسلام في تحقيق عدالته الاجتماعية، وأنَّ مجملها في وسيلتين هما: التشريع والتوجيه.

ثم انتقل للحديث عن كل من «سياسة الحكم» و«سياسة المال» في الإسلام، حديثاً مفصلاً.

ووقف طويلاً عند أمرين هما: «الملكية الفردية» و«الزكاة».

واستعرض بإيجاز «الواقع التاريخي» للمسلمين، ولاحظ مدى قربهم أو بُعدهم في تاريخهم عن العدالة الاجتماعية، بقسميها «سياسة الحكم» و«سياسة المال».

وختم كتابه باستشراف حاضر الإسلام ومستقبله المشرق، ودعا الأمة التي تعيش على «مفترق الطرق»، إلى إقرار العدالة الاجتماعية، والإصلاح المالي والسياسي في حياتها، على أساس الإسلام.

وقد أشرنا سابقاً إلى إهدائه كتابه لفتية، توقع قدومهم لإقرار العدالة الاجتماعية، وأنه لم يقصدُ بهم - في طبعة الكتاب الأولى - شباب الإخوان المسلمين، ولكن الحكومة ظنت ذلك، فحاربت الكتاب.

وأشرنا إلى أثر الكتاب في مختلف الأوساط: الحكومية والشيوعية والإخوانية، وأن سيد اقترَب بكتابه هذا كثيراً من الإخوان المسلمين، إلى أن ربط مصيره بمصيرهم بعد ذلك.

وقد اتهم محمود شاكر سيد قطب في العدالة بإساءته القول في حق الصحابة، وتهجيمه على معاوية بن أبي سفيان، ومن معه من الصحابة، وانتقاده للخليفة الراشد عثمان بن عفان.

وقد طُبِعَ الكتاب عدة طبعات في حياة سيد، كانت آخرها الطبعة السادسة التي أصدرتها «دار إحياء الكتب العربية» عام ١٩٦٤م. وهي طبعة منقحة، حيث حذف منها العبارات التي أخذها عليه محمود شاكر وغيره، والمتعلقة بعثمان ومعاوية - رضي الله عنهما - . وأضاف لها فصل «التصور الإسلامي والثقافة» أحد فصول «معالم في الطريق».

أي أن سيد أضاف لكتاب العدالة الاجتماعية عام ١٩٦٤م، أفكاره الحركية الإسلامية، ودعوته إلى بعث إسلامي طليعي، واستئناف الحياة الإسلامية على أساس مبادئ الإسلام.

وبهذا نعرف أن سيد لم يتخل عن كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، بل بقي يقول بما فيه من مبادئ وأسس وأفكار حتى محتته عام ١٩٦٥م^(١).

١٧ — معركة الإسلام والرأسمالية

انقطع سيد عن الكتابة والتأليف مدة سنتين، من ١٩٤٨م إلى ١٩٥٠م، أثناء وجوده في أمريكا.

ولما عاد إلى مصر، وجد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فيها تزداد سوءاً، ووجد أن الرأسمالين والمستغلين والقصر وأغنياء الحرب، هم المسؤولون عن ذلك.

فألف كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية»، الذي صدر عن دار الكتاب العربي بمصر، في شهر فبراير «شباط» عام ١٩٥١م^(٢).

وبما أنه يتحدث فيه عن المعركة بين الإسلام والرأسمالية، فقد كتبه بأسلوب المعركة، أسلوب القوة والحدة والثورة، وكأنه فيه يُصدر بلاغات عن سير تلك المعركة!

أطلق في الفصل الأول «صيحة النذير» في وجوه المتحكّمين: إن الوضع الاجتماعي السيئ في البلاد لا بد أن يتغير، ولا بد من حدوث هزة، تزلزل البنية الاجتماعية بكاملها.

وفي الفصل الثاني «إني أتهم» توجه بأصابع الاتهام إلى القائمين على الأوضاع الاجتماعية والسياسية. لأنهم يشلون قوى الأمة عن العمل والإنتاج، ويهدرون كرامة الشعب، ويشيعون الفساد في المجتمع، ويدفعون الناس للارتقاء في أحضان الشيوعية دفعاً.

وفي فصل «في الإسلام خلاص»، بين — وبوضوح — أن الإسلام وحده

(١) انظر مقالنا «العدالة الاجتماعية في الإسلام هل تخلق عنه سيد قطب؟» في مجلة «المجتمع».

السنة الحادية عشرة. عدد: ٥٣٢. سنة ١٩٨١م. صفحات: ٢١ — ٢٣.

(٢) مجلة الكتاب ١٠ : ٤٥٠.

هو القادر على علاج كافة المشكلات الاجتماعية الخطيرة، وذلك عندما يتسلّم قيادة وتوجيه الأمة.

وفي فصل «شبهات حول حكم الإسلام» رصد بعض الشبهات التي يُثيرها أعداء الحل الإسلامي حول حكم الإسلام، وفنّدها وأبطلها، مثل «بدائية الحكم»، و«حكم المشايخ والدرأويش»، و«طغيان الحكم»، و«غموض النصوص»، و«الحريم»، و«الأقليات».

وفي الفصل الأخير «عداوات حول حكم الإسلام» كشف عن أهمّ العداوات لحكم الإسلام وبواعثها وأشخاصها، وأظهر خفاياها، وأبان عن خطرها، وهذه العداوات هي: «عداوات الصليبيين»، و«عداوات المستعمرين»، و«عداوات المستغلين والطغاة»، و«عداوات المحترفين من رجال الدين»، و«عداوات الشيوعية والشيوعيين».

وقد عرّف بالكتاب غير واحد من الباحثين، فامتدحوه، وأثنوا عليه وعلى صاحبه. ومن الذين أشادوا به «إبراهيم الوائلي» و«محمد صادق رستم»، وذلك في مجلة الرسالة^(١).

وكان الكتابُ صحيحةً قويةً عاليةً، جريئةً صادقةً، أطلقها سيّد في وجه المسؤولين عن الأوضاع الشائنة في البلاد.

١٨ — السلام العالمي والإسلام

بعد بضعة شهور من كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية»، ظهر سيّد على الناس بكتابٍ ثوريٍّ إصلاحيٍّ آخر هو «السلام العالمي والإسلام»، حيث صدر عن دار الكتاب العربي في أكتوبر «تشرين أول» عام ١٩٥١م^(٢).

وقد ألّف كتابه في فترة اضطرابٍ عالمي، اضطرابٍ في أوضاع العالم

(١) انظر «سيد قطب»، للخصائص: ٣١٨ - ٣١٩.

(٢) مجلة الكتاب ١٠: ٩٣٠.

السياسية، وتغيّر مراكز القوى والثقل فيه، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وظهور أمريكا قوةً جديدة، وارثةً للقوى الأوروبية الاستعمارية، وبخاصة الإنجليزية والفرنسية. وظهور الأسلحة الذرية النووية، وتهديد السلام العالمي بالرعب النووي. . وعيش الناس في العالم في قلق وهلع ورعب، من جراء ذلك.

لقد لاحظ سيّد أن ما نتج عن الحرب الثانية من قوى جديدة، وأسلحة جديدة، لم يحقق السلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي في العالم. بل قاد إلى عكس ذلك السلام المأمول!

ووازن سيّد بين هذا الاضطراب العالمي، وبين السلام العالمي الذي يقرره الإسلام ويدعو إليه، ويحققه عندما يتولّى القيادة والتوجيه. فقدم ملامح هذا السلام العالمي الإسلامي.

لقد أدار كتابه على سؤال: «مشكلة السلام العالمي: هل للإسلام فيها رأي؟ ولها عنده حل؟ هذا الكتاب كله هو الإجابة التفصيلية على هذا السؤال!»^(١).

عرض في كتابه بالتفصيل، أربعة مجالات للسلام في الإسلام: سلام الضمير. سلام البيت. سلام المجتمع. سلام العالم.

وكان يقارن بين السلام كما يقرره الإسلام، والاضطراب والقلق والعقد والأمراض التي تنتجها المجتمعات الجاهلية المعاصرة، وبخاصة المجتمع الأمريكي، قائدها ورائدها.

وبين في كتابه، أن التكتلات والمعسكرات العالمية الآن، هي المستفيدة من الحروب والقلق والفساد في هذا العالم، ولذلك هي تحارب الإسلام بعنف، كي تحجب نوره عن العالم، ولئلا يحقق مبادئه في السلام العالمي.

وقد عقد في آخر الطبعة الأولى من الكتاب فصلاً، بعنوان «الآن» تحدث فيه عن السياسة الاستعمارية الأمريكية في المنطقة، وكشف زيف الادعاءات الأمريكية، حول المعونات المالية والاقتصادية الأمريكية، لدول العالم الثالث النامية.

(١) السلام العالمي والإسلام: ١٢.

وقد ضاقتُ المخبراتُ الأمريكية بهذه التحليلات الصائبة لسيد، فأوصتُ إلى السلطات المصرية بحذف هذا الفصل «الآن»، من الطبعة اللاحقة للكتاب! (١)

١٩ - في ظلال القرآن

في ظلال القرآن، من أشهر كتب سيد قطب. وهو تفسيرٌ كامل للقرآن، أصدره سيد في ثلاثين جزءاً - بعدد أجزاء القرآن - .

وسجل فيه آرائه وأفكاره، وتصوّره للإسلام والدعوة والحركة والمواجهة والتغيير.

قال عنه الأستاذ محمد قطب: «الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله..»

وعاشه لحظةً لحظة، وفكرةً فكرة، ولفظةً لفظة..

وأودعه خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان..» (٢).

وقد كتب الله للظلال القبول والذيع والانتشار بين الناس، ويبدو أن السبب في ذلك - كما يقول أستاذنا الدكتور أحمد حسن فرحات - هو أن سيد قطب كتب الظلال مرتين: مرةً بمداد العالم، ومرةً بدماء الشهيد!

وقد تعاملت مع الظلال كثيراً وطويلاً، والحمد لله. وكانت رسالتي للدكتورة عنه «في ظلال القرآن دراسة وتقويم»، حيث أصدرتها بعد ذلك في ثلاثة كتب: «مدخل إلى ظلال القرآن» و«المنهج الحركي في ظلال القرآن» و«في ظلال القرآن في الميزان».

وقد أشرت في تمهيد الكتاب الأول «مدخل إلى ظلال القرآن» إلى قصة سيد مع الظلال، والمراحل الأربعة التي مرّ بها الظلال، وأوجز هنا خلاصة موجزةً لكلامي هناك..

(١) انظر سيد قطب: انتخاب: ٣١٩ - ٣٢٠.

(٢) لظلال - صعد شروق - ١ : ٩.

... كانت إحدى أمانى سيد - بعد اكتشافه نظرية التصوير الفني في القرآن - أن يعرض القرآن على أساسها، وأن يبين ما في آياته من خصائص وسمات التصوير الفني بالتفصيل. وحققت بعض هذه الأمنية في الظلال.

وقد مرّ الظلال بأربع مراحل:

* المرحلة الأولى: الظلال في مجلة «المسلمون»:

لما أصدر سعيد رمضان مجلة «المسلمون»، في نهاية عام ١٩٥١م، طلب من سيد قطب أن يشارك فيها بمقال دائم. فاختار أن يبدأ الكتابة في تفسير القرآن، تحت عنوان جديد مشير، هو «في ظلال القرآن».

وبهذا تكون قد ظهرت الحلقة الأولى من «الظلال» في العدد الثالث من المجلة الذي ظهر في شهر فبراير «شباط» عام ١٩٥٢م.

واستمرت المجلة تنشر حلقات الظلال في أعدادها اللاحقة بالتتابع، حيث نشرت سبع حلقات، انتهت الحلقة السابعة عند الآية (١٠٣) من سورة البقرة.

* المرحلة الثانية: الظلال قبيل اعتقال سيد قطب:

أعلن سيد في نهاية الحلقة السابعة من الظلال في «المسلمون» عن توقف نشر الظلال في المجلة ابتداءً من عددها القادم - العاشر - حيث سينشر فيها حلقات من بحث جديد، هو «نحو مجتمع إسلامي».

أما الظلال فسوف يظهر في كتب مستقلة، على عدد أجزاء القرآن، كل جزء من القرآن في جزء من الظلال، وسوف يُصدر في كل شهرين جزءاً منها.

وفعلاً ظهر الجزء الأول من الظلال في شهر أكتوبر «تشرين أول» عام ١٩٥٢م، عن دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

ووفى سيد في تعهده للقراء، فكان يُصدر كل شهرين جزءاً من الظلال، فيه تفسير جزء من القرآن!

وفي الفترة ما بين أكتوبر «تشرين أول» ١٩٥٢م إلى يناير «كانون ثاني» عام ١٩٥٤م، أصدر ستة عشر جزءاً من الظلال.

* المرحلة الثالثة: سيّد قطب يكملُ الظلالَ في السجن:

قُدِّمَ سيّد للمحاكمة، ثم حُكِمَ عليه بالسجن خمسة عشر عاماً.

في الفترة الأولى من سجنه لم يُصدّر أجزاءً جديدة من الظلال، بسبب العذاب الرهيب الذي صُبَّ عليه.. ولكن لما استقرَّ في سجن «طرة» وتوقف العذاب عنه، وأُدخِلَ مستشفى سجن طرة بسبب أمراضه العديدة، انصرف إلى إكمالِ الظلال من هناك.

وقد يَسَّرَ الله لسيّد الكتابة في السجن، وللناشرِ طبعَ الظلال، رغم أن لوائح السجون تمنعُ الكتابةَ داخلها، ولا تسمحُ للسجين امتلاكَ أدواتِ الكتابة، وتعاقبه إن ضُبطت في حوزته.

وذلك أن سيّد كان قد تعاقدَ مع الناشر - دار إحياء الكتب العربية - على كتابة تفسيرٍ كامل للقرآن.. فلما منعتُ الحكومةُ من الكتابة داخل السجن، رفع الناشرُ على الحكومة دعوى، يطالبُها فيها بدفعِ آلافِ الجنيهات، تعويضاً له عن الضرر الذي وقع به بسبب ذلك. واختارت الحكومةُ السماحَ لسيّد بالكتابة، بدلَ دفعِ التعويض للناشر.

وادّعى عبدُ الناصر للعلماء الباكستانيين أن سيّد ليسَ سجيناً، بل هو حرٌّ طليق، بدليل نشر الظلال في القاهرة! وصارَ الموظفون الرسميون في الخارج يُجيبونَ بجوابِ الرئيس إذا سُئلوا عن سيّد قطب!

وقد عينت الحكومةُ الشيخَ محمد الغزالي رقيباً دينياً على الظلال، يطلّع على أصوله قبل صدورها من المطبعة، وقد أجازَ الغزالي كلَّ أجزاء وملازمِ الظلال في طبعته الأولى. ولم يَحذفْ منها إلاّ تعقيبَ سيّد على سورة البروج، الذي نشره بعد ذلك في فصل «هذا هو الطريق» من كتاب «معالم في الطريق».

وقد أكملَ سيّد الظلالَ في السجن في نهاية الخمسينيات...

* المرحلة الرابعة: الطبعة المنقحة للظلال:

كان تفسير سيّد في الطبعة الأولى من الظلال لا يعدو أن يكونَ تسجيلاً لخواطره

المتنوعة حول الآيات، وبياناً لما فيها من جمالٍ وفنٍّ وتصوير، وعرضاً لبعض ما تضمنته من مبادئ ومناهج.

ولكنه في سجنه طالت حياته مع القرآن، وتفكيره في الأحداث المتوالية، والمحن المتتالية، التي مرت به وبالإخوان المسلمين، وتعليقه سرّاً هذه الأحداث، ونظره في منهج الحركة الإسلامية، في الدعوة والتربية والإصلاح والجهاد والتغيير.

وقد هداه الله إلى إدراك المفتاح الحركي الذي فتح به كنوز القرآن الحركية، ووقف به على المنهج الحركي في الدعوة والحركة، وعلى الطبيعة الحركية للقرآن الكريم!

وقف على ذلك وهو يفسر الأجزاء الثلاثة الأخيرة من الظلال. فسجل في تلك الأجزاء بعض مفهوماته الحركية الجديدة. وكان هذا في أواخر الخمسينيات كما قلنا.

ولذلك دعت الحاجة إلى أن يُعيد تفسير القرآن على أساس هذا المنهج الحركي الجديد، وأن يُعيد كتابه الظلال ليضمّن هذه المعاني الجديدة.

وهكذا جاءت الطبعة المنقّحة من الظلال، والتي أصدر الجزء الأول منها في مطلع عام ١٩٦٠م، عن دار إحياء الكتب العربية..

وإذا كان كتاب «التصوير الفني في القرآن» بياناً للمفتاح الجمالي، الذي فتح به سيد كنوز القرآن الجمالية، فإن الطبعة الجديدة المنقّحة من الظلال هي «المفتاح الحركي»، الذي فتح به سيد كنوز القرآن الحركية المذخورة فيه.

وإن سيد قطب في الظلال، يُعتبر «مجدداً» في عالم التفسير لما أضافه من معانٍ وأفكار حركية وتربوية على التفاسير السابقة، كما أن سيد في الظلال يُعتبر مؤسساً لمدرسة جديدة في التفسير، هي «مدرسة التفسير الحركي»!!

كتب سيد الأجزاء العشرة الأولى من الطبعة المنقّحة، على ضوء منهجه الحركي الجديد، في فهم القرآن وتفسيره، وكان يسهب القول فيها، ويطيل النفس، ويكثر من التفسير.. وكانت أطول وأعمق وقفاته، تلك التي تتعلّق بقضايا: العقيدة والدعوة والحركة والجهاد والتشريع والجاهلية...

وكان الجزءان السابع والثامن - اللذان ضمّا تفسيره لسورة الأنعام - هما أكثر الأجزاء تركيزاً، وأنضجها فكراً، وأوضحها دلالةً على منهجه الحركي الجديد.

ولما أُفرج عنه بعفوٍ صحي عام ١٩٦٤م، تابع كتابةً الأجزاء، فنشر الأجزاء الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر.

وبذلك يكونُ قد وصلَ في الطبعة المنقحة من الظلال إلى آخرِ الجزء الثالث عشر، الذي تنتهي به سورة إبراهيم عليه السلام.

وكان سيّد يريدُ أن يُكملَ كتابةً باقي الأجزاء من الرابع عشر حتى السابع والعشرين على أساسِ منهجه الحركي الجديد في التفسير.

ولكنَّ الطغاة عَجَلوا باعتقاله ثم محاكمته ثم إعدامه، قبل تحقيق أمنيته!

هذه هي قصةُ الظلال في حياة سيّد، بمنتهى الإيجاز.

وبعد استشهاد سيّد عام ١٩٦٦م صارتْ دورُ النشر في لبنان تتسابقُ وتباري في نشرِ الظلال، وكتبَ سيّد الأخرى، فظهرَ الظلالُ في طبعاتٍ مسروقة في ثمانية مجلدات، ثم طُبِعَ أخيراً طبعةً قانونية مشروعة بإذن من الأستاذ محمد قطب، حيث أصدرته دارُ الشروق في ستة مجلدات.

ومعظمُ الذين كتبوا عن سيّد كُتُباً أو مقالات، تكلموا عن الظلال، وعن مزاياه. من هؤلاء «محمد توفيق بركات»، في كتابه «سيّد قطب: خلاصة حياته. ومنهجه في الحركة. والنقد الموجه إليه».

والأستاذ يوسف العظم، في كتابه «رائد الفكر الإسلامي المعاصر سيّد قطب». والدكتور فضل عباس، في رسالته للدكتوراة «تيارات التفسير في العصر الحديث».

والدكتور إسماعيل نواهضة، في رسالته للماجستير «سيّد قطب ومنهجه في التفسير».

والدكتور محمد لطفي الصباغ، في كتابه «لمحات في التفسير وعلوم القرآن».

والدكتور عدنان زرزور، في فضله الجيد «الظلال بين كتب التفسير» من كتابه «علوم القرآن».

والدكتور أحمد حسن فرحات، في كتابه الذي جمعه من الظلال «فقه الدعوة».

والسيد أحمد فايز، في دراساته الثلاث: «طريق الدعوة في ظلال القرآن»، و«اليوم الآخر في ظلال القرآن»، و«دستور الأسرة في ظلال القرآن»

وأصدر السيد محمد علي قطب «فهارس في ظلال القرآن»، كما أصدر السيد محمد يوسف عباس فهارس أخرى، سماها «مفتاح كنوز في ظلال القرآن».

وتُرجمَ الظلالُ إلى العديد من اللغات الأجنبية، مثل الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والأوردية والأندونيسية وغيرها.

وكان الظلالُ من أكثر الكتب الإسلامية انتشاراً في هذا القرن!!^(١).

٢٠ — دراسات إسلامية

أصدرَ سيّد كتابه هذا عام ١٩٥٣م، حيث نشرته له مكتبة لجنة الشباب المسلم.

والكتابُ عبارةٌ عن خمسٍ وثلاثين مقالةً إسلامية، نشرها سيّد في المجلات الأدبية، والإسلامية قبيل الثورة، وبعد قيامها مباشرة، مثل مجلات: الرسالة، والدعوة، والاشتراكية، واللواء الجديد، وغيرها.

وصاغَ سيّد كتابه — أو مقالاته — بأسلوبٍ قوي جريء صريحٍ حاد، هاجمَ به مظاهر الفساد والانحراف والظلم في المجتمع.

وقدّم الكتاب — في طبعته الأولى — السيّد «محب الدين الخطيب»، وأطلقَ على سيّد لقب «لسان الدين»، واعتبرَ أنَّ أهمَّ مميزات أدب سيّد، هي القوة. وأطلقَ على أدبه لقب «أدب القوة»، وبينَ في المقدمة كيف أنَّ قوةَ كلمات سيّد، كانت تزعجُ قوى الظلم والطغيان في البلاد.

(١) انظر هذه المعلومات عن الظلال مفصلة في كتابنا «مدخل إلى ظلال القرآن»: ٤٠ — ٥٥.

وتمنى على سيد لو يصدر كتاباً مثله كل عام، يتحف به القراء والمثقفين والعاملين.

وقد حذفت مقدمة محب الدين الخطيب من طبعات الكتاب اللاحقة^(١).

٢١ - هذا الدين

أصدر سيد كتابه «هذا الدين» من السجن، وطبعته دار القلم بالقاهرة عام ١٩٦٠م.

وسبب تأليف الكتاب هو ما لاحظته سيد على وجوه إخوانه من بعض شباب الإخوان المسلمين، حيث زج بهم في سجون عبد الناصر، لاقوا فيها ما لاقوا من صنوف التعذيب والأذى، وبذلك فجعوا في آمالهم وأمانيتهم، فتزعزعت ثقة بعضهم بنفسه، وبقدرة هذا الدين على مواجهة الجاهلية، وعلى إمكانية تحقيق أهداف الحركة الإسلامية العملية.

فكر سيد في ما يعيشه بعض إخوانه.. وفكر في تعليل ما مر به وبالإخوان من أحداث. وفكر في طبيعة هذا الدين.. وفي منهجه في العمل والدعوة.. فكان كتابه «هذا الدين».

في كتاب «هذا الدين» بيان لطبيعة هذا الدين وخصائصه، وأنه منهج للبشر، لا يعمل وينتصر بطريقة سحرية غيبية، وإنما وفق سنن مطردة، وأسباب مادية، وبجهود البشر أنفسهم.

وأنه منهج ميسر، لا عسر فيه ولا مشقة، ويسهل على النفوس الجادة حملاً والنهوض بتكاليفه.

وأنه منهج متفرد، لا يماثلُه منهج آخر من المناهج الأرضية.

وأنه منهج مؤثر، يؤثر في النفوس والمجتمعات، عندما تقبل عليه.

(١) انظر مقدمة محب الدين الخطيب للكتاب في كتاب محمد علي قطب «سيد قطب أو ثورة الفكر

الإسلامي»: ١١٢ - ٦١٥.

وبَيَّن في هذا الكتاب أن لهذا الدين رصيـداً من النجاح والتحقُّق في عالم الواقع .

ويتمثلُ هذا الرصيد في : رصيـدِ الفطرة، ورصيـدِ التجربة .
إنَّ كتابَ «هذا الدين» يُعتبرُ ممثلاً لمرحلةٍ جديدةٍ في فِكرِ سيِّد، وهي مرحلةُ «الفكر الحركي الإسلامي» . . .
وقد عرِّفَتْ بالكتاب مجلةُ «حضارة الإسلام» الدمشقية، وأثنتْ عليه . وذلك في عددها الثالث لعام ١٩٦١م^(١) .

٢٢ — المستقبل لهذا الدين :

أصدره بعد «هذا الدين» مباشرة، ونشرتهُ له مكتبةُ «وهبة» في القاهرة .
وهو مكملٌ ومتممٌ لكتاب «هذا الدين» حيثُ بيَّن فيه كيفَ أن المستقبلَ لهذا الدين، وقَدِّم فيه تثبيتاً لشبابِ الإخوان بأنَّ المستقبلَ لهم ولدعوتهم وإسلامهم .
بيَّن فيه كيفَ أن الإسلامَ منهاجُ حياةٍ كامل شامل، يستوعبُ مختلفَ شؤونها، وقيمُها على أسسِهِ ومبادئِهِ . ويلبِّي حاجاتِ الإنسانية كافة . ولا يوجدُ أيُّ دينٍ أو نظام، أو مبدأ، يؤدِّي هذه المهمة . ولذلك كانَ المستقبلُ لهذا الدين !
وتحدَّثَ في كتابه عن الفصامِ النكد بين الديانةِ النصرانيةِ المحرَّفةِ وبين العلم الحديث في أوروبا، وأنه لا يمكنُ وقوعُ مثلِ هذا في الإسلام .
كما بيَّن فيه أنه قد انتهى دورُ الرجل الأبيض في قيادةِ البشرية، لأنَّ الحضارةَ الغربيةَ قد استنفذتْ أغراضَها .
وسجَّلَ فيه بعضَ صيحاتِ التحذير والخطر، التي أطلقها علماءُ غربيُّون هناك، والتي أعلنوا فيها قربَ اندثارِ تلك الماديةِ الغربيةِ لخواءِ الروحِ عندهم .
وقرَّرَ أنه لا بدَّ من مخلص، وأنه لا يكونُ إلَّا الإسلام .

(١) انظر «سيد قطب»، للخصائص : ٣٢٣ - ٣٢٤ .

وفي الحقيقة، فإن في الكتابين «هذا الدين» و «المستقبل لهذا الدين» عوامل كثيرة من التشجيع والتثبيت والطمأنينة، وقد أدّيا دورهما في نفوس شباب الإخوان وغيرهم من دعاة الإسلام.

وقد انتشر الكتابان في بقاع العالم الإسلامي، بل العالم أجمع، وتُرجمتا إلى العديد من لغات العالم^(١).

٢٣ - خصائص التصور الإسلامي

خصّص سيّد كتابه عن خصائص العقيدة الإسلامية وطبيعتها. وقد أعلن عنه سابقاً تحت عنوان «فكرة الإسلام عن الله والكون والحياة والإنسان». ولكنه عدل أخيراً عن ذلك العنوان، واختار هذا العنوان.

وقد صدر عن دار إحياء الكتب العربية عام ١٩٦٢م، تحت عنوان «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته»، مع أنه لم يبيّن في الكتاب إلا خصائص التصور الإسلامي. أما «مقومات التصور الإسلامي»، فقد خصّص له كتاباً آخر، صدر مؤخراً - كما سنعرف بعد قليل -.

وهذا الكتاب من أعمق كتب سيّد، فموضوعه هو العقيدة وطبيعتها وخصائصها، ولكنه صاغه بأسلوبه المعهود، من حيث السلاسة والوضوح والجاذبية. ولا شك أنه استفاد من أسلوب القرآن في عرض العقيدة.

ولقد أمضى سيّد وقتاً طويلاً وهو يبحث ويدرس ويفكر، حتى جمع أفكار الكتاب وعاشها. وقد استغرق ذلك منه أكثر من عشر سنوات. في الفترة ما بين ١٩٥٠م إلى ١٩٦١م.

مهّد لكتابه بتمهيدٍ ضروري، أسماه «كلمة في المنهج»، بيّن فيه المنهج الصحيح المأمون في فهم القرآن وتفسيره، واستخراج معانيه ومقرراته. . . . وبين المنهج الصحيح المأمون في إدراك خصائص التصور الإسلامي، ومعرفة العقيدة

(١) انظر «سيد قطب»، للخصائص: ٣٢٤ - ٣٢٥.

الإسلامية، وعرضَ موضوعاتها ومباحثها. وحاربَ بشدة عرضَ العقيدة بقوالب فكرية بشرية، كالقالب الفلسفي والخلافي، ولذلك دعا إلى أطراح مباحث «التوحيد وعلم الكلام» المعروفة في التاريخ الإسلامي، وطالب بالعودة إلى النبع الأصيل في فهم العقيدة وعرضها، ألا وهو القرآن الكريم.

وخصَّصَ فصلاً في الكتاب، وهو «تية وركام»، استعرضَ فيه بإيجاز الأخطاء في فهم الألوهية والربوبية، في التصورات والعقائد والأديان الأرضية مثل البوذية، والسماوية المحرفة مثل اليهودية والنصرانية.

ثم تكلم عن خصائص التصور الإسلامي. والخصائص التي عرضها سبعة. وهي: الربانية، والثبات، والشمول، والتوازن، والإيجابية، والواقعية، والتوحيد. والكتاب مرجع أساسي من مراجع العقيدة الإسلامية، لا يستغني عنه أيُّ دارسٍ للعقيدة.

٢٤ — الإسلام ومشكلات الحضارة

أصدر سيّد كتابه هذا في نفس العام، حيث نشرته دار إحياء الكتب العربية عام ١٩٦٢ م.

ويقوم الكتاب على استعراض مشكلات الحضارة، التي أنتجت قيادة العالم الغربي للبشرية في العصر الحديث، ثم تقديم حلّ الإسلام لهذه المشكلات.

فمعلوم أن الحضارة المادية الغربية، التي تسلمت قيادة البشرية في هذا العصر، جاهلية، يقودها شياطين الإنس، ويدعون البشرية إليهم، وبذلك يوصلونها إلى الهاوية، وهي تسير معهم كالقطيع، الذي لا يدرى أين يذهب به صاحبه...

وقد أنتجت هذه القيادة الجاهلية مشكلات إنسانية، وصار العلماء والمفكرون والمصلحون يحاولون حلّ تلك المشكلات، ولكنهم عجزوا عن تقديم الحلول الناجعة لها.

وقدّم سيّد قطب هذا الكتاب، ليعطي البشرية علاج مشكلاتها كما يقرره

الإسلام، ويدعوها إلى الإقبال على الإسلام وإقصاء الجاهليين عن قيادتها، لتحل مشكلاتها.

وكان في الكتاب يشخص المشكلة، ويبين بُعدها وخطرها وآثارها، ويستشهد لها بكلام علماء ومفكرين من هناك، ثم بعد هذا يصف الدواء. وهو يشخص المشكلة بأسلوب الخبير، ويقدم الحل الإسلامي لها بطريقة العالم المفكر.

تحدث في بداية كتابه عن «تدمير الإنسان» في الحضارة المعاصرة، وتحويله إلى آلة، وهذا أهم وأخطر مشكلاتها، فماذا يبقى لها عندما تدمر إنسانها؟

ثم تكلم عن «الإنسان ذلك المجهول» - وهو عنوان كتاب للدكتور «ألكسيس كاريل»، اعتمد عليه سيد كثيراً - وأشار إلى التخبط والاضطراب الذي تقع فيه تلك الحضارة في تعاملها مع الإنسان المجهول لديها!

وأشار إلى تخبط هذه الحضارة في «المرأة والعلاقات بين الجنسين»، وإلى نشر الانحلال والفساد ومن ثم الدمار والفناء، عن طريق العلاقات بين الجنسين.

ولم ينس سيد أن يستشهد لما يقول، عن خطر مشكلات الحضارة، بكلام العلماء والمفكرين والمصلحين الغربيين.

كما أنه لم ينس أن يذكر بعض مشاهداته في أمريكا، ويوظفها أمثلة ودلائل ونماذج، شاهدة على مدى خطر الحضارة الغربية على البشرية.

٢٥ - معالم في الطريق

هذا هو آخر كتاب صدر في حياة سيد. وقد أصدرته مكتبة «وهبة» عام ١٩٦٤م^(١).

وألّف سيد كتابه ليكون بياناً لمنهج عمل الحركة الإسلامية، وتوضيحاً لمعالم طريقها في الدعوة إلى الله.

وأساس الكتاب فصول كتبها سيد من سجنه في «طرة»، ثم أوصلها - بوساطة

(١) انظر «سيد قطب»، للخصاص: ٣٢٢ - ٣٢٣.

أخته حميدة والمجاهدة زينب الغزالي - إلى التنظيم الإخواني الجديد، الذي كان يعمل خارج السجون، ثم خرج سيّد من السجن، وأشرف عليه، وقاده.

وبما أن سيّد قاد التنظيم الإخواني بإذن من المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي رحمه الله، وبما أن كتاب «معالم في الطريق» هو منهاج عمل التنظيم الجديد، لذلك يؤكّد المطلعون على أن حسن الهضيبي قد اطلع على أصول الكتاب قبل طباعته، وأنه قد سرّ به، وأذن بطباعته، واعتماده في منهاج العمل الإخواني.

لقد سبق أن نقلنا رواية المجاهدة «زينب الغزالي» بهذا الخصوص، وكيف أن «حسن الهضيبي» ناوّلها أصول كتاب «معالم في الطريق» وأثنى عليها، وقال لها: إنّ أملي كلّه الآن في سيّد قطب! وكيف أنها أخذت الأصول وقرأتها كلّها في جلسة واحدة في بيت الهضيبي . .

هذه الحقيقة يحاول بعض الإخوان المسلمين في هذه الأيام أن يخفيها، ويدّعي أن سيّد ليس مفكراً إخوانياً، وأنّ كتبه الحركية ليست معتمدة عند الإخوان، وأنه خرج عن منهج الإخوان في الظلال وفي المعالم، ويحاول أن يتبرأ من أفكار كتاب المعالم. وأرى أن هذه محاولات فاشلة، فسيّد مفكّر في طليعة مفكري الإخوان المسلمين، وكتبه معتمدة عند الإخوان المسلمين، ويعلم الإخوان المنتظمون في الأسر والتنظيمات الإخوانية، أن الظلال والمعالم وخصائص التصور وهذا الدين والمستقبل لهذا الدين، هي كتب مقررة عليهم في منهاج الأسر.

وحول هذا الموضوع، يطيب لي أن أورد قول الأخ الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس - وهو من قادة الإخوان المسلمين في الأردن - لمجلة المجتمع: «أؤكد على أن سيّد قطب نشأ ومات وهو من الإخوان. وفيما أعلم أن كتابه الشهير «معالم في الطريق»، كان يعلم الإخوان وأطّاعهم . .»^(١).

كانت مقدمة الكتاب بعنوان «معالم في الطريق»، بين فيها إفلاس القيادات الجاهلية للبشرية، وأنّ الإسلام هو الذي سيحكم البشرية، ولكنّ الإسلام لا يستلم

(١) مجلة المجتمع. عدد: ٨٢١. تاريخ ١٦/٦/١٩٨٧م. صفحة: ٢٣.

الحكم والقيادة والتوجيه، إلا إذا حملته جماعة إسلامية صادقة، وواجهت به الجاهلية، وعرفت معالم طريقها في الدعوة، وهذه المعالم لا بد أن تؤخذ من القرآن الكريم.

«لهذه الطليعة المرجوة المرتقبة كتبت «معالم في الطريق»، منها أربعة فصول مستخرجة من كتاب «في ظلال القرآن»، مع تعديلات وإضافات مناسبة لموضوع كتاب المعالم - وهي: طبيعة المنهج القرآني، والتصور الإسلامي والثقافة، والجهاد في سبيل الله، ونشأة المجتمع المسلم وخصائصه - ومنها ثمانية فصول - غير هذه المقدمة - مكتوبة في فترات، حسبما أوحى به اللفتات المتوالية إلى المنهج الرباني، الممثل في القرآن الكريم..

وكلها يجمعها - على تفرقها - أنها «معالم في الطريق»، كما هو الشأن في كل معالم طريق.

وهي في مجموعها تمثل المجموعة الأولى من هذه «المعالم» والتي أرجو أن تتبعها مجموعة أخرى، أو مجموعات.. كلما هداني الله إلى معالم هذا الطريق»^(١).

وفصول الكتاب هي: جيل قرآني فريد، طبيعة المنهج القرآني، نشأة المجتمع المسلم وخصائصه، الجهاد في سبيل الله، لا إله إلا الله منهج حياة، شريعة كونية، الإسلام هو الحضارة، التصور الإسلامي والثقافة، جنسية المسلم عقيدته، نقلة بعيدة، استعلاء الإيمان، هذا هو الطريق.

والفصل الأخير في الكتاب «هذا هو الطريق»، كان في الأصل تعقيباً من سيد قطب على قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج، كتبه في نهاية تفسيره لتلك السورة، ليُنشر في «الظلال» - الجزء الأخير - ولكن الرقيب - الشيخ محمد الغزالي - لم يوافق على نشره في الظلال - كما أخبرني الأستاذ محمد قطب - فأبقاه سيد، لينشره بعد ذلك في المعالم.

وقد قيل إن الرقابة صادرت الكتاب من المطبعة قبل نشره، وجعلته ضمن الكتب الممنوعة، ولكن عبد الناصر أذن بنشر الكتاب شخصياً^(٢) - وهو لم يأذن بذلك

(١) معالم في الطريق: ١١ - ١٢ طبعة دار دمشق. (٢) «سيد قطب»، لعادل حمودة: ١٦٠.

لوجه الله ولنشر الفكر الإسلامي، بل لإدانة سيد قطب، وجعل كتابه شاهداً له على إعدامه —.

وقد أثار كتاب «معالم في الطريق» ضجة واسعة فور صدوره، حيث تناوله كتاب السلطة، وشيوخها الرسميون، حتى قبل إعدام سيد قطب. ومنهم شيخ الأزهر — وقتها — حسن مأمون، وعبد اللطيف السبكي، ومحمد المدني وغيرهم. وأصدروا فتاويهم بتجهيل سيد وتخطئه وتضليله، بل وتكفيره عند بعضهم، بسبب الكتاب!!

وكان الجلادون في التحقيق والمحاكمات يناقشون الإخوان المتهمين بأفكار الكتاب، ويسألونهم عن قراءته، وتزداد العقوبة على من اعتنق الأفكار التي فيه.

ويُجمع المراقبون — من الإخوان وغيرهم — على أن من أهم أسباب الحكم على سيد قطب بالإعدام، وتنفيذه فيه عام ١٩٦٦م، هو كتاب المعالم، ولذلك صدق محرر جريدة المنار الأردنية عندما قال عن المعالم: «الكتاب الذي حكم على صاحبه بالإعدام»!

وبعد إعدام سيد قطب، بقي كتاب المعالم في المناهج التربوية للإخوان المسلمين، واعتمد في أسرههم وتشكيلاتهم التنظيمية، وتبنى أفكار الكتاب بعض الإخوان المسلمين، وعارضها آخرون من الإخوان، بحجة أن تلك الأفكار انعزالية، لا تتفق مع الخط الانفتاحي الجماهيري الذي تبنته قيادة الإخوان في الثمانينيات!!.

وقد قرأ في المعالم — وفي الظلال — فصائل أخرى من العاملين للإسلام، مثل «جماعة المسلمين» — التي أسسها شكري مصطفى رحمه الله — وجماعة «الجهاد» — التي قتل أفراد منها الرئيس المصري أنور السادات — وخرجوا من المعالم بأقوال غريبة، وأفهام خاطئة، وتأويلات باطلة، وتبنيوها، وجعلوها مناهج لهم في الدعوة والعمل، ونسبوا إلى سيد قطب، واعتبروه صاحبها الأول! من مثل: تكفير المسلم الذي لم ينتظم مع الجماعة، وحرمة العمل في مؤسسات المجتمع، ووجوب العزلة الحسية المادية لأفراد الجماعة، وترك مساجد المسلمين لأنها مساجد الضرار. . وغير ذلك.

علماً بأن سيد لا يقول بهذا الهراء، ولو ادّعوا وجوده في كتاب «المعالم»!!

وقد استغرب سيّد نفسه هذه الأفهام الخاطئة لكلامه في كتابه، وشجبه وتبرأ منه! فعندما صارحته زينب الغزالي بما يُشيعه أناس، من أنّ سيّد يكفر أفراد المجتمع المسلمين من غير جماعته، قال لها: إن هذا فهم خاطيء لما كتبه، وأنه سيوضح هذا في الجزء الثاني من المعالم. ولكنه استشهد قبل توضيحه^(١).

ويروي الأخ «عبد الحليم خفاجي» في كتابه «عندما غابت الشمس»، أنهم لما كانوا مسجونين في سجون عبد الناصر - في الواحات والمحاريق وجناح وغيرها - نبتت فكرة التكفير لأفراد المجتمع، وتبنّاها بعض شباب الإخوان المسجونين المتهورين، وصار الإخوان يناقشونهم وهم مصرّون عليها، ويدّعون نسبتها لسيّد قطب - الذي كان وقتها في مستشفى سجن طرة - .

قال خفاجي: «وحملنا الأخ «إبراهيم الطناني» المرحّل إلى سجن طرة للعلاج، رسائل للأستاذ سيّد قطب، بتفاصيل تفكير وسلوك هؤلاء الإخوة.

فأرسل منكرأ عليهم ذلك قائلاً: إنهم قد فهموني خطأ.

وفي مرة ثانية، قال سيّد قطب غاضباً: لقد وضعت حملي على حصانٍ أعرج!!»^(٢).

وقد ناقش هؤلاء الذين فهموا كتاب «معالم في الطريق» فهماً خاطئاً باحثون ثقات من الإخوان.

ومن أجود المناقشات ما سجّله الأخ المستشار «سالم البهناوي» في كتابه «الحكم وقضية تكفير المسلم».

وقد أصدر البهناوي مؤخراً طبعةً من كتاب «معالم في الطريق»، وقد علّق تعليقات نافعة، أبان ما في بعض العبارات من إبهام وتعميم^(٣).

(١) انظر كتابنا «في ظلال القرآن: في الميزان»: ٢٠٥ - ٢٣٣.

(٢) عندما غابت الشمس: ٤٤٦ - ٤٤٧.

(٣) هو كتاب «أضواء على معالم في الطريق» الصادر عن دار البحوث العلمية في الكويت عام ١٩٨٥ م.

٢٦ - مقومات التصور الإسلامي

مقومات التصور الإسلامي، هو القسم الثاني الذي أعلن عنه في كتاب «خصائص التصور الإسلامي»، وهو مكمل له، وامتّم لموضوعه، فالكتابان يبحثان في العقيدة الإسلامية، من حيث خصائصها ومقوماتها.

وهو الكتاب الوحيد، الذي طُبِعَ بعد استشهاد صاحبه بعشرين عاماً!

فقد صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن دار الشروق، عام

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

وكتب مقدمة الكتاب الأستاذ محمد قطب.

ومما قاله الأستاذ محمد في المقدمة: «تأخّر هذا الكتاب كثيراً عن مواعده الذي قدّرناه له، والذي توقّعه كثير من الناس، الذين علموا بوجود مخطوطته.. حتى شاء الله له أن يصدر، في اللحظة التي قدّرها - سبحانه - لصدوره.

كان الشقيق الشهيد قد انتهى من كتابته، في الأيام الأخيرة من وجوده في السجن، قبل تنفيذ الحكم عليه، من قبل الطغاة..»^(١).

وكشف الأستاذ محمد قطب النقاب عن أمر عجيب، يدلُّ على همة وعزيمة وجدية الشهيد سيّد، ففي الأيام الأخيرة من حياته في السجن، كتب الفصول الأخيرة من الكتاب، وعلى ورقٍ الادّعاء الذي قدّم له من المحكمة: «هذا الكتاب الذي نقدّمه اليوم، والذي انتهى منه صاحبه في الأيام الأخيرة في السجن، قبل تنفيذ الحكم، وكتب القسم الأخير منه على أوراق الادّعاء، التي أعطيت له قبل المحاكمة»^(٢).

وقد عرّف الأستاذ محمد قطب بفصول كتاب شقيقه الشهيد: «المقدمة بعنوان «وجهة البحث»، ثم فصل بعنوان «مقومات التصور الإسلامي»، وفصل بعنوان «الوهمية وعبودية»، وفصل بعنوان «حقيقة الألوهية»، وفصل بعنوان «حقيقة الكون».. ثم فصلان بعنوان «حقيقة الحياة»، و«حقيقة الإنسان».

(١) مقومات التصور الإسلامي: ٥.

(٢) المرجع السابق: ٧.

ولكن الذي وصلنا هو المقدمة، والفصول الأربعة الأولى. أما الفصلان الأخيران «حقيقة الحياة» و «حقيقة الإنسان»، فهما مفقودان!

ولقد ظللنا فترة طويلة امتدت إلى سنوات، نبحث عن الفصلين الضائعين، أو ننتظر أن يعثر عليهما أحد الأصدقاء في أي مكان، فيرسلهما إلينا، ليكمل الكتاب. . ولكن انتظارنا طال بلا جدوى. .

فأينا آخر الأمر أن ننشره في صورته الراهنة – بدون الفصلين الأخيرين – على أن نعيد نشره في صورته الكاملة في أية لحظة نعثر فيها على بقية الكتاب. . إن كان ذلك في قدر الله! . .»^(١).

وبين الأستاذ محمد قطب في مقدمته أهم فصول الكتاب بقوله: «إن فصل «الوهمية وعبودية»، هو في الحقيقة محور الكتاب كله، المحتوي على الفكرة الشاملة فيه. وفيه الخطوط العريضة للفصول التالية جميعاً. . فالفصل بعنوان «حقيقة الألوهية»، والفصل بعنوان «حقيقة الكون»، هما في الحقيقة شرح مفصل لما جاء عن موضوعهما من خطوط عريضة في فصل «الوهمية وعبودية». . وكذلك نستطيع أن نتصور محتوى الفصلين المفقودين، على ضوء ما ورد من خطوط عريضة، عن موضوع كل منهما، في الفصل الأساسي «الوهمية وعبودية»^(٢).

ورغم أن الفصلين الأخيرين من الكتاب «حقيقة الحياة» و «حقيقة الإنسان» لم يُعثر عليهما، إلا أن الأستاذ محمد قطب، وجد بين يديه، «المخطوط» الموجز، الذي وضعه سيد لهما، وسجل فيه الآيات والنقاط الرئيسية التي سبحثها فيهما. . فقرر الأستاذ محمد نشر ذلك المخطوط الموجز للفصلين في آخر الكتاب.

وهو بعمله هذا أطلعنا على طريقة سيد قطب، في إعداد وتجهيز أبحاثه وكتبه، وجمع المادة لفصول تلك الكتب، ووضع المخطوط لها قبل البدء بالصياغة والكتابة!!

(١) المرجع السابق: ١٤.

(٢) المرجع السابق: ٣٥٧ – ٣٧٦.

وقد وصف الأستاذ محمد أسلوب شقيقه الشهيد في صياغة كتاب المقومات بأنه يُعبر عن قمة سيد التعبيرية، وكأنه ينشد نشيداً لا يصوغ فكرة.. «هذا الكتاب الذي أودعه عصارة تجربته الإيمانية، كما بلغ فيه قمته التعبيرية، التي تعبر عن قضايا، غاية في العمق، في سيولة متدفقة، كأنما هي «نشيد» يُنشد، لا «فكرة» تُصاغ!».

وفتح الله على سيد قطب، فمنحه في صياغة الكتاب «قمة نفسية، وقمة تعبيرية في ذات الوقت.. فبلغ في الكتاب غاية إشراقه الذهني، وغاية إشراقه الروحي في آنٍ واحد.. وهو فضل الله يؤتيه من يشاء..»^(١).

* * *

(١) المرجع السابق: ٨.

مَا انْتَهَى إِلَيْهِ سَيِّدُ قُطْبٍ فِي مَنَاجِجِ الْبَحْثِ

أَقِفْ الْآنَ - فِي نَهَايَةِ كَلَامِي عَلَى أَبْحَاثٍ وَكُتُبٍ سَيِّدِ قُطْبِ الْمَطْبُوعَةِ - لِأُبَيِّنَ
مَا انْتَهَى إِلَيْهِ سَيِّدٌ فِي مَنَاجِجِ الْبَحْثِ وَالدراسة.

لَقَدْ أَمْضَى سَيِّدٌ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عَمَلِهِ فِي الْبَحْثِ وَالتَّأْلِيفِ، وَالاطِّلَاعِ
وَالْمَعْرِفَةِ وَالثَّقَافَةِ، وَجَاوَزَ مَرَاكِلَ مُتَفَاوِتَةٍ مُتَدَرِّجَةٍ، فِي أَبْحَاثِهِ وَكُتَابَاتِهِ.

فَقَدْ بَدَأَ حَيَاتَهُ الْعِلْمِيَّةَ بَاكِحًا فِي عَالَمِ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ وَالنَّقْدِ. ثُمَّ صَارَ بَاكِحًا فِي
الدراسات البيانية الجمالية الفنية للقرآن الكريم. ثُمَّ صَارَ بَاكِحًا فِي الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ
الْعَامِ. ثُمَّ صَارَ بَاكِحًا فِي الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَرَكِيِّ الْعَمَلِيِّ التَّغْيِيرِيِّ!!

وَقَدْ أَشَارَ إِلَى مَنَهْجِهِ فِي التَّعَامُلِ الْحَرَكِيِّ مَعَ الْقُرْآنِ، وَفِي فَهْمِهِ وَتَفْسِيرِهِ، فِي
مَوَاطِنَ عَدِيدَةٍ مِنَ الظَّلَالِ، وَفِي مَقْدَمَةِ كِتَابِ «خَصَائِصِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ»، الَّتِي جَعَلَ
عنوانها «كَلِمَةٌ فِي الْمَنَهْجِ»^(١).

وَلَنْ أَقِفَ عِنْدَ كَلَامِهِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، فَقَدْ أَشْرْتُ إِلَيْهَا بِإِيجَازٍ فِي كِتَابِي
«مَفَاتِيحٌ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الْقُرْآنِ»^(٢).

وَلَكِنِّي سَأَقِفُ مَعَ الْقُرَاءِ الْكِرَامِ مَعَ بَيَانِهِ لِمَنَهْجِهِ فِي الْبَحْثِ. الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ
وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْأَخِيرِ «مَقُومَاتُ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ»، وَبَيَّنَّهِ فِي مَقْدَمَتِهِ الَّتِي
أَسَمَاهَا «وَجْهَةُ الْبَحْثِ».

(١) انظر «خَصَائِصِ التَّصَوُّرِ الْإِسْلَامِيِّ»: ٥ - ٢٥.

(٢) انظر «مَفَاتِيحٌ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الْقُرْآنِ»: ٥٢ - ٦٠.

إنه لا يريدُ من كتابه المعرفةَ الذهنيةَ فقط، ولا الثقافةَ العقليةَ النظريةَ، ولكنه يريدُ من القارئ أن ينتقلَ به إلى الحركة العملية الواقعية، الحركة في المجتمع، لإقامة المجتمع الإسلامي من جديد:

«... ومن هنا تلك الأهمية البالغة التي نعلّقها على بيان «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته».. إنها الأهمية النابعة من استهداف التغيير الكليّ الأصيل للحياة البشرية... باعتبار أن إنشاء واقعٍ جديد، رفيعٍ كريم، نامٍ، متجدّد، للحياة البشرية، لا بد أن يسبقه إنشاء تصوّرٍ جديد، يتسم بهذه السمات... ونحن - بحمد الله - لا نحتاج أن ننشئ اليوم هذا التصوّر، فقد أنشأه الله، ولكننا نحتاج إلى استحياء مقومات هذا التصور، في ضمير العصابة المؤمنة في الأرض، وتحويله إلى حركةٍ إيجابيةٍ دافعة، لا إلى معرفةٍ ثقافيةٍ باردة!!

إن طبيعة هذا الدين، ترفض اختزال المعارف الباردة في ثلاثيات الأذهان الجامدة!!..

إن «المعرفة» في هذا الدين، تتحوّل لتوها إلى «حركة»، وإلا فهي ليست من جنس هذا الدين!..

... إننا لا نهدف - كما قلنا مراراً - إلى الاستزادة من قوالب الثقافة الدينية المثلّجة! كلا! إنما نحن نريد إبراز المسافة الهائلة، بين التصوّر الإسلامي للحياة، وسائر التصورات الأخرى الجاهلية التي تسود الأرض كلها... وذلك لإبراز المسافة الهائلة بين الواقع الإسلامي المرجوّ، وكلّ واقعٍ للبشرية اليوم... لكي يقوم على أساس هذا الوضوح المطلق كلّ تفكيرٍ في إعادة إنشاء الواقع البشري على منهجٍ قويم...»^(١).

وسيدّ قطب في كتابه «المقومات» كان يستلهم القرآن - المصدر الربانيّ للتصور الإسلامي - ويطلّ الوقفة أمام الآيات. ويورد هذه الآيات الطويلة في البحث... وهو لم يكن يورد هذه الآيات للاستشهاد بها - كما يفعل بعض الباحثين والكاتبين - وإنما

(١) مقومات التصور الإسلامي : ٢٤ - ٢٥ باختصار.

يوردُها باعتبارها الأصل في البحث، وما كلامُه حولها، وتعليقُه عليها إلا توصيلُ منه القارئ إليها، ليتعامل معها مباشرة.

يقولُ سيّد عن منهجِه في استلْهامِ نصوص القرآن، والتعاملِ معه، وإيرادِ آياته: «إننا لم نكتبْ هذا البحثَ إلا لأنَّ الناسَ قد بُعدوا عن التعاملِ المباشرِ مع القرآن، في أمورِ دينهم ودنياهم — كما كانت الجماعةُ المسلمةُ الأولى تتعامل — وبعُدوا عن الحياة في مثل الجوّ الذي تنزَّل فيه القرآنُ أولَ مرة، جوُّ نشأة الدعوة، ثم نشأة المجتمع والدولة.. ومن ثمَّ بُعدوا عن تذوّقِ هذا القرآن، والاعتمادِ عليه مباشرة، في استقاءِ الحقائق..»

.. أصبحَ الناسُ في حاجةٍ إلى مَنْ يحدثُهم عن «خصائصِ التصور الإسلامي ومقوماته» بعبارةٍ بشرية، تقرُّبُ إليهم هذه الخصائص والمقومات كما هي في مصدرها الرباني.. في القرآن الكريم.

غيرَ أنَّا نعلم — علمَ التذوّق واليقين — أن العبارةَ البشريةَ كائنةً ما كانت، وأنَّ طرائقَ العرضِ البشرية في هذا الباب كائنةً ما كانت؛ لن تبلغَ شيئاً ممَّا تبلغُ إليه العبارةُ القرآنية، والمنهجُ القرآني، وطريقةُ العرضِ القرآني..

وهي ليستُ قاصرةً عن أن تبلغَ شيئاً ممَّا يبلغُه القرآنُ فحسب، بل ربّما كانت مبعّدةً من الحقيقة — كما هي في صورتِها القرآنية الفريدة البهيّجة — مهما بلغَ الكاتب، من تحرّي المنهجِ القرآني، وإدراكِ خصائصه..

هذا يقين، نستمدُّه من طولِ الصّحبة لهذا القرآن، وطولِ الصّحبة كذلك للمحاولاتِ البشرية في البيان، وطولِ المزاولة الشخصية للكتابة، فترةً من العمر طويلاً!!..

وهذا اليقينُ يدفعنا دفعاً — لا نملكُ له رداً — إلى محاولة تركِ النصوص القرآنية تتحدّث.. ولو كان الخيارُ لي لجمعتُ الآيات التي تتحدّث عن هذه الحقائق، ونسّقْتُها، وتركّتها تتحدّث — وحدها وبذاتها — حديثها الفريدَ البهيّج!

وتوفيقاً بينَ الرغبة الملّحة، النابعة من التذوّق والتجربة واليقين في تركِ

النصوص القرآنية وحدها تتحدث بالحقائق... وبين الضرورة الملحة في مساعدة الناس على تذوق المنهج القرآني، بشروح من البيان البشري والعبارات البشرية...
توفيقاً بين تلك الرغبة وهذه الضرورة، سلكتُ منهجاً قد يكون غريباً بعض الشيء على القارئ الحديث، الذي تعودَ - حتى في البحوث الإسلامية الخالصة - أن يرى الآيات القرآنية تُساق لمجرد الاستشهاد في مواضع من البحث، على القضية التي يقررها الكاتبُ بعبارة... ولا يتجاوز دور الآيات القرآنية دور الاستشهاد على الحقيقة، التي يكون الكاتب قد قررها بأسلوبه البشري، وعبارة البشرية!
المنهج الذي سلكناه هنا على النقيض من هذا..

منهجنا يحاول أن يجعل النصَّ القرآنيَّ هو الأصل، الذي يتولَّى تقرير الحقائق، التي يتولّد منها البحث، وأن يجعلَ عبارتنا البشرية مجردَ عاملٍ مساعد، يجعلُ النصَّ القرآني مفهوماً - بقدر الإمكان - للقارئ.

إننا نريدُ أن نعقدَ الألفةَ بين قارئ هذا البحث وبين القرآن ذاته، في النهاية!..
نريدُ لهذا القارئ أن يتعودَ التعاملَ مع القرآن ذاته، تعاملًا مباشرًا، كلما أعوزته حقيقةٌ في شأنٍ من شؤون الحياة كلّها، وأرادَ أن يصلَ فيها إلى الحق..

نريدُ له أن يشعرَ - كما نشعرُ - أن في هذا القرآن غناءً كاملاً شاملاً، في كل حقيقةٍ من حقائق الوجود الأساسية.. وأن ليس وراءه إلاّ البحوث العلمية البحتة، التي تتناول الأمور التجريبية وتطبيقاتها العملية!

... ومن ثمَّ فقارئ هذا البحث، لا بدَّ له أن يدرسَ النصوصَ القرآنية المطوّلة فيه، باعتبارها هي الأصل...

إنها لم تجيء هنا للاستشهاد.. إنما جاءت لتتحدث هي بذاتها عن الحقيقة..
وعبارتنا حولها هي العنصرُ الإضافي!!

ولا بدَّ أن يصبرَ على تملي هذه النصوص.. كلمةً كلمة. فلا يتخطاها - حتى لو كان ممن يحفظون القرآن من قبل! - إنها هنا تمثلُ شيئاً آخر.. إنها تمثلُ كيف

يتحدثُ القرآنُ عن موضوعاتٍ كاملة، لا يحتاجُ القارئُ فيها إلى شيءٍ بعده!!...»^(١).

وهكذا نرى أن هذا الكتابَ الفريدَ النفيسَ - «مقومات التصور الإسلامي» - يُعتبرُ أصدقَ كتابٍ من كتبِ سيدِّ قطب، في الدلالةِ على منهجه في البحثِ والاطلاعِ والدراسة، الذي استقرَّ عليه في آخر حياته، والدلالةِ على أسلوبه السلسِ المشرق في التعبير، الذي بلغَ القمةَ النفسية والتعبيرية، والغايةَ في إشراقه الذهني والروحي، وكأنه نشيدٌ يُنشد، لا فكرةٌ تُصاغ!

ومن هذا الكتابِ، نتعرفُ على ما انتهى إليه سيدُّ قطب، في عالمِ البحثِ والاطلاع، وعلى نظرتِه إلى القرآن، ومنهجه في التعامل معه، وطريقته في استلهاَمِ نصوصه، وهدفه من دراساته القرآنية التي قدَّمها في آخر عمره - عليه رحمة الله - ...

* * *

(١) مقومات التصور الإسلامي: ٣٧ - ٣٩ باختصار.

حقيقة كتيّبات مستقلة لسيّد قطب

بعد استشهاد سيّد قطب، وانتشار كتبه في العالم العربي والإسلامي، وازدياد الطلب عليها في الأسواق والمكتبات، بحيثُ تنفدُ نسخُ الكتاب المطبوع في فترة وجيزة. بعد كل هذا اتخذ بعض الناشرين كتب سيّد ونشرها وسيلةً للكسب التجاري، والربح المادي، فصار ينشر كتب سيّد بدون حقوقٍ لورثته – إخوته – !

وفكر آخرون في نشر كتبٍ أو كتيّباتٍ لسيّد، تحملُ اسمه لتنتشر، فهداهم تفكيرهم وحاسستهم التجارية إلى التفتيش في المجلات التي كتب فيها سيّد، واستخراج مقالاتٍ له منها، ونشرها في كتيّبات مستقلة، تحملُ اسمه. كما أن بعضهم ذهب إلى «الظلال»، واستل منه صفحات، نشرها بعنوان جديد!

وكان القراء يفاجأون بهذه الكتيّبات والرسائل، ويظنونها كتباً خاصة، كتبها سيّد على هذه الصورة، فيتلقفونها ويقتنونها ويحرصون عليها!

وبذلك تضخمت مكتبة سيّد قطب، التي تضم كتبه المستقلة، في أذهان القراء، وارتفعت أرقام قائمة كتبه المنشورة، وزادت على الستة والعشرين كتاباً التي كتبها، وعرفنا بها قبل قليل!

وأقف هنا لأبيّن حقيقة بعض تلك الكتيّبات، ومصدرها الأول الذي أخذت منه، حتى لا تضيع الحقيقة العلمية وسط الرغبة التجارية في الربح الفاحش!

١ – أفراح الروح

هي مجموعة من الخواطر والتأملات والأفكار الخاصة، خطرت لسيّد، وهو في أمريكا ما بين ١٩٤٨م – ١٩٥٠م، ثم سجّلها في رسائل «إخوانية» شخصية، بعثها إلى

أخيه وأختيه وأصدقائه، في مصر والبلاد العربية وفي فرنسا وإنجلترا كذلك.

وتحدّث عن شعوره أثناء كتابتها بقوله: «وكنْتُ أجدني أقرب إلى حقيقتي وأنا أكتبه، إلى حدٍّ أن أعيش هذه الأفكار والخواطر، وأترجمها شعوراً وسلوكاً، لحظةً بعد لحظة، ويوماً بعد يوم، وكنْتُ أجدُ من الصِّفاء الروحي والرضا النفسي، بسبب عيشتي لهذه الأفكار، ما يملأ حياتي غبطة، أن لا أجد ما يخلِّجني أمام نفسي من عزلةٍ بين ما أقوله للناس، وما أزاوُّه في الحياة».

ثم خطر له أن هذه الرسائل الخاصة تصلح للنشر، فجمع طائفة منها، وأرسلها إلى السيد «عادل الغضبان» رئيس تحرير مجلة «الكتاب» التي كان سيّد ينشرُ فيها أحياناً، وكان الغضبان يستحثُّ سيّد على أن يكتب للمجلة. ولكنَّ الغضبان لم ينشر تلك المختارات من الرسائل!!

ولما عاد سيّد للقاهرة، وقابل عادل الغضبان قال: «وحيث عدتُ إلى مصر التقينا، ففتح مكتبه، وسلّمني وريقاتٍ بخطي، وقال: إنها خواطرٌ قيمة، ولكنني أرجأت نشرها لأجلك أنت، لقد خفتُ أن يحسبك القراء قد أفلست، فلجأت إلى مختاراتٍ من رسائلِك!»

وقد أعاد سيّد نشر بعض فقراتٍ من تلك الرسائل في مقاله «في الأدب والحياة» الذي نشره في مجلة الكتاب عدد شهر أبريل ١٩٥١م^(١).

وكان قد نشر مقالاً في مجلة الكتاب - وهو في أمريكا - بعنوان «أضواء من بعيد» حيث نشرته المجلة في عدد فبراير ١٩٥٠م^(٢).

ولما وقعت محنة سيّد الأولى عام ١٩٥٤م، وقفت مجلة «الفكر» التونسية على المقالين: «أضواء من بعيد» و«في الأدب والحياة»، فنشرت فقراتٍ منهما تحت عنوان «أضواء من بعيد»^(٣).

(١) مجلة الكتاب. المجلد العاشر. الجزء الرابع. شهر أبريل ١٩٥١م. صفحات: ٣٨٩ - ٣٩٣.

(٢) مجلة الكتاب. المجلد التاسع. الجزء الثاني. شهر فبراير ١٩٥٠م. صفحات: ١٤٣ - ١٤٥.

(٣) مجلة الفكر التونسية. السنة الرابعة. العدد السادس. شهر آذار ١٩٥٩م.

وفي عام ١٩٧١م وقفت «الدار العلمية» في بيروت على مقالٍ مجلة الفكر التونسية المذكور، فنشرته تحت عنوان «أفراح الروح» وكان العنوان من اختيار الدار العلمية.

ولما كانت العبارة الأولى من الكتيب «أختي الحبيبة: هذه الخواطر مهداة إليك» ظنَّ بعضهم، أنها رسالة بعثها سيّد من سجنه، إلى أخته أمينة قطب!!!

٢ - نحو مجتمع إسلامي

توقّف سيّد عن نشر حلقاتٍ من «في ظلال القرآن» في مجلة المسلمون، وبدأ نشر حلقاتٍ جديدة في المجلة، تحت عنوان «نحو مجتمع إسلامي».

نشر الفصل الأول «المستقبل للإسلام» في ثلاث حلقات من المجلة:

* الأولى في العدد العاشر من السنة الأولى.

* الثانية في العدد الأول من السنة الثانية.

* الثالثة في العدد الثاني من السنة الثانية.

ونشر الفصل الثاني «كيف نستوحي الإسلام» تحت نفس العنوان. في العدد

الثالث من السنة الثانية.

ونشر الفصل الثالث «طبيعة المجتمع الإسلامي» في حلقتي:

* الأولى: في العدد الرابع من السنة الثانية.

* الثانية: في العدد الخامس من السنة الثانية.

ونشر الفصل الرابع «مجتمع عالمي» تحت نفس العنوان، في أربع حلقات في

الأعداد: السادس والسابع والثامن والتاسع من السنة الثانية.

ونشر الفصل الخامس «نظام رباني» تحت نفس العنوان، في حلقتي:

العددان: الأول والثاني من السنة الثالثة^(١).

(١) انظر قائمة الدكتور الخباص لمقالات سيد في كتابه «سيد قطب»: ٣٩٦ - ٣٩٨.

وكان قد أعلن عن بحثٍ له يعدُّه تحت هذا العنوان «نحو مجتمع إسلامي» وذلك قبل أن ينشر تلك الحلقات في المجلة.

وعندما أصدر كتابه «الإسلام ومشكلات الحضارة» عام ١٩٦٢م، أشار في فصل «طريق الخلاص» إلى هذا البحث بقوله: «وفي حدود جُهدي الخاص: لقد أعددتُ لهذا [ملامح المجتمع الإسلامي وخصائصه] بحثاً ضخماً مفصلاً، تحت عنوان: نحو مجتمع إسلامي»^(١).

وتصريحُ سيّد هنا بأن بحثه ضخمٌ مفصّل، يدل على أن البحث كبير. وقد قضى في إعدادِه حوالي أربعة عشر عاماً، مما يدلُّ على أنه أولاه عنايةً خاصة.

وقد استشهد سيّد عام ١٩٦٦م، ولم ينشر كتابه، ويبدو أن السلطات الغاشمة أتلفت أصول البحث.

وبعد استشهادِه تسابقَ التجارُ إلى نشر كتب سيّد، والاتجار بها، كما تسابقوا في نشر مقالاته في كتيّبات ورسائل مستقلة!

وشاركت «مكتبة الأقصى» بعمان في هذا السباق التجاري، فأخذت مقالات سيّد السابقة، التي نشرها في مجلة المسلمون، ونشرتها في كتاب عام ١٩٦٩م، تحت عنوان «نحو مجتمع إسلامي».

وظنَّ القراء أن هذا الكتيب الذي أصدرته مكتبة الأقصى، هو نفسه البحث الذي أعلن عنه سيّد «نحو مجتمع إسلامي»، ووصّفه بأنه بحثٌ ضخمٌ مفصّل!!

وكان على «مكتبة الأقصى» أن تُشير إلى أصل ما نشرته، وأن تُبين أنها أخذته من مقالات مجلة المسلمون، حتى لا يقع اللبس، ولا تضيع الحقيقة العلمية، وسُطَّ الرغبة التجارية في تحقيق الربح المالي، والكسب المادي!!!.

(١) الإسلام ومشكلات الحضارة: ١٨٥.

٣ - في التاريخ فكرة ومنهاج

نشر سيّد موضوعاً بعنوان: «في التاريخ فكرة ومنهاج» على حلقتين في العددين الأول والثاني من السنة الأولى من مجلة المسلمون - شهري سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٥١م - .

وبعد استشهاد سيّد، أخذت الدارُ السعودية للنشر هذين المقالين من مجلة المسلمون، وأضافت لهما مقالين آخرين لسيّد، عن «التصور الإسلامي والأدب»، ونشرتها في كتيب يحمل هذا العنوان، دون أن تشير إلى أصله.

٤ - معركتنا مع اليهود

مجموعة مقالات نشرها سيّد في مجلة «الدعوة» في مطلع الخمسينيات، وقد جمع هذه المقالات الأستاذ «زين العابدين الركابي»، وقدم لها مقدمة عن ملامح شخصية سيّد قطب، وخصائص فكره وأسلوبه، ونشرت الكتيب «الدارُ السعودية للنشر».

وقد أحسن الأستاذ الركابي صنعا، عندما جمع المقالات، حيث كان يشير عند أول كل مقالة إلى أصلها، والمجلة التي نشرتها أول مرة. وكان من المستحسن أن يشير في أول الكتيب إلى أصله، حتى يعرف القارئ ذلك لأول وهلة!

٥ - تفسير سورة الشورى

اقتطعت «الدارُ السعودية للنشر» تفسير سورة الشورى من تفسير «في ظلال القرآن» ونشرته في كتاب مستقل.

وظن قراء أن سيّد خصّ تفسير هذه السورة بكتاب خاص مستقل، بالإضافة إلى تفسيره لها في الظلال!

لماذا أخذت الدارُ السعودية هذا الجزء، وطبعته في كتاب خاص؟ ولماذا سورة الشورى بالذات؟ وماذا يميز تفسيره لها عن تفسيره لباقي السور؟

لا سبب لهذا، إلا الرغبة في تحقيق الكسب المادي عن أيّ طريق كان، ولو على حساب الحقيقة العلمية!! .

٦ - تفسير آيات الربا

فعلت الدارُ السعودية للنشرِ بهذا الكتاب، ما فعلته بالكتابِ السابق. حيثُ استلّت من تفسيرِ الظلال، تفسيرَ سيّد لآياتِ الربا، في سورتي البقرة وآل عمران.

٧ - الجهاد في سبيل الله

كُتِبَ نشره الاتحادُ الإسلامي للمنظمات الطلابية عام ١٩٦٩م، وهو لثلاثة من أعلام الفكر والدعوة: حسن البنا، وسيّد قطب، وأبو الأعلى المودودي. ونصيبُ سيّد من الكتيب هو فصلُ «الجهاد في سبيل الله» الذي أثبتته في «معالم في الطريق».

٨ - سيناء بين أطماع الاستعماريين والصهيونيين

كُتِبَ أصدره الإخوان المسلمون عام ١٩٦٧م، وبيّنوا فيه الأخطار التي تُحدّق بسيناء. ونشروا فيه كلاماً لكلٍ من حسن البنا، وسيّد قطب، وكامل الشريف. ونصيبُ سيّد من الكتيب، مقالةٌ نشرها سابقاً في مجلة الرسالة عام ١٩٥٢م، ثم جعلها فصلاً في كتاب «دراسات إسلامية»، وهي مقالة «إلى النائمين في العالم الإسلامي».

٩ - لحن الكفاح

مجموعةٌ شعريةٌ تضمُّ قصيدتين نُسبتا لسيّد، وهما: «أخي»، و«هبل»، مع قصيدتين للشاعر الإسلامي: هاشم الرفاعي.

١٠ - رسائل استلّت من الظلال

أقبلَ بعضُ التجار على الظلال، واستلّوا منه صفحات، ونشروها في رسائل وكتيباتٍ مستقلة، اختاروا لها عناوينَ من عندهم، وتلقّفها قراءٌ وهم يظنون أنها كتبٌ خاصة، ألفها سيّد على هذه الصورة!

ومن هذه الرسائل والنشرات:

— قصة الدعوة.

- إسلامٌ أو لا إسلام .
 - إلى المتأقلين عن الجهاد .
 - رسالة الصلاة .
 - استعلاء الإيمان ومعالم الطريق إلى الله .
- ولا أدري إذا جاز أن نُجزَّأ تفسير الظلال — الموسوعة الضخمة — إلى رسائلٍ ونشراتٍ وكتيباتٍ، كم سنصدرُ منها، وإلى أين ستصلُ أرقامُ وعناوينُ كتبِ سيّد قطب!!
- وأين سيجدُ قراءُ الأجيالِ القادمةِ الحقيقةَ العلميةَ عن الكتبِ التي ألفها سيّد قطب، وكيف سيعثرون عليها وسطَ هذا «الكمِّ» من النشراتِ المستلّةِ من الظلال، أو من مقالاتِ سيّد السابقة في المجلات!! .

* * *

القِسمُ الثالث

بحوث له لم تنشر

كان سيّد ينتقل كثيراً من بحثٍ إلى بحث، فما يكادُ يقطعُ مرحلةً طويلةً من البحث، ويقاربُ على نهايته، حتى يتولّد في ذهنه بحثٌ جديد، يراهُ أولى بالبحث من الذي بين يديه، فيتركُ البحثَ الذي قاربَ على الإنجاز، ويضعُه جانباً، لبدأ سيراً جديداً مع البحث الجديد.. وهكذا!!

ولا أدري هل هذه حسنة تُسجّلُ له، أو مأخذٌ يؤخذُ عليه!!

والذي يدرسُ آثارَ سيّد، ويطلّعُ على مقالاته في الصحف والمجلات، يقفُ على أخبارٍ له عن عددٍ من البحوث كان ينوي تأليفها ونشرها.

والبحوث التي اطلعتُ على إشاراته لها، والتي لم يقدرُ لها الله أن تُنشرَ، والتي ضاعت فيما ضاع من تراثه، وأُتلفت فيما أُتلف من نتاجه، بعد محنته الأولى، والثانية مع الظالمين، هذه البحوث هي:

١ — مهمة الشاعر في الحياة

بحثٌ ضخّم، كان ينوي تأليفه. واعتبرَ الكتابَ المطبوعَ بهذا العنوان، مقدّمةً لذلك البحث^(١).

٢ — دراسة عن شوقي

كان ينوي إعدادَ هذه الدراسة الشاملة عن أحمد شوقي، يستوفي فيها دراسةً قصائده وأشعاره، لتكونَ أحكامه عليه صادقة، وصادرةً عن خبرةٍ ومعرفةٍ واطلاع.

(١) مهمة الشاعر في الحياة: ٧.

وقد وعدَ بهذه الدراسة، وهو يُعقَّبُ على ملاحظاتِ أستاذه محمد مهدي علام، التي انتقدَ فيها أحكامَ سيّد النقدية على أحمد شوقي^(١).

٣ - المراهقة أخطارها وعلاجها

كتابُ في التربية ومشكلات الشباب. قال عنه: «أنا على وشك إخراج كتاب في التربية عن «المراهقة: أخطارها وعلاجها»^(٢)، مما يدلُّ على أنه كان شبهَ جاهزٍ بين يديه.

٤ - المرأة لغز بسيط

بحثٌ قام بإعداده مدةَ عشر سنوات، ونشرَ خلاصَةً له في عدة حلقات في مجلة «الأسبوع» عام ١٩٣٤م^(٣).

٥ - المرأة في قصص توفيق الحكيم

وعَدَ أن يكتبَ هذا البحث، وأعلنَ ذلك في مجلة الأسبوع^(٤).

٦ - أصدقاء الزمن

ديوانه الشعريُّ الثاني، بعد «الشاطئ المجهول». وكان قد قدّمه للمطبعة، ووعدَ أن يصدرَ في مطلع عام ١٩٣٧م، ولكنه عدلَ عن ذلك في آخر لحظة^(٥).

٧ - الكأس المسمومة

ديوانه الثالث الذي أعلن عن قرب نشره، ولم ينشره^(٦).

(١) المرجع السابق: ١١.

(٢) مجلة الأسبوع. السنة الأولى. عدد: ٢٦. تاريخ ٢٣/٥/١٩٣٤م. صفحة: ١٤.

(٣) مجلة الأسبوع. المجلد الرابع. عدد: ٤٥. تاريخ ٣/١٠/١٩٣٤م. صفحة: ٩.

(٤) مجلة الأسبوع - نفس المرجع السابق -.

(٥) مجلة دار العلوم. السنة الرابعة. عدد: ٢. أكتوبر ١٩٣٧م. صفحة: ١٤٤.

(٦) «ملف الأخير الخارجي من كتاب «كتب وشخصيات»، طبعة دار الكتب العربية بدمشق.

٨ - قافلة الرقيق

ديوانه الرابع الذي أعلن عنه^(١).

٩ - حلم الفجر

ديوانه الخامس، وحلّ به ما حلّ بالدواوين السابقة^(٢).

١٠ - القطط الضالة

قصة مصوّرة، أعلن أنها تحت الطبع^(٣).

١١ - من أعماق الوادي

قصة أخرى، أعلن عنها أنها قيد التحرير^(٤).

١٢ - المذاهب الفنية المعاصرة

بحث نقدي من سلسلة بحوثه النقدية، أعلن أنه تحت الطبع^(٥). وقد أشار إليه في موطن آخر باسم «المدارس الأدبية المعاصرة»^(٦).

١٣ - الصور والظلال في الشعر العربي

بحث آخر من بحوثه النقدية^(٧).

(١) المرجع السابق.

(٢) قائمة كتب سيد، المنشورة في آخر كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية» الطبعة الثانية ١٩٥٢م. نشر دار الإخوان للصحافة.

(٣) الغلاف الأخير الخارجي لكتاب «كتب وشخصيات».

(٤) الغلاف الأخير من كتاب «كتب وشخصيات».

(٥) المرجع السابق.

(٦) مجلة الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٧. تاريخ ١١/١٢/١٩٤٤م. صفحة: ٨٨.

(٧) الغلاف الأخير من «كتب وشخصيات».

١٤ - القصة في الأدب العربي

بحث نقدي آخر له، أعلن أنه قيد البحث^(١).

١٥ - شعراء الشباب

أشار إليه في موطن آخر باسم «الشعر المعاصر»^(٢).

١٦ - القصة الحديثة

بحث نقدي آخر له^(٣).

١٧ - عرابي المفترى عليه

بحث أعدّه لدراسة قائد الثورة العرابية «أحمد عرابي» وترجمة حياته، وردّ المفتريات عنه^(٤).

١٨ - الشريف الرضي

أعدّه لدراسة الشريف الرضي، وترجمة حياته^(٥).

١٩ - القصة بين التوراة والقرآن

٢٠ - النماذج الإنسانية في القرآن

٢١ - المنطق الوجداني في القرآن

٢٢ - أساليب العرض الفني في القرآن

أشار إلى هذه البحوث الأربعة في نهاية كتابه «كتب وشخصيات».

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق. وانظر الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٩٨. تاريخ

١٨/١١/١٩٤٦م. صفحة: ١٢٨٧.

(٣) الغلاف الأخير من «كتب وشخصيات».

(٤) المرجع السابق.

(٥) الغلاف الأخير لكتاب «كتب وشخصيات».

كما أشار لها في مقدمة كتاب «مشاهد القيامة في القرآن»^(١)، على اعتبار أنها حلقات من «مكتبة القرآن الجديدة» التي كان ينوي إصدارها. ولم يُصدر منها إلا كتابي «التصوير الفني» و «مشاهد القيامة».

٢٣ - لحظات مع الخالدين

بحثُ أخبر به الأستاذ أبا الحسن الندوي، لما قابله عام ١٩٥١م في منزله في حلوان. وأخبره أن من هؤلاء الذين سيعيش معهم لحظات، ويجعلنا نعيش معهم، الشاعر «محمد إقبال»^(٢).

٢٤ - أمريكا التي رأيت

بحثُ سجّل فيه دراسته العميقة الفاحصة للحياة الأمريكية، نتيجة مكوّنه فيها سنتين - من عام ١٩٤٨م إلى ١٩٥٠م - . وكان ينوي إصداره ضمن سلسلة «إقرأ» التي تُصدرها دار المعارف. وكان جاهزاً بين يديه.

ولما بدأت محنة سيّد عام ١٩٥٤م، وقبيل اعتقاله، خشي أن يتلف الطغاة أصول البحث، فعهد بتلك الأصول إلى أحد معارفه، ليحتفظ به أمانة، ريثما تستقر الأحداث، وتنتهي الأزمة.

ولكنّ هذا الشخص لم تكن عنده الشجاعة للاحتفاظ بأصول الكتاب، وبخاصة عندما اشتدت وطأة الاعتقالات ضد الإخوان، فأحرق تلك الأصول الأمانة^(٣).

وقد نشر سيّد - قبل المحنة - ثلاث حلقات مختصرة في مجلة «الرسالة» بعنوان «في ميزان القيم الإنسانية: أمريكا التي رأيت».

كما ذكر بعض مشاهداته في أمريكا، في كتاب «الإسلام ومشكلات الحضارة». وأشار في «الظلال» إشارات متفرقة إلى ما شاهدّه هناك في أمريكا.

وقد أعانني الله - والله الحمد - على جمع ما كتبه عن أمريكا، في مجلة

(١) مشاهد القيامة في القرآن: ٧. والغلاف الأخير لكتاب «كتب وشخصيات».

(٢) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي: ١٥٣. وقائمة كتبه في «معركة الإسلام والرأسمالية» عام ١٩٥٢م.

(٣) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب - جزاه الله خيراً.

الرسالة، وفي غيرها من المجلات الأخرى، وعلى استخراج إشاراتِه عن أمريكا، من الظلال وغيره من كتبه، ثم التنسيق بين هذه المادة المجموعة، وإعداد دراسة لها، ونشر ذلك في كتاب «أمريكا من الداخل بمنظار سيّد قطب» الذي صدرت طبعته الأولى عن دار المنارة بجدة عام ١٩٨٥م.

٢٥ - معالم في الطريق : المجموعة الثانية

٢٦ - في ظلال السيرة

٢٧ - في موكب الإيمان

٢٨ - أوليات في هذا لدين

٢٩ - تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر

٣٠ - نحو مجتمع إسلامي

٣١ - هذا القرآن

وقد أعلن عن هذه البحوث في قائمة كتبه التي أثبتّها في نهاية الجزء الثالث عشر من الظلال - الطبعة المنقحة - الصادر عام ١٩٦٤^(١).

وقد أتلّف الطغاة أصول هذه البحوث، فلم يبقَ منها الآن شيء!!!

* * *

(١) انظر نهاية المجلد الثامن من الطباعات اللبنانية للظلال.

الخاتمة

بهذا ينتهي ما قدّر الله لنا إيرادَه، من أخبارٍ ومعلوماتٍ عن حياة الرائد الشهيد سيّد قطب — عليه رحمة الله —.

وقد أتمّمنا هذه الدراسة عن المجاهد الشهيد، بعون الله وحوله وقوته سبحانه، فجاءت في تمهيدٍ وثلاثة أقسام:

● التمهيد: عن نشأة سيّد قطب:

تكلّمت فيه عن قرّيته، وأصله، وأسرته.

● القسم الأول: عن مسيرة سيّد قطب في حياته الأدبية:

وقد وقفت فيه عند عشرة مشاهد: حياته في القرية، دراسته في القاهرة، وظيفته في وزارة المعارف، مقالاته في الصحف والمجلات، صلاته بالأدباء والمفكرين، سيّد قطب وعباس محمود العقاد، معاركه الأدبية والنقدية، إيفاده إلى أمريكا، معه في رحلة ضياعه، المرأة في حياته.

● القسم الثاني: عن مسيرة حياته الإسلامية:

وقد تكلّمت فيه عن النقلة البعيدة التي نقله الله فيها إلى عالم الإيمان والالتزام، والدعوة والجهاد.

ثم بينت فيه مراحل حياته الإسلامية الثلاثة.

ووقفت عند سبعة مشاهد من حياته الإسلامية: سيّد قطب مع رجال الثورة، وسيّد قطب في طريقه إلى الإخوان المسلمين، وسيّد قطب مع الإخوان المسلمين،

ومحنة سيّد قطب الأولى في السجن، وقيادته للتنظيم الإخواني الجديد، ومحنته الثانية عام ١٩٦٥م، ثم محاكمته واستشهاده.

● القسم الثالث: صفات سيّد قطب وتراثه:

تكلّمتُ فيه عن أهمّ صفاته التي لاحظتها الدارسون لشخصيته وفكره. وأوردتُ بعضَ الأخبار التي تشهدُ لتلك الصفات.

أمّا تراثه، فقد تكلّمتُ فيه عن أهمية نشره – وبخاصةٍ مقالاته في الصحف والمجلات – وردّدتُ على مَنْ زعمَ أنّ سيّد قطب قد تخلّى في أخريات أيامه عن بعض كتبه السابقة.

ثم عرّفتُ بكتبه المطبوعة، وربّتها حسبَ صدورها. وبيّنتُ حقيقةَ كُتُبَاتٍ ظهرتُ مستقلةً لسيّد قطب. وأشرتُ إلى بحوثٍ له لم تُنشر. . .

وأرجو أنْ أكونَ قد قدّمتُ للقراء الكرام صورةً واضحةً، للرائد الشهيد سيّد قطب في مختلفِ مراحل حياته، وأنْ يكونوا قد تعرّفوا على مسيرة حياته، التي قاربتُ على الستين عاماً.

إن حياته كلّها جادة، وقد أمّضاها بجِدٍّ وهمّةٍ وعصامية. وإن حياته معطاءة، فكم قدّمَ فيها! وكم أعطى! سواءً في عالم الأدب، أو في عالم الفكر، أو في عالم الدعوة والجهاد!

ولقد كانَ رائداً – والرُّواد في تاريخ البشرية دائماً قليلون – كانَ رائداً في عالم الأدب والنقد، وصارَ رائداً في الفكر الإسلامي، ثم رائداً في الدعوة والمواجهة والجهاد، وأخيراً ختمَ حياته رائداً في الثبات والاستشهاد.

لقد كانَ له من اسمه نصيبٌ عمليٌّ واقعيٌّ كبير، حيثُ تطابقَ اسمه مع حياته، وهذا من تقديرِ المولى الكريم سبحانه.

فهو سيّد قطب.

ولقد عاشَ حياته سيّداً، في كلّ مراحلها، فلم يكن يوماً ذليلاً أو جباناً أو نكرةً

مهملاً، ولقد غادرَ حياته الدنيا، سيِّداً رافعاً رأسه . . وهو الذي يقول في نشيده
«أخي» :

أَخِي فَاْمُضِرْ لَا تَلْتَفِتْ لِلْوَراءِ طَرِيقُكَ قَدْ خَضَّبَتْهُ الدُّمَاءُ
وَلَا تَلْتَفِتْ هَا هُنَا أَوْ هُنَاكَ وَلَا تَتَطَلَّعْ لِغَيْرِ السَّنَاءِ

ولقد عاشَ حياته قطباً، قطبٌ وحوله المعجبون والتلاميذ والدارسون، قطبٌ في
الأدب والنقد، وقطبٌ في الفكر والوعي، والمهمُّ أنه قطبٌ في الدعوة والحركة والجهاد
والاستشهاد!!

لقد كانَ فضلُ الله عليه كبيراً، ونعمُ الله عليه كانت غامرة، ومِنُّ الله وعطاياه
وفيوضاته كانت عميمة . . إِنَّ لِلَّهِ الْفَضْلَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ، في ما كانَ من سيِّد قطب في
حياته الإسلامية .

فلولا اللهَ لما وقفَ هذه المواقف، ولولا اللهَ لما أعطى هذا العطاء، ولولا اللهَ
لما انتهتَ حياته على الدنيا هذه النهايةَ العظيمة التي يتمناها كلُّ مسلمٍ صادق . . لقد
علمَ اللهَ منه الصدق، فَمَنَّ عليه بنعمةِ الشهادة، التي جاءته تسعى إليه في سجنه!

إِنَّ انتصارَ سيِّد في حياته الإسلامية، وتقديمه ما قدَّم، هو شهادةُ فخرٍ واعتزازٍ
للإسلام العظيم، القادر على تحويلِ الرجال من حالٍ إلى حال، وإخراجهم بصبغةٍ
جديدة، وشخصيةٍ جديدة . . وفعلاً «الناسُ معادن» . خيارُهم في الجاهلية، خيارُهم في
الإسلام إذا فقهوا . . وكان سيِّد من أنفَسِ المعادن في حياته الأولى - التي يمكنُ أن
نطلقَ عليها وصفَ الجاهلية - وقد ازداد نفاسةً في حياته الإسلامية الكريمة!

وصدَّقَ في سيِّد قولُ الشاعر:

وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ عِظَاماً تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَادُ

وقولُ الشاعر الآخر:

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ لَحَقَّ تِلْكَ إِحْدَى الْمَكْرُمَاتِ

وكمْ حرصتُ أَنْ تكونَ هذه الدراسة «لائقةً» بشخصية سيِّد قطب وحياته وفكره،

وصادقةً في تقديم هذه الشخصية للقارئ الكريم، وللأجيال القادمة – التي ستبحث عن معلومات، تتعرفُ منها على شخصية السيد قطب! –.

فإن نجحتُ في تحقيق ذلك، فهذا فضلُ الله وحده، فله الحمد والشكر. وإنْ أخفقتُ أو قصرتُ، فأستغفرُ الله من ذلك. وأعوذُ بالله من فتنة القول وفتنة العمل. والحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلّى الله على سيّدنا محمد، النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

شبت المراجع

- ١ - الإخوان المسلمون .
د . ريتشارد ميتشل . ترجمة د . محمود أبو السعود .
الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٢ - الإخوان المسلمون : رؤية من الداخل . أحداث صنعت التاريخ .
محمود عبد الحليم .
دار الدعوة - الإسكندرية - الطبعة الأولى : ١٩٧٩م .
- ٣ - أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون .
حسين محمد أحمد حمودة .
دار الزهراء للإعلام العربي - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٨٧م .
- ٤ - الإصاغة في تميز الصحابة .
ابن حجر العسقلاني .
تصوير مؤسسة الرسالة عن الطبعة المصرية .
- ٥ - أضواء على «معالم في الطريق» .
سالم علي البهناوي .
دار البحوث العلمية الكويت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٦ - الأطفاف الأربعة .
سيد قطب وإخوته .
بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٧م . بدون اسم الناشر .
- ٧ - أمريكا من الداخل : بمنظار سيد قطب .
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .
دار المنارة - جدة - الطبعة الأولى ١٠٤٥هـ - ١٩٨٥م .

- ٨ - أيام من حياتي .
زينب الغزالي .
دار الشروق - بدون تاريخ .
- ٩ - البوابة السوداء : صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين .
أحمد رائف .
الزهراء للإعلام العربي - القاهرة . الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ١٠ - التصوير الفني في القرآن .
سيد قطب .
دار الشروق - بدون تاريخ .
- ١١ - حقيقة الخلاف بين « الإخوان المسلمون » وعبد الناصر .
يرويها محمد حامد أبو النصر - المرشد العام للإخوان المسلمين .
طبعة عام ١٩٨٧ - بدون ناشر .
- ١٢ - خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث .
أنور الجندي .
دار الاعتصام - القاهرة . الطبعة الأولى ١٩٧٥ م .
- ١٣ - خصائص التصور الإسلامي .
سيد قطب .
دار الشروق - بدون تاريخ .
- ١٤ - الخطط المقرزية « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .
أحمد بن علي المقرزي .
دار العرفان - بيروت . بدون تاريخ .
- ١٥ - دراسات إسلامية .
سيد قطب .
دار الشروق - بدون تاريخ .
- ١٦ - دراسة عن القصيمي .
الدكتور صلاح الدين المنجد .
دار الكتاب الجديد - بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

- ١٧ - ذكريات : الحلقة الخامسة .
علي الطنطاوي .
دار المنارة - جدة . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ١٨ - ذكريات لا مذكرات .
عمر التلمساني - المرشد الثالث للإخوان المسلمين .
دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة ١٩٨٥م .
- ١٩ - رائد الفكر الإسلامي المعاصر : الشهيد سيّد قطب .
يوسف العظم .
دار القلم . الطبعة الأولى ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ .
- ٢٠ - رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر .
يوسف العظم .
الدار السعودية للنشر - جدة . الطبعة الأولى : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٢١ - رسائل إلى الشهيد .
أمينة قطب .
دار الفرقان - عمان . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٢٢ - سخریات صغيرة .
محمد قطب . بتقديم سيّد قطب .
لجنة النشر للجامعين - القاهرة . الطبعة الأولى : ١٩٤٧م .
- ٢٣ - سراديب الشيطان : صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين .
أحمد رائف .
الزهراء للإعلام العربي - القاهرة . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ٢٤ - السلام العالمي والإسلام .
سيّد قطب .
دار الشروق .
- ٢٥ - سيّد قطب الأديب الناقد .
الدكتور عبد الله عوض الخباص .
مكتبة المنار - الزرقاء - الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

- ٢٦ - سيّد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي .
محمد علي قطب .
دار الحديث - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- ٢٧ - سيّد قطب : حياته وأدبه .
عبد الباقي محمد حسين .
دار الوفاء - المنصورة - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٢٨ - سيّد قطب : خلاصة حياته . منهجه في الحركة . النقد الموجه إليه .
محمد توفيق بركات .
دار الدعوة - بيروت - بدون تاريخ .
- ٢٩ - سيّد قطب الشهيد الحيّ .
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .
مكتبة الأقصى - عمان . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ٣٠ - سيّد قطب من القرية إلى المشنقة .
عادل حمودة .
سينا للنشر - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٧ .
- ٣١ - الشاطئ المجهول - ديوان شعر - .
سيّد قطب .
مصورة عن نسخة في جامعة لندن - بدون ناشر .
- ٣٢ - الشهيد سيّد قطب .
جماعة أصدقاء الشهيد سيّد قطب .
بدون ناشر أو تاريخ .
- ٣٣ - الصبر والثبات - ديوان شعر - .
جمال فوزي . تقديم عمر التلمساني .
دار الأنصار - القاهرة ١٩٧٨ .
- ٣٤ - صحيح مسلم .
بعناية محمد فؤاد عبد الباقي .
دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ٣٥ - صفحات من التاريخ - حصاد العمر - .
صلاح شادي .
دار الشعاع - الكويت - الطبعة الأولى ١٩٨١م .
- ٣٦ - طفل من القرية .
سيد قطب .
الدار السعودية للنشر - جدة - بدون تاريخ .
- ٣٧ - العدالة الاجتماعية في الإسلام .
سيد قطب .
دار الشروق - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- ٣٨ - عندما غابت الشمس .
عبد الحليم خفاجي .
مكتبة الفلاح - الكويت . الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٣٩ - في تيار الحياة .
أمينة قطب .
دار مصر للطباعة - القاهرة - بدون تاريخ .
- ٤٠ - في ظلال القرآن . ستة مجلدات .
سيد قطب .
دار الشروق - الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ٤١ - في ظلال القرآن . ثمانية مجلدات .
سيد قطب .
دار الكتاب العربي - بيروت . الطبعة السابعة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- ٤٢ - في ظلال القرآن في الميزان .
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .
دار المنارة - جدة - الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٤٣ - كتب وشخصيات .
سيد قطب .
دار الكتب العربية - بيروت - بدون تاريخ .

٤٤ - لماذا أعدم سيّد قطب وإخوانه؟

بدون تاريخ أو ناشر.

٤٥ - لماذا أعدموني؟

سيّد قطب.

الشركة السعودية للأبحاث والتسويق - بدون تاريخ نشر.

وهو الإقرار الذي كتبه سيّد قطب بخط يده في السجن الحربي بتاريخ

٢٢/١٠/١٩٦٥م. ومحفوظ لدى محكمة أمن الدولة، في ملف القضية رقم ١٢ لسنة

١٩٦٥م أمن دولة عليا، والقضية رقم ٤٨٤ مصر لسنة ١٩٦٥م.

٤٦ - لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا؟

عبد المتعال الجبري.

دار الاعتصام - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٤٧ - مدخل إلى ظلال القرآن.

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.

دار المنارة - جدة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٨ - المدينة المسحورة.

سيّد قطب.

دار الشروق - بدون تاريخ.

٤٩ - مذابح الإخوان في سجون ناصر. جزءان.

جابر رزق.

توزيع دار الوفاء - طبعة عام ١٩٨٦م.

٥٠ - مذبحة الإخوان في ليما طرة.

جابر رزق.

دار الاعتصام - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥١ - مذكرات سائح في الشرق العربي.

أبو الحسن الندوي.

مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

- ٥٢ - مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف «أرغمت فاروق على التنازل عن العرش» .
عبد المنعم عبد الرؤوف .
الزهراء للإعلام العربي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٨ م .
- ٥٣ - المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة .
أنور الجندي .
دار المعرفة - مصر - بدون تاريخ .
- ٥٤ - مشاهد القيامة في القرآن .
سيد قطب .
دار الشروق - بدون تاريخ .
- ٥٥ - معالم في الطريق .
سيد قطب .
دار دمشق - بدون تاريخ .
- ٥٦ - معركة الإسلام والرأسمالية .
سيد قطب .
الدار السعودية للنشر . الطبعة الرابعة ١٩٦٩ م .
- ٥٧ - معركتنا مع اليهود .
سيد قطب . بتقديم زين العابدين الركابي .
دار الشروق - الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٥٨ - مفاتيح للتعامل مع القرآن .
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .
مكتبة المنار - الزرقاء . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٥٩ - مقومات التصور الإسلامي .
سيد قطب . بتقديم محمد قطب .
دار الشروق - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٦٠ - منهج الفن الإسلامي .
محمد قطب .
دار الشروق - بدون تاريخ .

- ٦١ - مهمة الشاعر في الحياة .
سيد قطب .
دار الشروق - بدون تاريخ .
- ٦٢ - الموتى يتكلمون .
سامي جوهر .
المكتب المصري الحديث - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .
- ٦٣ - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب .
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .
دار الفرقان - عمان . الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .
- ٦٤ - النقد الأدبي : أصوله ومناهجه .
سيد قطب .
دار الشروق - بدون تاريخ .
- ٦٥ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر .
سيد قطب .
الدار السعودية - جدة . الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .
- ٦٦ - وسائل الإعلام المطبوعة في دعوة الإخوان المسلمين .
محمد فتحي شعير .
دار المجتمع - جدة . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٦٧ - يوميات الشهيد محمد يوسف هواش .
دار الأنصار - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٨ م .

* * *

المحتوى

الموضوع	الصفحة
□ مقدمة	٧
□ سيّد قطب في سطور	١٥
□ تواريخ في حياة سيّد قطب	١٩

تمهيد

في نشأة سيّد قطب

□ «قريته»	٢٥ — ٢٨
موقع القرية	٢٥
ثلاثة مواسم زراعية في القرية	٢٦
بيوت القرية وبساتينها وأشجارها	٢٧
العلاقات الاجتماعية بين أهل القرية	٢٧
مستوى المعيشة في القرية	٢٨
مصير بيتهم في القرية	٢٨
□ «أصله»	٢٩ — ٣٠
أصله هندي	٢٩
محمد قطب ينفي هذا	٢٩
□ «أسرته»	٣١ — ٣٢
مركز الأسرة في القرية	٣١
أسرة والدته	٣١
الدور الاجتماعي للأسرة	٣٢

الموضوع	الصفحة
□ «والده»	٣٣ - ٣٦
والده عميد الأسرة	٣٣
من سجايا والده الطيبة	٣٣
إهتمامات والده السياسية	٣٤
إسلاميات والده	٣٥
□ «والدته»	٣٧ - ٣٩
تدينها	٣٧
اهتمامها بسيد	٣٨ - ٤٩
□ «إخوته»	٤٠ - ٤٩
«نفيسة»	٤٠
نفيسة الممتحنة الصابرة	٤٠
«أمنية»	٤١
قصتان لأمنية	٤١
زوج أمينة الشهيد السنائري	٤٣
اللواء سمير عيد يكشف حقيقة قتل السنائري	٤٣
ديوان شعر لأمنية	٤٤
«محمد»	٤٤
نصيب محمد من المحنة	٤٥
محمد مدرس في الجامعات السعودية	٤٥
محمد تتلمذ على شقيقه	٤٦
نتاج محمد العلمي	٤٦
بصيرة لسيد في شقيقه محمد	٤٧
«حميدة»	٤٨
□ ملامح صورته	٥٠ - ٥٢
صورته	٥٢

القسم الأول
مع سيّد قطب في حياته الأدبية

(١) حياة سيّد قطب في القرية:	٥٥ — ٧١
حياته في الأسرة	٥٥
انتظامه في الدراسة	٥٧
محنة سيّد بين المدرسة والكتاب	٥٨
سيّد يحفظ القرآن	٥٩
تربيته في البيت	٦٠
اعتداده بنفسه	٦١
سيد يرتاد المساجد ويناقش الوعاظ	٦٢
أستاذ سيّد في المدرسة	٦٣
ثقافة سيّد ومكتبته في القرية	٦٤
سيّد الطفل يكشف البخت والطالع	٦٦
سيّد الطفل يدافع عن الفضيلة والأدب	٦٧
حبه الأول في القرية	٦٨
سيّد مثقّف للآخرين	٦٨
مشاركة سيّد في ثورة ١٩١٩ م	٦٩
سفر سيّد للقاهرة	٧٠
(٢) دراسة سيّد قطب في القاهرة:	٧٣ — ٨٣
سيّد في مدرسة المعلمين الأولى	٧٣
سيّد في تجهيزية دار العلوم	٧٤
سيّد في كلية دار العلوم	٧٥
سيّد غير راضٍ عن منهاج الدراسة	٧٦
سيّد الطالب في الكلية يقترح تغيير منهاجها	٧٧
سيّد يدير النقاشات الأدبية	٧٧
سيّد يخالف أساتذته	٧٨
تقدير أساتذته له	٧٩

الموضوع	الصفحة
من أعز أصدقائه في الكلية	٨٠
من نشاطاته في الكلية	٨١
سيّد يشارك في تأسيس جماعة دار العلوم	٨٢
(٣) وظيفة سيّد قطب في وزارة المعارف:	٨٥ — ٩٢
سيّد مدرس في المدارس	٨٥
سرّ إقامته في حلوان	٨٦
سيّد موظف في الوزارة	٨٦
قبول استقالته من الوزارة	٨٧
من اقتراحاته لتحسين العملية التربوية في الوزارة	٨٨
نموذج لمضايقة رؤسائه له	٩٠
(٤) مقالات سيّد قطب في الصحف والمجلات:	٩٣ — ١١٤
صلته بالصحف والمجلات مبكرة	٩٣
إعجاب بجهوده وثناء عليه	٩٤
ليس عمله فيها على صورة واحدة	٩٦
من المجلات التي كتب فيها	٩٧
مقالاته فيها متنوعة	٩٨
سيّد يفاضل بين التدريس والصحافة	٩٨
سيّد مع عبد القادر حمزة في البلاغ	١٠٠
سيّد يكتب في مجلة دار العلوم	١٠٠
سيّد يكتب في مجلة الرسالة	١٠١
سيّد ومجلة العالم العربي	١٠٣
سيّد ومجلة الفكر الجديد	١٠٥
سيّد ومجلة الإخوان المسلمين	١٠٧
مع عبد الباقي حسين في قائمته عن مقالات سيّد	١٠٨
سيّد يكشف ارتباط الصحف المشبوه	١١١
(٥) صلات سيّد قطب بالأدباء والمفكرين:	١١٥ — ١٣٣
صلته بهم مقدمة	١١٥

نقده لنتاجهم	١١٥
لا يعرف معظم المنقودين	١١٦
عباس خضر يخبر عن صلات سيّد بهم	١١٩
سيّد قطب وهؤلاء الأدباء	١٢١
سيّد قطب والرافعي	١٢٢
سيّد قطب وطه حسين	١٢٤
سيّد قطب وتوفيق الحكيم	١٢٨
(٦) سيّد قطب وعباس محمود العقاد:	١٣٥ - ١٦٤
نقاط التشابه بين الشخصيتين	١٣٥
صلته بالعقاد مبكرة	١٣٦
سيّد تلميذ للعقاد	١٣٦
سيّد يعرف بكتب العقاد	١٣٧
سيّد ومدرسة العقاد في الأدب والحياة	١٣٧
سيّد يغالي في نظره للعقاد	١٣٩
العقاد أكبر من أمير للشعراء	١٤٠
خصومه يهاجمونه بشدة	١٤٢
سيّد يدفع ثمن دفاعه عن العقاد	١٤٣
سيّد كان يخشى الذوبان في شخصية العقاد	١٤٤
سيّد يخالف العقاد منذ مطلع حياته النقدية	١٤٥
سيّد ينتقد فهم العقاد للشعر والأدب	١٤٦
سيّد يعلن خروجه على المدرسة العقادية	١٥٠
سيّد يذكر أسباباً أخرى لانفصاله عن العقاد	١٥٣
سيّد يعتب على العقاد	١٥٣
سيّد يصارح الدكتور أحمد أمين	١٥٤
الدكتور محمد رجب البيومي يعلل سكوت العقاد عن نتاج سيّد	١٥٧
العقاد يشيد بسيّد فيما بعد	١٥٨
العقاد وسيّد والشيوعية	١٥٨

الموضوع	الصفحة
تشكك في روايات سليمان فياض عن سيد العقاد	١٦٠
سيد ينقد فكر العقاد في الظلال	١٦٢
وهكذا	١٦٣
(٧) معارك سيد قطب الأدبية والنقدية:	١٦٥ — ١٨٩
أسباب خوضه تلك المعارك	١٦٥
أسلوب سيد في معاركه	١٦٦
أشهر معاركه الأدبية	١٦٨
أولاً: معركة المنبر الحر عام ١٩٣٤م	١٦٨
ثانياً: معركته مع الرافعيين عام ١٩٣٨م	١٧٠
ثالثاً: معركته مع دريني خشبة عام ١٩٤٣م	١٧٤
رابعاً: معركته مع الدكتور محمد مندور عام ١٩٤٣م	١٧٥
خامساً: معركته مع صلاح ذهني عام ١٩٤٤م	١٧٦
سادساً: معركته مع عبد المنعم خلاف عام ١٩٤٤م	١٧٧
سابعاً: معركته مع إسماعيل مظهر عام ١٩٤٦م	١٧٩
ثامناً: معركته مع شيوخ الأدباء عام ١٩٤٧م	١٨٢
وقفه مع أنور الجندى في تأريخه للمعارك الأدبية	١٨٧
(٨) إيفاد سيد قطب إلى أمريكا:	١٩١ — ٢١١
نشاط سيد قبيل إيفاده إلى أمريكا	١٩١
حقيقة مهمته في أمريكا	١٩٢
في طريقه إلى أمريكا	١٩٣
أمريكا تحاول إغواءه	١٩٦
محاولات لاحتوائه	١٩٦
نماذج من نشاطه في أمريكا	١٩٨
رسائل له من أمريكا	٢٠٠
نصوص من تلك الرسائل	٢٠١
نص رسالته إلى أنور المعداوي	٢٠٢
نص رسائله الثلاث إلى محمد جبر	٢٠٤

٢٠٨	عودته من أمريكا
٢١١	الدكتور سيّد قطب!
٢١١	عودته صاحب رسالة
٢١٣ - ٢٥٥	(٩) مع سيّد قطب في رحلة ضياعه:
٢١٣	المقصود برحلة ضياعه
٢١٤	هي جانب خفي من حياته
٢١٤	الفترة الزمنية لضياعه
٢١٥	أسباب ضياعه
٢١٨	ضياعه فكري وليس سلوكياً
٢١٩	ولهذا جأر بالتساؤل والشكوى
٢٢٠	ملامحه في رحلة ضياعه
٢٢١	«الشاطئ المجهول» سجل ضياعه
٢٢٣	نماذج من شعره في ضياعه
٢٢٣	١ - من قصيدة «الشعاع الخابي»
٢٢٣	٢ - من قصيدة «خراب»
٢٢٤	٣ - من قصيدة «في الصحراء»
٢٢٥	٤ - من قصيدة «النفس الضائعة»
٢٢٦	٥ - من قصيدة «الغد المجهول»
٢٢٦	٦ - من قصيدة «غريب»
٢٢٧	٧ - من قصيدة «السر»
٢٣٠	٨ - من قصيدة «سخرية الأقدار»
٢٣٠	٩ - من قصيدة «يوم خريف»
٢٣١	شعر الضياع في الأربعينيات
٢٣٢	قصيدة «قافلة الرقيق»
٢٣٣	قصيدة «أقدام في الرمال»
٢٣٤	ضياع سيّد وحكاية إلحاده
٢٣٥	ضياع سيّد وحكاية دعوته للمجتمع العاري

الموضوع	الصفحة
---------	--------

رواية الأستاذ محمود عبد الحليم للحكاية	٢٣٥
تشكك في الرواية ومناقشة هادئة لها	٢٣٧
سيد يحارب الرذيلة ويدعو إلى الفضيلة	٢٤٠
(١٠) المرأة في حياة سيد قطب:	٢٤٧-٢٥٤
حبه الأول في القرية	٢٤٧
حبه الثاني في القاهرة	٢٤٨
عذابه وعذابها معاً	٢٤٩
أشواك والكأس المسمومة	٢٤٩
وأخيراً فسخ الخطبة	٢٥٢
محاولته الزواج بعد ذلك	٢٥٣

القسم الثاني

مع سيد قطب في مسيرة حياته الإسلامية

(١) تمهيد: نقلة بعيدة	٢٥٧-٢٦٣
نقلة بعيدة إلى عالم الإيمان واليقين	٢٥٧
السرها في طبيعة هذا الدين	٢٥٨
كانت النقلة متدرجة	٢٥٩
حياته الإيمانية في ظلال القرآن	٢٦٠
سيد يعترف في الظلال بضياعه السابق	٢٦١
(٢) مراحل حياة سيد قطب الإسلامية:	٢٦٥-٢٨٣
ارتباطاته السياسية السابقة	٢٦٥
مراحل حياته الإسلامية	٢٦٨
المرحلة الأولى: مرحلة الإسلاميات الفنية الأدبية	٢٦٩
مشروع سيد «مكتبة القرآن الجديدة»	٢٧٠
المرحلة الثانية: الإسلاميات الفكرية العامة	٢٧٣
العدالة الاجتماعية في الإسلام	٢٧٤
مجلة «الفكر الجديد»	٢٧٥

٢٧٦	مقالاته في المجالات الإصلاحية الجادة
٢٧٧	مدارس للسخط
٢٧٩	المرحلة الثالثة: مرحلة الإسلاميات الحركية
٢٨٠	سيد رائد الفكر الحركي الإسلامي
٢٨١	بعض أعماله في هذه المرحلة
٢٨٥ - ٤٨٣	(٣) مشاهد من حياة سيد قطب الإسلامية:
٢٨٧ - ٣١٠	● الأول: سيد قطب مع رجال الثورة
٢٨٧	التخطيط الإخواني المسبق للثورة
٢٩٠	عبد الناصر يستولي على أسرار التنظيم الإخواني
٢٩٢	عبد الناصر يتصل بقيادة الإخوان عن طريق جديد
٢٩٣	عبد الناصر ينكث بعهد مع الإخوان
٢٩٥	سيد قطب ورجال الثورة
٢٩٥	جهود سيد في التمهيد للثورة
٢٩٨	تأثر ضباط الجيش بسيد
٢٩٩	سيد مع قادة الثورة قبل قيامها
٣٠٠	سيد مع قادة الثورة بعد قيامها
٣٠١	سيد ومحمد قطب يرويان عن صلته برجال الثورة
٣٠٢	وصف لحفل تكريم رجال الثورة لسيد
٣٠٥	سيد وهيئة التحرير
٣٠٧	سيد يحاول الإصلاح بين عبد الناصر والإخوان المسلمين
٣٠٩	سيد يفاصل رجال الثورة وينحاز للإخوان
٣١١ - ٣٢٢	● الثاني: سيد قطب في طريقه إلى الإخوان المسلمين
٣١١	أخطاء في بيان صلته بالإخوان
٣١٢	سيد مصلح إسلامي قبل توجهه للإخوان
٣١٣	هل عمل سيد على إنشاء جماعة إسلامية؟
٣١٤	سيد لم يهد كتاب «العدالة الاجتماعية» إلى شباب الإخوان
٣١٧	حادثتان في أمريكا قربتا من الإخوان

٣٢٠	عملاء أمريكا في مصر يحاربون الإخوان
٣٢٢	لسيد ارتباطان مع الإخوان
٣٢٣ - ٣٤٤	● الثالث: سيد قطب مع الإخوان المسلمين
٣٢٣	إنضم للإخوان مطلع عام ١٩٥٣م
٣٢٤	مناقشة هادئة لروايات الأستاذ يوسف العظم
٣٢٧	الهضيبي يرد على سيد قطب
٣٢٩	مظاهر إعجاب سيد بالبنا وبالإخوان
٣٣٢	إنضمامه للإخوان وهم مقدمون على محنة خطيرة
٣٣٤	من أعماله الإخوانية
٣٣٧	قصر مدته التنظيمية مع الإخوان
٣٣٩	إتهامات لسيد بأعمال لم يقم بها
٣٤١	سيد مع الهضيبي ضد مخالفيه من الإخوان
٣٤٥ - ٣٧٣	● الرابع: محنة سيد قطب الأولى في السجن
٣٤٥	إعتقال سيد الأول في مطلع عام ١٩٥٤م
٣٤٦	إعتقال سيد الثاني في أكتوبر ١٩٥٤م
٣٤٧	التحقيق مع سيد
٣٤٨	سيد يُري القضاة آثار التعذيب
٣٤٩	محاكمته السرية والحكم عليه
٣٥١	سيد في «ليمان طرة»
٣٥١	سيد يروي محاولة جمال ربيع لتهريب الإخوان من السجون
٣٥٣	حسين حمودة وجمال ربيع يصححان رواية سيد
٣٥٥	سيد يلخص مذبحه الإخوان في سجن طرة
٣٥٨	سيد يحاول حل لغز حادث المنشية
٣٦١	سيد في مستشفى سجن طرة
٣٦٢	من أمراض سيد
٣٦٥	شخصية سيد في سجنه
٣٦٧	سيد يؤلف الكتب في سجنه

٣٦٩	إشارات لسيد في الظلال عن حياته في السجن
٣٧٠	(أ) نعاسه في لحظة ضيق
٣٧١	(ب) شعوره بقيمة الشمس بعد طول حجه عنها
٣٧١	(ج) رحمة الله له تغير نظره لما حوله
٣٧٢	الإفراج عن سيد بواسطة عبد السلام عارف
٣٧٥ - ٤١٢	● الخامس: سيد قطب قائد التنظيم الإخواني الجديد
٣٧٥	محاولات لتجميع الإخوان المسلمين
٣٧٦	أنجحها تنظيم عبد الفتاح إسماعيل
٣٧٧	زينب الغزالي تروي
٣٧٨	عبد الفتاح إسماعيل ومخالفوه أمام المرشد العام
٣٧٩	القيادة الخماسية للتنظيم الجديد
٣٧٩	مجلس القيادة يبحث عن قائد للتنظيم
٣٨٠	سيد في السجن يفكر في تحليل الأحداث
٣٨١	تصور سيد لمنهج عمل الحركة الإسلامية
٣٨٤	رسالة سيد للأستاذ عمر الأميري
٣٨٦	سيد والتنظيم الإخواني في سجن القناطر
٣٨٧	أعضاء من مكتب الإرشاد يستوضحون ويوافقون سيد
٣٨٩	المرشد التلمساني ينصف سيد قطب عام ١٩٨٥ م
٣٩١	مصير الإخوان المؤيدين لسيد بعد الإفراج عنه
٣٩٢	قادة التنظيم الجديد يتصلون بسيد في السجن
٣٩٣	سيد يقود التنظيم الجديد
٣٩٤	كانت قيادته بإذن من المرشد الهضيبي
٣٩٥	طبيعة قيادته للتنظيم الجديد
٣٩٦	مكمن الخطأ في منهج سيد في الحركة الإسلامية في رد الاعتداء
٣٩٧	هل يتركون الحركة الإسلامية مع منهاجها التربوي؟
٣٩٨	الخطأ في إقرار مبدأ رد الاعتداء!
٤٠١	علي عشاوي يورط التنظيم في موضوع السلاح!

من هو علي عشناوي؟ ومن كان وراءه؟	٤٠١
علي عشناوي يخبر سيّد وحده بالسلاح	٤٠٣
قيادة التنظيم تدرس رد الاعتداء	٤٠٤
سيّد يوصي بإلغاء خطة رد الاعتداء	٤٠٧
وفعلاً لم تقع حوادث: أين أسلحة علي عشناوي؟	٤٠٨
سيّد ينهي رواية قصة التنظيم	٤٠٩
زيارات لسيّد خارج نطاق التنظيم	٤١٠
● السادس: محنة سيّد قطب الثانية	٤١٣ — ٤٤٠
اعتقاله والتحقيق معه	٤١٣
الجو العام قبيل المذبحة: التسلط الشيوعي	٤١٣
الصراع بين مراكز القوى في الدولة	٤١٤
إشاعات ومنشورات ضد الإخوان	٤١٥
محمد قطب يروي عن بدء محنة الإخوان	٤١٦
سيّد يتوقع الإعدام: حكاية الثعبان الأحمر	٤١٧
اعتقال محمد قطب واحتجاج سيّد	٤١٨
إعتقال سيّد في ٩/٨/١٩٦٥م	٤١٩
الحكومة تكتشف التنظيم قدراً	٤٢٠
علي عشناوي يكشف أوراق التنظيم	٤٢١
عبد الناصر يعلن من موسكو	٤٢٢
تقرير اللجنة القانونية لمجلس الأمة	٤٢٣
١٣ بلاغاً من المباحث العسكرية للنيابة العامة	٤٢٤
تقريران لسيّد	٤٢٥
مقدمة تقريره الثاني	٤٢٦
كلمته الختامية لتقريره الثاني	٤٢٧
صلاح نصار يحقق مع سيّد	٤٢٩
لقطات من محضر التحقيق	٤٣٠
● السابع: محاكمة سيّد قطب واستشهاده	٤٤١ — ٤٨٣

٤٤١	بين التحقيق مع سيّد ومحاكمته
٤٤١	شمس بدران يقتل رفعت بكر أمام خاله سيّد
٤٤٢	زينب الغزالي تروي أربعة أخبار عن سيّد في السجن
٤٤٣	قرارات الاتهام بالجملة
٤٤٤	فؤاد الدجوي رئيس المحكمة
٤٤٥	الدجوي يحاكم سيّد
٤٤٧	سيّد يخيف الدجوي بنظراته
٤٤٧	منظمة العفو الدولية تدين المحاكمات المزيّفة
٤٤٩	سيّد عملاق في محكمة الأقسام: لقطات من المحكمة
٤٦١	سيّد ينتظر الحكم عليه
٤٦١	أحمد رائف يروي عن سيّد
٤٦٢	كمال الدين حسين ينتصر لسيّد
٤٦٤	رسالتان إيمانيتان عظيمتان لسيّد
٤٦٦	الدجوي ينطق بأحكام عبد الناصر
٤٦٧	الديري يروي إسماع سيّد للحكم بإعدامه
٤٦٨	زينب الغزالي تروي زيارة سيّد الأخيرة لأخته حميدة
٤٦٨	الملك فيصل يتوسط لعدم إعدام سيّد
٤٧١	حميدة قطب تروي مساومات ليلة التنفيذ
٤٧٣	كلمات لسيّد في استعلائه على الضغوط
٤٧٥	عبد المتعال الجبري يروي عن ليلة الإعدام
٤٧٦	إبتسامة سيّد لفرحه بالشهادة
٤٧٧	سامي جوهر يروي لحظات الإعدام
٤٧٩	سيّد قطب الشهيد الحيّ: مات ليعيش
٤٨٢	وباستشهادها عاشت أفكاره

القسم الثالث صفات سيّد قطب وتراثه

٤٨٧ — ٤٩٩	(١) ملامحه وصفاته وخصائصه:
٤٨٧	طبيعة نفسه

الموضوع	الصفحة
أهم ملامحه وصفاته وخصائصه	٤٨٨
قبضة أخبار تدل على صفاته	٤٩٣
(أ) تبرعه بأثاث منزله لصديقه العروس	٤٩٣
(ب) تبرعه ببدلته الجديدة لطالب الجامعة	٤٩٣
(ج) استعلاؤه على الأموال رغم حاجته إليها	٤٩٤
(د) الندوي والعظم يرويان عن سيّد المحاضر	٤٩٥
(هـ) تحليلات سياسية رفيعة لسيّد	٤٩٧
(٢) تراثه الأدبي والفكري :	٥١٣-٥٠١
تنوع ألوان نتاجه	٥٠١
تأنيه في البحث	٥٠٢
رائد في الأبحاث الأدبية والنقدية	٥٠٥
ورائد في البحوث الإسلامية	٥٠٦
أهمية نشر نتاجه كله	٥٠٧
رفض دعوى إلغاء تراثه الأدبي السابق	٥٠٧
هل تخلى سيّد عن كتبه السابقة ؟	٥٠٩
محاربة الطغاة لكتبه وفكره	٥١١
(٣) نتاجه ثلاثة أقسام :	٥٨٢-٥١٥
● القسم الأول - مقالاته في الصحف والمجلات :	٥١٩-٥١٧
قائمة الدكتور الخباص لمقالات وقصائد سيّد	٥١٨
قائمة عبد الباقي محمد حسين لمقالات وقصائد سيّد	٥١٩
● القسم الثاني - كتبه المطبوعة :	٥٦١-٥٢١
تأخر سيّد في نشر الكتب	٥٢١
كتبه ستة وعشرون كتاباً فقط	٥٢٣
١ - مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر	٥٢٣
٢ - الشاطئ المجهول	٥٢٤
٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر	٥٢٥
٤ - التصوير الفني في القرآن	٥٢٧
٥ - الأطياف الأربعة	٥٢٨

الموضوع	الصفحة
٦ - طفل من القرية	٥٢٨
٧ - المدينة المسحورة	٥٢٩
٨ - كتب وشخصيات	٥٣١
٩ - أشواك	٥٣٢
١٠ - مشاهد القيامة في القرآن	٥٣٣
١١ - روضة الطفل	٥٣٤
١٢ - القصص الديني للأطفال	٥٣٤
١٣ - الجديد في اللغة العربية	٥٣٦
١٤ - الجديد في المحفوظات	٥٣٦
١٥ - النقد الأدبي أصوله ومناهجه	٥٣٧
١٦ - العدالة الاجتماعية في الإسلام	٥٣٨
١٧ - معركة الإسلام والرأسمالية	٥٤١
١٨ - السلام العالمي والإسلام	٥٤٢
١٩ - في ظلال القرآن	٥٤٤
٢٠ - دراسات إسلامية	٥٤٩
٢١ - هذا الدين	٥٥٠
٢٢ - المستقبل لهذا الدين	٥٥١
٢٣ - خصائص التصور الإسلامي	٥٥٢
٢٤ - الإسلام ومشكلات الحضارة	٥٥٣
٢٥ - معالم في الطريق	٥٥٤
٢٦ - مقومات التصور الإسلامي	٥٥٩
ما انتهى إليه سيّد في مناهج البحث	٥٦٢ - ٥٦٦
حقيقة كتيبات مستقلة لسيّد	٥٦٧ - ٥٧٣
● القسم الثالث - بحوث له لم تنشر:	٥٧٥ - ٥٨٠
□ الخاتمة	٥٨١ - ٥٨٤
□ ثبت المراجع	٥٨٥ - ٥٩٢
□ المحتوى	٥٩٣ - ٦٠٨

كتب للمؤلف

- ١ - سيد قطب الشهيد الحي .
- ٢ - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب .
- ٣ - أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب .
- ٤ - مدخل إلى ظلال القرآن .
- ٥ - المنهج الحركي في ظلال القرآن .
- ٦ - في ظلال القرآن : في الميزان .
- ٧ - مفاتيح للتعامل مع القرآن .
- ٨ - في ظلال الإيمان .
- ٩ - الشخصية اليهودية من خلال القرآن .
- ١٠ - تصويبات في فهم بعض الآيات .
- ١١ - مع قصص السابقين في القرآن (١ - ٣) .
- ١٢ - البيان في إعجاز القرآن .
- ١٣ - ثوابت للمسلم المعاصر .
- ١٤ - إسرائيليّات معاصرة .
- ١٥ - سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد .
- ١٦ - لطائف قرآنية .
- ١٧ - هذا القرآن .
- ١٨ - حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية .

كتب تحت الطبع :

تفسير الطبري : تقريب وتهذيب .

